

إبراهيم العجلوني مرايا الحضور



إعداد وتقديم

سمير اليوسف



إبراهيم العجلوني

مرايا الحضور

إبراهيم العجلوني

مرايا الحضور

(الطبعة الثانية)

إعداد وتقديم

سمير اليوسف

٢٠٢١

• إبراهيم العجلوني

مرايا الحضور

(طبعة مزيدة ومنقحة)

• إعداد وتقديم: سمير اليوسف

• الطبعة الثانية ٢٠٢١

• الناشر: دار الخليج للنشر والتوزيع، عمّان

هاتف 0096264647559

• (ردمك): ISBN 978-9957-67-899-9

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٢١/٤/٢٠٩١)

٩٢٨, ١

اليوسف، سمير سعيد

إبراهيم العجلوني - مرايا الحضور/ سمير سعيد اليوسف - ط٢ مزيدة
ومنقحة- عمّان: المؤلف، ٢٠٢١
(ص)

ر.إ.: ٢٠٢١/٤/٢٠٩١

الواصفات: / التراجم// الأدباء العرب// السيرة الذاتية/

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي
دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

• الإخراج الفني : سمير اليوسف هاتف ٠٧٩٩٦٧٧٥٦٩

• جميع الحقوق محفوظة للمؤلف. لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه،
أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق
من المؤلف.

• All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in
a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without
prior written permission of the author.

• عندي قلق دائم أن أموت دون أن أكون قد تمثّلت

كل جماليات ومعارف ثقافة أمتنا الهائلة..!!

إبراهيم العجلوني

مقدمة الطبعة الثانية

لَمَّا صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب كان ثمة وثائق: رسائل ومقابلات لم يُتَح لي آنذاك الحصول عليها. ولَمَّا أمكن لي ذلك بعد جهد جهيدٍ، رأيت واجباً على أن أصدر هذه الطبعة الثانية المزينة، توصلاً إلى تقديم صورة أوسع إطاراً وأغزرَ حيثياتٍ لواحدٍ من صنّاع الثقافة في الأردن في مدى نصف القرن المنصرم. ولقد أصابني التوفيق في الحصول على ما يقارب خمسين رسالة كان تلقاها كاتبنا إبراهيم العجلوني من نخبة من مثقفي الأردن والعالم العربي أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر سمو الأمير الحسن بن طلال، والأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد، والمؤرخ الأستاذ سليمان الموسى، والأستاذ أديب عباسي، والأستاذ عيسى الناعوري، والأستاذ خالد الساكت، والشاعر علي البتيري، والشاعر راشد عيسى، والشاعر إبراهيم نصر الله، والأديب نايف النوايسة، والأستاذ عائد خصبك، والأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور ماجد حرب، وكثير غيرهم ممّن أدرجت رسائلهم في هذه الطبعة الثانية من «مرايا الحضور».

كما أنني أضفت إلى هذه الطبعة مقالين لكل من الناقد الدكتور إبراهيم خليل، والمفكر الأديب سامر المجالي، جعلتهما في باب «الأصدقاء» منه، فضلاً عن أربع عشرة مقابلة صحفية أجراها أساتذة وكتاب وصحفيون معروفون لصحفٍ ومجلات عربية، على نحو ما هو مبين تفصيلاً بين يدي باب المقابلات من هذا الكتاب.

وعلى أن الكمال أمر فوق طوق الاحتمال؛ إلا أنني وقد قدّمت جهدي واستفرغت وسعي في استقراء ألوان الحضور الأدبي والفكري لكاتبنا العجلوني؛ أستشعر بعضاً

من راحة الضمير إزاء مفكر عربي نذر قلمه لأمته ووطنه، آملاً أن يكون عملي هذا خالصاً للحق والحقيقة، وأن لا أخطئ فيه أجر المجتهدين، وفي الوقت نفسه أن يصار إلى إنصاف مبدعينا ومفكرينا الكبار وأن يكون ما يشتمل عليه هذا الكتاب «إبراهيم العجلوني مرايا الحضور» جهداً مقبولاً ومحموداً في هذا الباب من «بعض وفاء» وعلى الله سبحانه قصد السبيل والحمد لله رب العالمين...

سمير اليوسف

عمّان ٣/٤/٢٠٢١

مقدمة الطبعة الأولى

لا ريب رصد وقائع الحضور الثقافي في مدى نصف قرن ونيف لكاتب إشكالي متعدد الجوانب، غزير الإنتاج في شتى مناحي الفكر والأدب، أمر من الصعوبة بمكان. ولقد أدركت هذا جيداً أثناء إعدادي لهذا الكتاب الذي سمّيته: «إبراهيم العجلوني: مرايا الحضور». واستيقنت كم هو متعب تتبّع أشكال هذا الحضور في الصحف والكتب والمجلات، وبخاصة ما تقادم عهده منها.

وإذا كنت قد جمعت فيما يضمّه هذا الكتاب مادةً متنوعةً تُمكن قارئه من الاطلاع على جوانب من مسيرة العجلوني الأدبية والفكرية. فإن ثمة مواد أخرى تعذر علي الوصول إليها. الأمر الذي قد يتاح لي مستقبلاً استدراكه، مع قناعتي بأن هذا الكتاب ينفي بالعرض الرئيس منه، وهو إضاءة تجربة ثقافية ممتدة، تقلب صاحبها في مواقع شتى نذكر منها رئاسة تحرير مجلة «أفكار»، ورئاسة تحرير مجلة «الموقف»، وإدارة تحرير مجلة «الرائد العربي»، ورئاسة القسم الثقافي في إذاعة عمان، فضلاً عن عمله مستشاراً في وزارة التعليم العالي، ومسؤولاً إعلامياً في رئاسة الجامعة الأردنية، ومحرراً ثقافياً لجريدة الرأي، وباحثاً في مؤسسة آل البيت، فضلاً عن أربعين كتاباً (وثمة ثبّت فيها في نهاية هذا الكتاب) في شتى مناحي الإبداع والنقد والفلسفة، فضلاً عن المؤتمرات وعديد الندوات التي ساهم فيها، في الأردن، ومصر، وليبيا، والمغرب، وإيران، والمانيا، وعمان، وغير ذلك من ألوان الحضور.

ولقد أدرجت مواد هذا الكتاب في أربعة أبواب: أولها للمقدمات التي كتبها نخبة من أعلام الفكر والصحافة في الأردن لستّة من الكتب المهمة للعجلوني، وثانيها للأصدقاء

التي أحدثتها كتب العجلوني ومقالاته، بما في ذلك مجلة «المواقف» التي أصدرها أواخر الثمانينيات، وثالثها لمساجلاتٍ وتعقيباتٍ وردود أحدثتها آراؤه في واقع الحياة الفكرية في الأردن، ورابعها لعدد من المقابلات الصحفية التي أجريت معه، والتي يمكن من خلالها إضاءة كثير من أفكاره ورؤاه.

وأحسب أنني مطمئن إلى القيمة الموضوعية لعمله هذا، وإلى أنه سيجد مكانه في المكتبة الأردنية والعربية، آملاً في الوقت نفسه أن يصار إلى إنصاف مبدعينا ومفكرينا الكبار وأن يكون ما يشتمل عليه هذا الكتاب جهداً مقبولاً ومحموداً في هذا الباب من «بعض وفاء» وعلى الله سبحانه قصد السبيل...

سمير اليوسف

عمّان ١/٣/٢٠٢٠

المقدمات

بين يدي هذه المقدمات

قدّم لستة من كتب إبراهيم العجلوني التي بلغت أربعين كتاباً كُلُّ من الدكتور ناصر الدين الأسد، والدكتور سحبان خليفات، والأستاذ محمود الكايد، رحمهم الله جميعاً واسكنهم جنان الخلد، والدكتور عزمي طه السيد، والدكتور ماجد حرب، والدكتور حسن حمّاد، وهي المقدمات التي يشتمل عليها الباب الأول من «مرايا الحضور» هذه، وهي بحسب الترتيب الهجائي.

أولها مقدمة الدكتور حسن حماد لكتاب «دون مقام الرضا» والثانية مقدمة الدكتور سحبان خليفات لكتاب «نظرات في الواقع الثقافي الأردني» والثالثة مقدمة الدكتور عزمي طه السيد لكتاب «إسلام ومسلمون» والرابعة مقدمة الدكتور ماجد حرب لكتاب «نحن ومفكرو الغرب» والخامسة مقدمة الأستاذ محمود الكايد لكتاب «في عبقرية البساطة» والسادسة التصدير الذي كتبه العلامة الراحل الدكتور ناصر الدين الأسد لكتاب «وحي الآفاق» الذي يقع في ثلاثة مجلدات.

ومن هذه المقدمات نتبيّن مدى التقدير الذي حظي به كاتبنا من النخب المفكرة في الأردن، ولا سيما هؤلاء الأعلام الستة الذين اتفقت آراؤهم على إنصاف جهود العجلوني الفكرية والأدبية.

تقديم كتاب "دون مقام الرضا"

• الدكتور حسن جمعة حماد جهامة

بسم الله الرحمن الرحيم

كرمني أخي وصديقي الأديب الكبير والصحفي المجيد الأستاذ إبراهيم العجلوني حين اختارني لكتابة مقدمة لكتابه «دون مقام الرضى»، وقبل التعرض لمضمون هذا الكتاب الثمين، وجدت من الواجب القول أن الأستاذ إبراهيم الذي عرفته وزاملته بأكثر من ربع قرن وجدته من الأشخاص الذين يضيئون الحياة بتواضعه وعزة نفسه وبما يملك من السماحة والنبيل والوفاء، كما عرفت فيه الإنسان الوفي غاية الوفاء لوطنه ودينه وأمته، فلقد سخر قلمه ولسانه لمصلحة وطنه وأمته والدفاع عن قضاياها والحرص على حرية الإنسان فيها وكرامته، كما وقف حياته وفكره للذود عن الإسلام وحراسة قلاعه من المغيرين عليه من أعدائه الصرحاء في الداخل والخارج ومن المنافقين الذين يتمسحون بالإسلام وهم الأشد خطراً عليه وعلى المسلمين وتجلى هذا في ما سطره من كتب ومقالات ومن خطب ومحاضرات، تكشف عما يملكه الإسلام من قدرات هائلة ومتجددة على العطاء في مواجهة الجذب الروحي والمادي مهما يختلف الزمان والمكان.. ويؤمن أن الأمة التي لا يتصل حاضرها بماضيها خليقة أن تضل السبيل، وأن الأمة التي لا ماضي لها لا مستقبل لها..

إن إبراهيم خلال حركته في الحياة، قد عرف كيف يتعالى على أزماتها بالصبر والرضى مهما تكن هذه الأزمات. ولم تشغله عن هدفه السامي، فاستطاع بكتبه التي قاربت الأربعين ومقالاته العديدة، أن يعيد الاعتبار لمفهوم المثقف الموسوعي، الذي يطل على الكثير من المعارف والعلوم والأفكار إطلالة الناقد المتبصر، بحيث جعلنا نشعر أن أديب الأمة مصطفى صادق الرافعي لم يموت وأنه حي يعيش بيننا، وكتابه «وحي الآفاق» بأجزائه الثلاثة يشهد بذلك، ويمكن القول بأمانة أن حياته وكتبه وتصوراته في الأدب والثقافة، تجعل منه في نهاية الأمر شاهداً أميناً على عصره..

يضم الكتاب مقالات هامة بعضها يصح القول بأنه كتاب في مقال، تبعث على الهمة والجدية والإيمان، ورأيت فيها أسلوباً متين السبك وبياناً مشرقاً وإدراكاً واضحاً، وكتابة

هذه طبيعتها لا بد أن تعرف طريقها إلى قلوب وعقول القراء.. ولعل جزء من قيمة هذا الكتاب الهام مستمدة من كون صاحبها، أديباً وشاعراً وصحافياً متميزاً، شارك أو يشارك بقلمه وقلبه وفكره في صياغة وصناعة الثقافة وتنمية الذائقة الأدبية وتعميق الوعي من خلال المجالات الثقافية التي تولى المسؤولية فيها، فضلاً عن إشرافه على الملاحق الثقافية في الصحف لسنين عديدة، وقبل استعراض مضموت كتابه «دون مقام الرضى»

وجدت من الأهمية إيراد ما ذكره العلامة ناصر الدين الأسد بحق أسلوب المؤلف وعمق فكره وبيانه، يقول: «إبراهيم العجلوني صاحب أسلوب لا يخطئه القارئ بين ما يقرأ من أساليب، فهو صاحب المعنى الغزير في اللفظ اليسير.. أما غزارة المعنى فيما يكتب فهي واضحة في مقالات هذا الكتاب وفي غيره من كتبه. فهو ينتقل بقارئه في رحاب الدنيا الواسعة لا يكاد يعرض للقارئ أمراً من أمور الشرق والغرب، حتى يسارع إلى أمر من أمور المسلمين في ماضيهم وحضارتهم ومنهجهم، ثم في حاضرهم وما يرجى لهم ومنهم في مستقبل الأيام. وما يكتبه إبراهيم يظل يتردد في العقل وفي النفس وتحرص عليه الذاكرة في طياتها زمناً، ثم يحتاج القارئ الفطن إلى عودة إليه ومدارسته...».

يستهل المؤلف كتابه بمقال «في طلب النجاة» من الشباك المنصوبة على كل طريق والمختلفة الصنع والهوية والمصدر ومختلفة الألوان والغايات.. ويتطلع إلى أن يستقر بعيداً عن مهاوي هذه اشباك.. ويقول لقد أطبق اليأس على صاحبنا لما يراه من تكثر الشباك حوله وأسباب الهلاك.. وأقول لصاحبنا إن هذه الشباك مهما كانت قوتها ومصدرها ستذوب وتتبخر أمام وهج صدقك وقوة بيانك وإخلاصك وإيمانك.. فلا يأس مهما تكاثرت على صاحبك شبك الشر والكيد والفساد، ما دمت على حق، فأنت في معية الله سبحانه يمدك بالقوة والنصر ولو كره الظالمون.. أولست القائل أيها الصديق إننا أمة «ثاني اثنين إذ هما في الغار، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا» وليس يجوز لنا أن نستئس، أو أن نقنط، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.. واعلم أنك إذا ضاقت بك الأرض بما رحبت فإن السماء لا تضيق.

وفي مقال له بعنوان «من له أن يقيس» يطالب بوقفه جادة في وجه سيل الفتاوي الكثيرة والمغرضة لأنها أصبحت ظاهرة مدمرة، فيقول: هذه الفتاوي التي تدفع إليها السياسات والأهواء والمصالح، والتي تأدت إلى خرائب المدائن العريقة والأوطان الآمنة في مشرقنا

العربي الإسلامي، وإلى أن تكون بلادنا نهباً للأمم المتداعية.. ومن لا تتوفر فيه شروط الفتاوي لا ينبغي أن يجتهد، أو أن يكون له رأي مسموع ولا سيما في الشؤون العامة للأمة، التي تتدافع طوائفها اليوم في المهالك، ويشتد فيما بينها بأسها، وتخرب بيوتها بأيديها وأيدي أعدائها.. وفي مقال آخر بعنوان «شر مستطير ننبه إليه» يحتضن الكاتب في هذا المقال المهم في جودته ورؤياه قيم الوفاء للوطن وتلخيصه الرائع لما ينبغي أن يكون عليه موقفنا وحرصنا على قوته وعزته ومجده، وينبه فيه من الذين يدسون السم في الدسم، والذي يأتي من خلال التصريحات والخطط، ويحذر من يجر الأردن إلى مستنقع الخلافات المتفاقمة بين الرفاق المتناحرين في فلسطين المحتلة.. ويقول أن في وطننا ما يؤهلنا لإدراك عمق الحفرة، التي يحتفرها الخبير المخضرم وغيره للأردن وبالغ الكيد الذي بينه من حيث يدري ولا يدري.. كما ضم الكتاب مواضيع مهمة منها مهارة ذهنية مطلوبة، الكتابة رؤية وموقف، أساس العلوم وتاجها، عرجون قديم، في مدح الأسطور، فقر في طيلسان غنى، سماء لا تضيق، لحظة انتباه في أحسن تقويم، في المنطق والذئقة والتأمل، مفعم بالتفاؤل، حقائق للتدبر والاعتبار، حين تتهشم المرايا، فلاسفة وأدباء، عن الثقافة والمثقفين، السباحة ضد التيار، كلمة حق، ملح الأرض، قوم لا نقرأ ولا فنخر، وقصائد منها في الوصيد، وجيب.. وغيرها من المواضيع الهامة، أترك القارئ الكريم يستمتع بموضوعات الكتاب الشيقة..

وبعد، فإن هذا الكتاب لا يحتاج إلى مقدمة فالمؤلف الكريم، لا يعوزه تعريف ولكنه أحب أن يشرفني فيجعل لي كلمة في أول هذا الكتاب.. والأخ إبراهيم أفاد وأجاد في كتابه وهو كتاب جدير بالقراءة والتأمل، وأسأل الله له التوفيق والصحة وطول العمر وأن ينفع القراء بما يكتب، والحمد لله رب العالمين..

تقديم كتاب

"نظرات في الواقع الثقافي الأردني"

• الدكتور سحبان خليفات

كنت قد وقفت على بعض فصول هذا الكتاب منشوراً في بعض مجلات الثقافة والفكر، وحين قام كاتبها بجمعها بين دفتي كتاب بعد أن أضاف إليها جديداً تفضل وأطلعني عليها بقصد إبداء رأي فيها، ولقد رأيت في هذه المقالات أسلوباً متين السبك، أنيقاً، وفكراً نافذاً عميقاً، وإدراكاً واضحاً. وكتابة هذه طبيعتها لا بد أن تعرف طريقها إلى النشر لتكون في متناول الدارسين، ووثيقة بين أيدي المؤرخين للحياة الثقافية في الأردن، ولعل جزءاً من قيمة هذه الوثيقة مستمد من كون صاحبها شاعراً، أديباً، يشارك في صناعة الثقافة من جهة، ومحرراً - من قبل - للمجلة الثقافية الأولى في الأردن (أفكار) من جهة أخرى. ومن الواضح أن العمل الذي شغله صاحب هذه المقالات قد سمح له برصد الواقع الثقافي والنفوذ إلى دقائقه. ومن هنا جاءت شهادته، المدونة في هذا الكتاب - وثيقة تاريخية ذات أهمية كبيرة.. ولهذا رأيت العمل على نشرها، فرغب إلى الأخ والصديق إبراهيم العجلوني أن أضع لعمله مقدمة.

وخير ما يمكن للمقدمة - أي مقدمة - أن تفعله هو أن تكشف للقارئ عن «الخيطة الرفيع» الذي ينتظم مادة الكتاب، وهذا «الخيطة» هو ما يفضل بعض الباحثين دعوته بـ «الفكرة الموجهة». وأعتقد جازماً أن القيام بهذا «الكشف» - بطريقة موضوعية ومنصفة - هو أفضل ما يمكن للمقدم أن يقوم به تجاه الكاتب والقارئ معاً. ولعل من الضروري، قبل الشروع في هذا العمل، أن أحذر القارئ من أن ما هو مقبل على قراءته ليس كتاباً عادياً في النقد الأدبي - مع أن المؤلف يؤكد هذا الأمر -، ذلك أن ما بين أيدينا بحث نقدي في الثقافة العربية الراهنة - مادة ومنهجاً، أو لنقل نتاجاً وعقلية - مع تركيز واضح على وصف الواقع الثقافي الأردني وتحليله من حيث هو مظهر لتلك العقلية. وآمل أن يشاركني القارئ الاعتقاد بأن منهجية الكاتب من جهة أولى ووحدة الموضوع الذي يعالجه في مختلف المقالات التي يتألف منها الكتاب من جهة ثانية تسمحان لنا بالحديث عن هذا الجهد باعتباره ضرباً من البحث والدراسة وإن لم يأخذ الشكل المألوف حيث تقسم الدراسة إلى أبواب وفصول.

لا شك أن «الثقافة العربية» الراهنة - في مناهجها ومكوناتها - دليل على وجود حالة من الاغتراب الشديد عن الذات، وإذا ما استقرنا هذه «الثقافة» ألفيناها تكراراً إما لما قيل في مرحلة مضت من تاريخنا الثقافي أو لما يقال الآن في ثقافة أجنبية مغايرة. وسواء انتمينا إلى ماضينا الثقافي - وهو قديم - أو إلى الثقافة المعاصرة - وهي غريبة - فإن «الأنا العربية» غائبة لا فعل لها ولا أثر. ومن شأن هذه الحالة أن تضفي على اغتراب «الأنا العربية» طابعاً مأساوياً.

وتبعاً لما سبق فإن أزمة الفكر العربي المعاصر لا تتمثل - كما يظن الكثيرون - في مصطلحي «الأصالة» - أي اتباع ما هو من تراثنا القديم - و «المعاصرة» - أي إتباع ما هو من تراث الغرب المعاصر -، بل هي تتمثل في «غياب» الأنا العربية وضرورة «حضورها» عملياً وتناول «الماضي» و «الحاضر» تناولاً نقدياً يعكس «موقفها». ذلك أن قبول التراث بقضه وقضيضه أمر يفوق قدرتنا إذ ليس في وسعنا أبداً - ومهما رغبتنا في هذا - أن ندير ظهورنا للعصر ومكتشفاته ومفاهيمه. كما أن قبول الثقافة الغربية المعاصرة بكافة أشكالها وتناقضاتها أمر خارج عن استطاعتنا أيضاً إذ ليس في وسعنا أن ننسلخ عن جزء من ذاتنا (التراث) لتقبل الثقافة الجديدة. وقد فطن الكاتب - منذ المقالة الأولى - إلى الوقائع السابقة فقدم إلينا مصطلح «الحدثة» باعتباره الحل الممكن والواجب، فما نستطيع عمله ويجب أن نعمله تجاه التراث والغرب هو أن نمتلك أيديولوجية ونتسلح بموقف نقرر من خلالهما ما نأخذ أو نترك من التراث أو الثقافة الغربية... المهم أن تكون الأيديولوجية أيديولوجيتنا نحن، أو الموقف موقفنا نحن لا أيديولوجية مستوردة وموقفاً مستعاراً.

تتضح إستراتيجية الكاتب السابقة في جميع فصول الكتاب، ففي الفصل الأول يحدثنا عن أهمية «الحدثة» في التغلب على الأزمة الفكرية القائمة، و«الحدثة» كما يعرفها هي «الامتداد الحر لوقائع عملية وفكرية، والمصحوب بجرأة على الابتكار، وبتخطيطات ذكية تحسب حساباً لكل ظرف ولكل خطوة ولكل احتمال». و«الحضور في العصر من مستلزمات الحدثة»، ولكن الحدثة والمشاركة في الإبداع ليست متضمنة في محض الحضور وخالص المعاصرة.

لنسأل الآن عما نحتاجه لتكوين أيديولوجيتنا وموقفنا، أترانا في تكوين منظورنا الحضاري المعاصر في حاجة إلى قبول العلم الغربي والصناعة الغربية فقط أم أننا في حاجة إلى قيم هذه

الثقافة أيضاً؟! يقول الكاتب في الإجابة على هذا السؤال الأساسي أن «حاجتنا الأكيدة الملحة هي العلم - مناهجه وأدواته - قبل كل شيء، أما الثقافة بمعناها الواسع فإن إطارنا المقترح تمليه اعتبارات حضارية وتاريخية». ويبدو لي أن الشق الأخير من العبارة غامض وملتبس معاً، فهل يعني أن الاعتبار التاريخي هي التي ستلمي علينا القيم التي ينبغي أن تعيش في ظلها اليوم، أم أن هذه القيم ستكون مستمدة (وبأية طريقة؟) من التاريخ والعصر معاً؟ ثم ما هذه القيم؟ أليس المطلوب تحديدها وتعيين مضمونها بصورة إجرائية ليتمكن السلوك وفقاً لها؟!

أرجح أن ما يريد الكاتب قوله هو الآتي: نحن في حاجة إلى علم الغرب وصناعته فقط أما القيم فلدينا ماضٍ نستمد منه ضوابط سلوكنا. ومثل هذا الموقف يذكرنا بما قرره الغزالي في مواجهة الثقافة اليونانية، والدليل على صحة ما رجحته هو قول الكاتب واصفاً موقفه.. «إن هذا لا يفرض انغلاقاً دون التيارات الثقافية المغايرة، بل يدعو إلى تسخير مجموع الأفكار المكتسبة لخدمة القضايا الفكرية التي تطرحها تصوراتنا ومبادئنا».

واضح من النص الأخير أن منظورنا الثقافي الحضاري مستمد من الماضي.. من التراث، وأن فحص الثقافة الغربية يجب أن يتم في ضوء هذا الموقف التراثي، وما خدم هذا الموقف قبل وما تعارض معه ورفض وأنكر. ولكن لا بد من سؤالين في هذه الحالة: هل يمكن أن نحكم على الثقافة الجديدة ابتداءً من منظور قديم ويظل حكمنا علمياً حقاً؟ إذا كانت الحقيقة - كما يقرر العلم - متطورة وتتكامل مع الزمن فإن ما عد حقيقة في أمس الغابر قد ثبت بطلانه اليوم.. حقائق اليوم غير حقائق الماضي.. فكيف يجوز لنا أن نحكم معايير أمس في ثقافة اليوم ونظل نعلن مع هذا أننا ملتزمون بالروح العلمية؟! ألسنا نعد حقائق اليوم أباطيل لمجرد أن معايير الماضي لم تقرها؟. أو لسننا نقبل بهذا أباطيل كثيرة - كما ثبت اليوم - لا لشيء إلا لأنها عدت حقائق في الماضي؟! أما السؤال الثاني الذي يتعين طرحه في مواجهة موقف الكاتب فهو الآتي: هل في وسعنا أن نقبل علم الغرب وصناعته دون قيمه حقاً؟! أليست الثقافة انعكاساً للبنى الاقتصادية التي يشكلها العلم والصناعة؟! كيف سيكون في وسعنا أن نتبنى الصناعة ونرفض أبعادها الاجتماعية والسياسية والخلقية؟! أعتقد أن الإجابة على السؤال الأخير ميسرة حين يعلن الكاتب تبيّه لوجهة النظر المعاصرة والقائلة أن هناك فجوة لا يمكن عبورها بين الوقائع والقيم، فالصناعة لا تفرض قيمة معينة بالضرورة

وإنما يمكن التعامل معها من خلال قيم معينة، وفي هذه الحالة ستكون القيم هي المحددة لكيفية تصورنا للصناعة والعلم.. وهذا يقتضي قدرات خاصة في مجال التخطيط والإدارة.

أما أن الكاتب يتبنى الاتجاه الأخير فأمر واضح ومعلن في كثير من كتاباته، فيها هو يقول مثلاً: «ليس من شروط اللعبة الحضارية استيراد القيم مع قطع الغيار». ويبيّن مما سبق أن الكاتب يدعو إلى نهضة علمية وصناعية مسبوقه بالتأكيد بنهضة أخلاقية -اجتماعية يتم في ظلها تنظيم الصناعة.. ولا اعتراض على موقف كهذا أبداً.. وإنما التساؤل الذي يتعين على الكاتب أن يجيب عليه هو: كيف نصل إلى تحديد قيم النهضة الأخلاقية -الاجتماعية التي ينتظم في ظل مبادئها وقواعدها كل شيء؟؟؟!!

لنتقل مع الكاتب إلى المسألة الثانية التي تهيمن على معظم كتاباته وهي واقع الثقافة العربية الراهنة. وأول ما يتبادر إلى الذهن أن هذا الواقع -أيًا يكن- هو الثمرة الطبيعية لغياب الأنا العربية عن المسرح، فقد نتج عن هذا الغياب امتلاء الساحة بمنتجات أجنبية متصارعة، ونحن المشترين نتقي من هذا السوق ما يلائم أذواقنا وحاجتنا العابرة وأمزجتنا.. وحين نتبنى «زياً» قيمياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً أو سياسياً نظن أن هذا هو الذي ينبغي أن يرتديه الجميع لأنه الأفضل.. في نظرنا. لأننا نحبه نقول أنه مناسب في ذاته.. فالذين تبنا الرأسمالية أو الماركسية أسلوباً للحياة العربية يظنون أن هذا الثوب هو الملائم للأمة لأن أمة أخرى قد لبسته فكان جميلاً عليها ملائماً لها... هل درس هؤلاء الواقع العربي ليروا ما إذا كان الثوب المستورد ملائماً لنا أم لا؟ أليست دعوى «تكييف» الرأسمالية والماركسية وتعديلهما وفق الواقع بمثابة التسليم الضمني بوجود فارق بين الثوب ومن يراد له أن يرتديه؟؟؟! أليست دعوى ضرورة استيراد «الثقافة» ومن ثم تكييفها والصراع حول أي الثياب المستوردة هو الملائم.. نتيجة لغياب الأنا -العربية التي تقوم بحياكة ثوبها الخاص؟!.

لنستمع إلى الكاتب يصف حال الثقافة العربية في ظل غياب «الأنا» وخضوع الأمة لأمزجة تجار استيراد الأفكار: «إن فصل الفكر عن الواقع.. منوط بذهنية مراهقة لم تنضج بعد، وتلك حقيقة يغفل عنها كثير من المثقفين في جل ما يسمى عندنا بعمليات التنظير، حتى لقد بات مشكوكاً فيه لدى النظر السليم كثير مما تقذفه المطابع من دراسات وبحوث حول الواقع الثقافي وطرق النهوض به». ومعنى هذا أن المطالبة بتطبيق أفكار ما بغض النظر عن واقعنا هو المصدر الثاني لأزمة الثقافة العربية.

تنعكس الوقائع السابقة كما يقول الكاتب في «اضطرابنا بين المدارس والمناهج دون أن نتخذ مساراً متميزاً». إن هذا الاضطراب هو مصدر التناقضات الهائلة في حياتنا الثقافية والسياسية والاجتماعية.. الخ. وإذا أردنا أن نضع حدّاً للضياع والبلبلة والتخلف فقد «أن لنا أن نكف عن أن نكون عالة على العالم المنتج في أذواقنا وأفكارنا وأخلاقنا كما نحن عالة عليه في الآلة».

ويطلعنا الكاتب في فصل «تأملات في إرادة الوعي» على إحدى نتائج الفوضى والبلبلة والسطحية التي نعيشها، فهذه «دائرة الاستيراد والاستهلاك تتسع... الكتاب يمعنون في الهروب إلى محاولات الشعر والقصة وإلى هزيل الخواطر بعيداً عن تحديات الفكر الجاد الذي... يقتضي احتشاداً وحزمًا وجداً في التناول والبحث». وفي مقالة لاحقة يفسر لنا ظاهرة الإقبال على الشعر والقصة. المهم هنا هذا الهروب من الفكر الجاد إلى «الدردشات» الهزيلة.

إن طريق الخلاص من الحال المذكور يمر بـ «حرية الفكر.. حب المعرفة وتكريم رجالها، تكريم الإنسان وعدم الاستهانة بقدراته». لإعادة الاعتبار للإنسان العربي وتمسُّكُ هذا بكرامته وحقه في التفكير الحر وثقته بعقله هو نقطة البدء في تكوين موقفنا وأيدولوجيتنا التي سنفحص بها الماضي والحاضر لنحدد لأنفسنا اتجاهًا في كل مجال ومنهجًا في التفكير والحياة.

وفي فصل «تراثنا بين الموضوعية العلمية والمزاجية الفلسفية» يقارن بين تناول أحمد أمين للتراث العربي وتناول نجيب محمود، ويبين أن مزاجية الأخير قد حملته على تجاهل أقوى مكونات التراث العربي وأعظمها أثراً فيه وأعني بهذا الإسلام مع أنه «المحور الذي تركز حول هذا التراث». ويخلص من تحليله الواضح للموقفين السابقين إلى ضرورة المنهجية لأنها وحدها «الطريق إلى الحقيقة»، أما بدونها فإن أحكامنا هي تعبيرات عن تفضيلات وأمزجة.

غياب الأنا العربية إذن هو الذي ملأ الساحة بكل صنوف الأفكار الغربية، وحين تقاسمنا الاعتقاد بهذه الأفكار المتضادة دخلنا في صراع غيبي مع بعضنا.. ولسنا أكثر من عرائس مسرح يحركها آخرون بالخيوط الخفية، حركاتنا.. أفعالنا.. نظرياتنا.. أذواقنا كلها ليست

لنا.. الأحكام التي نطلقها على التراث هي في الحقيقة أحكام جهة أجنبية ما، تبيننا أفكارها فلزم أن نطلق هذه الأحكام.

إن غياب الأنا-العربية قد جعل عقولنا في حالة «فراغ.. سرعان ما امتلأ بتصورات ومقولات ونظريات وأفكار أريد لنا أن نملاً عقولنا بها... ليأتي تفكيرنا وفعلنا على شاكلة معينة تخدم جهات معينة. هذه هي العبودية الحققة.. العبودية الخفية.. أن تفعل أمراً وأنت تظن أنك أنت الذي يريده مع أن شخصاً آخر هو الذي حملك بذكاء على أن تفعله تحت وهم أنك تريده.. العبودية والغباء توأمان. هذا ما يقرره الكاتب في فصل «الأصفاد» حيث يمضي إلى بيان أثر «الخوف» في الحياة العربية.. فمن شدة خوفنا على كل شيء طأطأنا الرؤوس وقبلنا الذلل.. «العجيب العجيب أن الخوف ههنا يذهب بالأشياء ولا يحفظها على عكس ما يتوقع أصحابها».

ويكشف الكاتب أثر «الأصفاد الأجنبية» الخفية على حياتنا وعقولنا في مجال غير مجال الفكر الخالص.. أعني مجال التذوق الفني بأوسع معانيه. فإذا بحثنا «عن مصادر الذوق الجماعي» في حياتنا وجدناها «محصورة في الصحافة والتلفزيون والإذاعة والسينما... فهل تستطيع في أقصى حالات التفاؤل افتراض نقاء هذه المصادر؟» إن «أي ممارسة لحرية التذوق في إطار هذه الأصفاد «البريئة» لن يكون إلا في حالات فردية ومتباعدة.. هذا عن الذوق الجمالي فكيف عن التفكير السليم وهو حجر الزاوية؟؟».

وفي فصل عن «المنهج العقادي» يكشف الكاتب عن التناول الذي يريده للماضي والحاضر، فالعقاد يحكم عقله فيما يقبل ويرفض سواء كان ما يتناوله مادة تراثية أو فلسفة غربية معاصرة.. العقاد حاضر في كل أحكامه، وكذلك ينبغي أن تكون الأنا-العربية حاضرة.. فاعلة في كل حكم وفعل.

وحين يتحدث عن «طه حسين وقدر الرواد» يكشف الضغوط الهائلة التي تمارسها الثقافة الأجنبية (الأصفاد) الكامنة داخلنا على كل رأي أصيل جاد، وفي فصل «نحو أصالة مسرحية» يبين أن غياب «الأنا العربية» هو المسؤول عن عدم وجود مسرح عربي يقف بأفكاره واتجاهاته في مقابل المسرح الأمريكي أو سواه.. إن تبيننا للثقافة الأجنبية جعلنا نحس بعدم ضرورة وجود مسرح «عربي أصيل» لأن المسرح القائم (وهو أجنبي) يكفي ويتلاءم مع أذواق (نا).

إن الأحكام المزاجية التي نطلقها على تراثنا (من خلال مقولات أجنبية مزروعة في عقولنا) هي سر عزوفنا عن تراثنا، وكرهيتنا لأنفسنا هي كراهية الأجنبي لنا، حملها ثقافته ثم زرع هذه فينا فصرنا ننطق بما كتبه في عقولنا. فإذا حكمنا على تراثنا فمن خلال مقولاته، وإذا تذوقنا شعرنا ففي ضوء مصابيح.

أي واقع يمكن أن يكون أسوأ وأضحل من هذا؟ أي غربة هي أشد من غربتنا هذه عن ذواتنا؟.. حتى حين نريد أن نتعمق وندرك ذواتنا فإننا نعمل هذا بمقولات «الغير».. وهكذا نعيش دائماً غير حياتنا، وننطق بغير أفكارنا، ونستمتع بغير فننا.. نحن الظل الشائه المتحرك فوق أرض كل ما لنا منها هو أنها تنسب عند الحديث إلينا.

لنتساءل في ضوء الواقع السابق.. ما طبيعة «الثقافة» أو «النتاج الفكري» لأمة تلك حالها وذاك واقعها؟! أي يمكن أن يتصف نتاجها الفكري والفني بالإبداع والأصالة؟؟.. أحقق من يظن إمكانية هذا. والكاتب يسوق لنا الدليل تلو الدليل في كل مقالة من هذا الكتاب. وحين يأخذ بدراسة الواقع الثقافي (أو اللاتقافي) في الأردن تجد صورة حية، ناطقة تجسد كل ما قيل على مستوى الثقافة والعقلية «العربية» وساحة مملوءة بأفكار لم تخرتها الأنا.

ويتلخص تحليل الكاتب للواقع الثقافي في الأردن في النقاط التالية:

أولاً - إنه مظهر من مظاهر «العقلية» و«الثقافة العربية» التي سبق بيان مكنوناتها وأساليبها وتناقضاتها.

ثانياً - إن ما يترجم في الأردن من الأعمال الفكرية الغربية الجادة قليل جداً بل شبه معدوم. وما يصل إلينا من ترجمات عربية سقيم في غالبية بحيث لا يكاد يستفاد منه في إخصاب أي فكر محلي.

ثالثاً - الافتقار إلى موقف ايدولوجي تجاه ما ترمينا به الاتجاهات الثقافية الأجنبية المختلفة.

رابعاً - «فوضى الصحافة الأدبية» وهي فوضى «تتيح لناشئة الكتاب منابر أكبر من أحجامهم».

ويتم تقديم هؤلاء «على صعيد واحد مع كبار الأدباء» وباعتبارهم باحثين ومفكرين وأدباء ذوي مكانة وخطر. وقد انتهى الأمر بهؤلاء أن ظنوا أنفسهم قادة للفكر وأدباء سبقوا عصرهم. وحين تجمعوا في مؤسسة ما صارت التمثيلية الثقافية تعرض على النحو التالي: يتدئ الفصل الأول بنشر نتاج العبقرى الذي طالما حلمت به الانسانية في الصحف

والمجلات - التي يسيطر عليها بعض أعضاء المؤسسة -، ثم تنشر في الصحف والمجلات مقالات كثيرة تشيد - في وقت واحد، بالعبرية الصاعدة، ويتحول الموقف إلى مهرجان «ثم ما هي إلا دورة زمنية قصيرة، لا تتعدى الشهور القليلة حتى تنفخ المؤسسة في رماد هذه الموهبة».

وفي فصل عن «وقائع غير ثقافية» يحدثنا الكاتب عما يجري على ساحة الثقافة في الأردن، وهو أمر لكم أن تسموه بأي اسم تشاؤون إلا أن تقولوا إنه «ثقافة» فهذا طالب جامعي عضو في المؤسسة فشل في اجتياز امتحان مادة فلسفية واحدة فقرر أن علمه يفوق ما لدى الفلاسفة مجتمعين، وعزم على أن يحبب أعضاء المؤسسة بشيء من علمه.. وكانت المحاضرة - الفضيحة.. ويتساءل الكاتب أين لجنة الدراسات في المؤسسة، وكان الأولى به أن يقول هل هذه اللجنة قادرة على استيعاب مادة فلسفية أو تقييمها!!

ومن بين الوقائع التي تؤلف «الثقافة الأردنية» أو تصورا في الأردن للثقافة ذلك الغموض الذي يسود شعر الناشئة، وليس الغموض الموجود من النوع القابل للتفسير أو الفهم، بل هو فقدان اللغة للمعنى نتيجة العبث بروابط الكلمات بغرض الإيحاء بوجود فكرة عميقة تختفي وراء التركيب اللفظي المقدم. ويقرر الكاتب في نهاية فصل «الغموض في الشعر» أن «هذا السيل من الغناء قد يصبح فوق طاقة الاحتمال، ولا بد من وقف مزوري العملات والتجارب والأفكار عند حدود المنطق والمصارحة وإن كانا مرين».

لقد استمرأ «الأدباء» المزيفون الذين امتلأت بنتائجهم صفحات الصحف والمجلات ومنابر الجمعيات والروابط لعبة «الغموض» وأنه خير ستار يخفون به جهلهم وضحالتهم.. وأليس الغموض موحيا بأن المتكلم ذو أفكار عميقة واساليب سامية؟!.. وبفعل هذا الاعتقاد تمت «منطقة الغموض» وإيجاد الدعاوي المبررة له، بل تعدى الأمر هذا إلى حد أن يجعلوا «قابلية العمل الفني للفهم وقبوله للتفسير... عيبا فاضحا». نعم لقد أدخلوا في روع الكثيرين أن «التفكك الظاهر دلالة على روابط داخلية سرية» وأن «الكلام المبهم دلالة على علاقات لغوية أو منطقية خفية».

وفي فصل عن «القاعدة مهر الحرية» يكشف لنا الكاتب عن علة أخرى من علل الغموض والسطحية و «الانتفاخ» الذي يسم الواقع الثقافي في الأردن، فالأدباء الذين تحدثنا عنهم يتصورون الفن «أمرا فوق العقل وفوق المنطق» لا بمعنى أن عالم الفن هو عالم العاطفة -مثلا- بل بمعنى أن الفن لا يخضع لقاعدة ما ولا لمبادئ الوضوح والعقلانية. «وربما كان

حرص أرباب الفنون على الظهور بمظهر العبقرية الشاذة وراء كثير من التصورات الخاطئة لطبيعة الفن والفنان معا». ذلك أن العبقرية الحقة «هي القدرة على تنظيم الجهد وتنسيقه على نحو يؤدي إلى الغاية المرجاة على أكمل وجه».

لا شك أن غياب الأنا العربية أولا والأنا الأردنية معها من جهة وسيطرة المقولات الأجنبية على عقولنا وأذواقنا من جهة أخرى من بين أهم العوامل التي كونت واقعنا الثقافي الراهن بكل ما يعج فيه من صراع بين ايدولوجيات ونظريات ومناهج وأذواق وفنون متناقضة ومتعارضة. وصحيح أن معظم الفكر والأدب سطحي ومعظم من يسمون أنفسهم مفكرين وأدباء مزيفون، وأن «الشللية والحزبية الضيقة الأفق والتي تتسلح بروح تدميرية توشك أن تذهب بالأخضر واليابس» إلا أن هذا كله ما كان ليبلغ الحجم الذي بلغه لولا عوامل موضوعية سبق بيانها ولولا غياب «النقد» الموضوعي.

يقول الكاتب: «أما الحديث عن النقد.. فهو أشبه بالندب الفاجع على ضريح» لولا ما يلوح من بصيص أمل في بعض الأقلام الجادة. لقد تحول المقال النقدي عن وظيفته وصار ضربا من النفاق والمحاباة أو التشهير والذم العلنيين. الأمر الذي أشاع في الوسط الثقافي «عقدة الاضطهاد، وهي عقدة تأخذ بخناق الكثيرين».

وهكذا فإن في وسعنا أن نسلم مع الكاتب بما قرره في «طفرات الجمال الزائف» حين قال: «لولا ما يوحيه قصور النقد وعجز النقاد من هلهلة ما كانت هذه الطامة، وما كان هذا الانحراف في الذوق والتفكير معا».

وليس أغرب من سيادة الفوضى والتعالم غير صمت المنطق والمعرفة. فالفتنة الجادة على هامش الحياة السابقة، لا أحد يحس بها، «لأنها بطبيعة أصالتها نقية... وتؤثر ألم الصمت.. على مكاسب اللغو والهذر، تاركة للامعات أن يظنوا بها ضعف الحججة، في حين قد سدت أمامها طرق الحوار المتكافئ».. إنها مأساة؟!!!!.

لا أريد بعد هذا العرض السريع لخط أفكار المؤلف في كتابه هذا أن أمضي في الحديث عن بقية القضايا الهامة التي يطرحها -وما أكثرها-، فلا بد أن أترك للقارئ رصد هذه القضايا وتتبع رأي الكاتب فيها ومناقشته لها.. كلمة أخيرة لا بد من قولها إنصافاً للمؤلف.. إن هذا كتاب جدير بالقراءة والتأمل.

تقديم كتاب "إسلام ومسلمون"

• الدكتور عزمي طه السيد أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الوافر لله .. كان أول ما أمر به خاتم رسله ، أن يقرأ باسم ربه «الذي خلق»، الذي «علم بالقلم» ، والذي « علم الإنسان ما لم يعلم»، فكان أن تأست به أمته واستجابت لهذا الأمر الإلهي، وكانت نتيجة هذه القراءة وهذا التعليم الإلهي حضارة إنسانية ربانية عزيزة، لكنها راحمة رحيمة، فله الحمد بكرة وأصيلاً ..

والصلاة والسلام على أنبياء الله أجمعين .. وعلى خاتمهم محمد بن عبدالله، الذي كان «على خلقٍ عظيم» وكان «أسوةً حسنة» للناس أجمعين، والصلاة والسلام موصولان على آله وصحابه الذين اتبعوه وساروا على نهجه القويم .. وبعد ..

فقد شرفني أخي الأستاذ إبراهيم العجلوني أن أكتب تقديمًا لكتابه الكبير وسفره الفكري الأدبي الجامع والرائع، والذي وسمه بـ:

إسلام ومسلمون

الكتاب .. الخطاب .. الحضارة .. الواقع

سوانح ومقتربات

هذا الكتاب ينبئ عن شخصية صاحبه واهتماماته وهمومه، إنه يقول: أنه كاتب أديب، ومفكر حصيف، ملتزم بقضايا أمته وهمومها، مسكون بها جس نهضتها ومشروعها النهضوي، ومنشغل بالسؤال الحضاري الكبير: كيف لهذه الأمة أن تستعيد عزتها ودورها الحضاري الذي عاشته ردهًا من الزمن غير قليل، قدمت خلاله للإنسانية دروسًا في الأخلاق والتسامح والعدالة والتعايش الإيجابي بين أبنائها جميعًا؛ المخالفين في الدين، والمختلفين في الأعراق والألوان والألسنة، بجانب دروس العمران البشري في جانبه المادي والمعنوي.

هذا الكتاب يؤكد بوضوح - إلى جانب مؤلفاته الأخرى - أن كاتبه إنسان يحمل في عقله ووجدانه رسالة حضارية إصلاحية لأمتة العربية والإسلامية، كان القلم وسيلة في تحقيقها، إذ أدرك أن النهضة لا تكون دون وعي يشمل الغايات التي تطمح الأمة في الوصول إليها، ويشمل الوسائل التي يمكن بها تحقيق هذه الغايات، إضافة إلى الوعي بما يمكن أن تواجهه الأمة في مسار نهوضها من تحديات وصعوبات، فقام مفكرنا وأدينا الأستاذ إبراهيم العجلوني بشحذ همته وعزيمته فسخر قلمه لهذا الهدف العالي، وهذه الغاية القصوى التي تتطلع إليها كل النفوس الحرّة الأبيّة في هذه الأمة.

لم يكن كاتبنا ومفكرنا في أي من مقالاته العديدة التي ضمّها في السفر الجليل يائساً من تحقق النهضة لهذه الأمة، وإستعادة مكانتها «في العالمين» في يوم ما قريب، بل كان متفائلاً، بالرغم من الواقع المحبط الذي تعيشه الأمة اليوم، ذلك أنه أدرك - وهو على صواب فيما نرى - أن مقومات النهضة وعواملها قائمة في الأمة؛ فهذا كتابها العظيم، القرآن الكريم، الذي تمحورت حوله دراسات من علوم شتى، كانت عاملاً قوياً مؤثراً في نهضة الأمة فيما مضى، وهذا تراثه فيه سيرة أعلام كبار في كل صنوف المعرفة تجاربهم ماثلة أمامنا، إذ على عواتقهم وأكتافهم قامت حضارة الأمة، وفي تجربة كل واحد منهم العديد من الدروس التي نحتاج إلى تعلمها، والعبر التي علينا استخلاصها والإستفادة منها، الأمر الذي لا يعني - بطبيعة الحال - نقلاً حرفياً لتجاربهم.

لقد ارتبط كاتبنا إبراهيم العجلوني في كتابه هذا - بأمال الأمة وآلامها ارتباطاً عضويًا - إرادياً لا انفكاك منه وعنه، لقد عبّر عن ذلك بكلمات بليغة واضحة تمثل له البوصلة المرشدة في مسيرته الفكرية الطويلة التي وعت ما تعانیه الأمة من هموم وصعوبات، يقول «ونحن، كما لا بدّ لنا أن نعترف في أيام صعبة تفرض علينا تصعيد وتائر العقلانية وتوائر الوجدانية في آن، وأن نتوفر على وطنية جامعة، ينصهر الأردنيون فيها جميعاً، وعلى عروبة جامعة تضم المسلم والمسيحي، وعلى إسلام موحد يشتمل على العربي وغير العربي، وعلى إنسانيّة مستبصرة ما من تظالم فيها ولا بغي ولا عدوان، «بل أخوة حميمة صادقة».

ويشير بعد ذلك إلى ارتباطه العضوي هذا بأمال أمتة وآلامها، الذي يحتاج منه - باعتباره «كاتباً على الحقيقة» - وهو فيما نرى كذلك - أن يحشد كل طاقاته لأجل هذا الهدف الكبير الأعلى، يقول في ذلك متابعاً ما نقلناه عنه آنفاً: «فهل يمكن للكاتب إزاء ذلك كله أن يكون

في غير حال الإحتشاد، وفي غير حال اليقظة والإستعداد، وهل يكون كاتباً على الحقيقة إذا ما جعل شؤون هذا العالم المضطرب دبر أذنيه، أو لم يكن ذا دور فاعل ملموس فيه.

هذا قليل من كثير مما يمكن أن يُقال عن كاتبنا إبراهيم العجلوني في جانب شخصيته الفكرية، ومع ضيق المقام فإنه لا بدّ لنا من إلقاء بعض الضوء على مضامين مقالات هذا السفر الجليل حقاً.

واضح في هذا الكتاب وغزارة الموضوعات التي تطرّق لها، أن كاتبنا تعرّض لقضايا عديدة مما يدخل في علوم القرآن، وقضايا غير قليلة ذات صلة بعلوم الحديث و علوم اللغة العربية، وقضايا عديدة ذات صلة بالفلسفة الإسلامية والفلسفة الغربية وأعلامها، وناقش قضايا في الثقافة والسياسة الأمريكية، وما تعانیه الأمة من المغالين والمتطرفين، ولم تغب عنه قضايا الإستشراق بإيجابياتها وسلبياتها، ولا تلاميذ المستشرقين ومقلديهم، وقبل هذا وبعده ومعه قضية الأمة الكبرى فلسطين، وموضوعات أخرى عديدة يضيق المقام عن ذكرها. (مثبتة في فهرس موضوعات الكتاب).

ولست أعالي إن قلت إن كل موضوع مما عالجه الكاتب هنا يصلح أن يكتب فيه كتاب بأكمله، ولعل المؤلفين والكتاب وطلبة الدراسات العليا في الجامعات أن يفيدوا من كثرة هذه الموضوعات، فأنا أعلم - وأنا أستاذ جامعي - كم يجد طلبة الدراسات العليا من الصعوبات في إختيار موضوعات رسائلهم الجامعية، وما أظن غزارة هذه الموضوعات إلاّ معينة لهم.

هذا التنوّع الواسع في الموضوعات المطروقة لا يكون إلاّ لقارئ مطّلع على التراث الفكري الإنساني بعامة واعياً شاملاً، ولا غرابة في هذا، فالذي يعرف إبراهيم العجلوني يعرف مدى حبه الإستثنائي للقراءة، ومدى إطلاعه على أمهات الكتب الأدبية والفكرية والفلسفية بعامة، الأمر الذي منحه سعة في الأفق وميداناً رحباً للتأمل والتفكير يكاد يكون غير محدود، وهو الذي جعله قادراً على الخوض في كل هذه الموضوعات على تنوعها خوض الجسور الواثق من قدراته، فكان بهذا مثال الكاتب الحق الذي عليه أن يقرأ أكثر بكثير مما يكتب - على رأي طه حسين - ففي مقالات كاتبنا إبراهيم العجلوني نجد إهتماماً واضحاً بالتراث الفكري والعلمي للأمة وما يحويه من كنوز المعرفة، فهو يرى أن إهمال الأمة هذه الكنوز من أسباب تخلفها، يقول: « ولرب أمة من الأمم تموت دواعيها لقراءة كنوزها المعرفية، فهي في

غطاء عن ذكرها قد استغشت ثياب الجهالة دونها، وعميت عما فيها وصمت، فكان في ذلك بوارها واندثارها أو تخلفها وبقاؤها في العبودية والإستعمار.

وبجانب شغفه بالقرآن الكريم وتدبر آياته، الأمر الذي أورثه ثقة بأن الأمة لا تتم لها نهضة أن هي أهملت هذا الكتاب الرباني العظيم، المتفرد بأنه «لا ريب فيه»، يقول مفكرنا في ذلك : «أنا لا نلتمس في القرآن مطالب الروح حسب، بل نلتمس مطالب العقل، ومناهج التفكير السليم، ونفيد قدرة نقدية تحول بين وعينا وبين أن يكون مستلباً أو موجَّهًا أو مأخوذاً بالمغالطات. وكم من قارئ للقرآن ينشد سكينه الروح وطمأنينة القلب فإذا هو يجد إلى ذلك توفراً ذهنياً ورحابة فكرية وطرائق في الإستدلال والحجاج، وإذا هو يصاعد طبقاً بعد طبق في القوة العقلية بحيث يمكن له أن يواجه ظواهر الإجتماع الإنساني وحقائق الكون مواجهة علمية موضوعية مستكملة الشروط.

في هذين الإقتباسين من كلام كاتبنا، نلاحظ أفكاراً عميقة قوية وإيجابية، لكننا نشاهد مع ذلك الأسلوب الأدبي الرفيع في الكتابة وفي التعبير عن الأفكار بأسلوب شائق جميل يضيف إلى متعة العقل بالفكرة العميقة متعة جمال العبارات وبهاء الأسلوب، فيصير الأمر «نور على نور»، والله يهدي لنوره من يشاء.

وأود أن أختتم هذه الكلمات في تقديم كتاب المفكر والأديب والكاتب إبراهيم العجلوني بالإشارة إلى موقفه من رسالة الكاتب التي أرى أنه قد حملها بأمانة وجدّ وجدية، فهو يرى أن الكاتب شاهد على مرحلته وعصره، وأن الكتابة أمانة لإظهار الناس على ما شهدته وشاهده من أحوال مجتمعه وأمته بما فيها من تحديات وقصور وآمال وطموحات، وأنه سوف يُسأل عن هذه الشهادة. إن الكتابة عند كاتبنا «مرابطة على الثغور» بكل ما تحمله هذه العبارات من معاني ودلالات، ولعل من العبارات التي تلخص هذه «الشهادة» وهذه «الأمانة» وهذه «المرابطة» الشعار الذي يرى فيه شرط إثبات وجوده كل كاتب في عصرنا هذا، وهو قوله «أنا أقاوم الصهيونية والإستعمار، إذن أنا موجود» .

وأخيراً، فإنني أنحني إجلالاً لهذا العمل الرائع والنافع لما فيه من وضوح الرؤية، ولما فيه من بيان للوعي الذي تحتاجه الأمة في هذا العصر كي تبدأ مشروعها النهضوي وتواصله، ولما فيه من أدب رفيع .

إنه كتاب يستحق أن يُقرأ بكل عناية وإنتباه، فإن فيه خيراً كثيراً قلّ نظيره في الكثير من كتابات من يكتبون.

وختاماً ..

أشكر الأستاذ إبراهيم العجلوني على تشريفي بكتابة هذه المقدمة التي لا تفي هذا السفر الرائع حقه من النظر والتعليق، ولا أملك إلا أن أقدم له خالص الشكر وأحرّ التهاني على إنجازه هذا العمل الفكري الأدبي المتميز والدعاء له بالتوفيق والحفظ من المولى سبحانه.

والحمد لله رب العالمين ..

مقدمة كتاب "نحن ومفكرو الغرب"

• الدكتور ماجد حرب

دبي، آب ٢٠١٧

لست أدفع أن يكون الأستاذ إبراهيم العجلوني واحداً من أهم مثقفي الأردن، ولست أدفع، ايضاً، أن يكون حالة معرفية نادرة، استوى عندها النظر العقلاي واستحصدت فيها علاقته، حتى جرى بأمره رخاء حيث أصاب.

وما أئين بطلان رأي غير معضود بدلائل واضحة أو شواهد ساطعة! لذا، فإني قاصدٌ إلى التذليل على ما زعمت، موجزاً مختصراً ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، ملزماً نفسي بمقولة العضد الإيجي في «الفوائد الغياثية»: «من حق الكلام عقلاً أن يكون بقدر الحاجة، لا أزيد ولا أقص».

حذق إبراهيم العجلوني أمرين شكلاً، معاً، حالته المعرفية: تدبُّر التراث، وتمثُّل الدرس الفلسفي، وفي الأمرين كليهما استعمل ذاته العارفة في ترسُّم حالات تعالق هذا بذاك، ومن يطيل النظر في كتاب إبراهيم «وحي الآفاق»، بأجزائه الثلاثة، فسيلوح له، من بعد، صدق هذا القول، وسيدرك حقاً معنى مقولة أبي حيان التوحيدي في «المقابسات»: «الفلسفة لطائف العقل».

ولقد تبين لي، إذ كنت أباثُ الأستاذ ببعض المسائل الفلسفية، في فوارط الأيام ومواضي الشهور، أن الرجل وقف بالفحص والتمحيص على كثير من جهود سلفنا الفكرية والفلسفية، وأحاط بها علماً ودراية، ووازن بينها وبين مقولات فلاسفة الغرب، بأسلوب جمع عمق التبصر بقوة الحججة ورشاقة الصوغ، فبسط رؤاه في عددٍ كبير من المقالات تجمعها، كما يقول/ وحدة الموضوع ووحدة الذات العارفة.

ثم ما نشب جرّاء موازاته تلك، يحذر من حالة الانبهار بالنموذج الغربي، ويعلم أن هذا أوان أن يجهد باحثونا ومفكرونا في الحد من حالة الانبهار تلك، وتمثُّل في الأذهان، هنا، مقولة لكارل بوبر ضمنها مقدمة الطبعة الأولى من كتابه «المجتمع المفتوح وأعداؤه»:

«إن حضارتنا إذا ما أريد لها أن تبقى وتستمر، فينبغي أن تقلع عن عادة الدفاع عن أولئك المفكرين العظماء، فهؤلاء الرجال ليسوا معصومين عن الخطأ».

وعلى ما أوتي الفلاسفة الكبار من سيرورة الذكر وشاعته، إلا أن إبراهيم فُتد، بِحُجَج لا ينقصها الوفرة النقدية، آراء الكثير منهم، مثل كانت وهيغل وفولتير... وحقاً أن هذا النزوع نحو «لا أسطرة» العقل الفلسفي الغربي، حملني على إعادة النظر في كثير من مقولات هؤلاء وغيرهم. على أن الرجل ليس مَمَّن يركب رأيه متى ما تبدى له صحة غيره، فهو على مسكة من الإنصاف، وإنك لتلمح هذا في حديثه عن دوستوفسكي وهيرمان هسه وأمبارو دانيلا وغوستاف لوبون ونيثشه.

التقيت الأستاذ إبراهيم مُنسلَخ العام ٢٠١٤، ثم توالى لقاءاتنا، لا أذكر أني أتيت على اسم فيلسوف عربي أو غربي، قديم أو محدث، إلا وجدت الأستاذ قد أحاط علماً به، وبمقولاته وتصانيفه، على نحو ينيك عن عظيم معرفة وشساعة اطلاع، ثم كان أن تتابعت جلساتنا، أتحدث قليلاً وأصغي كثيراً، ومع هذا فقد كنت كثير الأسئلة لحوحاً، فأربنى عليّ، غير مرة، بالفضل، فأهداني بعضاً من مذكورات مكتبته القيمة، قدّر أنها تجيب عن كثير من أسئلتني.

حدّثني يوماً عن كتبه التي سيجتهد في إصدارها، وكان من جملتها كتاب: «نحن ومفكرو الغرب: نظرات في المختلف» وجعل يبسط القول في فكرة الكتاب، وتجادبنا أطراف الحديث عن الكتاب ومحتواه، فتحمّست لقراءته وهو مخطوطٌ أيما حماسة، بل طلبت إلى الأستاذ أن أشرف بكتابة مقدمته، فأجابني إلى سؤالي بتواضع جَمٍّ، وعدتُ بنجح المطلب.

ينتظم الكتاب ما يزيد عن (١٠٠) مقال صحفي، استُهلّت بحديث عن الآخر، وهنا يُلحِفُ الأستاذ على أن مفهوم «الآخر» مفهوم غربي صهيوني بامتياز، وأنا محوجون إلى استعمال «المختلف» مفهوماً نستبدله بـ «الآخر» فـ «المختلف» توسعة روحية لذواتنا ومضمارٌ لأخلاقنا ورؤانا، أو هو «ذات أخرى تنماهى بها أو نقابلها، فنقبل بها أو نرفضها».

والكتاب في مجمله، عند الذائق الفهم، حجة على من «يلهث في غبار الفكر الغربي ويسبح في عجاجه»، وهو، من بعد، نَظَرٌ مَاطِع يَكشِفُ زيف نفر ممن عُدّوا رموزاً فكرية في الغرب، مثل هيغل وفولتير وإسحق دويتشر، ثم إنه في الآن نفسه دليل صُراح على الروح الموضوعية الآخذة بالحق، المنصفة لمن يستحق الإنصاف مثل هيرمان هسه «اليهودي المنتصر على روح القبيلة»، وغوستاف لوبون، وبرتراند رسل، وأرنست همنجواي، وروجيه غارودي.

ويحفل الكتاب برؤى وبصائر تصلح أن تكون انبعاثاتٍ لجهود علمية وفكرية مستقبلية، وإنك لتلمح هذا عندما تقرأ عن الشاعر الإنجليزي رديارد كبلنج، أو عن «المسائل الصقلية: لابن سبعين، أو عن كتاب «الصحائف» لإلياس طعمه (أو أبي الفضل الوليد لاحقاً)، أو عن التحليل السيكلوجي للجيوكوندا، أو عن اهتمام دستوفسكي بالقرآن الكريم، أو عن رأي نيتشه في الإسلام.

ثم إن المرء ليعجب كيف برع الأستاذ في حملنا على إعادة تدبّر مقولات كثيرة درجنا على فهمها فهماً أحادياً، فمقولة: «المغلوب مولع أبداً بتقليد الغالب» أخذها ابن خلدون عن ابن طباطبا صاحب «الفخري في الآداب السلطانية» وهي - من قبلُ ومن بعدُ - لا تصلح إلا في «إطار الحضارة الواحدة، أو المناخ الثقافي الواحد»، ولك أن تقدّر ما لهذا القول من أثر في إعادة فهمنا لتلك المقولة، وكذا الحال عند الحديث عن مقولات التفكيكيين الذين ابتغوا «تحطيم المعنى توسلاً منهم إلى تحطيم القيمة في منظوماتها السائدة». ويرجح في الذهن أن هذه البصائر عند الأستاذ قد حفزتُه إلى أن يدعو إلى: «فرانكفونية إسلامية يقودها العرب» إذ الثقافة العربية «اتسعت للعربي والفارسي والرومي والحشي والهندي والتركي».

وفي الحق أن الكلام في «الآخر» لا بل في «المختلف» طويل الذيل مياس، وقد اتصل بي أن الأستاذ إبراهيم فصل القول في معنى الاختلاف وفي معنى الحوار مع «المختلف» في رسالة نشرها عام ٢٠٠٧، عنوانها «إضاءات في حوارات الآخر واحترام الذات» جاء في مضمونها: «حتى يكون لنا ذلك الحوار الفاعل المجدي مع هذا «الآخر» فإن ثمة شرطين لا بد من توافرها: الندية والمساواة، ونزيد عليهما استقلال الشخصية ونزاهة المقصد»، وحرى بهذا القول أن يكون صحيحاً، فالحوار فعلٌ إنساني قائم على ذينك الشرطين، ومن غيرها ينتفى جوهره ضرورة.

ويستحق «نحن ومفكرو الغرب»، ومن قبله «وحي الآفاق» و«إضاءات في حوار الآخر» أن تكون أعمالاً مهمة جداً، على الحقيقة لا المجاز وعلى التصريح لا التمثيل، وإني لَمَا جعلتُ أصوبُ فيها الفكر تارة وأصعده تارة أخرى، مُجِلاً فيها الرأي ملياً، تيقنتُ أني أمام عمل فكري متسق، يُبزُّ في أهميته تلك التي رصدها علي النملة في كتابه: «الاستشراق والإسلام في المراجع العربية».

وبعد، فإن منتهى ما يبتغيه الأستاذ إبراهيم العجلوني في كتابه هو إثبات المعنى الحقيقي لما درجنا على تسميته بـ «الآخر» وتبيان أصالة الفكر العربي بما هو نذُّ قادر على المواجهة المنطقية، وكشف أن الانبهار المفرط بالعقل الغربي خطرٌ يهددُ ثقافتنا التي ما عدت يوماً أدوات التواصل والمقابلة مع «الآخر المختلف». وما دقَّ الأستاذ ناقوس هذا الخطر إلا بعد أن شاع في المشهد الثقافي العربي، في زماننا، حماقات الجهلُ بها أحمدُ من العلم بها، فقد تكلم في الفكر والفلسفة كُسيرٌ وعويزٌ وثالث ما فيه خير، ووقف هؤلاء وأمثالهم من الأستاذ موقف المعادي المجاهر بعدائه، فتَجَّهَمَ الأستاذ وميل عنه، بيد أنه ظلَّ صاحب قلم حر، وغدا في هذا الزمان، زمان قلة المصافاة وفساد الدُّخلة، أغرب من فرس بهماء بَغلس، وإنا في النهاية لتأسى بمقولة أبي حيان التوحيدي: «الحق لا يكون حقاً بكثرة معتقيه، ولا يستحيل باطلاً بقلّة متحليه».

مجرد وفاءٍ وثناء...

تقديم كتاب "في عبقرية البساطة"

• الأستاذ محمود الكايد^(١)

فجأة، وبلا مقدمات، وضع الزميل إبراهيم العجلوني بين يدي مخطوطة هذا الكتاب «في عبقرية البساطة» مرفقاً بها ورقة صغيرة يقول فيها:

الأخ محمود الكايد رعاه الله

تحية وتقدير واعتزاز وبعد،

فهذه هي الصياغة الأخيرة- على وجه التقريب- لكتاب «عبقرية البساطة: قراءات في فكر وأدب جمعة حماد»..

أتركها بين يديكم، منتظراً ما أرجوه من «مقدمة» منكم بصفتكم واحداً من البناة في صحافتنا الأردنية، وواحداً من أقرب الناس إلى الأستاذ جمعة حماد رحمه الله.

سائلاً العليّ التقدير أن يوفقنا جميعاً للبقاء في أفق القيمة الأعلى، بعيداً عن أضرار هذه الحياة. واسلموا لأخيكم.

إبراهيم العجلوني

تملكتني الحيرة بعد قراءة هذه الكلمات الحارة من الأخ إبراهيم العجلوني، وكدت أعيد مخطوطة الكتاب إليه دون أن أهمّ في كتابة مقدمة له، وذلك بسبب صلتني الحميمة بكل من المؤلف ومن المرحوم جمعة حماد موضوع الكتاب.

فالإثنان ربطتني بهما علاقات محبة وصدقة وزمالة، وعملنا معاً في «الرأي» سنوات وسنوات، وهذا ما يجعلني عاجزاً عن إيفاء كل منهما حقه في بضعة سطور أو في عدد من الصفحات. لذا، فلن أغوص في محتويات الكتاب كما يفعل -عادة- كاتبو المقدمات، وسأكتفي:

(١) رئيس تحرير صحيفة الرأي الأسبق، نقيب الصحفيين ووزير الثقافة الأسبق أيضاً.

أولاً- بالإشارة إلى شخصية المؤلف، وبما عرفته عنه، وخبرته فيه، خلال السنوات الطوال التي عملنا فيها معاً، وبما خلصت إليه من قراءة مؤلفاته العديدة وأبحاثه ومقالاته التي لا تحصى. ولعلي لا أكون مغالياً، وأنا القريب والوثيق الصلة به، إذا قلت أن إبراهيم العجلوني كاتب على درجة عالية من الثقافة العربية والإسلامية، ويطلّ من نافذة واسعة على مخزون التراث العربي من شعر ونثر وفكر وفلسفة، نلمس ذلك في مؤلفاته، وفي هذا المؤلف الذي هو بين أيدينا، ونراه واضحاً جلياً في مقالاته في «الرأي» وفي غيرها من الصحف والمجلات والدوريات. واذهب إلى أبعد من هذا فأقول أن إبراهيم العجلوني رجل فكر أو «مفكر»، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى. وفوق ذلك ناقد وأديب، يتناول موضوعاته بأسلوب سلس رفيع، قلما نجد له نظيراً، امتلك اللغة العربية وتمكّن منها، لذا نجده يختار من المفردات أجزلها، ومن العبارات والمعاني أجملها.

وثانياً: الإلتفات إلى شخصية المرحوم جمعة حماد، الذي عرفته عن قرب، شيخاً فاضلاً، وكاتباً مجيداً، غزير الثقافة، واسع المعرفة، حليماً مع نفسه ومع الآخرين، عاش حياة حافلة بالكد والجهد، مجللة بالصبر والإيمان. وسيجد القارئ في هذا الكتاب الكثير مما يعرف بشخصية جمعة حماد، ويحيط بأفكاره واتجاهاته ومواقفه في رحلة عمره الغنية بالتجارب والمعارف المتنوعة.

وقد وفق زميلنا الأستاذ العجلوني في عرضها بأسلوبه الشائق، وفي اقتباساته الأمانة من كتب ومؤلفات المرحوم، التي تزيد المتتبع معرفة بوعي وأدب وثقافة جمعة حماد. نرى ذلك واضحاً في إيجازه لكتب: «رحلة الضياغ» و«بدوي في أوروبا» و«إشارات على طريق العمل الإسلامي» و«إطالة على التحولات العالمية الجديدة»، ثم أخيراً «في فقه السيرة» عند جمعة حماد الذي كان واحداً من رجالات الأدب والفكر والصحافة، افتقدته الساحة الأردنية والفلسطينية والعربية كمجاهد ومنافح عن قضايا الحق والعدل والحرية.

إن في قراءة هذا الكتاب، وبالأسلوب الفريد الذي عرض فيه الكاتب لجولاته في فكر وأدب جمعة حماد، رحلة ممتعة وغنية، تعمق الوعي وتثري المعرفة.

وبعد، فهذه ليست مقدمة لهذا الكتاب، وإنما كلمات أملاها عليّ الوفاء للأخ والصديق والزميل المرحوم جمعة حماد... وحثمها عليّ واجب الشكر والثناء والتقدير لهذا الجهد

الذي بذله الكاتب والأديب المبدع الأخ والصديق والزميل إبراهيم العجلوني.
وختاماً، لموضوع الكتاب الحاج جمعة الرحمة، ولمؤلفه إبراهيم العجلوني طول العمر.
إنه سميع مجيب.

تصدير "وحي الآفاق"

• الدكتور ناصر الدين الأسد

إبراهيم العجلوني صاحب أسلوب لا يخطئه القارئ بين ما يقرأ من أساليب، فهو صاحب المعنى الغزير في اللفظ الوجيز. وتلك هي البلاغة عند العرب كما وصفها صُحارُّ العبدى حين سأله معاوية بن أبي سفيان عن البلاغة عندهم (أي عند قبيلة عبد القيس وكانت مشهورة بها) وطلب منه مثلاً فقال: «أن تقول فلا تخطئ وأن تُجيب فلا تبطيء، وهو أسلوب افتقدناه وافتقدنا أصحابه منذ حين، إلى أن بدأ إبراهيم العجلوني الكتابة، فأحيا لنا في المقالة التي نشأ جيلنا في رحابها حين كنا تتنافس على قراءة ما كان يكتب: أحمد احسن الزيات، وزكي مبارك، وأحمد أمين، وطه حسين، وعباس العقاد، ومصطفى صادق الرافعي، ومصطفى لطفي المنفلوطي وآخرون لا يقلون عنهم منزلة من أساتذتنا في مصر، نسأل الله لنا ولهم الرحمة. والقارئ لكتابات إبراهيم العجلوني لا يخطيء أسلوبه الأصيل حين يقلده مقلد كما كان الناقد البصير منا لا يخطئ أسلوب طه حسين أو العقاد وأشباههما حين يقلدهم المقلدون وما كان أكثرهم!! وهذا التمييز بين الأصل والتقليد أوضح مقياس على ما في الأصل من صفات فنية أدبية يعجز عنها المقلد. وربما كان هذا معنى قول من قال: «الأسلوب هو الشخص»، فلكل منهما خصائص مشتركة أو متقاربة لا تدركها إلا العين القادرة على الغوص في أعماق النفوس، وإن عجز اللسان أو القلم أحياناً عن بيانها.

أما غزارة المعنى فيما يكتب إبراهيم العجلوني فهي واضحة في مقالات هذا الكتاب وفي غيره من كتبه. فهو ينتقل في رحاب الدنيا الواسعة، لا يكاد يعرض للقارئ أمراً من أمور اليونان أو البابليين وأساطيرهم وعلمهم، حتى يسارع إلى أمر من أمور المسلمين في ماضيهم وحضارتهم ومناهجهم، ثم في أمور حاضرهم وما آل إليه هذا الحاضر وما يُرجى لهم ومنهم في مقبل الأيام. وللحياة الفكرية في الأردن - وخاصة الحياة الثقافية الأدبية وافر من عنايته، توجه إليها بالتحليل حيناً وبالنقد الموضوعي حيناً آخر وله في كل ذلك مشايعون وتلاميذ أصبح بعضهم من كتاب الصحف، ونأمل أن يواصلوا رسالة أستاذهم ليستقيم لهذه الحياة صراطها.

وما أكثر تنوع كتاباته فيما يعرض له من المعارف والعلوم والآداب عند الأمم، وتذكيرنا ما عندنا منها وما كنا السابقين إليه وإن أغفل آثارنا أكثر مؤرخي الإفرنج، وقد أحسن في جمع مقالاته خلال السنوات القريبة الماضية، فجاءت معرضاً حافلاً يسجل لنا آراءه فيما كان يقرأ وتعليقاته على ما يمر به من أحداث ومواقف. وهي أمور كتب في بعضها كاتبون، ولكن شتآن ثم شتآن ما يكتب وما يكتبون. فأكثر كتاباتهم يخطفها النظر ثم لا تلبث بعد ذلك حتى تطويها ذاكرة القارئ في مهاوي النسيان. أما ما يكتب إبراهيم العجلوني فيظل يتردد في العقل وفي النفس وتحرص عليه الذاكرة في طياتها زمنًا، ثم يحتاج القارئ الفطن إلى عودة إليه ومدارسته، ففيه على ظاهره يسره أغوار قد يهوي القارئ المستعجل فتضيع عنه معانيها، ويظنها كغيرها من تلك الكتابات الكثيرة. تلك هي غزارة المعاني والموضوعات، أما وجازة التعبير فواضحة في كل ما أمامك في هذا الكتاب - أو في أكثره فكم من عبارة فيه تمر بها فتقف عندها لتتأمل إichاءاتها وما تنقله إليك من أجواء معنوية ونفسية يضيق بها التعبير عادةً، ولكن عبارة إبراهيم تتسع لها في يسر وإسماح، فينطلق معها القارئ بين أنغام هذه اللغة العربية ذات البيان المبين زادك الله يا أخي من فضله، وأمتعنا بالمزيد من هذا الزاد الفكري.

الأطباء

بين يدي هذه «الأصداء»

يشتمل هذا الباب الذي يقع تحت عنوان «الأصداء» على ما أمكنني استقراؤه من مصادر مختلفة، من مقالات أو أشعار أو فصول فكرية وأدبية «إبراهيم العجلوني» من حيث كونه شاعراً وناقداً ومفكراً عربياً إسلامياً. وقد عمدت إلى الترتيب الهجائي للأسماء التي بلغت أكثر من أربعين اسماً يمثلون طيفاً واسعاً من مثقفي الأردن والعالم العربي، ويتوزعون على مدارس واتجاهات مختلفة ونزعات متباينة، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الأساتذة: حسني فريز، وخالد الساكت، وعبد الفتاح أبو مدين، ونايف النوايسة، وصدر الدين الماغوط، وبلقاسم البرهومي، وفايز محمود، وفخري قعوار، ومؤنس الرزاز، كما نذكر على سبيل المثال أيضاً لا الحصر الدكاترة: إبراهيم الكوفحي، وعمر القيام، وأنور الشعر، وصلاح جرّار، وعصام الموسى، وعماد الضمور، وعودة الله القيسي.

وسيرى القارئ الكريم أن معظم هذا الفصل يدور حول كتب العجلوني المختلفة، وحول مجلة «المواقف» التي أصدرها مدة سنتين (١٩٨٧-١٩٨٩) وحول بعض مقالاته وآرائه ونظراته في الثقافة الأردنية والعربية.

مجلة مواقف

والموقف الثقافي المنتظر^(١)

إبراهيم العبسي

مجلة مواقف الفكرية، التي رأت النور أخيراً، وكنت أحسبها مجرد شطحة أو حلم، من شطحات وأحلام الصديق إبراهيم العجلوني، هي حدث يستحق التهنتة، ليس لإبراهيم العجلوني، الذي ظل وراء هذا الحلم، حتى أوصله إلى حقيقة تصفع بنصاعتها، هذا الموات الثقافي والفكري في واقعنا الراكد، حد البلادة والتحجر.. بل لكل الذين تنتعش صدورهم وقلوبهم بالكلمة الحرة الشريفة والقوية والحارقة، كما الطلقة لكل الكتاب الذين يبحثون عن منبر حر يتسع لاشتعالهم - الإبداعية، في الفن، والأدب، والفكر.. بعد أن توقفت مجلة أفكار.. وتعثرت مجلة «المهد» التي كنا نعلق عليها أحلاماً كبيرة.

لكن.. تبقى ملاحظة، تجدر الإشارة إليها، ونحن نحتفل بمولد هذه المجلة الكبيرة.. هذه الملاحظة هي، أن لا تقتصر هذه المجلة، على الأبحاث، والدراسات الفلسفية، والفكرية، كما يخطط لها الصديق العجلوني، أو على وجه التحديد، كما يرغب الصديق إبراهيم، بل تتجاوز ذلك إلى نشر النتاج الإبداعي، في الشعر، والقصة، والمسرحية، والرواية أيضاً، لتسد الفراغ الذي خلفه غياب المجالات الثقافية من جهة، ولتتوسع دائرة قرائها من جهة أخرى.. وأن تكون قبل هذا وبعده، منبراً حراً لكل الأقلام الحرة، بغض النظر عن مواقعها الفكرية والأيدولوجية، لا أن تقتصر على «الأقلام» المتجانسة ذات المواقع الفكرية والأيدولوجية الواحدة - ولعلها «فرصة» لـ «مواقف» أن تتجاوز ذاتها، وتستوعب الجميع.. كيما تعمر طويلاً.. وتواصل عطاءها، وتتوسع دائرة انتشارها.. سيما أنها المنبر الوحيد المتاح الآن، أمام الكتاب والمثقفين.

(١) جريدة الشعب ٢٠/٨/١٩٨٧م.

مائدة الرافي... .

مرة أخرى^(١)

• د. إبراهيم الكوفحي

كم أنا سعيد برسالة الأستاذ إبراهيم الكوفحي التي أمهد لها بهذه الكلمات...
لقد كان الرافي، الذي يحتفي به إبراهيم اليوم، والذي كتب عنه «عمر القيّام» قبل أيام، رجلاً لا يعبأ بالمظاهر التي يأتي بها نهار وينسخها نهار، إذ كانت قبلته النفس الشرقية (العربية والمسلمة) في دينها وفضائلها، فلا يكتب «إلا ما يبعثها حية» ويزيد في حياتها، ويمكن لفضائلها وخصائصها في الحياة»، وكان رحمه الله لا يمس من الآداب كلها إلا نواحيها العليا، فهو يضمن بعبريته الفذة أن تشغل بما دون ذلك. وكان يخيل إليه دائماً أنه رسول بعث للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه..

من أجل ذلك كله حُورب الرجل في حياته، وحورب تراثه بعد مماته...

ومن أجله ما يلقي باحثون أصلاء، وأساتذة أجلاء، كأستاذ الكوفحي، وكالدكتور خليل الشيخ الذي مضى معه في مسالك البحث في أدب الرافي.. ومن أجله ما يلقي، من قبل ومن بعد، كل من يسعى لمواجهة القطيعة المعرفية والذوقية مع تراثنا العظيم، ومن يعمل لإقامة نهضتنا الأدبية على أسس قوية وأركان ثابتة، تقيها التبعية والاستلاب.

إبراهيم العجلوني

سعدت جداً حينما قرأت في «أفق» الأستاذ الأديب إبراهيم العجلوني في جريدة (الرأي) يوم ١٩٩٤/١٢/٥ تلك الدعوة الصادقة إلى التزود من «مائدة الرافي» الفكرية والنقدية والإبداعية، وأشهد أنها كانت دعوة من الجرأة والشجاعة، لم يخش صاحبها، وهو يعلنها، لومة لائم، على كثرة اللائمين هنا وثمة، وشدة كيدهم، الذي ربما يكون أهونها «حرّقه» وانصروا آلهم»، فتذكرت على الفور هذه الآية الكريمة «إن إبراهيم كان أمة».

(١) جريدة الرأي ١٧/١٢/١٩٩٤.

ثم سعدت جداً مرة أخرى كذلك، إذ طالعت في «الأفق» عينه يوم ١٢/١٢/١٩٩٤ ذلك التلقيني الإيجابي لدعوة الأستاذ العجلوني إلى استلها «الثقافة الرافعية» المؤمنة المجددة، الذي كتبه أخي وصديقي عمر القيام من جامعة اليرموك (طالب ماجستير في قسم اللغة العربية)، وقد لفت نظري ما أُلْمِعَ إليه مما يواجهه دارس الرافعي في هذه الأيام، وخصوصاً على مستوى البحث الأكاديمي، وضرب بي مثلاً، إذ كان قد اطلع على بعض ما واجهته أنا شخصياً في جامعة اليرموك من عقاب ومصاعب جمّة في طريق الكتابة عن الرافعي، رحمة الله عليه، وتجلية جانب مهم من جوانب حياته العلمية والفكرية الزاخرة، وهو جانب النقد الأدبي، الذي كان علماً من أعلامه في الثلث الأول من هذا القرن العشرين.

وأحب أن أبين ها هنا أن هذه العقاب والمصاعب كانت من شدة الوطأة عليّ إلى الحد الذي كدت فيه أن أنثني عن السير في هذا الطريق، لأسير، مكرهاً، في طريق آخر يختلف اختلافاً، لا أدري في أي واد سحيق يهوي بي، لقد كانت ثمة محاولات أثر محاولات لصدي عن مجرد التفكير بالرافعي، وتوجيهي وجهة أخرى، كنت أرتاب فيها، أشد ارتياب، وأعرف، سلفاً، غير قليل من عواقبها الوخيمة، ونتائجها الأليمة.

إن الخلاف حول عنوان البحث كان في الجولة الأخيرة من هذه المعركة الطويلة التي خضتها في سبيل الرافعي، ولقد كان تنازلي عن «الرافعي الناقد» إلى «جهود الرافعي النقدية» ليس بشيء عندي ما دام الرافعي هو موضوع الدراسة، وهذا حسبي بعد كفاح مرير طويل، ولعل من الواجب عليّ ها هنا أن أشكر لأستاذي الدكتور خليل الشيخ الذي رضي أن يخوض معي هذه المعركة لأجل الرافعي، وأن يتجشم ما أتجشم حتى آخر لحظة، فكان خير أستاذ لي ومشرف وصديق.

لا جرم أن القضية لا ترتبط بشخص الرافعي. بمقدار ما ترتبط بتلك الثقافة العربية الإسلامية التي كان يؤمن الرافعي إيماناً عميقاً بخصوصيتها، ويناضل عنها، ويدعو الناس إليها، وبمقدار ما ترتبط بتلك اللغة «القرآنية» الجميلة الساحرة التي كان يكتب فيها، ويبحث الأدباء والكتاب والصحفيين على التمسك بها، والمحافظة عليها، ولذلك كان من الطبيعي أن يلقي الألى تلمذوا للرافعي، وعزروه ونصروه، وساروا على نهجه، ما لقيه هو في حياته وغب وفاته من محاولات الطمس والتضييق والتشويه، ولا سيما في هذه الأيام العصيبة التي يهيمن فيها الغرب وثقافته هيمنة تامة أو شبه تامة على حياتنا وعقولنا.

إن الصعوبات التي يواجهها من يريد الكتابة عن محمود محمد شاكر، أبرز الذين تلمذوا للرافعي وساروا على طريقته، على سبيل التمثيل، لا تقل أبداً عن تلك الصعوبات التيواجهها ولا يزال يواجهها من يريد الكتابة عن الرافعي، وإذا كنت قد استطعتُ بعد عناء طويل، كما أسلفت، أن أدرس الرافعي في جامعة اليرموك، وأكشف عن جانب النقد الأدبي في حياته العلمية، فإنني، أعتزف، أنني لم أستطع أن أسجل خطة بحث للحصول على درجة الدكتوراة، استغرق الإعداد لها عامين كاملين، عن محمود محمد شاكر في إحدى الجامعات العربية العريقة، هذا في الوقت الذي وافقت فيه هذه الجامعة نفسها على قبول خطة بحث آخر في «شعر التفعيلة» اضطرت لتقديمها، كنت رسمتها على عجل، وأنا أحتسي القهوة وأتحدث مع عجوز إنجليزية كانت تجلس إلى جانبي في الطائرة التي أقلتني إلى تلك الجامعة، التي لا تستغرق الرحلة إليها أكثر من ساعة واحدة.

ملاحظات نقدية

حول مبدأ الثالث المرفوع^(١)

د. إبراهيم خليل

أصدرت دائرة الثقافة والفنون كتاباً جديداً للزميل إبراهيم العجلوني وهو بعنوان «في الفكر القومي: مشروعنا الحضاري وسقوط الليبرالية». ويقع هذا الكتاب في ٨٦ صفحة من القطع الكبير وكانت دائرة الثقافة والفنون قد أصدرت للكاتب مؤلفاً آخر في العام الماضي بعنوان «في الفلسفة والخطاب القرآني».

والكتاب الذي نحن بصدده مجموعة مقالات نشر معظمها في مجلة أفكار الأردنية التي تصدرها دائرة الثقافة والفنون وهي: «مبدأ الثالث المرفوع» و«الحتمية التكنولوجية» و«مشروعنا الحضاري» و«سقوط الليبرالية» و«في الخصوصية العربية» و«الخواص الايتلجنسيا البرهانيون» ثم «في معنى الأمة».

ولدى قراءتي لهذا الكتاب أحسست بمتعة كبيرة مصدرها أسلوبه الإنشائي الرفيع الذي يشيع فيه الاطلاع على التراث والتشيع بلغة القرآن والحديث. وإن كان لا يخلو بين فينة وأخرى من أثر الصنعة والتكلف. ولدي بضع ملاحظات على الكتاب أحببت أن أدونها هنا عسى أن يتقبلها المؤلف بما عهدناه عنه من رحابة صدر ومن تقبل سمح للنقد. وسأقتصر في هذه المقالة الوجيزة على نقد مقالته الأولى «مبدأ الثالث المرفوع» عسى أن تتاح لي الفرصة مستقبلاً للوقوف أمام مقالاته الأخرى.

والمقالة كما قلنا هي «مبدأ الثالث المرفوع» وقد يستغرب القارئ هذا العنوان. ومن الجائز أن لا يفهمه وهو مقتبس عن قانون منطقي مشهور، فالمعروف أن قوانين المنطق عند الإغريق ثلاثة. قانون الهوية، والتناقض، والثالث المرفوع. وسيجد قارئ المقال تفسيراً لهذا في نهاية الحديث ولا داعي للتكرار.

(١) الشعب ١٠/١/١٩٨٦

وقد تكلم المؤلف في بداية المقالة على فئتين زعم أنهما تبيمان على العقل العربي، ولم يوضح لنا ما يقصده بأي فئة منهما، لأن عباراته التي صاغها بشكل يحتمل أكثر من معنى جعلنا لا نعرف مراده، ولكنه يتابع مقررًا أن الفئة الأولى منهما تمكن محاورتها محاوره مضمونة النتائج في حين أن الفئة الثانية فئة لا تقبل احتكامًا إلى التراث (ص ١٣) وهذا يعني أنها صعبة الحوار، ولن يكون الحوار معها مضمون النتائج. وما تثيره هذه الفقرة يتناقض مع ما أشار إليه في مستهل المقال (ص ١١) من حيث أن الحجر على الفكر سلطة لم يخولها أحد من العالمين (ص ١١) في حين أن عبارته تحجر على فكرة فئة وصفها بأنها لا تحتكم إلى تراث الأمة ولا إلى العقائد. فجعل من التراث والعقيدة سلطة تحجر على الفكر وهو الشيء الذي رفضه في أول الحديث: «مبدأ الثالث المرفوع».

والغريب أن المؤلف يتصور في مقالته أن وسائل الإعلام والقوى المهيمنة على الوجدان بيد الفئة الثانية، التي أراد لها أن لا تكون -بحكم أنها لا تحتكم لتراث ولا لعقيدة- في حين أن الفئة الأولى مسكينة ومظلومة، ومغلوبة على أمرها، وقد آن الأوان لثور هذه الفئة المفكرة، ويستشهد بقول للإمام الغزالي في تسويغ هذه الدعوة بناء على فهم الدعوى المضادة، بهدف خاص هو هزيمة التديليس، ورد عائلة الاستلاب الحضاري (ص ١٣) الذي يرى فيه بعضنا (أي بعض؟) طوق النجاة. فالكاتب يتحدث حديث الغاز، لا يفهم منها القارئ أي شيء فهو يشير إلى خطر كبير يتمثل في فئة ما مفكرة، ثم يعود ثانية فيشير إلى (بعضنا) دون أن يخصص، ودون أن يفسر لماذا يستطيع هذا «البعض» أن يسوقنا إلى هذه المجزرة الحضارية، وكيف اقتدر أن يكون بهذه القوة التي تسوق الأمة إلى هاوية حضارية، مع كونه لا يحتكم لتراث ولا لعقيدة. وكيف تسنى لهذه الأمة أن تظل غافلة نائمة دون أن تنتبه لهذا الذي تقاد إليه؟ أسئلة كثيرة تطرحها فلا تجد عليها جوابًا في كتاب الأخ العجلوني. ثم هو يفاجئنا بالانتقال من حديث الأحاجي والألغاز والمعميات إلى الحديث عن (الليبرالية) الغربية كما أخذ بها كثير من مفكري نهضتنا (؟) وهو لا يذكر من هم هؤلاء (الكثير) ولا يردنا إلى مرجعه الأساسي حول خطابهم (الليبرالي) النهضوي.. بل يقفز إلى الحديث عن (الليبرالية) في موطنها الذي ظهرت فيه (أوروبا) معتذرًا عن عدم إحاطته بالمعلومات المتصلة بهذه الليبرالية ومعتذرًا عن عدم القدرة على تحليل هاتيك المعلومات مفتقدًا للمطابقة بين المبادئ المعلنة لليبرالية (حرية. أخاء. مساواة) مع الواقع العملي. (ص ١٣).

وهذا مأزق حرج اندفع إليه الزميل العجلوني وهو الذي يعلم خطورة مزالتق الكتابة حين لا تصدر عن روية ولا تفكير. فالمرء حين يتناول فكراً أو مذهباً فكرياً بالنقد فإنه يجب أولاً: أن يحيط به ويحلله وهذا ما اعترف بلسانه أنه غير قادر عليه كما ذكر ونص بكلمات مباشرة (ص ١٣) وخلط بين صلاحية الفكر من حيث هو فكر وصلاحية التطبيق من حيث هو عمل أسند لغير واضعه أصلاً. فسوء التطبيق في مرحلة معينة ليس بالضرورة دليلاً على سوء المذهب أو الفكر.

فانحطاط المسلمين في طور من أطوارهم -مثلاً- لا ينم على تقصير الإسلام من حيث هو فكر وكذلك انحطاط التطبيق الليبرالي الذي أشار إليه ليس دليلاً على انحطاط المذهب الليبرالي.

ولعل تسرع الكاتب في استنتاج ما يحلو له من نتائج دون الاستناد إلى مقدمات معتمداً على عبارات إنشائية تذكرنا بأسلوب المنفلوطي أو طه حسين أو الرافعي يجره إلى مزالتق خطيرة كنت أظنه يصون النفس عنها فعبارة إنشائية رفيعة يمنح المؤلف جيلاً بأكمله من الدارسين والباحثين والمفكرين مستنداً إلى فرضية أقرها في بداية المقال دون أن يترك للقارئ مجالاً للاقتناع بسلامة هذه الفرضية.

فهو يقول: «وكان حرياً بنا الالتفات المبكر إلى مسافة الخلف -أي الخلاف- بين ظاهر الغرب وباطنه، لولا تنكب طلائع وعينا آنذاك عن المنهجية التي أشرنا إليها آنفاً، وقصور وسائلهم عنها». (ص ١٤) فتحليل هذه القدرة القاصرة ينبئ بسلسلة من الاتهامات منها: أن المفكرين في عصر النهضة كانوا يجهلون الفرق الحضاري بين العرب والمسلمين والغرب، ومنها أنهم لا يميزون بين ظاهر الغرب وباطنه، ومنها أنهم لا منهجيون -بحكم أن المنهجية هي اتباع منهج الكاتب الذي هو بدوره اتباع لمنهج الإمام الغزالي- ومنها- أخيراً أن وسائلهم قاصرة. فهذه أربع اتهامات لم يورد المؤلف دليلاً واحداً على صحة أحداها. ولم يورد نصاً واحداً من نصوص المفكرين الرواد يدل على أنهم كانوا كذلك. وليت الأمر يتوقف عند هذا، فالكاتب يبدو مبهوراً بالاتهامات. فهو يؤكد بعد ذلك مباشرة: «إن طوائف من حملة الأقلام، ومسؤولي الإعلام، وصانعي القرارات، في عالمنا العربي، مأخوذة بالأنموذج الليبرالي في السياسة والاقتصاد والاجتماع، على الرغم مما بلوناه ونبلوه من مرارات ونكسات ونكبات وهزائم وانكسارات» (ص ١٤).

فهو لم يزد على أن صور أهل الرأي والإعلام ضالعين في الترويج للأفكار والمفاهيم الليبرالية من غير أن يشير إلى واحد منهم ومن غير أن يشير إلى مصدر خاص، وهذا الضرب من الكتابة «خبط عشواء» من تصبب تتهمة ومن تخطيء تبرئ.. مع الاعتذار لحكيمنا الشاعر زهير بن أبي سلمى الجاهلي، ولست أدري أين هو المفكر الليبرالي الذي تروج له وسائل الإعلام العربي. فالليبرالية التي تقوم على الحرية والديمقراطية واحترام الدساتير ليس لدينا من يتبناها ويدافع عنها إلا قلة نادرة من الكتاب ولا أظنهم على وفاق مع من أسماهم المؤلف بصانعي القرارات فهل يجوز أن يتوهم المؤلف أشياء ثم ينتقد ما توهمه على أنه موجود؟ ولم يزد الكاتب في هذه الفقرة والتي تليها على أن علق هزائماً وانكساراتنا ومراراتنا على مشجب الليبرالية. فلماذا سبحان الله كانت الليبرالية مصدر قوة للغرب ومصدر ضعف لنا. ألم يكن جديراً بالمؤلف أن يبحث عن الأسباب الحقيقية لهذه الانكسارات في غياب حرية الأفراد، وحقوقهم الديمقراطية والدستورية، وحرية التنظيمات، بدلاً من أن يعزو ذلك للغير، ألا يذكرنا هذا بما كان يقال عقب نكسة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ فقد ذكر أن جنوح عبد الناصر إلى الاشتراكية هو السبب. وإن جنوح بعض الأنظمة العربية إلى القومية هو سبب النكسة. وذكر آخرون أن الفكر الديني هو السبب. وها نحن أولاء نسمع من الزميل العجلوني شيئاً جديداً وهو أن الليبرالية هي السبب. نرى ما الذي سيطلع به علينا مستقبلاً دعاة الفكر (التبريري) هذا؟

أين هو الفكر القومي؟

ومع أن الكاتب يسم كتابه بميسم «الفكر القومي» إلا أنني لا أجد فيما كتبه ويدعو إليه شيئاً ذا صلة بالفكر القومي. فهل الفكر القومي هو في أن نعلق أخطاءنا ومشكلاتنا على مشجب الآخر؟ وهل الفكر القومي هو أن نتوهم أشياء ونحاكمها وننقدها وهي في الحقيقة ليس لها وجود إلا في عقول قلة منا لا ترى الحقائق إلا من جانبها الضيق؟

ويقول المؤلف أن الليبرالية تتلخص في عبارة «دعه يقتل، دعه يستعمر» (ص ١٤) وواضح أن المؤلف يخلط بين الفكر وبين النهج الاستعماري الغربي، وهجومه على هذا النهج شعور وطني نبيل يشكر عليه ولكن خلطة للفكر بالنهج السياسي شيء يتناقض مع أبسط حقائق التأليف والبحث. وقد صور الكاتب زرع إسرائيل في قلب العالم العربي على أنه من نتاج الفكر الليبرالي، الذي روج له مفكرون أوائل من أمثال رفاة الطهطاوي

وسلامة موسى وغيره وفي هذا مسخ للتاريخ والسياسة والفكر والثقافة لأن الحلم الصهيوني بإحياء إسرائيل حلم قديم وليس له علاقة بالليبرالية. وكان حرياً بالمؤلف - ما دام يتصدى للبحث في الفلسفة والخطاب القومي، أن يتجرد من عواطفه وأهوائه، وأن ينكب على دراسة الخطاب الصهيوني، وأن ينش ما تراكم في خزانة التاريخ من نصوص وشروح تتعلق بنشأة الصهيونية ابتداءً من حركة الإصلاح الديني وحركة المتطهرين (البيورتيانيين) ومروراً بالهجرة البروتستانتية إلى الولايات المتحدة (كنعان الجديدة) وقضية يهود الخزر في روسيا القيصرية، وتركة الرجل المريض، وانتهاء بالمصالح الرأسمالية التي حتمت ظهور الشبح الصهيوني عام ١٨٩٦ بصدر كتاب «الدولة اليهودية» لثيودور هرتزل، لو فعل الكاتب شيئاً كهذا لقلنا أن صاحبنا باحث يتعامل بالحقائق أما أن يطلق في سطر واحد حكماً تاريخياً كالحكم الذي أطلقه، وجعل إسرائيل بمقتضاه ثمرة من ثمرات الفكر الليبرالي، فشيء - وإن وافقت الصحة بعضه - إلا أنه أشبه بحديث العجائز وهو حديث يطمح دائماً وأبداً إلى إلقاء اللوم على الغير، وإلقاء التبعات على طرف ثان، فالليبرالية هي المسؤولة عن كل شيء، عن تمزقنا، وعن تشتتنا وعن تخلفنا، وحتى عن قيام دولة إسرائيل على أرضنا العزيزة، هذا النهج الذي يقوم دائماً على تجريم الآخر، ينتهي غالباً إلى وصفه بأنه غير متحضر، وغير مثقف، وغير مؤمن، وغير إنساني.

والمؤلف يمضي في مقاله هذا إلى التصريح بأن شبابنا اليوم قد قالوا: لا في وجه المدينة الغربية، وأنهم يقومون الآن بكشف أدوائها (أي أمراضها) وفضح مناتنها (ص ١٤) وليت المؤلف يبين لنا من يعني بالشباب. فأنا للأسف لا أشاطره الرأي لأنني لا أجد الأمور مقلوبه بمثل هذه الصورة. فشباب اليوم لا يختلفون عن شباب قبل عشر سنوات أو عشرين سنة أو نصف قرن. وعلى الأقل نجد أن جيلنا يزداد مع الأيام انحرافاً باتجاه المدينة الغربية، وقد يكون هؤلاء الشباب الذين يعينهم الكاتب شاباً يعيشون في الخفاء وقد خصته العناية الإلهية بالاطلاع عليهم وعلى محاولاتهم الرامية لكشف سؤأة الحضارة الغربية. ومع أنني راغب في التعرف على سؤأة هذه الحضارة إلا أن الشباب والمؤلف للأسف لا يريدونني ولا يريدون القارئ أن يهتدي إليها فهم شباب شفقين، وهم أطياف أحلام لا يرون ولا يبصرون. على أن مثل هذه الطريقة في الكتابة تتعامل مع ألفاظ تنعت الآخر بالمرض والجهل والدنس ومثل هذه الطريقة في الكتابة تعودناها في خطب الخطباء أيام انحطاط البلاغة والأساليب، والكاتب الزميل يطرح نفسه من خلال الكتاب مفكراً لا طبيياً ولا صحفياً، وكان يجب عليه أن يهجر

هذه الأساليب التي تصف الآخر بأنه نتن ومريض. ومثل هذا الوصف الذي أصبح لغة العنصريين والفاشييين والاستعماريين الغربيين نطالبهم بالكف عن استخدامه فكيف نجيز لأنفسنا ما نحرمه على الغير ونحظره.

ويتضح لمن يقرأ الكتاب أن المؤلف يخلط بين موقفه من حيث هو مفكر وموقفه من حيث هو عربي قومي إسلامي ساخط على الغرب الاستعماري لما جره على هذه المنطقة من ويلات الحروب والدمار والسياسة. وهذا الخلطُ جرد موضوعاته من البعد الأساسي الذي ينبغي أن تتصف به، وهو التجرد الموضوعي الذي يقوم على الاقتناع بالمنطق الرصين المتزن الهادئ البعيد عن الصراخ والتهويل ونهش الآخر. لقد تصدى الكاتب لقضية مهمة وهي الرد على الليبرالية والمفكرين الليبراليين إلا أنه بدلاً من أن يفعل ذلك تورط في كتابة انفعالية لا تمت للعلم بصلة. فقد مسخ بجرة قلم كلاً من هيجل وميشيل فوكو، مع أنه دعا في أول المقال -تمثلاً بالغزالي- إلى فهم الظاهرة أو الفلسفة قبل تقويمها أو الحكم عليها بالصحة أو الخطأ. وهو في هذه الفقرة التي أعمل فيها منشاره النقدي في جسد هيجل وفوكو وآخرين لم يورد ما يدلنا على أنه فهم هيجل وأبعاد فلسفته أو فوكو وأبعاد خطابه الفلسفي. والأكثر طرافه أن الكاتب يستثير عواطف القارئ وأحاسيسه ويشحنه بالمشاعر الفوارة التي يعتقد بأنها تحمله على الوقوف إلى جانبه. فهو يذكره بالأرض السلبية والخيرات المنهوبة والظلم السياسي الذي يقع عليه صباح مساء، وبغده القائم ليحمله على الاقتناع بتصوراته عن الفكر والحضارة، والاقتناع بأن الآخر «مهوم، ومخادع ومنساق مع الغربيين» (ص ١٦).

التصور الحضاري ومشروعية التعدد

وفي رده على أسئلة النهضة، والخطاب العربي المعاصر، نجده يورد عدداً من الآيات الكريمة ظناً منه أنه بهذه الآيات يدغدغ عواطف القارئ المؤمن، الذي يبحث عن حل لإشكالية الفكر العربي والإسلامي، ولكن الذي يحير القارئ هو ما علاقة ذلك كله بالليبرالية؟

يقول الكاتب: «إن التعددية ملمح رئيس في التصور الإسلامي للاجتماع البشري» (ص ١٦) ومع أن أحداً لم يقل بخلاف ذلك -على الصعيد الإسلامي- إلا أن المؤلف يصير على الخلط بين مفهوم تعدد الأجناس والشعوب والسؤال المطروح عن تعدد الحضارات والتصور الحضاري.

فللإسلام تصوره الحضاري الذي ينفي معه أي تصور آخر، وليبرالية تصورها الحضاري،

وللاشراكة العلمية تصورها الحضاري. وهذه أمور متفق عليها ولكن المؤلف ينفق جهداً كبيراً ويبدد وقتاً طويلاً، ليثبت لنا أن التعددية شيء مشروع: التعددية داخل الحضارة الواحدة، والتعددية داخل المحتوى الإنساني. والمؤلف يحاول أن يغطي ضحولة الفكر المطروحة بالاقتراسات الكثيرة من القرآن والأقوال المأثورة وربما الشعر. ونحن نعترف له يُحسنُ البراعة والاستهلال فيما يتصل بالاقتراس والتضمين.

فقد رد على د. برهان غليون في زعمه بأن التصور الحضاري الغربي الآن يطغى علينا بمجموعة من الآيات الكريمة والأقوال التي تثبت مشروعية التعدد، وهذا في رأبي ليس رداً على برهان غليون. وشيء آخر أحب أن أشير إليه وهو أن الكاتب استخدم فيما أعتقد رداً معطيات ثقافية هي وليدة التصور الحضاري الغربي».

فهو لا ينفك يكرر فكرة الحرية، والوحدة، والقيمة وحوار الذات وحوار الآخر، وهذه هي الأفكار التي قامت من أجلها الليبرالية، ويعود مرة أخرى ليؤكد في رده على الدكتور برهان غليون صحة ما ذهب إليه هذا الباحث، فيقول: «لقيمنا الإسلامية الأثر الأول على الرغم مما يبدو من غلبة القيم الغربية على حياتنا» فاعتراف المؤلف بغلبة القيم الغربية على حياتنا لا يختلف -بتاتا- عن اعتراف غليون بغلبة التصور الحضاري الغربي على غيره.

لا إكراه في الفكر

ومع أن المؤلف يصير ثانية وثالثة في المقال نفسه، على رفض الإكراه في الفكر، والوجهة والمصير، إلا أنه يبيح لنفسه أن يلجأ إلى هذا الإكراه، فيقرر بجرعة قلم «أن كل فكر لا ينطلق من الخطاب القرآني فكر لا ينازع فيه إلا من ظلموا سواء من العرب أو من غيرهم» مع التذكير بأن كلمة ظلموا هنا تعني الجهل والكفر، والشرك، والزيغ عن الطريق الصحيح، ونجده -بعد ذلك- يدعي أن دعوته «هذه تريد لنا أن نكون أنفسنا لا غيرنا» فكيف يمكن أن نكون أنفسنا ونحن لا نحتكم إلى فكرنا وعصرنا وإنما نرجع في كل شيء إلى تراث الماضين. إن الدعوة إلى اعتبار التراث -فقط- منطلقنا الحضاري، فضلاً عن كونها إكراهاً، وسلطة فكرية «لم يخولها أحد من العالمين» (ص ١١) لا تجعل منا أنفسنا ولن تجعل منا صورة مشوهة عن أجدادنا ولن تجعل منا أمة وسطا. وفيما يتبقى من المقال يلجأ المؤلف إلى أسلوب الجاحظ في الاستطراد من موضوع إلى موضوع آخر، ومن بحث إلى بحث جديد في «المنطق» والغرض من تعريفه المبسر للمنطق أن يقول لنا أن «مبدأ الثالث المرفوع» هو

قانون من قوانين المنطق الإغريقي. ومثاله عليه: «أن نكون عرباً أو لا نكون» فتأمل عزيزي القارئ كيف هجم الكاتب على التصور الحضاري الغربي ونفاه ثم كيف لجأ إليه في التعبير عن نفسه مستخدماً لغته وحواره جاعلاً من هذا القانون المنطقي الإغريقي مدخلاً لدراسة واقعنا الثقافي منذ قرنين من الزمن (ص ١٩).

هذه بضع ملاحظات عرضت لي وأنا أقرأ الكتاب ودونت بعضها لعل القارئ حين يطلع على هذا الكتاب أن ينتفع بها أو ببعضها، راجياً أن تكون الحقيقة المجردة هي هدفنا على دروب الفكر والكلمة.

إبراهيم العجلوني..

شعرية الجزالة وجزالة الشعر^(١)

د. إبراهيم خليل

تشهد مؤلفات إبراهيم العجلوني المنشورة على تنوع آثاره، وتعدد سبل أنظاره، ففي الشعر صدرت له دواوين، أولها ديوان «تقاسيم على الجراح» ١٩٧٣ وآخرها هذا الذي نحن بصدد الحديث عنه وهو الأعمال الشعرية (٢٠١٨) وفي الفكر له: مسلمات في ضوء التحقق ١٩٨٤ وفي الفلسفة والخطاب القرآني ١٩٨٤ وفصول في الفكر العربي ١٩٨٨ والوعي والتمرد ١٩٩٤ وكتاب «في مرآة الإسلام» ١٩٩٩ والكتايبون في ظل الإسلام ٢٠٠٤ وفي الأدب صنف وألف: الوجوه ١٩٨٦ ونحن وثقافة المستقبل ١٩٨٩ وهموم أردنية ١٩٩١ وفسيفساء أردنية (شعر مترجم) ١٩٩٣ وأحزان مسيحية ١٩٩٥ والشذرات في جزئين ٩٨-١٩٩٩ ومن مفكرة رجل يحتضر ٢٠٠٠ وفي التراجم صدرت له مؤلفات، منها: شعر وشعراء ٢٠٠٤ وكتب وشخصيات ٢٠٠٤ ورجال ومناهج ٢٠٠١، وله في النقد الأدبي كتاب: فصول من النقد ٢٠٠٨.

وفي الحديث عن شعره الذي هو أقل ما عني به العجلوني من آثاره، تنبغي الإشارة إلى أن بداياته ترجع إلى العام ١٩٦٨ عندما بدأ بنشر قصائده المبكرة في الصحف اليومية، والمجلات الشهرية، وتأطرت هذه البدايات، وتعمقت، بصدور ديوانه الأول بيروت ١٩٧٣. وتراءى لمتابعي العجلوني أنه صرف نظره عن الشعر، وضاق صدره بالقريض، إذ لم ينشر بعد تقاسيمه على الجراح إلا القليل النادر الذي لا يؤبه له. وفي العام ٢٠٠٩ تبين من المجلد الذي صدر عن دار ورد الأردنية بعمان أن للعجلوني دواوين أخرى، منها «حينما نلتقي» ١٩٨٠ وطائر المستحيل ١٩٩٣ ومن يتنبه للفروق الزمنية بين هذه الإصدارات، يوقن أن الشاعر تراجع اهتمامه بالشعر تراجعاً سببه انصراف همه لشؤون أخرى في الأدب، والفكر، والفلسفة، تبدو أكثر إلحاحاً عليه من إلحاح ربّات الشعر، ومُلهمات القريض.

(١) (جريدة الدستور) الجمعة ١٩ حزيران / يونيو ٢٠٢٠.

صوتان

ومع ذلك، فإن من يقرأ الأعمال الشعرية يلاحظ أن للعجلوني صوتين، أولهما جهوري قوي تغلب عليه الجزالة، وثانيهما تغلب عليه نزعة التجريب، والخوض في ما لا يتفق مع طباعه الذاتية، وسجايه الأدبية، وأعني شعر التفعيلة، أو الشعر الحرّ، على رأي نازك الملائكة، ومن جاراها من أهل البصر بالأدب، والشعر والنقد. وإذا نحن أوردنا في هذا التقديم لفظ الجزالة، فليس ذلك من قبيل الاستعمال الدارج الذي اعتدناه لدى معلمي المدارس، وفي الكتب المدرسية، وإنما الجزالة - ها هنا - بالمعنى الموروث عن جهازدة النقد العربي الأصيل الذي يميز الغث من السمين، والشعر الزائف من الحقيقي الرصين.

ما الجزالة

فالجزالة - بهذا المعنى - هي القوة، والمتانة، وهي في الاصطلاح النقدي عند ابن سلام (٢٣٧هـ) في طبقاته على ألسنة من احتجوا للناطقة الذيباني، قائلين «وهو أحسنهم ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام، وأجزلهم بيتا. وكان شعره كلاما ليس فيه تكلف» (ص ٥٦) فالجزالة من حيث هي مصطلح ترتبط بالرونق، والرونق وصف يطلق على كل شعر بعيد عن التكلف، ناتج عن الطبع. وهذا ما يؤكد ابن طباطبا العلوي (٣٢٢هـ) في عيار الشعر بقوله (ص ٧) إن من الأشعار أشعاراً محكمة، متقنة، إذا نُقدت، وجُعلت نثرًا، لم تُبتر الجودة في معانيها، ولم تفقد جزالة ألفاظها. «ولئن كانت الجزالة - ها هنا - في الألفاظ، فلا جرم أنها أيضا سمة توصف بها المعاني حين تنماز بالعدوبة التي تضيي الجزالة في هذه الحال على الألفاظ. (عيار الشعر ص ٤) ولأبي الحسين إسحق بن إبراهيم بن وهب الكاتب (٣٣٥هـ) في كتابه «البرهان في وجوه البيان» تحديد أوضح لدلالات الجزالة في الشعر، فالجزل من الكلم، عنده، ما ارتفع عن حد العوام، إلى أن يصير من كلام الخاصة، والعلماء، والعرب الفصحاء، والكتاب، والأدباء» (ص ٢٠١) والجزالة شيء يحول دون وعورة اللفظ، ودون أن يكون مبتذلا، في الوقت نفسه. ولذلك يصف الباقلاني، أبو بكر، (٤٠٢هـ) في كتابه «إعجاز القرآن» لغة الذكر الحكيم بالجزالة لفظا ومعنى. (ص ٢٦-٢٧)

ونحن نذكر هذه الملاحظ، ونلمح لهذه الملامح، لما في ذلك من ضرورة، لكون النقد الأدبي بتياراته الحديثة المتداولة، والمنتشرة انتشار النار في الهشيم، تحذف مصطلح الجزالة من قواميسها، مع أننا لا نستطيع - في كثير من الأحيان - التحدث عن الشعر العربي في أزهى

عصوره، وفي أرقى نماذجه ودرره، دون أن نستعمل هذا المصطلح. ولقد سمعنا ذات يوم شيخ النقاد المحدثين الأستاذ الدكتور إحسان عباس يكرّر هذه الكلمة مراراً في محاضرة جاعلاً منها معياراً سائداً في تقويم الشعر العربي القديم، والمعاصر، متخذاً منها مدخلاً لكثير من الدراسات التي تدور حول شعر المتنبي، وهو شاعر العربية الأكبر، ومبتدع جزالتها الأشهر.

جزالة الشعر

وقارئ هذه الأعمال الشعرية للعجلوني تستوقفه بلا ريب قصائد عدة منها قصيدته (سُهاد) التي نظمها في أن القدس ساهرة عند باب الخليل تتلقف الأخبار عن الرجال في زمن الشهادة. فإذا تجاوزنا هذه المناسبة، وإن لم تكن تقليدية تدعو للتجاوز، وجدنا أنفسنا إزاء شعر أصيل، جميل، ذي نَعْمَةٍ مُجَلِّجَةٍ، تتواءم مع الموقف التحريضي الذي يستدعيه السياق، ويتطلبه المقام. فهو لا يفرق بين الدموع والحجارة، ولا بين البكاء والسمر لكثرة ما اعتاده، ولا بين التهجد وقرقعة السلاح من رصاص وبنادق، ولا يفرق بين الليل الأليل وبين النور الذي يغمر قباب القدس، ولا بين يأس اليأس من هذا الأحوال، وحقد الحاقد الذي لا يمل شحذ العزيمة، وإيقاظ جذوة الحماسة، باستذكار الماضي المرتبط بالقوة؛ قوة الدم:

يا لائمين على عشق به ائتلفت

جباهنا السُمر، كُفّوا، فالهوى قَدْرُ

فآخر النهر موصولٌ بأولِهِ

ونزفة الدم ناصبها عَمْرُ

فمن ذكره عمر بن الخطاب، فاتح القدس، إلى قصيدة أخرى بعنوان الدعاء المرّ، التي لا تقل تحريضا عن قصيدته سهاد. فهو هنا يتذكر خيل الله، الموريات قدحا، المشيرات به نغعا، المُضنيات هوى.. وهو في هذا كله لا يفتأ يكرر الألفاظ الفخمة الجرس، اللطى، النار المسعّرة، التباريح، وهي كلمات نجده يكررها بجرأة في قصيدة أخرى (سلام) فإلى ذلك يذكر الجراح، والضرام، والرجام، والدجى، والأوجاع، والشقوة، في أداء يرتقي بإيقاعات القصيدة إلى مستوى التوجّع:

فارتدّ محتملاً أفانين الأسي
واحتدّ يبكي والدموع سجام
يا أخت أوجاعي، يوحدُ بيننا
ما لا ترين، وشقوةً وهيام

طيور الكرخ

وفي قصيدة أخرى بعنوان «عفوًا طيورَ الكرخ» يستعيد العجلوني الكثير من الإيحاءات والرموز التي ترتبط بزمن الفروسية والشهامة والقوة، فليس الشعر وقفًا على الحنين، أو البكاء، فهو يخاطب بغداد بما يتناسب وأحوال حربها ضد الفرس، وضد مجوس العصر، مذكرا بالرماح والسيوف والدياجير والليوث التي تغير على الأعداء، وتتصدى لهم، ويذكر الموت والشهادة في يوم الروع الأكبر:

دعوتُ رماح العُرب من كلِّ مأسد
وخضتُ بأقماري دياجيرها القُترا
ومن يجهل الجلى فهذي ليوثنا
ومن يستبين الموتَ يشقى به خُبرا
وما هي إلا صولةُ الحقِّ صالحها
وما هي إلا الروحُ والفتنة الكبرى

وقد يذكر العجلوني -على عادة الفحول من شعراء الماضي- الأمانة التي ترتبط بأسماء المعارك، والأيام، وبأسماء الأبطال والفرسان، في صورٍ تؤكد أنّ ما يصلح به حاضر هذه الأمة هو ما صلح به أولها:

فلما بدا وجه الرصافة خلّني
أعانق أطراف الألى شهدوا بدرا

واضحٌ جدًا أن الشاعر لا يستطيع التفلّت من الشعر القديم، ولا من معجم الشعراء المتواتر في مثل هذه القصائد: مأسد، الروع، الدياجير، الجلى، صولة الحق، والفتنة الكبرى،

والألى، وشهدوا بدرا إلخ..فمثل هذه الكلمات تطغى على قصيدة المكابد التي يخاطب بها الشاعر حيدر محمود ردا على قصيدة لهذا الأخير بعنوان من أقوال الشاهد الأخير. ولا ريب في أن هذه القصيدة بما فيها من تفاصيل على مستوى الوزن والإيقاع والروي والجرس الموسيقي والألفاظ، وما تضمه من دلالات، ومن معان مباشرة، أو غير مباشرة، وما يتأطر فيها من استعارات وتشبيهات ومجازات، تذكرنا بالشعر الجزل المتين. فهو إذ يخاطب الشاعر المكابد لا يفتأ يكرر صوراً تذكرنا بالماضي المجيد:

إلام تغذ الخطو، هل أطبق الأسى

عليك وهل سُدت عليك المواردُ

وهل بتّ من ليلى على مفرق الردى

وباتت بأقصى الأرض، والحيّ واحدُ

وهل شمتَ في الأشجار برقَ قبابها

وشاقتك أفياءً وعنّت معاهدُ

وهل أسلمتك البيدُ للبيدِ دونها

وأنكرك الأهلونَ والدهر شاهدُ

مع ناصر الدين

لا يعدو الشاعر في هذه القصيدة النادرة إعادة التصورات المتواترة في الشعر القديم في إهاب جديد، فإطباق الأسى، وغذ الخطو، ووالردى، والحي، وشمّت، وبرق قبابها، وشاقتك أفياء إلخ.. من المفردات الشعرية التي يتواتر حضورها في شعر الفحول من المتقدمين. وقد زاد هذا وضوحاً بتكراره لكلمتي البيد والأهلين في البيت الأخير من الشاهد. فكيفما نظر القارئ في القصيدة ألقى ظلالاً، وأشباحاً، للشعراء الكبار، الذين أغنوا الشعر العربي بالكثير الجم من الشعر الجزل الرصين. تضاف إلى هذه القصيدة قصائد أخرى لا تقل عنها متانةً نظماً، وقوةً أداءً، كقصيدته في رثاء الراحل محمد الخشمان، وقصيدة «طريق الرجال» و«آن الأوان» و«جبل النار» و«سيزيف والعبث» وإحدى هذه القصائد (دموع صعبة المراس) تلفتُ النظر بمطلعها الذي يذكرنا بالمستحسن من مطالع الشعراء في قصائدهم:

تطاول هذا الليل حتى رأيته

سيرزح أحقاباً ويمتد سرمداً

والقصيدة، المهداة إلى العلامة ناصر الدين الأسد (١٩٢٢-٢٠١٥) - رحمه الله - قصيدة تصف الأوضاع في عالمنا العربيّ وصفاً يقترب فيه الشاعر من أسلوب الخطابة المؤثرة.

كلمة أخيرة

وأياً ما يكن الأمر؛ فإنّ للأديب إبراهيم العجلوني قصائد لا تقلُّ جودة عما ذكر من شعر التفعيلة، ولا تقلُّ من حيث منزلتها الفنية عن هذه القصائد، ولكننا لم نتوقف عندها لإحساسنا الذي لا نشك في صدقه، بأن العجلوني يجد نفسه شاعراً في قصيدة البحر أكثر مما يجدها في الشعر القائم على وحدة التفعيلة. ولعلّ هذا ما قد يُفهم من عبارته الواردة في تقديمه القصير للأعمال الشعرية، وهي التي تقول: «إن ما أستطيعه من الشعر لا أرتضيه، وإن ما أرتضيه منه لا أستطيعه».

الرؤية والتشكيل

في أشعار إبراهيم العجلوني

الدكتور أنور الشعر

جاءت هذه الدراسة الموضوعية والفنية لأشعار إبراهيم العجلوني بعد عدة قراءات متأنية لقصائد المجموعات الشعرية قيد البحث، وهي: تقاسيم على الجراح، وحينما نلتقي، وطائر المستحيل، وبعض القصائد المتفرقة وضعها الشاعر تحت عنوان «متفرقات».

أما المنهجية التي اتبعتها الباحثة في هذه الدراسة فهي استقراء النصوص الشعرية واستنطاقها والتحاور معها، لاستجلاء مكان الجمال فيها والوقوف على رؤية الشاعر للإنسان، والكون، والحياة وكيفية التعبير عنها فنيًا، وتوضيح العلاقة بين التشكيل الفني للقصيدة وبين رؤية الشاعر ومضمونها. وقد تم اختيار القصائد من مجموعاته الشعرية بحيث تشمل جميع الأشكال الشعرية التي نظم بها الشاعر قصائده، وقام الباحث بتحليل كل قصيدة بشكل منفرد للوقوف على علاقة المضمون (الرؤية) بالتشكيل الفني للقصيدة.

وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الأساليب والتقنيات الفنية واللغوية التي استخدمها الشاعر للتعبير عن أفكاره ومشاعره وعن رؤيته للحياة، والإنسان، والكون، وبيان العلاقة بين التشكيل الفني للقصيدة وبين مضمونها ورؤية الشاعر فيها.

وتحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- * أولاً: ما الأبعاد الموضوعية التي عبر عنها الشاعر في قصائده؟
- * ثانياً: ما رؤية الشاعر للكون والإنسان والحياة التي عبر عنها في قصائده؟
- * ثالثاً: ما التقنيات الفنية التي وظفها الشاعر للتعبير عن أفكاره، ومشاعره، ورؤيته؟
- * رابعاً: ما الأساليب اللغوية التي استخدمها الشاعر في قصائده؟
- * خامساً: ما الأشكال الشعرية التي أطر بها الشاعر قصائده؟
- * سادساً: ما المسوّغات الموضوعية للتشكيل الفني في القصائد قيد الدراسة؟

قصيدة (تقاسيم على الجراح)

(تقاسيم على الجراح) هي القصيدة التي وسم الشاعر بعنوانها عنوان المجموعة الشعرية كاملة، وتكاد تعبّر عن رؤية الشاعر في هذه المجموعة بشكل عام؛ وهي أنه رغم الجراح الكثيرة والعميقة في جسد الأمة، ورغم زمن الجذب والارتكاس الذي تعيش فيه، إلا أن الأغصان المخضرة ستنتصر في النهاية. وقد قسم الشاعر القصيدة إلى ست فقرات شعرية تعبّر كلّ واحدة منها عن فكرة ثانوية تسهم في تكوين الرؤية الكلية للشاعر في هذه القصيدة بشكل خاص وفي المجموعة الشعرية بشكل عام. وفي الفقرة الشعرية الأولى التي وسمت بـ «العشق الأحمر» يعبر الشاعر عن شعوره الحاد بالوحدة، فيقول:

«وحدّي أمتلك الليل، / أفترش الحزن وأبحث عن روض في وادي الويل، / أملاً ساعات الزمن المصلوب صراحاً، / وأفتت أزهاره في مجرى السيل»^(١).

فيعبّر الشاعر عن شعوره الحاد بالوحدة بدلالة (وحدّي) في ظلّ ظروف قاسية، فهو وحده يمتلك الليل بظلمته وظلامه، ويفترش الأحزان، ويبحث عن فردوسه السليب بدلالة (روض) في وادي الويل، أي في وادٍ ملؤه العذاب^(٢). والزمن الذي يعيش فيه زمن مصلوب، فيملاً ساعاته بالصراخ من الظلم الواقع عليه، ويفتت أزهاره ويلقي بها في مجرى السيل. فيقدم الشاعر صوراً تشي بالكآبة؛ فرسم الحزن فراشاً يفترشه الإنسان، ورسم صورة غير مألوفة لروض في وادي الويل، فالروض جنّة غناء مليئة بالأشجار والزهور، وهذا يبعث الأمل والفرح، فتحوّل به إلى مصدر للعذاب والألم بوضعه في وادي الويل. وشخص الشاعر الزمن بأن جعله مصلوباً. والصّلب يقع في العادة على الإنسان عقاباً له. ورسم صورة لشخص يفتت أزهاره في مجرى السيل؛ أي يتلف ما قام به من إنجازات جميلة. ويختم الشاعر الفقرة الشعرية بالتفاؤل، فيقول:

«في زمن الجذب أنا أحيا / لكن غصوني مخضرة / تكبّر تسلق في حلق / جدران الشمس المصفرة / وتصارع ثعبان الليل»^(٣).

(١) العجلوني، إبراهيم (٢٠٠٩)، الأعمال الأدبية، عمان: دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط ١، ص ٤٦.
(٢) ابن منظور (ت: ٦١١هـ)، لسان العرب، ج ١٥، بيروت، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ط ٢، باب (ويل).
(٣) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٤٦.

وبرغم أنّ الشّاعر يعيش في زمن الجذب والارتكاس إلّا أنّ غصونه مخضرة تنمو وتكبر وتصارع ثعبان الليل. وقد لوّن الشّاعر الفقرة هذه بغير لون، فجاء باللون الأخضر للغصون للدّالة على حيويته ونشاطه وإصراره على الحياة، وبثّ في اللوحة اللون الأصفر لينتشر الضّوء على جدران الشّمس، ويختمها بلون الليل الأسود. ويرسم صورة حركيّة لأغصان تصارع ثعبان الليل.

وفي زمن الجذب، يشعر الشّاعر بالاختناق، فيقول:

«أغرق في بحر مخنوق الصمت / وتعشش في ذاتي الرؤيا / ويدغدغ أعصابي الموت»^(١)

فيصوّر الشّاعر البحر الذي يغرق فيه أنّه مخنوق الصّمت، أي لا صوت ولا حراك فيه حتّى أنّ صمته مخنوق ومحاصر، وفي ذلك إشارة إلى الصّمت العربيّ الكامل فيما يتعلّق بالاحتلال الصّهيونيّ لفلسطين، ويجسّد من الموت شخصاً يدغدغ الأعصاب.

ويستدعي الشّاعر شخصيتي عنتر العبسيّ ومحبوبته عبلة، فيقول:

«... أنسج من أوهامي خيمه / فيها أتفقد فرسانه / فيها يترأى لي عنتر / يلمع ليلاً في جنح الليل / ويحاور عبلة: يا عبلة / لا تهني ... واستفتي الخيل...»^(٢)

ويتقوى الشّاعر على الليل (الواقع المعيش في ظلّ وجود الكيان الصهيونيّ الغاصب لفلسطين) باستدعاء زمن الفروسية والشّهامة العربيّة ممثلاً بفارس من فرسانها وهو عنتر بن شدّاد العبسيّ، ويجعله يحاور (عبلة) التي تمثّل الأمة العربيّة في هذا السياق، ويطلب منها ألاّ تن، وأن تستفتي الخيل؛ أي يطلب من الأمة العربيّة أن تحتكم لمنطق السّلاح والمقاومة في تعاطيها مع الكيان الصهيونيّ بدلالة (واستفتي الخيل).

وفي القسم الثّاني من هذه اللوحة الشعريّة سداسيّة الأبعاد يستدعي الشّاعر شخصيّة الفارس العربيّ (البراق)، فيقول:

«يا هذا لا تسأل عني / اليوم أسافر للبراق / اليوم أفرق ستر غدى / فالبصر اليوم حديد»^(٣)

فيعود بنا الشّاعر إلى جوانب مضيئة من التّراث الفروسيّ العربيّ ممثلاً في هذه الفقرة

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٤٦.

(٢) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٤٧.

(٣) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٤٧.

بشخصية (البراق بن روحان) وهو ابن عم ليلى العفيفة بنت لكيز وحبيبها، فقد سبها ملك فارس ليزوجّها من ابنه، فأبت وأنشدت قصيدة مطلعها:

«ليت للبراق عيناً فترى

ما أقاسي من بلاءٍ وعنا»^(١)

فلما سمع البراق القصيدة جمع الجموع وهاجم بلاد فارس وحرّر ابنة عمّه ليلى العفيفة. فيذهب الشاعر للبراق ليساعده في تحرير (ليلى العفيفة) الواقعة في قبضة الاحتلال الصهيوني، كما حرّر ليلى العفيفة من أسر الفرس. ويتفاعل الشاعر بذهابه للبراق، ويرى التصرّ قادم على يديه، فيريد أن يستشرف المستقبل، ويرى أسرار الغدّ فبصره اليوم حديد باستعانتة بعين البراق. فيوظّف الشاعر في هذه الفقرة الشعرية التعبير القرآنيّ في قوله تعالى «فكشفنا عنك غطاءك، فبصرك اليوم حديد.»^(٢) ولكن ماذا عسى الشاعر أن يجد لدى البراق؟ فيقول:

«..... /..... / في قلبي يرتعد البراق / لا شيء هناك جديد»^(٣)

فيستخدم الشاعر سطرين من علامات الحذف للدلالة على ما حدث من تفاصيل في رحلته للبراق ولا داعي لذكرها، لأنّ الشيء المهمّ هو نتيجة الرحلة وهو ما ذكره في السطرين الآتين بعد علامة الحذف، إذ شعر الشاعر أنّ البراق يرتعد خوفاً من مواجهة الأعداء في ظل ظروف الأمة العربيّة الحاليّة بدلالة (في قلبي يرتعد البراق). ولم تجد رحلته للبراق بدلالة (لا شيء هناك جديد).

وفي المقطع الثالث من اللوحة والموسوم بـ (بالونات) يرى الشاعر أنّ الكلمات لها طعم الخنجر، فيقول:

«والكلمات لها طعم الخنجر / انفخ بالونك كي تكبر / وعليك بإتقان الترقيم»^(٤)

فيرى الشاعر أنّ الكلمات مكوّنة من حروف، لكنّها لها طعم الخنجر، ويطلب من المتاجرين بالألفاظ والكلمات أن ينفخوا بالوناتهم ليظهروا أنّهم كبار مثلها، لكنّ عليهم إتقان فنّ التعبير والكتابة بدلالة (وعليك بإتقان الترقيم).

(١) يموت، بشير (١٩٣٤)، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ط١، بيروت المكتبة الأهلية، ص ٣٢

(٢) القرآن الكريم، سورة (ق)، آية ٢٢.

(٣) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٤٧.

(٤) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٤٨.

ويعنون الشّاعر القسم الرّابع من تقاسيمه التي رسمها على الجراح بـ (لو)، ويقول فيها:
«لو نلمس جدران الآتي ونحطم أسوار الأوهام / لو وهج الموت يذيب بنا صنم الأسي
المخنوق / لو نتقن فن التحديق / لبكينا اليوم رفات الغد»^(١)

فيستخدم الشّاعر كلمة (لو)، وهي حرف شرط غير جازم، وهنا تفيد النفي وليس الشرط؛ أي نفي الفعل الذي يأتي بعدها، وتعني في السياق أننا لا نستطيع أن نلمس جدران الآتي، أو نحطم أسوار الأوهام، ولا يستطيع وهج الموت أن يذيب بنا صنم الأسي المخنوق، ولا نتقن فنّ التحديق، ولو تمكنا من كلّ الأفعال الواردة بعد (لو)، لأدركنا ما يجابهنا في المستقبل من موت ودمار، ولبكينا في أيامنا الحاضرة على ما سيحل بنا في قادم الأيام بدلالة (رفات الغد). وقد استخدم الشّاعر كلمة (الآتي) الدالة على شيء أو أشياء ستحدث في المستقبل، ولم يفصح عنها ليثير في المتلقّي ترقب ما سيحدث ويثير تساؤلات حوله أو عن كنهة. وجسد من الأوهام وهي شيء معنوي، شيئاً مادياً بدلالة (جدران). كما قرن الأسي (معنوي) بالصنم (مادي). وأضاف كلمة (رفات) إلى كلمة (الغد) وجعل منه كائناً يموت ويتحوّل إلى رفات، والمعنى المقصود هنا (رفاتنا في الغد). ويضيف الشّاعر إلى ذلك ما يمكننا فعله، فيقول:

«وقنعا برؤانا والعد / يوم... يومان / دهرٌ ... دهران / لا شيء يزحزح هذا السد...»^(٢)

فلأننا لا نستطيع أن نفعل الأشياء السالفة التي ذكرها الشّاعر، فإننا قنعنا برؤانا وعدّ الأيام والدّهور لعلّ هذا السدّ (الصمت والعجز العربيين) يتزحزح، ويبرز من خلفه ضوء فجر جديد.

ويشّر الشّاعر في المقطع الخامس الموسوم بـ (الليلة يأتي) ببزوغ الفجر الجديد، فيقول:

«انتظروا الليلة يأتينا / يملأ بالحب خوابينا / يسكب من خمر دوالينا / في جوف الزمن
العشطان»^(٣)

فيطلب الشّاعر ممّا أن نتظر القادم بالفرج والاعتاق؛ سيأتي ليعمّ الخير على يديه فيملأ الخوابي بالحبّ، ويسكب من خمر دوالينا في جوف الزمن العشطان. وهنا يجسد الشّاعر من الزمن شخصاً عطشاناً يصبّ في جوفه خمر الدوالي ليشفي من عطشه المزمن. ويؤكد الشّاعر أنّ هذا المنقذ

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٤٨.

(٢) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٤٧.

(٣) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٤٩.

سيأتي، فيقول:

«الليلة فانتظروا يأتي / من عمق الجرح المصلوب / / / الليلة يأتي فانتظروا /
ولسوف نهّد السّد»^(١)

فيمدّ الشّاعر في هذا المقطع المتلقّي بمسحة تفاؤل وأمل بأنّ القادم بالفرج والحرية سيأتي، وسنعمل سوياً كي ينهار السّد، بدلالة (ولسوف نهّد السّد).

وفي المقطع السّادس من هذه المعزوفة الشعريّة الموسوم بـ (مخاض) يتحدّث الشّاعر عن مخاض عسير لدى الأُمّة، فيقول:

«في كل حقول العالم قام / إلا ... يا سخط الأيام / فالخصب هنا طفلٌ / مبيض العينين /
يجلده زوج الأم فيصرخ مدمي الشفتين»^(٢)

فيرى الشّاعر أنّ الشّعب قام وحصل على حريته في جميع دول العالم بدلالة (في كل حقول العالم). ووظّف الشّاعر أداة الاستثناء (إلا) ليستثني من شعوب العالم التي قامت وتحرّرت، لكنّه حذف المستثنى ووضع بدلاً منه علامة الحذف (...). للدلالة على محذوف يقدر من السياق، وهو هنا (حقلنا)؛ وذلك يعني أنّ الشّعوب في جميع دول العالم قامت وتحرّرت إلا في حقلنا، أي وطننا العربيّ، وهذا من سخط الأيام علينا، فمشروع التّهوض الوطنيّ (الخصب) في بلادنا لا يزال طفلاً مبيض العينين؛ أي هو طفل قاصر ولا يبصر الطّريق جيّداً في إشارة إلى أنّ القائمين على مشروع التّحرر والنهضة في الوطن العربيّ لا يبصرون طريقهم بشكل جيّد، فيتعثّرون في تحقيق هدفهم. وهذا الطّفل يجلده زوج الأمّ (النّظام العربيّ) فيصرخ مدمي الشفتين، وفي هذا إشارة إلى أنّ النّظام العربيّ بدلالة (زوج الأمّ) يقمع ويقاوم أيّ محاولة للتّهوض بالأُمّة ولتحريرها والارتقاء بها.

ويستخدم الشّاعر أسلوب التّكرار، فيقول:

«في زمن الجذب أنا أحيا / لكن غصوني مخضرة / تكبر .. تتسلق في حنق / جدران
الشمس المصفرة / وتصارع ثعبان الليل...»^(٣)

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ٤٩.

(٢) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ٤٩.

(٣) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ٤٩-٥٠.

فيوظف الشاعر أسلوب التكرار، فيكرّر جزءاً من الفقرة الأولى ليقول لنا: إنّنا ومنذ أمد بعيد لا نزال نراوح مكاننا، إذ جاء في الفقرة الأولى (في زمن الجذب أنا أحياء) وتكرّر ذلك في الفقرة الأخيرة، وفي ذلك دلالة على أنّنا لا نزال نعيش زمان الجذب والارتكاس، وأنّ الأمة لم تتخلص من عناصر الدّلّ والهوان المتمثلة بالنظام العربيّ (زوج الأمّ الذي يجلد الطفل مبيضّ العينين). ورغم الجفاف الممتدّ أزماناً ودهوراً، إلا أنّ الشاعر يبقي مسحة أمل وتفاؤل بالأغصان المخضرة التي لا تزال تكبر وتتسلّق في حلق جدران الشمس وتصارع ثعبان الليل. وينتهي الشاعر هذه الفقرة الختامية بعلامة الحذف (...) للدلالة على أنّ الصراع مفتوح على المستقبل، فالأيام حبلى ولا ندري ماذا تلد.

فنى الشاعر قد وظّف التشكيل الفنيّ للقصيدة ليخدم رؤيته للحياة والأرض (الوطن) والإنسان. فجاء بقصيدة على تفعيلة واحدة وهي تفعيلة (فاعلن - ب -) وزحافتها، وفي توحيد التفعيلة في القصيدة كلّها إشارة إلى أنّ الفقرات الشعريّة للقصيدة كلّها تصبّ في خدمة الفكرة الرئيسيّة، وهي رؤية الشاعر. وقسم الشاعر قصيدته إلى ستّ فقرات شعريّة عبّر في كلّ واحدة عن فكرة تخدم رؤيته الكليّة. ففي الفقرة الأولى يصف الشاعر زمن الجذب والانكسار الذي يعيش فيه وحيداً، ومع ذلك أبقى على بصيص أمل عن طريق الغصون المخضرة التي تقاوم وتصارع ثعبان الليل. وفي الفقرة الثانية يتقوى الشاعر على زمن الجذب والانكسار باستدعاء شخصيّة البرّاق، ذلك الفارس العربيّ الذي حرّرّ ابنه عمّه من أسر الفرس. ويبيّن في الفقرة الثالثة أنّ من يتحكّمون في الأمة ليسوا أكثر من بالونات تتفنن فنّ الكلام. ويرى في الفقرة الرابعة أنّ الأمة لو تدرك ما سيواجهها من مأسّ لبكت على ما سيؤول إليه حالها، وهي عاجزة عن زحزحة السدّ؛ سدّ العجز والانكسار. وفي الفقرة الخامسة يبيّن الشاعر الأمل في ثنایا القصيدة بانتظار القادم الذي سيساعد الأمة في هدم السدّ. وختاماً، يصف الشاعر المخاض العسير الذي يجابهه الأمة في مشروعها التحرّريّ التّهضويّ، ويوضح أنّ الذي يجهض هذا المشروع هو النّظام العربيّ (زوج الأم)، فالحال في نهاية القصيدة وما عليه الأمة من جذب وارتكاس هو ما كانت عليه في بداية القصيدة، أي أنّ جراح الأمة لم تلتئم وما زالت قائمة منذ زمن بعيد. ويأمل الشاعر أنّ تكبر الغصون المخضرة لتصارع ثعبان الليل، وهو الاحتلال الصهيونيّ. هكذا، نرى أنّ التشكيل الفنيّ للقصيدة قد خدم الرؤية العامّة للشاعر.

قصيدة «البحث عن مرآة»

ويعبر إبراهيم العجلوني في قصيدة «البحث عن مرآة» عن رؤيته، وهي أن الثورة ضد الاحتلال الصهيوني ببعديها القومي العربي والإسلامي تبدأ من أرض فلسطين المحتلة، فيقول:

«فتشت في العراق / فتشت في اليمن / فتشت عن مرآتي التي أضعها الزمن / فلم أجد / وقيل لي حين ارتقيت منكبي أحد / مرساك في عيني صفاً..»^(١)

فيتحدّ الشاعر مع شخصيّة الإنسان الفلسطينيّ الذي يبحث عن هويّته النضاليّة عن طريق العراق واليمن كناية عن البعد القوميّ للمعركة ضد العدو المحتلّ، فلم يجدها، فالتمس البحث عنها في البعد الإسلاميّ بدلالة «ارتقيت منكبي أحد»، فقبل له إن ثورتك تبدأ من وطنك؛ من أرض فلسطين بدلالة «مرساك في عيني صفاً». ويوظّف الشاعر المرآة وسيلة للبحث والكشف عن الهوية النضاليّة، فهو يريد أن يرى نفسه، ويرى الآخرين فيها، وهي وسيلة يكشف بها عن الواقع.

ويجسد الشاعر من جبل أحد شخصاً له منكين يرتقي عليهما في طريقه للبحث عن هويّته النضاليّة. ويلاحظ أن الشاعر لم يحمل الإنسان الفلسطينيّ مسؤوليّة إضاعة هويّته النضاليّة، بل عزا ذلك إلى الزمن بظروفه وحيثيات أحداثه وملابساتها بدلالة «مرآتي التي أضعها الزمن».

ويوظّف الشاعر ثنائية (الثلج والنار) مرتين، فيقول في الأولى:

«يداي في النار وقلبي يمضغ الثلج/ وها أنا على الطريق أنسج الهوى سرجا فربّ فارس يأتي غداً أو بعد غدٍ / أو بعد قرن... ذاك في ضمير حظي المقرود / أقول: ربّ فارس يأتي فأهديه الهوى السرجا»^(٢)

فيبدأ الشاعر القصيدة بعبارة: «يداي في النار وقلبي يمضغ الثلج» للدلالة على أنه كان يكتب في بنار الاحتلال (يداي في النار)، لكنّه كان هادئ الأعصاب، رابط الجأش (قلبي يمضغ الثلج) على درب مقاومة الاحتلال ينسج من عشقه للوطن سرجاً لحصان يمطي صهوته فارس ربما يأتي بعد زمن قريب أو بعيد ليدحر الاحتلال. ويوظّف الشاعر التعبير العاميّ

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ١٥-١٦.

(٢) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ١٥.

«حظي المقرود» للدلالة على حظِّه العاثر في مقاومة الاحتلال. ويوظف الشاعر أسلوب التكرار، فيقول:

«... وأملاً الخرجا / بكل أشواقى لفجر الفجر / ففجري المحبوب بات ينشد الفجرا»^(١)

فيكرّر الشاعر كلمة (الفجر) أربع مرات في سطرين شعريين، وهذا الاستخدام المكثف لكلمة الفجر يوحي بحاجة الشاعر الماسّة للحرية التي رمز بكلمة الفجر إليها، حتّى أنّ فجره المحبوب بات ينشد الحرية (الفجرا). ويعود الشاعر إلى ثنائية (الثلج والنار)، فيقول:

«وها أنا على الطريق ها أنا / يداي في الثلج وقلبي مشتل الجمر»^(٢)

فقد غاير الشاعر في هذه المرّة في تأثير الثلج والنار، ففي المرّة الأولى في بداية الطريق كانت يدها في النار، وكان قلبه يمزغ الثلج. أمّا الآن - وهو على طريق التحرير - فإنّ يديه في الثلج، أي أنّه مطمئن إلى نهاية الدرب رغم أنّ قلبه مشتعل بالثورة ضدّ الاحتلال، بدلالة «وقلبي مشتل الجمر».

ويواصل الشاعر التعبير عن إحساسه بالغضب لوجود الاحتلال، فيقول:

«فمن رأني منكم فليقرأ القرآن / وليتقي عيني ... إن فيهما بركان فجره الموت... حذار»^(٣). (وليتقي: كذا وردت)

فيطلب الشاعر ممن يراه ويراقبه أن يحذر عينيه ويتقيهما بقراءة القرآن، لأنّ فيهما بركان وغضب فجره الموت، وعليهم أن يحذروه. ويوظف الشاعر التراث الأسطوري ليوضح فكرته، فيقول:

«ها أنا أقولها من غضبة الأحزان / فلست مالكا إذا رأيتكم أمري / ففي دمي تختال ميدوزا / وفي فمي أنشودة السحر...»^(٤)

فيوظف الشاعر التراث الأسطوري الإغريقي المتمثّل في «لعنة ميدوزا»^(٥)، ليحذّر

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ١٥.

(٢) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ١٥.

(٣) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ١٥.

(٤) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ١٥.

(٥) ميدوزا: ربة الحكمة والتعابن الأمازيغية، كانت تحوّل كل من ينظر إلى عينيها إلى حجر. قادها جمالها لارتكاب الخطيئة في معبد أثينا مع بوسيدون إله البحار، فغضبت عليها أثينا وحولتها إلى حجر يمثل أنثى بشعه المنظر، وحولت شعرها إلى ثعابين.

المشككين في المقاتل الفلسطيني وفي نضاله لاسترجاع أرضه بأن تصيبهم لعنة (ميدوزا) إذا نظروا إلى عينيه، فتحولهم إلى حجارة. وطلب منهم أن يحصنوا أنفسهم من عينيه بقراءة القرآن، إذ إن فيهما بركان غضب مضمخ بالموت بدلالة «وليتقي عيني... إن فيهما بركان فجره الموت». وإمعاناً في تحذيره لهم، فإنه يخلي مسوؤليته إن حدث لهم مكروه بسبب لعنة (ميدوزا) في عينيه، بدلالة قوله: «فلست مالكا إذا رأيتمكم أمرى».

وفي المقطع الثاني من هذه اللوحة الشعرية يرسم الشاعر صورة لشخص بيدين قويتين وظهر محني ضعيف، فيقول:

«يداي صخرتان لا يقوى على حملهما الشيطان / وظهري المحني مرتع لأنذال
الفرسان»^(١)

فهذا الذي فقد وطنه وهجر منه له يدان قويتان دلالة على قدرته على البذل والتضحية والعطاء، لكن لا سند له، فهو مستضعف لدرجة أن الفرسان الأندال استباحوا ظهره المحني. ويطلب من عاذله التوقف عن ملامته، فيقول:

«فها أنذا أهتز في درب الرياح / أهطل زهراً أحمر التبسم / فتنتشي من قهرها البطاح /
تميد... تنتشر القبور»^(٢)

فيطلب هذا المهجر عن أرضه من الذين يضعون اللوم عليه في فقدان أرضه أن يكفوا عن ملامته، فهو يبحث في دروب النضال لاسترجاع وطنه بدلالة «أهتز في درب الرياح» ويبدل دمه حباً وكرامةً وبرضىٍ نفسيٍّ بدلالة «أحمر التبسم». ونتيجة لبذل المزيد من الدماء تنتعش الأرض وتكثر فيها القبور. ونرى أن هذا المقطع من اللوحة الشعرية يزخر بالصورة الفنية المتنوعة. فنشاهد صورة حركية لشخص يهتز ويتحرك في دروب الكفاح. ونشهد انتشاراً واسعاً للون الأحمر بدلالة كلمة «أهطل» التي تدل على غزارة سقوط المطر (وهنا الدم) الذي رمز له الشاعر بـ (زهرة أحمر التبسم). فنرى صورة حركية ملونة فكلمة (أهطل) تشي بحركة سقوط من الأعلى للأسفل، وعبارة «أحمر التبسم» تدل على لون الدم النازف. ونكاد نشعر بحركة الأرض وهي تنتشي وتميد من كثرة ما ارتوت به من دماء الشهداء. ونلاحظ أيضاً مشهداً لانتشار واسع للقبور بسبب كثرة الشهداء.

انظر: شابيرو، ماكس وهندريكس، رواد (٢٠٠٨)، معجم الأساطير، ترجمة: حنا عبود، دمشق، دار علاء الدين، ط٣، ص١٦٢.

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص١٦.

(٢) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص١٦.

ويستدعي الشاعر شخصية عنتره العبسي، فيقول:

«فيخرج العبسي شاكى السلاح / الرّمح في يمينه عرق من البخور / ودرعه مروحة /
وسيفه بلور»^(١)

فيوظف الشاعر التراث الأدبي والشعبي العربي المتمثل بشخصية عنتره العبسي، ذلك الفارس الهمام الذي كان (سيفه في الهيجا طبيياً يداوي رأس من يشكو الصداعا)، فإذا بهذا السيف يتحوّل إلى سيف من بلور (أي سهل الكسر)، وإذا بدرعه يتحوّل إلى مروحة لأنه غير قادر على القتال في أيام الطقس الحارّ، وإذا برمحه يصبح عوداً من البخور. فترى أنّ الشاعر قد جرّد العبسي من كلّ أسلحته الأصليّة وأبدله بها أسلحة لا تصلح للقتال، للدلالة على أنّ سلاح الجيوش العربيّة في الوقت الحاضر لا تقوى على مواجهة الأعداء في الحرب، وبناءً عليه يطلب منهم أن يكفّوا عن تحميله مسؤوليّة ما حدث، لأنّ اتّهامهم له أشدّ قسوة من نزع الدّماء بدلالة «اللوم المحنى بالدم»، ويؤكد أنّه يعرف طريقه، فيقول:

«فأقصروا اللوم المحنى بالدم / فلست مغرماً بعد الأنجم / لكنني أعرف سر الليل في
عرس الدّماء / وأتقن الرقص بصدر المأتم»^(٢)

فيؤكد الشاعر أنّه ليس مغرماً بعد الشهداء الذين يرتقون إلى بارئهم، بدلالة (عدّ النجوم)، لكنّه يعرف أنّ الاحتلال لا يزول إلّا بالدّماء، بدلالة «أعرف سرّ الليل في عرس الدّماء»، فلذلك فإنّ على اللائمين عليه - إن قاوم وإن لم يقاوم - أن يكفّوا عن ذلك.

وفي المقطع الثالث من القصيدة يجسّم الشاعر الشوق، فيقول:

«يرحل فيّ الشوق ناشر الشراع / أدعّه .. يدعني / أصرعه... يصرعني / نغفو معاً على
شواطئ الصّراع / وحين يأكل الظلام أعين الحنين / تنشج في أسى جنين»^(٣)

فيشبهه الشاعر الشوق بالريّان الذي ينشر الشراع ويرحل، لكنّ هذه الرّحلة هي إلى داخل الإنسان بدلالة (فيّ)، ويوظف الشاعر الجنس الناقص في (أدعّه / يدعني، وأصرعه / يصرعني) لبيان العلاقة بينه وبين الشوق الذي يصل معه إلى شبه اتفاق، فيغفوان على شواطئ الصّراع للدلالة على أنّ الصّراع طويل وشاقّ، ويحتاج أحياناً إلى استراحة منه.

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ١٦.

(٢) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ١٦.

(٣) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ١٦.

ويقدم الشاعر صورة فنيّة فيها جدّة وإبداع تتمثّل في «يأكل الظلام أعين الحنين»، فيرمز الشّاعر للاحتلال الصّهيونيّ بالظلام الذي يأكل أعين الحنين، أي يحاول القضاء على حنين الفلسطينيين وأشواقه إلى وطنه، ومن ثمّ فإنّ مدينة (جنين) تبدأ بالبكاء على بنيتها الذين أكل الظلام أعين الحنين لديهم، وأبعدهم عنها.

وفي المقطع الرّابع من اللّوحة يوظف الشّاعر أسلوب السّخرية، فيقول:

«هيا ابصقوا في وجهي المجذور / هيا اسحقوه بالنعال / وحذروا من قبحة الأجيال»^(١)

وهنا يلجأ الشّاعر إلى أسلوب السّخرية ليواجه اللوم الذي يصبّ على رأسه بأنّه تخلّى عن وطنه، فيستخدم اسم فعل الأمر (هيا) بمعنى (أقبلوا). ويطلب منهم أن يبصقوا في وجهه المجذور (من وجهة نظرهم)، وأن يسفحوا وجهه بالنعال، لأنهم يزيّنون لأنفسهم زورًا وهتانًا أنّه جدير بذلك، فيحمّلونه عبء سقوط الوطن، ويُعفون أنفسهم من مسؤوليّة تقديمه لقمة سائغة للأعداء، ولكنّه يضيف أنّ الزّمن سيسقط الأقنعة، وستتكشف الحقائق، فيقول:

«ففي غد تتساقط الوجوه / تنشف البحور / تنحني الجبال / وفي غدٍ أعود مارداً كما كنتُ / ويورق المحال»^(٢)

فيختم الشّاعر هذه اللّوحة الشّعريّة بمسحة أمل وتفاؤل في أنّ الأقنعة الرّائفة ستسقط، ويظهر كل مدّع على حقيقة، وسيورق المحال عندما يعود الشّاعر الذي فقد أرضه مارداً كما كان.

ومن ناحية شكلية فقد صاغ الشّاعر قصيدته في أربع فقرات من شعر التّفعيلة على وزن (مستعلن - - ب -) وزحافتها، وجاء الشّكل الفنيّ للقصيدة مناسباً لمضمونها؛ وهو أنّ الثّورة ضدّ الاحتلال الصّهيونيّ يبدأ من فلسطين المحتلّة وينتهي بها؛ ففي الفقرة الأولى كان الشّاعر يبحث عن هويّته في أرجاء الوطن العربيّ، فوجدها في وطنه فلسطين بدلالة (مرساك في عينيّ صفا)، وفي الفقرة الثّانية ينفّح الشّاعر عن نفسه ضدّ المشكّكين الذين يلومونه على ترك وطنه. ويعبّر في الفقرة الثّالثة عن أشواقه لوطنه. وفي الفقرة الأخيرة يسقط الشّاعر الأقنعة عن الوجوه الرّائفة، ويعود مارداً كما كان.

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ١٧.

(٢) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ١٧.

قصيدة (قصيدة للصحو والشهادة)

وفي قصيدته «قصيدة للصحو والشهادة» يرسم الشاعر إبراهيم العجلوني صورتين؛ صورة لزمان الاحتضار العربي، وأخرى لزمان الصحو والفداء. فيرسم لزمان الاحتضار العربي لوحين فئيتين؛ وتمثل اللوحة الأولى صورة لقدم الشهيد وتصوير ما يناله من تكريم، والصورة الأخرى لشخص منهزم من المعركة. ويبدأ الشاعر الصورة الأولى بكلمة (أصحو) فيقول:

«أصحو فأجفل، تسقط الأوهام عن عيني / تصفعني ذنوبي / أخطأت؟» لا فالوجه نفس الوجه / والعينان نفسهما، ونفس ملامح الأشياء / والصمت المرفرف فوق ناحية الصليب / وقصائد الشعراء ما زالت تراكض فوق جلجلة الغريب.»^(١)

فيبدأ الشاعر اللوحة الأولى من صورة «زمان الاحتضار» بكلمة (أصحو) الدالة على الانتقال من حالة النوم، أو السكر، أو فقدان الوعي إلى حالة الوعي، فعندما حضرت جنازة الشهيد جفل الشاعر وصحا، وسقطت الأوهام عن عينيه، وشعر بالصغر والإثم أمام الشهادة؛ لم لم يقدم على العمل نفسه (الشهادة). ولإزالة الشك من نفسه حول هوية الشهيد وشخصيته يسأل نفسه سؤالاً استنكارياً (أخطأت؟) ويأتي الجواب مباشرة (لا لم يخطئ)، لقد عرفه تماماً، فالوجه نفس الوجه الذي يعرف، والعينان نفسهما، ولم تتغير ملامحه غير أنّ صمته يرفرف فوق ناصيته، وهذا صمت الوقار والخشوع في محراب الشهادة، وما زال مكللاً بقصائد الشعراء تعلق فوق جلجلة الشهيد ونعشه إكراماً له وتقديراً لتضحيته. ويواصل الشاعر رسم صورة الشهيد بالكلمات والصور البيانية، فيقول:

«لست مميّتا، / إنك الحزن الإلهي، / الجراح، الأمنيات، / وحلمنا الساري إلى نبع الطيوب»^(٢)

فيرى الشاعر أنّ الشهيد ليس مميّتا، وهذا يتسق مع معنى النصّ القرآني في قوله تعالى: «ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون.»^(٣) ويستخدم الشاعر حرف التوكيد (إنّ) ليؤكد صفات الشهيد؛ فهو الحزن المقدس المرتبط بفكرة الشهادة

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٨٠.

(٢) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٨٠.

(٣) القرآن الكريم، سورة آل عمران آية ١٦٩

بدلالة (الحزن الإلهي) وهو الجراح الرّاعفة بلونها الأحمر، وهو أمنيات الشّهادة التي يتمنّاها الكثيرون، وهو حلم الأمّة المتجّه صوب تحرير الأرض المحتلّة بدليل (نبع الطّوب).

ويقارن الشّاعر بين زمن الشّهادة وزمن المتخاذلين، فيقول:

«لست ميتاً، قد يكون الأمس، تاريخ العواهر، / غصة الذكرى / وتبقى أنت / تبقى أنت دمدمة، نذيراً، عاصفاً، / وواقفاً كنت وتبقى واقفاً..»^(١)

فيميز الشّاعر بين زمنين؛ زمن الأمس الذي وصفه بزمن العواهر، وهو غصّة الذكرى، فهو مرتبط بالهزائم والتّخاذل والصّمت. أمّا الزّمن الثاني، فهو زمن الشّهادة وزمن الشّهيد الذي سيبقى حيّاً، ودمدمةً، ونذيراً عاصفاً؛ إنّ زمن الشّموخ والكبرياء بدلالة (واقفاً كنت، وتبقى واقفاً). ويصف الشّاعر دم الشّهيد، فيقول:

«ما همّ لو نzf الشّهيد الخصب أغنية على حسك الدروب / أليس يهيب بالزمن العجيب؟!..»^(٢)

فيشبه الشّاعر الشّهيد بالأرض المعطاء بدلالة (الخصب)، فعطاء الشّهيد وتضحيته بروحه ودمه لا يقل خصباً عن عطاء الأرض الخصبة التي تمدّ النّاس بأسباب الحياة. ويتحوّل الشّاعر بنzf الشّهيد ذي اللون الأحمر القاني إلى صورة صوتيّة، وهي أغنية منثورة على حسك الدروب، ويرى أنّ دم الشّهيد حجّة على هذا الزّمن العجيب، زمن التّخاذل والانكسار بدلالة (يهيب بالزمن العجيب).

ويرسم الشّاعر اللوحة الثّانية من زمن الاحتضار، فيقول:

«قولوا لها بالأمس جاء / ألقى على الأبواب نظرتة الكليّة، / ثم هز الرأس واستسقى / خفي الصوت خجلان الفؤاد / قولوا لها المسكين عاد»^(٣)

فيقدم الشّاعر هذا العائد من المعركة ذليلاً بدلالة (خفي الصوت، خجلان الفؤاد، والمسكين عاد) فلم يستطع أن يواجه محبوبته بدلالة (قولوا لها)، فيطلب من النّاس أن يخبروها بمجيئه على وجل وخجل بدلالة (نظرتة الكليّة)، ويصف نفسه بالمسكين (قولوا لها المسكين عاد). فلنلمح بين ثنايا كلمات هذا العائد شعوراً حاداً بالانكسار والهزيمة.

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ٨٠.

(٢) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ٨٠.

(٣) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ٨١.

ويوظف الشاعر التراث الأدبي ليوضح فكرته، فيقول:

«وإذا صحوت فما أقصر عن ندى / ولقد علمت شمائي وتكرمي» / قولوا لها بالأمس
جاء / خشى الوغى / وأسف عند المغنم / فلتغد في ستر الأسي / ولترقصي في الميتم»^(١)
فقد اقتبس الشاعر بيتاً من معلقة عنتره بن شداد الذي يقول فيه:

«وإذا صحوت فما أقصر عن ندى

ولقد علمت شمائي وتكرمي»^(٢)

فوظف الشاعر هذا البيت من معلقة عنتره بن شداد ووضع على لسان المنهزم من المعركة، ليظهره وكأنه يريد التعويض عن فراره من المعركة بذكر جوده وكرمه، وكأنني بالشاعر يريد القول إنه لا تنفع خصال حميدة مع التولي يوم الزحف والانكسار عند لقاء الأعداء. ووظف الشاعر بيتاً آخر من معلقة عنتره بن شداد الذي يقول فيه:

«يخبرك من شهد الواقعة أنني

أغشى الوغى وأعف عند المغنم»^(٣)

فيستدعي الشاعر بهذا البيت شخصية عنتره الذي يتفاخر بشمائله في الحرب، فقد كان يغشى الوغى، ويعف نفسه عند توزيع الغنائم. وخلق الشاعر مفارقة بين عنتره وبين هذا الشخص المنهزم، فجعله يخشى الوغى ويطمع عند توزيع المغنم بدلالة (أسف عند المغنم)، لذلك فهو يطلب من محبوبه هذا المنهزم، وقد تكون الأمة، أن تتلفع بالأسي والحزن، وتقيم المآتم على هؤلاء الذين عادوا أموالاً في ثياب الأحياء؛ هؤلاء الذين أسهموا في إيصال الأمة إلى زمن الاحتضار. ونلاحظ انتشاراً كبيراً في أروقة هذه الفقرة لألفاظ الحزن وتعابير الأسي من مثل: خفي الصوت، وخجلان الفؤاد، والمسكين، وخشى الوغى، والأسي، والميتم، وكاذب، وانشطار، والاحتضار.

وعلى نقيض هذه الشخصية السلبية المهزومة التي قدمها الشاعر في اللوحة الشعرية السابقة،

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٨١.

(٢) الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت: ٥٤٨٦هـ)، شرح المعلقات السبع، بيروت، مكتبة المعارف (٢٠٠٤)، ط ١، ص ٨٧.

(٣) الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت: ٥٤٨٦هـ)، شرح المعلقات السبع، مصدر سابق، ص ٨٨.

فإنه يتقمّص شخصية إيجابية، فيقول:

«أطير إليك وكلّي امتلاء/ وأغدو على وجتّي النجوم/ وقلبي صحوّ وأفقي انتشاء»^(١)

فيرى الشّاعر أنّه يطير إلى وطنه وكلّه امتلاء. ولم يذكر بم يمتلى، وترك ذلك إلى تقدير المتلقّي، ويمكن تقدير ذلك بأنّه كلّه امتلاء بالحبّ لوطنه والرّغبة بالتّضحية في سبيله، ويغدو ووجنتاه تشعان كمن عليه النّجوم، أمّا قلبه فصحوّ؛ أي صافٍ لا يعكّره شيء ومتيقّظ، والجوّ العامّ لديه يغلب عليه النّشوة والفرح والنّشاط بدلالة (والأفق انتشاء). ويوظّف الشّاعر حاستي السّمع والبصر، فيقول:

«سمعتُ، رأيتُ، وكان الضياء الثرى والسماء / ولما دعوت أصاخوا، فصكّوا الوجوه وقالوا / صريخ القبور، أبا الحشر جاء؟!»^(٢)

فاستخدم الشّاعر الفعلين (سمعت، ورأيت) وحذف مفعوليهما وتقديرهما أنّه سمع كلّ ما كانوا يقولون عنه وعن شعبه، ورأى ما يمارسونه ضدّه وضدّ شعبه. وكان الحقّ معه واضحاً وضوح الضياء الذي يعمّ الأرض والسماء، ولا أحد يستطيع أن يصمّ أذنيه أو يغمض عينه عن وضوح هذا الحقّ، ولكنه عندما دعا قومه ليساعده لا استعادة حقّه، أنكروا عليه ذلك، فأصاخوا أسماعهم، وصكّوا وجوههم وأشاحوها عنه، واتّهموه أنه لا وجود له، وهذا الصّوت هو صريخ القبور، أي أنّ صاحبه قضي عليه تماماً وأصبح طريح الثرى، وأطلقوا عليه «أبا الحشر»، أي إنه جاء ليأخذ الناس معه إلى يوم الحشر. وهكذا نرى أنّ القائمين على أمر الأُمَّة قد تخلّوا عن قضية فلسطين وعن أبنائها رغم أنّهم على حقّ، فأصاخوا سمعهم وأبصارهم عن عدالة قضيتهم.

وردّاً على سؤال القائمين على أمر الأُمَّة (أبا الحشر جاء؟)، فإنّ الشّاعر، يقول:

«نعم، مطراً جئت فجرًا... هزيمًا / ولكن / أيغدو الزمان عجوزًا عقيمًا؟!»^(٣)

فيجيبهم الشّاعر: نعم، إنّه عاد غيثًا كالمطر للأرض، وعاد فجرًا بعد طول ليل، وعاد قويًا كهزيم الرّعد. ويوظّف الشّاعر حرف الاستدراك (لكن) ليستدرك على الفكرة السّابقة المشحونة بالأمل والتفاؤل بسؤال تعجبي: (أيغدو الزّمان عجوزًا عقيمًا؟! للدلالة على

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ٨١.

(٢) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ٨١-٨٢.

(٣) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ٤٩-٥٠.

استحالة أن يكون الزمن العربيّ قد شاخ، وأمسى عجوزاً عقيماً غير قادر على إنجاب الأبطال الذين يعيدون له مجده وألقه.

ومن حيث الألفاظ والتعبير فقد جاءت متسقة مع الفكرة التي عبّر عنها الشاعر في هذه الفقرة، فنرى انتشاراً واضحاً للأفعال الحركية الدالة على السعي والعمل على استعادة الوطن، فنقرأ الأفعال والتعبير الآتية: أطير، أعدو، كلّي امتلاء، قلبي صحو، أفقي انتشاء، جاء، جئت. ونقرأ العديد من الألفاظ والتعبير الإيجابية من مثل: على وجتنيّ النجوم، قلبي صحو، أفقي انتشاء، الضياء، مطراً، فجرًا، هزيمًا.

وشهد هذا المقطع من اللوحة عدّة صور شعريّة من مثل: صورة الشّخص الذي يطير إلى محبوبته (صورة حركية سريعة)؛ والصورة البصريّة للشّخص الذي نثر النّجوم على وجنتيّه، وصورة الضياء الذي يملأ الأرض والسّماء، وصورة شخص يدعو قومه، وفي الطرف الآخر نرى صورة قومه وهم يصيخون السّمع ويصكّون الوجه عنه. ونسمع الصّورة الصّوتية في صريخ القبور، ونشاهد صورة حركية لشخص خرج لحينه من القبر (أبا الحشر جاء؟)، وصورة قدوم المطر المنهمر، وصورة ضياء الفجر، ونكاد نسمع بقوة هزيم الرّعد، ويرسم الشّاعر صورة ذهنية للزّمان كعجوز عقيم، فتشهد تحوّلًا في طبيعة الزّمن من طبيعة معنويّة إلى طبيعة ماديّة تمثّلت في تجسيمه على شكل عجوز عقيم.

لقد قدم الشّاعر إبراهيم العجلوني رؤيته، وهي استحالة أن يكون الزمن العربيّ قد شاخ وأمسى غير قادر على إنجاب الأبطال. وقد عبّر عن رؤيته هذه في ثلاث فقرات شعريّة من شعر التّفعية وقد غاير في الوزن العروضيّ لهذه الفقرات وفق مسوّغات موضوعيّة؛ فجاءت الفقرتان الأولى والثانية بالتّفعية نفسها على وزن (متفاعلن ب ب - ب-)، لأنّهما جزءان لفكرة واحدة، وهي الحديث عن زمن الاحتضار، وجسد في الأولى صورة لعودة الشّهيد ومثّلت الفقرة الثانية عودة المهزوم المنكفئ على ذاته. أمّا الفقرة الثالثة فقد غاير الشّاعر فيها في الوزن والمعنى. فقد جاء وزنها على وزن تفعيلة (فعولن ب - -)، وعبّرت فكرتها الرّئيسة عن زمن الصّعود والتّضحية والفداء، فنرى أنّ التّغير الموسيقيّ المتمثّل في التّغير في الوزن العروضيّ لفقرات القصيدة جاء متسقًا مع التّغير في المعاني والأفكار.

قصيدة (العنقود المر)

ويعبر إبراهيم العجلوني في قصيدة (العنقود المر) عن رؤيته وهي أن الأمة تستطيع أن تعبر نهر الصمت والفهر إن شاءت، وذلك في قصيدة شكلها في ست لوحات شعرية.

ففي اللوحة الشعرية الأولى يطلب الشاعر من الأمة ألا تصدر حرّيته باسم الحب والحرص عليه وحمايته، فيقول:

«لا تفقأي عيني في حمى العناق / عينا في دمك انعتاق / وأنا على نار الهوى أبكيك
والنغم احتراق...»^(١)

فيطلب الشاعر من الأمة ألا تصدر حرّيته، بدلالة (لا تفقأي عيني) بحجة احتضانها له والعطف عليه، بدلالة (حمى العناق). ويضيف أنه يعشق أمته ويرثي لحالها بدلالة (وأنا على نار الهوى أبكيك). ولشدة حزنه على أمته، فإنه يبكيها بقصائد كلّها أسي وحرقة ولوعة عليها بدليل (والنغم احتراق). ويصف حال أطفال الأمة، فيقول:

«أطفالك الجوعى هناك تقاسموا سود الرقاق / وطواهم صمت الوفاق / لا الليل يطفى
فيهم الرؤيا وأشواق التلاق»^(٢)

فيخاطب الأمة أنّ أطفالها جوعى إلى أشياء كثيرة؛ جوعى للطعام، جوعى للحب، جوعى للأمن والاستقرار، فهم يتقاسمون سود الرقاق كناية عن الرقاق المحروق الذي لا يصلح أصلاً للأكل، وطواهم صمت مطبق من الأمة حول مستقبلهم بدلالة (وطواهم صمت الوفاق)، لكنّ الليل (كناية عن الظلم الذي يعيشون فيه) لا يستطيع إجبارهم على التخلي عن الرؤيا بمستقبل أكثر إشراقاً، ولا يصادر مشاعرهم وحنينهم للتلاقي، ويكرّر الشاعر في نهاية الفقرة ما جاء في مطلعها، فيقول:

«أبكي وأصرخ في احتراق / لا تفقأي عيني في حمى العناق...»^(٣)

فيوظف الشاعر أسلوب التكرار الدائري، فختم الفقرة الشعرية بما جاء في استهلاها (لا تفقأي عيني في حمى العناق) مؤكّداً رفضه مصادرة حرّيته بحجة حبه وحمايته.

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٦٧.

(٢) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٦٧.

(٣) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٦٧.

وفي القسم الثاني من اللوحة الشعرية يقدم الشاعر نفسه ماداً يده لأبناء الأمة العربية ليجتازوا معاً نهر العجز والصمت، فيقول:

«هذي يدي / أمدّها للفرقد / أمسح وجهه الندي»^(١)

فيمدّ الشاعر يده مصافحاً ومتعاوناً مع الفرقد كناية عن دعاة الإصلاح من أبناء الأمة الغيورين عليها، والثابتين على رؤاهم ومبادئهم بدلالة كلمة (الفرقد) التي تشير إلى نجم قريب من القطب الشمالي موقعه ثابت، ولذلك يستخدم للاهتداء به ليلاً، كذلك أبناء الأمة الذين يريد الشاعر مصافحتهم، هم هداة للناس، وثابتون على مبادئهم. وهم من فئة الكرماء الأخيار بدلالة (وجهه الندي) فالندي يرمز للخير والكرم والعطاء. ويستخدم الشاعر أسلوب النداء، فيقول:

«يا صاحبي ... هل مرّ من هنا غدي؟ / يا صاحبي... / لمحتته؟!»^(٢)

فيوظف الشاعر أسلوب النداء والاستفهام لينادي على صاحبه (الفرقد) ويسأله عن غده (هل مرّ من هنا غدي)؟ فيتحوّل بالغدّ من زمن مجرّد إلى شخص يمارس عملية المرور، فجسدّ من الغد صورة حركيّة لشخص يمرّ، وأقام علاقة بين الزمن الماضي والمستقبل، فاستخدم الفعل الماضي (مرّ) ليسأل به عن شيء سيحدث في المستقبل. وأضاف أفعالاً أخرى إلى هذا الغدّ، فيقول:

«وكان يسأل السماء عن غد؟ / ويشرب الصمت الثقيل من بحار السرمد؟ / يا صاحبي...
وقال إذ رآك في التلدد / هذي يدي؟!...»^(٣)

فيواصل الشاعر في تجسيم الغدّ فيجعل منه شخصاً يسأل عن (الغدّ)، وكلمة (غد) هنا تحمل دلالات خاصّة، فهي بالإضافة إلى أنّها تشير إلى زمن مستقبل، إلّا أنّها جاءت نكرة لتعبّر عن زمن محدد، وهو الزمن الذي تتحرّر فيه الأمة من الضعف والعجز والانكسار. ويمارس الغدّ عملاً آخر وهو شرب الصمت الثقيل من بحار السرمد. وهنا يحمّل الشاعر كلمة (الصمت) دلالات مكثّفة، فيجعل من الصمت الذي يشير إلى اسم معنويّ غير محسوس شيئاً محسوساً وله ثقل بدلالة (الثقيل)، ويتحوّل به إلى سائل يمكن شربه، فهو

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ٦٧.

(٢) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ٦٧/٦٨.

(٣) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ٦٨.

متوفّر بكثرة في بحار السّرمد. ويجعل الشّاعر من هذا الغدّ شخصًا إيجابيًا فهو يعرض على صاحب الشّاعر المساعدة عندما رآه في حيرة بدلالة (هذي يدي).

ومن ناحية فنيّة فإنّ هذه اللّوحة الشعريّة على قصرها، إلّا أنّها تعجّ بالحركة وبالصور الشعريّة، فنرى صورة لشخص شاخصه أبصاره للأعلى مادّا يده للفرقد، ويمسح وجهه التّديّ. ونشهد الصّورة الحركيّة في مرور الغدّ، ونرى صورة أخرى لشخص ينظر للسّماء ويسألها عن الغد. ويرسم الشّاعر صورة للغدّ وهو يشرب الصّمت من بحار السّرمد، وهي صورة مركّبة فيها الجمال والجدّة. وقد أكمل الشّاعر الدّائرة الشعريّة لهذه الفقرة بالعبارة التي بدأها بها (هذي يدي).

ويرى الشّاعر في المقطع الثّالث من هذه اللّوحة الشعريّة أنّ هناك بصيصًا من الأمل والضّوء في نهاية التّفق، فيقول:

«على ضفاف الغسق / بقية من ألقٍ / تلوذ فيه تتفي / أمواج ليل محدق / لمحتها كبيرق / أحمر لون الزنبق»^(١)

فيرسم الشّاعر صورة بالألوان للغسق، وهو بداية ظلمة اللّيل بعد الغروب، ويأتي بعد التّفق، ويجعل من الغسق نهرًا بدلالة كلمة (ضفاف)، فيرسم على ضفاف الغسق بقية من الألق الذي تركه الشّفق، وهذا الألق الذي يمثل الضّوء والأمل تلوذ فيه أمواج اللّيل بلونها الأسود، فتحاول هذه الأمواج السّوداء أن تختبئ في داخل ألق الغسق الذي لمحّه الشّاعر أحمر اللّون كالزّنبق.

وفي المقطع الرّابع من اللّوحة، يطلب الشّاعر من المواطن العربيّ أن يتحمّل، فيقول:

«تحمّل... / فمن أجل ألا يكون سقوط في بئر الفهاهه / وألا يموت حنين / وألا يحدّ سفار / وألا تهب بقلبك ريح الخريف / ... / ... / ومن أجل دنيا أحب وأجمل / تحمّل... / تحمّل»^(٢)

فيطلب الشّاعر من المواطن العربيّ أن يتحمّل، مستخدمًا أسلوب التّلميح المباشر عن طريق فعل الأمر الذي يفيد التّلميح (تحمّل)، وحذف المفعول به للفعل (تحمّل) للإبقاء على المعنى مفتوحًا على كل الاحتمالات؛ أن يتحمّل كلّ أنواع المصاعب والمصائب.

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ٦٨.

(٢) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ٦٨.

فعلية أن يتحمّل لأجل دنيا أحبّ وأجمل. وجاءت هذه الفقرة الشعريّة بسيطة من حيث اللغة والصّور، وأقرب إلى التّعبير المباشر.

وفي المقطع الخامس من اللوحة الشعريّة يطلب الشّاعر من الأُمّة التّمرد والانفجار، فيقول:

«يا من تنوح ولا تجار / فكّي دموعك والإسار / وتفجري... هذا زمن الانفجار»^(١)

فيخاطب الشّاعر أمّته العربيّة التي تنوح وتصرخ وتبكي ولا أحد يرثي لحالها أو يجيرها من العدوان أن تكفّف دموعها، وتتفجّر في وجه الأعداء، فليس لها أفضل من هذا الزمن لتفجّر ثوراتها في وجه الطّغاة والمحتلّين. ويقارن الشّاعر بين تضحيات الأُمّة من جهة وتضحياته وشعبه من جهة أخرى، فيقول:

«إن كنت ترضين النجوم / فإني أرثي النهار / أو كان حزنك جدولاً / فلدي يهدر كالبحار / شتات ما بين الدموع وبين دمي من سُعار»^(٢)

فيخاطب العجلوني الأُمّة أن تضحّي في سبيل حرّيّتها، ويضيف أنّ تضحياته وشعبه أكبر بكثير مما تقدّمه الأُمّة مجتمعة. فإن كانت الأُمّة تفقد بعض الأبطال من رجالها الذين ينيرون لهم درب الحرّيّة بدلالة (ترثين النجوم)، فإنّه وشعبه في فلسطين قد فقد الحرّيّة بأكملها، وفقد الوطن بأكمله بدلالة (أرثي النهار). وإن كان حزن الأُمّة بسيطاً كالجدول، فإنّ حزنه جارف ويهدر كالبحار، فشتات بين من تحدث له بعض الأحداث فتسبّب له البكاء بين الحين والآخر؛ وهذا حال الأُمّة العربيّة وبين من ينزف دمًا ليل نهار. وفي هذا إشارة إلى أنّ الأُمّة تتعاطف مع فلسطين وأهلها بالدموع والمشاعر بينما يضحّي أبناء فلسطين بأرواحهم ودمائهم. ويحاجج الشّاعر الأُمّة قائلاً:

«ماذا لو احتضر الأنين بحضن عاصفة / وتناثرت أوراق صبرك / في دروب الرياح / ... أترى ستبقين الزمان ونولك البالي يحوك الحلم / ليل... وهم! / صبح... ودم؟!»^(٣)

فيخاطب الشّاعر الأُمّة ماذا ستفعل إن عجزت عن الأنين بسبب إعصار سياسيّ، وماذا لو نفذ صبرها وتشتت في دروب شتّى؟ هل ستسعى لتحقيق حلمها بالتحرّر والرّقّي بأساليبها

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ٧٠.

(٢) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ٦٩.

(٣) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ٧٠.

البالية المتخلفة عن درب الحضارة بدلالة (نونك البالي). وهل سيبقى الدهر يقلب أزمانه عليها؛ إمّا ليلٌ يرافقه الهمّ (ليلٌ وهم) أو نهار يرافقه شلالات الدّم؟ فأمة تعيش بين الظلم والاضطهاد وأنهار الدّم، فما لها إلا الانفجار للتخلص من الظلم والظلام اللذين يعششان في تلابيها ويفرخان في تقاسيم حياتها.

وقد وظّف الشاعر بعض الصّور الفنيّة والبيانيّة من مثل: ترثين النّجوم كناية عن فقدان الأبناء والرجال الأبطال، وأرثي النّهار كناية عن فقدان الحرّيّة والوطن، والصّورة الصّوتية في يهدر كالبحار، وصورة احتضار الأئين، والصّورة الحرّكيّة في تناثر أوراق الصّبر، وصورة التّول البالي يحوك الحلم، وصورة اللّيل المصحوب بالهمّ كناية عن الظلم والطّغيان، وصورة الصّبح والدّم المرافق له كناية عن الحرّيّة وما يرافقها من شلالات دماء.

ويعود الشّاعر في الفقرة السّادسة إلى صاحبه الذي ناداه ب (يا صاحبي) في الفقرة الثّانية ليعبر عن رأيه وهو أنّ الجميع يبيعون طهر صوتهم في المزاد، فيقول:

«أنا وأنت / وكل من يلوك هذا الصمّت / وكل من يضحك هذا المقت / وكل من
ينفخ في حريق هذا البيت / وكل من (يعيش) وهو ميت / جميعنا... نبيع في المزاد طهر
الصوت»^(١)

فيوظف الشّاعر ثنائيّة المتكلّم والمخاطب في (أنا وأنت) ليجعل من نفسه ومن صاحبه الذي يشير إلى جميع أبناء الأمة شركاء في تحمّل مسؤوليّة ما يحدث للأمة من قهر وهوان، ويشرك معهما كلّ من يدمن الصمّت والسكوت عن الظلم والقهر، بدلالة (يلوك الصمّت). ويوظف أيضًا الثنائيّة في (يضحك / المقت) ليحدّد فئة أخرى ممن يتحمّلون المسؤوليّة، وهم الذين يضحكون ويضحكون النّاس في زمن القهر والمقت. ويستخدم ثنائيّة (الحياة والموت) المتمثّلة في كلمتي (يعيش) و (ميت) وقد وضع كلمة (يعيش) بين قوسين لإعطائها معنى خاصًا وهو: يعيش وفق العمليات البيولوجيّة التي لدى الكائنات الحيّة الأخرى، وكانّه غير موجود على مسرح الحياة، فهذا الذي يعيش وهو ميت أقرب إلى الأموات بسلبيته وعدم تحمّله مسؤوليّة تغيير الواقع السيء الذي (يعيش) فيه. كلّ هذه الفئات بأفرادها وجماعاتها يبيعون طهر صوتهم في المزاد، أي يضحون بأرائهم وأفكارهم ومواقفهم التي تحتاج إلى أن يرفع الإنسان عقيرته، ويصرخ بأعلى صوته طالبًا الحرّيّة والعدالة، لكنهم يتنازلون عن كل

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ٧٠.

ذلك مقابل منافع ماديّة بحته بدلالة (في المزاد). ويستخدم الشّاعر في نهاية الفقرة الأخيرة حرف الاستدراك (لكن)، فيقول:

«لكنني يا صاحبي لو شئت... لجزت نهر الصمت / أنا وأنت»^(١)

فيوظف الشّاعر حرف الاستدراك (لكن) ليستدرك فكرة جديدة على ما سبق قوله؛ وليعبّر عن رؤيته وهي أنّه رغم القهر والاضطهاد وأسباب الضّعف والهوان التي منيت بها الأمة، لكنّها إن شاءت تستطيع أن تغيّر واقعها وتعبر نهر الصمت الذي يرين على قلوب أبنائها، بدلالة (لو شئت). وقد أرجع الشّاعر تغيير واقع الأمة وما فيها من ضعف وانكسار إلى مشيئتها وليس إلى أسباب خارجيّة، وفي هذا تناصّ مع معنى قول أبي القاسم الشّابي:

«إذا الشعب يوماً أراد الحياة

فلا بدّ أن يستجيب القدر»^(٢)

وإذا تتبعنا التشكيل الفنيّ لهذه القصيدة لوجدناه متسقاً مع رؤية الشّاعر ويخدمها. فقد عبّر

إبراهيم العجلوني عن رؤيته في واقع الأمة وما هي عليه وفيه من قهر وهوان بقصيدة من شعر التفعيلة مكوّنة من ستّ لوحات فنيّة (فقرات)، وقد غاير في تفعيلة الفقرات الشعريّة فنجد في القصيدة ثلاث تفعيلات: (متفاعلن ب - ب - ب -) و (مستفعلن - - ب -) و (فعولن ب - -). وقد جاء ذلك وفق مسوّغات موضوعيّة؛ فجاءت الفقرتين الأولى والخامسة على وزن (متفاعلن ب - ب - ب -)، وفي كليهما يتوجه الشّاعر بالخطاب إلى الأمة العربيّة بصيغة المؤنّث؛ فنجد في الفقرة الأولى الألفاظ الآتية الدّالة على المؤنّث (تفقأي، ودمك، وأبكيك، وأطفالك)، وفي الفقرة الخامسة نقرأ الألفاظ (فكي، ودموعك، وترثين، وحزنك، وبينك). ويتحدّث في هاتين الفقرتين عن واقع الأمة فتنشر فيهما الأفكار السّوداوية والألفاظ السّلبية، ففي الفقرة الأولى نجد الألفاظ (تفقأي عيني، ودمك، وأبكيك، واحترق، وأطفالك الجوعى، والوثائق، واحترق)، وفي الفقرة الخامسة نجد الألفاظ والتّعابير الآتية: (دموعك، والإسار، والانفجار، وترثين، وأرثي، وحزنك، والدموع، ودمي، وسُعار،

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ٧٠.

(٢) الشّابي، أبو القاسم (٢٠٠٦)، الأعمال الشعرية الكاملة لأبي القاسم الشّابي، بيروت، دار العودة، د.ط، ص ٣٢٧.

والأسى). واتسم ٢٠ قصيدة (العنقاء ونيران طيء المظفأة)

نظم الشاعر إبراهيم العجلوني هذه القصيدة وأهداها إلى الأسيرة ريما طنوس، فيقول:
(إلى ريما طنوس في سجنها الرّهب غرب النهر)^(١).

ويعبّر الشاعر عن رؤيته وهي أنّ الأسيرة ريما طنوس ستبعث - كما العنقاء- من رماد
سجنها الرّهب لتجدّد نيران الثّورة التي يطفئها أبناء العروبة، فيقول:

«لكن (ريما) شمخت كالطود، فلنّت زوبعة / جدران الصبر الثلجي وشقت صدر الأغنية
/ (ريما) عنقائي العربية / وهج الصحراء بها يغزو خلف الغزلان الوردية / أنسام الفجر
بها تزهو، تتناول كبراً علويّاً»^(٢)

فيرسم الشّاعر صورة حيّة لريما طنوس بكلّ كبرياتها تتحدّى الجلاّد الصّهيونيّ بدلالة
(شمخت كالطود). ويوظّف العجلوني أسطورة العنقاء^(٣) ليعبّر عن رؤيته في أنّ ريما ستنهض
من رماد سجنها، كالعنقاء، لتجدّد النّضال ضدّ دولة الاحتلال. وقد أضاف كلمة (عنقاء)
إلى ياء المتكلم (عنقائي) للدلالة على المكانة السّنيّة التي تحتلها هذه العنقاء (ريما) في
قلبه. ووصفها بالعربيّة في دلالة على أنّ (ريما) قامت بهذه العمليّة بدافع قوميّ عروبيّ، فهي
مناضلة عربيّة تشارك زملاءها من أبناء فلسطين في عمليّة عسكريّة داخل فلسطين المحتلّة
تهدف إلى إطلاق سراح مناضلين فلسطينيين وأردنيين من داخل سجون الاحتلال. ويرى
الكاتب أنّ فكرها العروبيّ بدلالة (وهج الصحراء) دفعها لتسير على درب المقاومة (خلف
الغزلان الوردية). ويضيف أنّ ريما أصبحت رمزاً للنّضال ضدّ الاحتلال والطّغيان بدلالة
(أنسام الفجر) التي تشير إلى نفحات الحرّيّة التي سيرتها مزدهية بها. ويرسم الشّاعر ريما
وهي تتناول كبراً على الكيان الصّهيونيّ الغاصب، وتعلو فوق هامته. ويخاطب الشّاعر

(١) ريما طنوس: مناضلة عربيّة من الأردن اشتركت في اختطاف طائرة لشركة سايبنا الإسرائيليّة البلجيكية
عام ١٩٧٢ وكان على متنها ١٠٠ مسافر يهودي، حكم عليها القضاء الصهيوني بالسجن المؤبد، وأفرج عنها
في عمليّة تبادل أسرى عام ١٩٨٢. انظر الموقعين الإلكترونيين:

<https://www.ida2at.com/sabina-571-when-fought-black-september-in-the-heart-of-the-occupie^territories>
<http://www.belarabinews.net/ar/news/233991.html>

بالعربي - شبكة عربيّة إخبارية بتاريخ ٢٠١٨/٥/٨

(٢) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ٨٨.

(٣) إمام عبد الفتاح إمام (د.ت) معجم ديانات وأساطير العالم، مج ٢، القاهرة: مكتبة مدبولي، د.ط، ص ١٢٧.
١٢٨.

(ريما) مبدئياً أسفه لأنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً لإنقاذها من الأسر، فيقول:

«ريما، ما أمري بيدياً / قد يحلو الهمس على أبواب مدينتنا، للحارس / والمومس
والسّجان / قد تحلو اللقمة يا ريما لكن لكلاّب السلطان / وأنا يا أخت الغربة والأحزان
/ بالنسعة شدوا لي صوتي ورموني في الجب وقالوا: / عجب ما قولوا يا أختي، قد كان
عذابي مقضياً»^(١)

فيستهلّ الشاعر هذا المقطع من الفقرة الشعريّة الأولى بتقديم اعتذار غير مباشر للأسيرة
ريما طنوس بدلالة (ما أمري بيدياً)، أي أنه فاقد القدرة على تقديم أيّ شيء لها، لأنّ الأمر
بيد آخرين لم يذكرهم الشّاعر ويفهمون من السّياق. واستخدم الشّاعر أسلوب النداء وحذف
الأداة للدلالة على أنّها قريبة جدّاً منه، وأنّ لها منزلة سنّية في قلبه وفي وجدانه.

ويرى الشّاعر أنّ الأفواه مكّممة، ولا يستطيع أيّ شخص أن يصرخ معبراً عن رأيه، ولكن
الكلام مسموح لفئات محددة وهم (الحارس والمومس والسّجان). ويضيف قائلاً إنّ الهبات
والعطايا تمنح بسخاء بدلالة (قد تحلو اللقمة) ويستخدم حرف الاستدراك (لكن) للدلالة
على أنّ هذه اللقمة تحلو لفئة واحدة فقط وهم (كلاّب السلطان). ويستخدم ضمير المتكلم
الدّال على الفرد (أنا) والمندغمة مع (نحن) الجمعيّة التي تمثل عمّة الشعب للدلالة على
أنّ الشعب ليس فقط يعيش في غربة وأحزان، إنّما هو الغربة والأحزان بحدّ ذاتها بدلالة (وأنا
يا أخت الغربة والأحزان). ويوظّف الشّاعر بُعدين من أبعاد التّراث ليعبّر عن مصادرة حريّة
الكلمة؛ فوظف التّراث الأدبيّ في قوله (بالنسعة شدوا لي صوتي)، وفي هذا تناصّ مع قول
الشّاعر عبد يغوث بن الحارث:

«أقول وقد شدوا لساني بنسعة

أمعشر تيم أطلقوا عن لسانيًا»^(٢)

فيوظّف الشّاعر هذا البيت لعبد يغوث بن الحارث عندما أسره بنو تميم، ورفضوا أن
يفتدي نفسه بماله، وربطوا لسانه بنسعة خوفاً من أن يهجوهم. فوظّف الشّاعر فكرة شدّ
اللسان وربطه بنسعة ليمنعوا الشّخص من التّكلم والتّعبير عن رأيه.

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ٨٩.

(٢) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ٨٩.

كما وظف جانبًا من التراث الديني المتمثل في القصص القرآني المتضمن في إلقاء يوسف - عليه السلام- في الجب من قبل إخوته، حيث يقول الله تعالى: «لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب إن كنتم فاعلين»^(١). وكانت كل تلك العذابات التي يكابدها الشاعر المتحد مع (نحن) الجمعية مخطط لها ومتخذ فيها القرار بدلالة (قد كان عذابي مقضيًا).

وينتقل الشاعر إلى الفقرة الثانية ونظمها من شعر الشطرين، فيقول:

«من الحسنة ترفل بالحرير

ممنعة الغدائر والخدور

تتبه مواضع الأقدام فخراً

بخطوتها، وتعبق بالعبير

وتقهر دون نعلها المنايا

ذليلات ويعصف بالمصير»^(٢)

فيصف الشاعر (ريما) بأنها حسنة تعيش حياة مرفهة بدليل (منعمة الغرائر والخدور)، وأنها ابنة عز وفخار، فجعل من موضع قدميها حين تخطو يتيه فخراً، وتنتشر رائحة العطر التي تبعق بها. ولعزتها وأنفتها، فإنها تقهر المنايا وتضعهن تحت نعلها وهن ذليلات بدلالة (وتقهر دون نعلها المنايا ذليلات). ويتحوّل الشاعر في شخصيّة ريما، فيقول:

«ريما؟ من يسأل خلف الباب

عن ريما، ريما لم تأت

ريما عاصفة يا حباب

قد تأتي اليوم ولا تأتي

راحت تعدو والدرب ضباب

وبها فجر العالم يأتي

(١) القرآن الكريم، سورة يوسف، آية ١٠.

(٢) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٨٩.

اليوم أديم الأرض خراب

والمقت تسربل بالمقت»^(١)

ويجسد الشاعر شخصاً يسأل عن ريما من خلف الباب، فيجيبه الشاعر: إنها لم تأت بشكلها وحضورها البشري، لأنها تحولت إلى عاصفة لا وقت محدد لقدمها بدلالة «قد تأتي اليوم ولا تأتي». إنها تعدو مسرعة في طريق غير واضح المسالك بدلالة (والدرب ضباب)، ولكن سيأتي فجر العالم على يديها؟ أي ستبغ بها شمس الحرية. واليوم وجه الأرض خرابٌ حزين على أسر ريما، والكون مسودّ فالمقت تسربل بالمقت، وكأنّ الحياة حزن يرتدي حزنًا أكبر وأكثر سوادًا.

ويعود الشاعر في الفقرة الثالثة لمخاطبة (ريما) معترًا، فيقول:

«ريما، ما أمري بيديا / كانت مطفاة نيران الطائي / فتاه عن الحي الفرسان / والصيحة يا ريما ردتها الكئيبان»^(٢)

فيعيد الشاعر اعتذاره لريما عن قصوره غير المتعمد بدلالة (ما أمري بيديا)، ويضيف أنّ الأمة العربية أسقطت حالة الحرب مع العدو، فتاه الجنود عن ساحة المعركة. وقد وظّف الشاعر التراث العربيّ المتمثل بشخصية (حاتم الطائي) الذي كان يأمر غلماناه بإشعال النيران على رؤوس الجبال المجاورة كي يهتدي لموضع قبيلته سراة الليل فيكرم نزلهم^(٣). وفي ذلك إشارة إلى أنّ الأمة العربية تخلت عن قيم الكرم والفروسية العربية الأصلية بدلالة (مطفأة نيران الطائي)، فاتجه فرسانها إلى أحياء آخر. وبما أنّ الفرسان قد رحلوا أو تلاشوا من ساحات القتال، فإن الكئيبان الرمليّة هي التي تردّ صرخات الأمة واستغاثاتها.

وبما أنّ فرسان الأمة قد ضلّوا الطريق، ولا يستطيعون الذود عن دمار الأمة، فلا بدّ لرجالها الغيورين عليها من أخذ المبادرة والبدء بالعمل، فيقول الشاعر:

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ٩٠.

(٢) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٩٠.

(٣) كان حاتم الطائي يعد غلامه بالعتق إذا جلب ضيفًا، يقول:

«أوقد فإن الليل ليلاً قرُّ والريح يا موقد ريح صرُّ
عسى يرى نارك من يمرُّ إن جلبت ضيفًا فأنت حرُّ»^(٤)

(٤) سالم، السيد عبد العزيز (١٩٦١م)، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، بيروت، دار النهضة العربية،

د.ط، ص ٤٤٢/٤٤٣.

«لم يبقَ أمامي غير الله، وهذا السيف، فقلت أغير / لعلّ، فقد يصحو الإنسان / قد يصحو
يا ريما الإنسان...»^(١)

فلقد استنفد الشاعر جميع الوسائل لحضّ الأمة بجيوشها الجرّارة على أن تدافع عن فلسطين وأبنائها، فما كان منهم إلا أن أطفئوا نيران القرى، وضلّت فرسانهم عن درب المواجهة والتحرير، فتخلّوا عن فلسطين وعن أبنائها، فقررّ الشاعر أن يبادر بفعل ما تخلّوا عنه، وهو مواجهة الأعداء، فلم يجد إلا الله يستمدّ منه القوّة والعزم والإيمان، ولا يملك إلا سيفه يكرّ به على الأعداء بدلالة (فقلت أغير). واستخدم الشاعر حرف الترجي (لعلّ) وحذف اسمه وخبره وتركهما لتفسير المتلقّي. لقد قرّر استخدام السلاح ليغير به على العدو، لأنّ الإنسان ممثلاً بما يسمى بالرأي العامّ العالمي لا يفقه غير لغة القوّة، ولا يصحو إلا على صوت السلاح بدلالة (فقد يصحو يا ريما الإنسان).

فرى أنّ الشاعر عبّر عن رؤيته بقصيدة مكونة من ثلاث فقرات شعريّة، زواج فيها بين شكلي الشعر العربيّ: شعر الشطرين وشعر التفعيلة. ونظم الفقرتين الأولى والثالثة على شكل شعر التفعيلة مستخدماً وزن تفعيلة (فاعلن - ب -) وزحافاتهما وجاء الشكل الفنيّ في الفقرتين واحداً لأن الأفكار الرئيسيّة فيهما متقاربة. ففي الفقرة الأولى تحدّث عن (ريما) كنعقاء ستنهض من بين الرّماد لتحارب الأعداء، وتحدّث عن دور النّظام العربيّ في مصادرة صوته والتأمّر على ثورته بدلالة (ورموني في العجب). وعاد في الفقرة الأخيرة ليتحدّث عن دور النّظام العربيّ في قمع نيران الثّورة (كانت مطفأة نيران الطّائي). وانبعث العنقاء تقاوم الاحتلال من جديد، وتمثّلت في هذه المرّة بسيف الشّاعر وسلاحه الذي قرّر أن يغير به على الأعداء.

أمّا الفقرة الشعريّة الثّانية فجاءت مغايرة من حيث الشّكل الفنيّ وعلى بحرین مختلفين؛ فهذه اللّوحة مكوّنة من سبعة أبيات شعريّة. نظمت الأبيات الثلاثة الأولى فيها على وزن البحر الوافر (مفاعلتن / مفاعلتن / فعولن) في كل شطر، وجاءت الأبيات الأربعة الأخرى على وزن البحر المتدارك (فاعلن / فاعلن / فاعلن / فاعلن) في كل شطر. ولكن، هل جاء هذا الشّكل العروضيّ عفو الخاطر، أم للاستعراض الأدبيّ والتّرف الشعريّ، أم لأسس ومسوّغات موضوعيّة؟

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ٩٠.

تختلف هذه الفقرة الشعريّة عن الفقرتين الأولى والثالثة في أنّ الشاعر خصّصها بالكامل للحديث عن ريما فجاءت مستقلة في شكلها العروضي، فاختر لها الشكل العموديّ (شعر الشّطرين) وتحدّث في الأبيات الثلاثة الأولى التي نظمها على وزن البحر الوافر عن ريما كحسنا يليق بها الحسن والدّلال بدلالة (من الحسنا ترفل بالحرير) وبدلالة (وتعقب بالعبير). وتحمل هذه الأبيات تأثراً برائية المنخلّ الإشكري، ويشكل البيت الأول تناسلاً مع بيت في الرّائية يقول فيه:

«ولقد دخلت على الفتاة الخدر في اليوم المطير

الكاعب الحسنا ترفل في الدمقس وفي الحرير»^(١)

فاستخدم الشاعر الألفاظ الدّالة على الحسن والدّلال (الحسنا/ ترفل/ الحرير/ الخدور) اللّذين كانت ريما تتمتع بهما في حياتها عند أهلها قبل الاعتقال، فجاء الشاعر ببحر الوافر بتفعيلاته الطويلة الهادئة التي تتناسب مع هدوء الحياة لفتاة حسنا ترفل بالحرير، وشهدت الأبيات الأربعة الأخيرة تحوّلاً في البحر العروضي، فاستخدم الشاعر تفعيلات البحر المتدارك (فاعلن) وزحافاتا وهي تفعيلة قصيرة سريعة الحركة تتناسب مع التحول الذي طرأ على شخصيّة ريما في القصيدة، إذ تحوّل بها من فتاة ذات حسن ودلال إلى عاصفة قد تأتي سريعة لتضرب وتدمر صفوف الأعداء (ريما عاصفة يا حباب) و (راحت تعدو والدرب ضباب)، فنلاحظ هنا سرعة الحركة في الأفعال (راحت وتعدو) مما يتناسب مع سرعة الإيقاع الموسيقيّ في تفعيلة البحر المتدارك (فاعلن).

مما تقدّم نستنتج أنّ الشاعر وظّف التّعير في الشكل الفنّي والتنوع الإيقاعيّ في التّفعيلات وفي الأبحر كأسلوب يتسق وينسجم مع التّعيرات في الأفكار والصّور الفنّيّة المرسومة.

قصيدة (البعد المشروخ)

يعبّر الشاعر إبراهيم العجلوني في قصيدة «البعد المشروخ» عن رؤيته وهي أنّ «صريع الوهم»؛ من يريد أن يحصل على الأشياء السّامية دون الإعداد لها، يسقط في البعد المشروخ الذي يهوي به إلى أدنى الدّرجات.

ويتساءل الشاعر: كيف يمكن أن نصل إلى غدنا المنشود في ظلّ الوضع الحاليّ؟ فيقول:

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ٩٠.

«من أين يجيء الزمن المفقود، وهذا الليل تَلْفَعُ / بالصمت القارس؟ / من أين وحمل قرون هَدَّ الصبر وعَلَّمَ الحب البائس / من أين وحظك مَقْرود عابِس»^(١)

فيوظف الشاعر أسلوب الاستفهام، وي طرح العديد من الأسئلة ليعبر عن فكرته، وهي أننا لن نستطيع الوصول إلى الزمن المنشود الذي تستعيد فيه الأمة مكانتها (الزمن المفقود) بسبب هذا الظلم والظلام (الليل) الذي لاذ بصمت قارس، وبسبب ما تحمله الأمة من عبء قرون من الظلم والظلام أطاح بصبر الأمة بدلالة (هدَّ الصبر)، وأدخل اليأس إلى قلوب الناس بدلالة (وعلمك الحب البائس)، عطفًا على حظ الأمة البائس بدلالة (حظك مَقْرود عابِس).

وقد تحوّل الشاعر بالزمن من شيء معنويّ غير محسوس إلى شيء ماديّ محسوس بدلالة (مفقود)، وشبّه الصمت بغطاء يتلفع به الليل، وفي ذلك إشارة إلى أنّ الأنظمة السياسيّة القمعيّة بدلالة (الليل) تمتطي صهوة الصمت البارد جدًّا. ويستخدم الشاعر التعبير العاميّ (الحظ المَقْرود) للدلالة على الحظ السيّء جدًّا للأمة. ويواصل الشاعر استخدام أسلوب الاستفهام، فيقول:

«هل يومض شيء بعد، وهل يحدوك هوىّ هاجس؟ / أم هل يترأى في برد الصحراء لعينيك لظى راقص؟»^(٢)

فيجسّد الشاعر صديقًا افتراضيًّا لي طرح عليه الأسئلة، فيتساءل إن بقي بصيص من الأمل في ظلّ هذه الظروف بدلالة (يومض شيء بعد)، وهل سيأتي دفء من صقيع الصحراء التي تغلغت وأوغلت في شرايين الأمة؟! ويطلب الشاعر من صاحبه أن يواصل حديثه معه، فيقول:

«... فحدثني / عن ذكرى الغدّ / وعن القيد الحلم أو الحلم القيد / وعن السّجان، عن الحارس / فحديثك يوقظ عزم الموت وأحزان الفجر الدّامس / وحديثك زيتٌ فوق النار / ولحنك من جرحي قابس.»^(٣)

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٨٥.

(٢) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٨٥.

(٣) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٨٥.

فيريد الشاعر من صاحبه أن يحدثه عن الوضع البائس الذي تعيش فيه الأمة؛ عن ذكرى الغد، وهنا يجعل الشاعر من الغد الذي يطمح إليه الناس ذكرى ماضية؛ أي أن هذا الغد الذي يحمل حلم الناس صودر وأمسى جزءاً من الماضي الذي لا يعود. ويريد منه أن يحدثه عن حلم الناس الذي أمسى قيئاً يحد من خطاهم ومن حركتهم بدلالة (عن القيد الحلم أو الحلم القيد)، وعن السجان وعن الحارس، والسجان هنا هو الحاكم الذي يأمر بسجن المعارضين لسياساته ونظامه، والحارس هو الذي ينفذ أوامر السجان. فحديثه المحزن الشجي يوقظ في نفس المواطن العزم الذي يساعده على مواجهة الموت المحقق به وتخطي الصعوبات التي تواجهه في مواجهة الفجر المعتم (الدامس). وهنا يتحول الشاعر بالفجر الذي من خصائصه الإضاءة والإنارة، ويرمز لبزوغ فجر الحرية إلى زمن أسود مظلم (دامس) بسبب الأوضاع البائسة السائدة. وحديثه يؤجج روح الثورة في نفسه بدلالة (زيت فوق النار)، وأنه يستمد أناشيده الوطنية من جراحه وجراح زملائه (ولحنك من جرحي قابس).

ويرسم الشاعر في هذه الفقرة العديد من الصور الفنية التي تدل على البؤس والشقاء من مثل صورة الليل يتلفع بالصمت القارس، والصورة الحركية العملية في (هدد الصبر)، وصورة الحظ المقروء العابس، وصورة بصرية لشيء يومض، وصورة اللظى الراقص في برد الصحراء، وصورة القيد الحلم، وصورة السجان، وصورة الحارس، وصورة لفجر دامس غارق في الظلام، وصورة الزيت يصب فوق النار.

ويوجه الشاعر خطابه لشخص يتبغى العلا والمجد دون العمل والإعداد لهما، فيقول له:

«ألا أيهدا أتبغي النجوم؟

ودون بلوغ النجوم الرجوم

وتطمع يوماً بذات الجمال

وكل سلاحك صوت رخيم

عجبت لغفلة عقل منير

وحررت لصرخة قلب كلیم»^(١)

فيخاطب الشاعر هذا الشخص أنه لا يمكن أن يحصل على العلا والمجد (أتبغي النجوم) ودون ذلك الموت والهلاك، وأنه يريد أن يفوز بذات الجمال (الحرية) بالشعارات والأقوال

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٨٦.

بدلالة (كل سلاحك صوت رحيم)، فيعجب من تفكير هذا الشخص وغفلته عن إدراك الطريق الصحيح وهو ذو العقل المنير. ويضيف الشاعر مخاطبًا هذا الشخص:

«قعدت ولكن بشوقٍ جديد

ووعد جديد وراء الغيوم

وبات سميرك ليل السهاد

وبات صريع الأسى والهموم

وجومٌ مقيمٌ / وصمتٌ كظيمٌ / وكربٌ عظيمٌ / ونفس تلوم...»^(١)

فيخاطب الشاعر هذا الطامع المتواكل أنه قعد عن العمل لتحقيق طموحاته، ولا يزال يمني النفس بالأمال العظيمة بدلالة (وعد جديد وراء الغيوم)، وهذا سبب له القلق الدائم بدلالة (سميرك ليل السهاد) وسبب أيضًا صراعًا دائمًا مع الأسى والهموم، وغلف وجهه وجوم دائم، وأطبق عليه صمت كظيم، وأوقع نفسه في كرب عظيم وصراع داخلي عنيف بدلالة (ونفس تلوم).

فاستخدم الشاعر في هذه الأبيات الأفعال التي لا تدل على حركة وحيوية ونشاط من مثل: قعد، وبات. واستخدم أيضًا تعابير ذات توازن صوتي وتدلل على الأسى والحزن والألم من مثل (وجومٌ مقيمٌ، وصمتٌ كظيمٌ، وكرب عظيم).

ويرى الشاعر أن من يعمل ويضحى في سبيل وطنه يضحك ويسعد في النهاية، فيقول:

«في البعد الأقصى يشحب لون الشعر وتصفرُّ الظلمات / ورفاتك يزحم ألف رفات / فأضحك إن شئت معي، / وأرقص إن شئت وناج .. أطياف الأموات / هذا ميدان العشق، الشوق، الثأر، القهر... / وميدان الضحكات»^(٢).

(فأضحك وأرقص: كذا وردتا)

فيرى الشاعر أن المنافي (البعد الأقصى) تغيّر الأشياء؛ فبيّدت لون الشعر فيها، فالمنفى قد يمنع الشاعر من التعبير بسجيّة صادقة عن حبه لوطنه، حتى الظلمات تغيّر لونها الأسود فتصفرّ، ولا تعود تلك الظلمة التي تبعث السكينة والهدوء. وفي المنفى يكون المنفى واحدًا

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٨٦.

(٢) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٨٦.

من المنفيين الذين لا وزن لهم بدلالة (ورفاتك يزحم ألف رفات)، فموته يمسي موتاً عادياً لا يثير ضجة أو مشاعر، لأنه واحد من ألف رفات، ثم يطلب تحقيق السعادة إماماً بالنصر أو الشهادة، أو أن يعيش حياته كالأموات ويناجي طيفهم، ولتوكيد فكرته فإن الشاعر يميز بين نوعين من الميادين: الأول ميدان التضحية في سبيل الوطن بدلالة أنه ميدان العشق (عشق الوطن)، والشوق (شوق المنفي لوطنه)، والثأر (الثأر ممن اغتصبوا الوطن واحتلوه). والقهر (القهر الناتج عن ظلم الاحتلال وقهره). والميدان الثاني هو ميدان الفرح والسعادة التي تتحقق على أرض الواقع في الميدان الأول (الضحكات). ويضيف الشاعر قائلاً:

«وهنا تنجح كل الأدوار

وهنا تخفق كل الأدوار»^(١)

فيرى الشاعر أن في ميدان الوطن والتضحية في سبيله قد ينجح الإنسان الذي يريد بنية صادقة أن يضحّي ويجتاز الدور المطلوب. وقد يخفق فيه بعض الناس إذا آثروا التهاوت على المال والمناصب والسلامة الفردية على حبّ الوطن والتضحية في سبيله. ويكمل الشاعر فكرته، فيقول:

«وهنا يتماسك هذا الزيف، هنا ينهار / فتعال، وقصّ عليّ أساك ورشّ الهمّ بساح الهم /
وللبس دورينا في عرس الدم / فجميل أن يختار السمّ رضيع السم / وجميل أن يسقط في
البعد المشروخ صريع الوهم.»^(٢)

وتشير كلمة (هنا) إلى الوطن وساحة النضال لأجله. وفي هذا الميدان يتماسك مزيفو المشاعر الوطنية، ويتقنون لعب الدور، ولكن زيفهم قد ينهار فجأة، فعند لقاء العدو يمحّص المخلص من الزائف. ويدعو الشاعر صاحبه أن يأخذا دوريهما في العرس الوطني؛ عرس التضحية والفداء، وأن يكون ذلك اختياراً واعياً بدلالة (أن يختار السمّ رضيع السمّ)، والأجمل منه أن يسقط في البعد المشروخ صريع الوهم الذي يتخيل أنه يمكن تحرير الوطن دون تضحيات.

ويستخدم الشاعر في هذه الفقرة أفعالاً تدلّ على الحركة تناسب مع روح التضحية التي يريد أن يوصلها الشاعر للمتلقّي، فنجد الأفعال الآتية: (يتماسك، وينهار، وتعال، وقصّ،

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٨٦.

(٢) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٨٧.

ورش، ولبس، ويسقط). ويرسم الشاعر العديد من الصور التي تتناسب مع فكرته، فيرسم صورة معنوية لتماسك الزيف، وأخرى لانهباره، وصورة لشخص يرش الهم، فيتحول الشاعر بالهم من اسم معنوي مجرد إلى اسم مادي على شكل سائل قابل للرش، وصورة رضيع يشرب السم، وصورة عرس الدم الذي يدفع ضريته الشهداء من أبناء الأمة. ومن ناحية فنية، فقد عبّر الشاعر عن رؤيته بقصيدة من ثلاث فقرات شعريّة، غاير في الشكل الفنيّ للفقرات وفي نوع التفعيلة ليتواءم مع الأفكار التي يعبر عنها في هذه الفقرات. فجاءت الفقرة الأولى من شعر التفعيلة على وزن (فاعلن - ب-)، ويتحدّث فيها عن الوضع البائس الذي يعيشه الشعب وما يعانيه من ظلم واضطهاد واحتلال. ويتحول الشاعر بالشكل الفنيّ في الفقرة الثانية، فجاءت من شعر الشطرين على وزن البحر المتقارب بتفعيلة (فعولن ب - -) وعبر فيها عن فكرة تمثّل جزءاً من رؤيته، وهي أنّ من يطمح إلى تحقيق الأماني العالية وتحرير أمته ووطنه دون الإعداد له سيسقط صريعاً في آبار الوهم. ومازج الشاعر بين شكليّ الشعر: الشطرين والتفعيلة في الفقرة الثالثة. فاستخدم تفعيلة (فاعلن) في الأسطر الأولى من الفقرة ليعبر عن فكرة أنّ الإنسان إمّا أن يضحّي في سبيل وطنه، ويحيا لأجله، وإمّا أن يعيش مع أطياف الأموات. ثم يأتي الشاعر ببيت واحد من شعر الشطرين من بحر الكامل (متفاعلن) ليعبر عن أنّ ميدان الوطن يحدّد النجاح أو الإخفاق في الأدوار التي يمارسها المواطن. ويعود الشاعر في الجزء الثالث من الفقرة بنمط شعر التفعيلة على وزن (فاعلن) وفيه يناشد صاحبه أن يأخذا دوريهما في عرس الدم مؤكداً فكرته أنّ صريع الوهم يسقط في البعد المشروخ.

فرى أنّ التغيّر في التشكيل الفنيّ في فقرات القصيدة جاء متسقاً مع رؤية الشاعر والأفكار التي بثّها فيها للبرهنة على صحّة رؤيته.

قصيدة (أغنيات للحبّ والأمل)

الشاعر إبراهيم العجلوني في قصيدته «أغنيات للحبّ والأمل» من ديوان «وحيماً نلتقي» يجسّد رؤيته، وهي أنّ الحبّ الحقيقيّ والصادق هو حبّ الوطن والأرض، أمّا حبّ الناس فزائف.

فيعبّر الشاعر في المقطع الأول (الفقرة الأولى) عن يأسه من حبّ الناس، فيقول:

«وقفت مع اليأس جنباً إلى جنب

وناديت (يا ناس) في كل درب

ألا من يبيع شعاعة حبّ

بمالي وروحي وشعري وقلبي»^(١)

لقد وصل الشاعر إلى أقصى درجات اليأس من الحصول على ودّ النَّاس وحبّهم فوقف ينادي فيهم باحثاً عن الحبّ الحقيقيّ الصادق. ويضيف أنّه مستعدّ لدفع ماله، وروحه، وإبداعه (شعره) وقلبه مقابل الحصول على لحظة حبّ صادقة بدلالة (شُعاعة حبّ).

وعندما يفشل الشاعر في إيجاد الحبّ الصادق بين النَّاس، أخذ يبحث عنه بين الأطيّار، فيقول في المقطع الثاني من هذه اللوحة الشعريّة:

«فهاك جناحك المكسور أجبره

برمش العين في حبّ وتحنان

وهاك فؤادي المصدوع حطّ به

رحال أساك فأنت رفيق أحزاني

وليس كصحبة الأطيّار في زمن

مشاعرُ ناسه أحرى بغيلان»^(٢)

فيعرض الشاعر على الطائر أن يساعده في جبر جناحه المكسور بحبّ وتحنان، ويعطيه قلبه المصدوع ليحطّ به رحال الحزن والأسى المشترك بينهما بدلالة (فأنت رفيق أحزاني). وفي ختام هذا المقطع يقدم الشاعر رؤيته في الحبّ بين النَّاس، فيقول: إنّ خير صحبة هي صحبة الأطيّار في هذا الزمن الذي تحجّرت فيه مشاعر النَّاس وأصبحت لا تليق إلا بالوحوش الخياليّة كالغيلان التي يضرب بها القول في القسوة والطّمع.

ويجسّد الشاعر في الفقرة الثالثة من الوطن امرأة يفرّغ في حبّها كلّ مشاعر الحبّ، فيقول:

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ٩٣.

(٢) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ٩٣.

«لماذا أنت؟ / سرُّ لا أطيع له كشفًا، ولا أنفك أخفيه / فقبلك لم يكن عمُرٌ، فمن تيه إلى تيه / وقبلك لم يكن مطر / ولا زهرٌ / ولا شجرٌ / وقبلك لم يكن قمر»^(١)

فبدأ الشّاعر هذا المقطع من اللّوحة سؤال موجّه إلى ضمير المخاطب المفرد المؤنث (لماذا أنت)؟ وحذف خبر المبتدأ (أنت) وأودعه في العبارة اللاحقة (سرُّ) فهي سرُّ لا يحتمل أن يكشف عنه لخطورته، ولا أن يحافظ على إخفائه لثقله عليه. ويواصل الكشف عن شخصيّة المخاطبة في الضمير (أنت)، فقبلها لم يكن لعمره قيمة، وكأنّه يعيش في حالة موات، لأنّه كان ينتقل من منفي إلى منفي، ومن ضياع إلى ضياع بدلالة (من تيه إلى تيه)، وقبلها كان يشعر أنّ الحياة قد توقفت والكائنات قد أسلمت روحها للفناء؛ فلا مطر، ولا زهر، ولا شجر ولا قمر. ويشي مجمل العبارات السّابقة والعبارات اللاحقة إلى أنّه يخاطب شيئًا غير كيانه وحياته عندما جاء، ألا وهو الوطن (فلسطين) ويوضح أثر غياب الحبيبة عنه، فيقول:

«وكان القلب مصلوبًا على الأشواك تدميه / وكان الليل بعد الليل يضيئه»^(٢)

فقد كان الشّاعر، كفرد من الشعب، يلاقي أقصى درجات العذاب بدلالة (وكان القلب مصلوبًا على الأشواك)، والصّلب على الأشواك يعطي شعورًا مضاعفًا بالعذاب ومقاومته تحتاج إلى صبر كبير وقدرة عظيمة على التّحمل. وكان في غيابها يتعرض للذل، والهوان، والتّعب الذي يقاسيه في ظلّ الاحتلال والأنظمة السّياسيّة في دول المنافي بدلالة (والليل بعد الليل)، ولكن عندما حضرت الحبيبة (فلسطين) تغيّر كل شيء، فيقول:

«وها قد جئت، ها قد جئت باسمه تناديه / فيا لمواسم الأفراح كيف تؤم وحدته / تسليه وتنسيه / جرائر دهره فيه»^(٣)

فيرسم الشّاعر لنا صورة الحبيبة قادمة له تنادي قلبه، فتتوالى عليه مواسم الأفراح تؤم وحدته، وتسليه، وتنسيه الجرائم التي ارتكب بحقّه. وقد أسندت الجرائر التي اكتوى بها إلى الدّهر وليس إلى جهة محددة، لبيان كثرة هذه الجرائر وتعدّد مسبّبها، وكأنّها دم قتيل ضاع بين القبائل.

ويعبّر الشّاعر في الفقرتين الرّابعة والخامسة عن أمنيّاته في علاقته مع الحبيبة (فلسطين) فيقول في الفقرة الرّابعة.

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ٩٤.

(٢) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ٩٤.

(٣) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ٩٤.

«يا ليتنا طفلان يلهوان خلف حائط عتيق / ضلاً عن الدنيا/ وضيّعاً الطريق... / يا ليتنا طفلان يعدوان في المدى / ويسخران بالردي / ويملآن سمع الدنا / بفرحة الدماء والغنا»^(١)

فيكرّر الشاعر أسلوب التّمنيّ مرتين في (يا ليتنا طفلين...) ويجسّد من محبوبته (فلسطين) طفلة يتمنى أن يلهو معها خلف حائط عتيق كناية على سياج الحدود التي فرضها الاحتلال. وفي المرّة الثّانية يتمنى أن ينطلقا بحريّة بدلالة (في المدى) ويسخران من الموت (الردي) ويُسمعان الكون فرحة لقاتهما.

ويوظّف الشاعر في الفقرة الخامسة أسلوب التّمنيّ باستخدام كلمة (لو)، فيقول:

«لو أستطيع خلق أجدية جديدة / تحمل بعض لهفتي / وبعض بعض غربتي / لكنك يا أميرتي.. / سيرت في كل البحار / سفائنا مشروعة القلوع / عابقة بالورد والأشعار / والشوق والحنين والدموع»^(٢)

ويواصل الشاعر في هذه الفقرة استخدام أسلوب التّمنيّ باستخدام كلمة (لو) وهي حرف شرط غير جازم يفيد التّعليق في الماضي أو المستقبل، ويستعمل في الامتناع أو في الإمكان؛ امتناع الجواب لامتناع الشرط، وخرجت هنا من معنى الشرط إلى التّمنيّ، فالشاعر يتمنى أن يستطيع خلق وسيلة جديدة للوصول إلى محبوبته (فلسطين) ليسير إليها في كل البحار سفناً مشرعة القلوع (الأشريعة) تعبق بالورود، والأشعار، والشوق، والحنين، والأشعار. وفي هذه الأسطر الشعريّة يعبر الشاعر عن كل ما في نفسه من مشاعر وأحاسيس وأشواق وحنين تجاه الحبيبة (فلسطين).

ويعبر الشاعر في الفقرة (الأخيرة) عن أقصى درجات العشق للحبيبة (فلسطين)، فيقول:

«تجاوزت في حبك المنطقاً / وسيان عندي أغرق أو أحرقاً..»^(٣)

فيعترف الشاعر أنّ حبه لحبيّته (فلسطين) تجاوز فيه المنطق، فهو حبّ لا يخضع للعقل أو التبريرات أو البحث له عن أسباب يختبئ خلفها، ويرى أنّه مستعدّ أن يقدم أعلى وأغلى التّضحيات في سبيلها، فلا يبالي بطريقة الموت التي قد يلاقيها في سبيلها بدلالة (وسيان أغرق أو أحرقاً).

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٩٤.

(٢) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٩٤.

(٣) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٩٥.

ففرى إبراهيم العجلوني قد عبّر عن رؤيته وهي أنّ الحبّ الحقيقي هو حبّ الوطن والأرض، وذلك بنظم قصيدة من ستّ فقرات شعريّة تباينت في تشكيلاها الفنيّة، وفي الأبحر الشعريّة والتّفعيلات. ففي الفقرة الأولى عبّر الشاعر عن حالة اليأس التي وصل بها في علاقته مع النّاس، فكان يريد شراء قليل من الحبّ بكلّ ما يملك: بروحه وشعره، وهنا استخدم شكل الشّطرين متكلّمًا على وزن البحر المتقارب (فعولن) مكرّرة أربع مرات في كل شطر وبقافية الباء المكسورة. وغيّر في البحر العروضيّ في الفقرة الثّانية التي فضّل فيها صحبة الأطيّار على صحبة الإنسان، فاستخدم وزن البحر الوافر بتفعيلاته الأصليّة (مفاعلتن / مفاعلتين / مفاعلتن) في كل شطر بدلًا من (مفاعلتن / مفاعلتن / فعولن)^(١). وجاءت الفقرة الثّالثة بفكرة جديدة، وهي وصف الحياة قبل لقاءه بالمحبوبة (فلسطين) وبعد لقاءها، وهنا تحوّل الشاعر بالشّكل الشعريّ فتحوّل من شعر الشّطرين إلى شعر التّفعيلة، فنظّمها على تفعيلة (مفاعلتن)، وهي إحدى تفعيلات البحر الوافر الذي نظمت عليه الفقرة الثّانية، فلا يظهر تغير كبير في الإيقاع الموسيقيّ بسبب الوزن العروضيّ. وعبّر الشّاعر في الفقرتين الرّابعة والخامسة عن أمنياته تجاه الحبيبة، وهي فكرة مغايرة لفكرة الفقرة السّابقة، فجاءت مغايرة في الوزن العروضيّ، فجاء بهما على وزن (مُسْتَفْعِلُنْ). وغيّر أيضًا في وزن الفقرة الأخيرة التي عبّرت عن فكرة جديدة، وهي فكرة التّمسك بالحبيبة واستغراقه في حبّها، وهنا جاءت الفقرة على وزن (فعولن).

فكما نرى، فإنّ الشّاعر غاير في الشّكل العروضيّ وفي وزن التّفعيلة كلّما أتى بفكرة جديدة، أمّا الفقرتان اللتان عبّرتا عن فكرة واحدة فجاءتا على وزن تفعيلة واحدة، وهذا شكّل مسوِّغًا موضوعيًّا ومبرّرًا فنيًّا في تغيير الوزن العروضيّ والتّفعيلات العروضيّة في كلّ فقرة.

قصيدة (سهاد)

استهلّ الشّاعر إبراهيم العجلوني قصيدته التي وسمها بـ (سهاد) بتقديم يمهّد للحالة التي نظم لها القصيدة، وجاء فيه (جاء في الأخبار أنّ القدس ساهرة على باب الخليل تتسقط الأنباء عن زمن الرّجال، فلا نامت أعين الجبناء)^(٢). ويشي هذا التّقديم بالحالة العامّة للأمة العربيّة

(١) وزن البحر الوافر في الأصل (مفاعلتن / مفاعلتن / مفاعلتن) دخل عليها تغيير بالقطف وهو تسكين الخامس المتحرك (اللام)، وحذف السّبب الخفيف من آخر التّفعيلة، فأصبحت (مفاعل) بوتر مجموع وسبب خفيف، ولسهولة النطق بها حولت إلى (فعولن) فصار وزن البحر (مفاعلتن / مفاعلتن / فعولن) في كل شطر.

• انظر: عتيق، عبد العزيز (٢٠٠١)، علم العروض والقافية، القاهرة، دار الأفاق العربيّة، ط ١، ص ٤٤. وانظر أيضًا: الحنفي، جلال (١٩٩١)، العروض تهذيبية وإعادة تدوينه، بغداد، دار الشؤون الثقافيّة، ط ٣، ص ٥٤٩ وما بعدها.

(٢) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ٩١.

في علاقتها مع فلسطين ومع الاحتلال الصهيوني، حيث ندر وجود رجال (بمعنى الرجولة وليس بمعنى الذكورة)، ففرق بين أن يكون الإنسان رجلاً وبين أن يكون ذكراً. فالقدس ساهرة على باب الخليل تتسقط الأبناء عن زمن الرجال، وهذا يشي أن الأمة تكاد تخلو من الرجال الذين يمكن أن يضحووا في سبيل فلسطين، فختم الشاعر هذا التمهيد بعبارة تنم عن قهر كبير يعتمل في صدر الشاعر لتحوّل الأمة إلى قطع من الذكور الجبناء، بدلالة (فلا نامت أعين الجبناء). وهذا التمهيد يوجّه المتلقّي نحو رؤية الشاعر في هذه القصيدة، وهي أنّ فلسطين لا يحميها ولا يرجعها قطعان الذكور الذين أصابهم الدّل والهوان، بل شلال من الدماء يتصل آخره بأوله فيخاطبهم الشاعر بقوله:

« لا تعبأوا بدموعي، إنها حجر

أو تحفلوا بكائي، إنه سمر

وعلموا الرّيح شيئاً من هوانكمو

حتى يموت على أطرافها الخبر»^(١)

فيبدأ الشاعر القصيدة بأسلوب الطلب مستخدماً (لا) الناهية، ليطلب من المتخاضين من بني يعرب ألا يحفلوا بدموعه لأنها وإن كان سائلة، إلا أنّ لها سمة الصلابة كالحجارة، وتشكل انعكاساً لموقف الشاعر الصلب كالحجارة ضدّ الاحتلال، ويقول لهم ألا يكثرثوا لبكائه فهو سمر الليل ورفيق التّجوم. ويصارحهم أنّ بهم من الهوان ما يكفي ليوزع على جميع جهات الكون بدلالة (علموا الرّيح). ويرى أنّهم إذا علموا الرّيح الهوان والدّل، فإنّها ستصبح شبيهة بهم، ولن تجرؤ أن تنقل أخبار البطولة، فيوآد الخبر في مكانه بدلالة (يموت على أطرافها الخبر).

وبيّن الشاعر الطريقة التي يتم بها حماية القدس من سطوة المحتلين، فيقول:

«أرض الشهادة يغنيها تهجدها

خلف البنادق، والأقذار تنتظر

الصّيد تعمرها، والله ينصرها

والنور يعمرها، والليل ينحسر»

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٩١

فيصف القدس بأنّها أرض الشّهادة التي تهجّد خلف البنادق؛ أي أنّ أبناءها يحملون السلاح مدافعين عنها رابطي الجأش أمام الأعداء، وبخشوع وتذلّل أمام الله بدلالة (تهجّدها). وقد جسّد من القدس (أرض الشّهادة) مقاتلين يتهجّدون ويدافعون عنها في الوقت نفسه بدلالة (خلف البنادق). ويستخدم الشّاعر الكناية في هذا البيت، فهو يذكر أرض الشّهادة ويقصد أهلها وسكّانها. وفي الوقت نفسه، فإنّ رعاية الله - تعالى - تحميها وتحرسها بدلالة (والأقدار تنتظر). ويصف أهل فلسطين بالشّجعان الأشاوس بدلالة (الصّيد)؛ هؤلاء الصّيد يعمرونها ويحافظون عليها بأرواحهم، فينحسر الاحتلال بدلالة (والليل ينحسر). وعندما يتحدّث الشّاعر عن القدس (أرض الشّهادة)، إنّما يقصد فلسطين كلّها من بحرّها لنهرها، فيذكر الجزء ويقصد الكلّ.

ويدافع الشّاعر عن أهل فلسطين، فيقول:

«ما كان من خورٍ في روح ساكنها

أو كان يأسٌ به والحق قد ينهمر

أمضى العزيمة من غلٍّ به ادرعوا

وأصدق الرأي من زيف به افتخروا»^(١)

فيرى الشّاعر أنّ فلسطين ضاعت ليس لو هن أهلها وجبنهم بدلالة (ما كان من خور)، ولم ييأسوا من الإيمان بحقّهم فيها وأنّها ستعود إليهم، فالحق ضدّ الغزاة يملأ قلوبهم، وجعلوا من حقد العدو وغلّه محفزاً لهم لتقوية عزيمتهم في مواجهته، فهم يوقنون أنّ المحتلّين يختفون وراء أفكار زائفة غير قابلة للحياة لمُدّة طويلة بدلالة (زيف به افتخروا).

ويوظف الشّاعر التّراث التّاريخي الإسلاميّ، فيقول:

«لظافرين (ببدر) حين أنسبه

والصابرين بأحد والدنّى غيرُ»^(٢)

فيستدعي الشّاعر التّاريخ الإسلاميّ المجيد ممثلاً بمعركتي بدر وأحد ليتقوى بهما على عوادي الاحتلال الصّهيونيّ، فينسب من يدافع عن أرض فلسطين إلى الظّافرين الذين قاتلوا

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٩١

(٢) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٩١

مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) وانتصروا على المشركين في معركة (بدر) وإلى الذين صبروا معه في معركة أحد.

ويخاطب الشاعر لائمييه في حب الوطن، فيقول:

« يا لائمين على عشق به ائتلفت

جباهنا السُّمر، كَفَّوا فالهوى قدر

وآخر النهر موصولٌ بأوله

ونزفة الدَّم منَّا صبَّها (عُمر)»^(١)

فيوظف الشاعر أسلوب النداء (يا لائمين) وجعل المنادى نكرة مقصودة لبيان أن الذين يلومون الشاعر على حبه لفلسطين هم نكرة لا قيمة لهم، وعليهم أن يكفوا عن هذا اللوم لأن حب الوطن الذي تألفت فيه قلوب الرجال المدافعين عنه بدلالة (جباهنا السُّمر) قدر من الله، وليس مصادفة أو اختياراً) ويضيف قائلاً: إن شلال الدَّم الذي يروي تراب فلسطين نهر متصل أوّله بأخره؛ أي دماء أوّل شهيد ارتقى على أرضها متّصلة بدماء آخر شهيد ارتقى للقاء ربّه. فيرسم الشاعر للمتلقّي صورة كليّة لنهر تتدفق منه المياه من منبعه إلى مصبّه، ويتحوّل بهذه المياه إلى اللون الأحمر (لون الدم) بدلالة (نزفة الدَّم منّا). ويربط روح التّضحية بالدّم على أرض فلسطين بشخصيّة الخليفة عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - الذي فتحت القدس في عهده واستلم مفاتيحها، ومنذ ذلك الوقت أصبحت في عهدة المسلمين، ويرى أن نزع الدّم غزير، وليس قطرة قطرة بدلالة كلمة (صبَّها).

وقد وظّف الشاعر التّوازن اللفظي في غير موضع من القصيدة بهدف خلق تأثير موسيقيّ وتأثير انفعاليّ لدى المتلقّي، ونلاحظ ذلك في العبارات والكلمات الآتية: لا تعبأوا / أو تحلفوا، وإنّها حجر / إنّها سمر، والصّيد تعمّرها / النور يغمرها، ومن غلّ / من زيف، وبه اتّدعوا / به افتخروا، وللظّافرين / للصابرين.

وقد جاء الشّكل الفني للقصيدة متّسقاً مع مضمونها، إذ نظم الشاعر قصيدته كلّها وفق نظام الشّطرين، أو ما يطلق عليه بعض النّاس (الشّعر التّقليديّ أو العموديّ)، واختار وزن البحر البسيط بتفعيلتيه المتغيّرتين (مستفعلن / فاعلن)، ولم يغيّر الشّاعر في الوزن العروضيّ أو في القافية كي تتحقّق الوحدة الموضوعيّة المتمثّلة في التّركيز على رؤية الشّاعر وفكرتها الرّئيسة

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ٩١

التي تعبّر عنها، فأتى الشاعر بفكرة رئيسة واحدة وردفها بأفكار فرعية تدعمها وتوضحها، فجاءت القصيدة بناءً فنيًا متكاملًا ومتسقًا مع موضوع القصيدة وفكرتها الرئيسية، ولم يكن من مسوغ فني أو موضوعي لتغيير الشكل الفني للقصيدة أو بحرهما العروضي أو قافيتها.

قصيدة (مع الأقدار)

يعبّر الشاعر إبراهيم العجلوني في قصيدة «مع الأقدار» عن رؤيته الفلسفية في الحياة والموت، فيقول:

«عمرنا يا صاحِ أحلامٌ تمرُّ
ملؤها زيف وما في ذلك سرُّ
سوف نمضي غير مأسوف علينا
إن أتانا من عظيم الذات أمر
فاعطني الحكمة شهدًا
من رحيق المكرمات
فحياة الخير تبقى
بعد موت الكائنات»^(١)

فيرى الشاعر أنّ أعمارنا قصيرة وتمرّ سريعة بدلالة (أحلام تمرّ)، وأنّه لا سرّ في أنّ هذه الأعمار مملوءة بالزيف، وأنّ الإنسان سوف يمضي من هذه الحياة غير مأسوف عليه عندما يحين قضاؤه ويأتي أجله المحتوم، ولكي يواجه الإنسان عبثية الحياة وزيفها، فإنّ الحكمة قد تعوّضه عن خسارته الكبيرة في فقدان الحياة، فلكي يبقى للإنسان أثر في هذه الحياة، فإنّ عليه أن ينهل من المكرمات التي شبّهها بالورود بدليل (رحيق المكرمات)، فهي التي تبقى بعد رحيل الكائنات.

ويرى الشاعر أنّه على الإنسان أن يمتّع نفسه بساعات الفرح والجمال، فيقول:

«وإذا ما اهتزّ غصنٌ في الأصيل
وهفا القلب لفتانٍ كحيل

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ١٢٢.

وتناجي الطير في الأسحار شدوا

أو سجيّ الطلّ على الزهر الجميلِ

فاعطني الحكمة لحناً

من أناشيد الرعاةِ

فهني نورٌ قد تبديّ

في ثنايا الحالكات^(١)

فيرى الشاعر أنّ عمر الإنسان قصير جداً كحلم يمرّ، لذلك فإنّ عليه أن يقبض على لحظة الفرح وتجلّي الطبيعة بعرض مفاتنها، ويمتّع نفسه بحسنها وجمالها. ويوظّف الشاعر في هذه الفقرة عدّة صور فنيّة تعكس ابتهاج الطبيعة بجمالها من مثل: الصّور الحركيّة لاهتزاز الغصن وقت الأصيل، والصّورة العاطفيّة للقلب وهو يهفو لشخص فتان جميل، والصّورة الصّوتيّة في مناجاة الطيور لبعضها حين السّحر، وصورة النّدى يمضي ليلته في حضان زهرة جميلة بدلالة (سجيّ الطلّ)، فجعل للنّدى خاصيّة السّكون والهدوء موظّفاً اللفظ القرآنيّ (سجيّ) في قوله تعالى: «والضحى، والليل إذا سجي». ^(٢) وهنا يطلب الشاعر الحكمة من أناشيد الرعاة التي تمثّل جمال الطبيعة وسحرها، ويراهما نوراً يبدد ظلمات الحياة التي عبّر عنها بالحالكات.

وإذا خيم الحزن والظلام على الناس، فإنّ الشاعر يطلب الحكمة دمعاً، فيقول:

«وإذا ما ناح بومٌ في الأماسي

وعلا صوت المعريّ لا النّواصي

وحكى الصّداح عن ظلم الليالي

عن صروف الدهر، عن هول المآسي

فأعطني الحكمة دمعاً

من عيون النّائحات

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبية، ص ١٢٢.

(٢) القرآن الكريم، سورة الضحى، آية ٢/١.

فدموع اليأس تسقي

تربة الشعر الموات^(١)

فيوظف الشاعر الموروث الشعبي العربي عن البوم كرمز للتشاؤم والحزن، فجعل صوته نواح بدلالة (ناح بوم). كما وظف شخصية الشاعرين العباسيين أبي العلاء المعري وأبي نواس (الحسن بن هانئ)، فوظف شخصية أبي العلاء المعري الملقب بـ(رهين المجسين) وهما: العمى والحبس الاختياري الذي فرضه على نفسه في بيته، فجعل الشاعر منه رمزاً للتشاؤم بدلالة (علا صوت المعري)، أي أنه ساد التشاؤم والحزن بين الناس. كما وظف شخصية الشاعر أبي نواس بظرفه وغزله، فعندما يعلو صوت المعري (التشاؤم) يتلاشى صوت الفرح المتمثل بصوت أبي نواس وخمرياته وغزله، بدلالة (لا النواصي).

فقدّم الشاعر في هذه الفقرة عدّة صور فنيّة توحى بالتشاؤم الذي يتناسب مع فكرته في هذه الفقرة، فقدّم صورة صوتيّة لنواح البوم الباعث على التشاؤم، والصورة الصوتية في علو صوت المعري واختفاء صوت النواصي. وقدّم صورة معتمة لليالي جاءت على شكل صورة صوتيّة يرتفع فيها صوت الصّدّاح، وصورة ذهنيّة متضمّنة في صروف الدهر وتقلباته، ففي مثل هذه الأزمات الكثيرة الغارقة بالنواح فإنّ الشاعر يطلب الحكمة على شكل دموع تنهمر من عيون النّائحات، وهذه الدّموع تميت الأحاسيس والمشاعر والقدرة على الإبداع، بدلالة (فدموع اليأس تسقي تربة الشعر الموات).

فكما نرى، فإنّ الشاعر قدّم رؤيته الفلسفيّة في الحياة، والموت، والحزن، والفرح في قصيدة من ثلاث فقرات شعريّة. شكّلت كل واحدة منها في بيتين من شعر الشّطرين على وزن البحر المديد جسّد فيهما الفكرة الرئيسيّة، وهي رؤية الشاعر لجانب من جوانب الحياة، ويتبع البيتين بيتين آخرين من مجزوء المديد شكّلها بشكل عموديّ بحيث تكون الأربعة أشطر تحت بعضها، وجاءت هذه الأشطر في الفقرات الثلاث على قافية التّاء المكسورة المسبوقة بألف ممدودة، وعبرت الأشطر الأربعة في كل فقرة عن الحكمة التي يقدمها الشاعر بعد كل فكرة. وبذلك فقد جاء التّغاير في جزئي كل فقرة شعريّة من حيث الشّكل الفنيّ والوزن العروضيّ مسوّغاً موضوعياً.

(١) العجلوني، إبراهيم، الأعمال الأدبيّة، ص ١٢٢/١٢٣.

النتائج:

توصّلت الدّراسة إلى النتائج الآتية:

١- غلب على شعر إبراهيم العجلوني الموضوعات الوطنيّة التي يدافع فيها عن فلسطين وشعب

فلسطين وحقه في الدّفاع عن نفسه ووطنه.

٢- غلب على بعض القصائد الطّابع الفلسفيّ الذي يحمل رؤية الشّاعر في الحياة والكون والإنسان، وظهر ذلك جليّاً في قصيدة (أقدار).

٣- برز في بعض القصائد شعور الشّاعر بالغرابة والوحدة كما في قصيدة «أبحث عن قبري».

٤- وظّف الشّاعر العديد من الأساليب والتقنيات والصور الفنيّة واللغوية التي أسهمت في التّعبير عن رؤاه وأفكاره، فوظف أسلوب التّكرار، واستخدم التوازن اللفظي لخلق الأثر الموسيقي، ووظف الرّموز والإيحاء والتلميح بعيداً عن المباشرة والتّقريرية. كما وظّف عناصر التّراث الدّينيّ والتّاريخيّ والأدبيّ، والأسطوريّ.

٥- نوّع الشّاعر في التّشكيل الفنّي لقصائده، فنظم قصائد وفق نظام الشّطرين (العمودي)، وقصائد أخرى على نظام التّفعية، وجاءت بعض قصائده بتفعية واحدة في القصيدة كلّها، وفي بعض القصائد زواج بين تفعيلتين مختلفتين، ونظم بعض القصائد في ثلاث تفعيلات مختلفة. كما غاير في بعض القصائد بين شعر الشّطرين وشعر التّفعية. كما غاير في الأبحر الشّعريّة وفي التّفعية في القصيدة الواحدة أحياناً.

٦- جاء التّشكيل الفنّي في قصائد إبراهيم العجلوني مسوّغاً موضوعيّاً، فعندما تتغير التّفعية أو البحر في القصيدة الواحدة يكون هناك تغيّر في الأفكار أو الرّؤية. وفي القصائد ذوات الفكرة الواحد لم يلجأ الشّاعر إلى التّنوع في التّفعية أو البحر العروضيّ، بل استخدم تفعيلة واحدة أو بحرًا عروضيًا واحدًا.

المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم

٢- إمام عبد الفتاح إمام (د.ت) معجم ديانات وأساطير العالم، مج ٣، القاهرة: مكتبة

مدبولي، د.ط

٣- الحنفي، جلال (١٩٩١)، العروض تهذبية وإعادة تدوينه، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ط ٣

٤- الزّوزني، أبو عبدالله الحسين بن أحمد (ت: ٥٤٨٦هـ)، شرح المعلقات السّبع، بيروت، مكتبة المعارف (٢٠٠٤)، ط ١

٥- سالم، السيّد عبد العزيز (١٩٦١م)، تاريخ العرب في عصر الجاهليّة، بيروت، دار التّهضة العربيّة، د.ط

٦- الشّابي، أبو القاسم (٢٠٠٦)، الأعمال الشعريّة الكاملة لأبي القاسم الشّابي، بيروت، دار العودة، د.ط

٧- شابيرو، ماكس وهندريكس، رواد (٢٠٠٨)، معجم الأساطير، ترجمة: حنا عبود، دمشق، دار علاء الدين، ط ٣

٨- عتيق، عبد العزيز (٢٠٠١)، علم العروض والقافية، القاهرة، دار الآفاق العربيّة، ط ١

٩- العجلوني، إبراهيم (٢٠٠٩)، الأعمال الأدبيّة، عمان: دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط ١

١٠- ابن منظور (ت: ٦١١هـ)، لسان العرب، ج ١٥، بيروت، دار إحياء التّراث العربي ومؤسسة التّاريخ العربي، ط ٣

١١- يموت، بشير (١٩٣٤)، شاعرات العرب في الجاهليّة والإسلام، ط ١، بيروت المكتبة الأهلية

١٢- مواقع إلكترونية:

<https://www.ida2at.com/sabina-571-when-fought-black-september-in-the-heart-of-the-occupied-territories>

<http://www.belarabinews.net/ar/news/233991.html>

بالعربي - شبكة عربيّة إخباريّة بتاريخ: ٢٠١٨/٥/٨

ردّ على مقالة إسماعيل مظهر

من الاشتراكية إلى الإسلام^(١)

د. ايوب عيسى أبو دية

سعادة رئيس تحرير جريدة الرأي الغراء

تحية طيبة وبعد،

عطفًا على مقالة الأستاذ إبراهيم العجلوني في زاويته اليومية «أفق» بتاريخ ٢٢ آب ٢٠٠٥ بعنوان «إسماعيل مظهر من الاشتراكية إلى الإسلام»، والتي خصصها لتحليل ونقد كتابي الذي صدر مؤخراً بعنوان: «إسماعيل مظهر: من الاشتراكية إلى الإسلام» وربطه بكتابي الآخر الصادر في العام المنصرم بعنوان «عباس محمود العقاد: من العلم إلى الدين». فإنني أرغب في نشر ردي هذا في المكان نفسه عملاً بحرية الرأي أولاً، واستجابة للمشروع الفكري المتحضر الذي يستدعي قبول فكر الآخر واعتباره ظاهرة موضوعية يستلزمها التطور الحضاري والتنوع الثقافي والنضوج الفكري، وبعد.

غمرتني فرحة عارمة عند قراءة فاتحة المقالة بأن هناك من المثقفين في الأردن من يقرأ ويحلل ويربط. والواضح من الاستدلالات التي توصل إليها الكاتب أمران رئيسان: ثقافة واسعة يتمتع بها الكاتب وقصور في التحليل المنهجي. ولكن هذا لا يمنع القول بأننا في حاجة ماسة إلى قراءات نقدية مماثلة، وإلا فما الفائدة من تخصيص مئات الساعات من التفكير الجاد وتنظيم الأفكار والكتابة وإعادة الكتابة والتدقيق والمراجعة؟ فإننا لا نريد أن يتمخض عن ذلك كله في النهاية كتاب يوضع على الرفوف لتغطيه الأتربة والغبار!

لقد اختزل الأستاذ العجلوني مشروع الكتابين (إسماعيل مظهر وعباس محمود العقاد) بقوله إنّ دعواهما واحدة، وإن الرسالة الرئيسة فيهما أن كلاً من إسماعيل مظهر وعباس محمود العقاد قد أدركهما النكوص وعصفت بهما الردة بالعودة إلى الإسلام في نهاية حياتهما الفكرية. وهذا استدلال صحيح، ولكنه ناقص، لماذا؟

(١) جريدة الرأي ٢/٩/٢٠٠٥.

نتحدث عن الإسلام وكأن هناك إسلاماً واحداً فقط؟ كيف يمكن أن نتفق أن الإسلام الأصولي الذي يقتل النجداوي - شهيد الأردن في العقبة - هو نفسه الإسلام الذي يتحدث عنه المفكر السوري الدكتور محمد شحرور أو المفكر المغربي الدكتور محمد أركون أو المفكر السوداني محمود محمد طه؟ وكيف يمكن ألا نميز بين الفكر الإسلامي الذي يرفض الآخر وينفيه والفكر الإسلامي الذي كان يحاور الفكر الإلحادي في بغداد في عصر الخلافة العباسية على ضفاف دجلة بكل روية وسكينة، باستخدام الحجج العقلية والبناء المنطقي المتناسك؟ أليس في تعصبنا لفهم معين للإسلام ترهيباً يبعدها عن دراسة الإسلام أو حتى تجرد الحديث عنه؟ واسمحوا لي أن أضرب مثلاً في هذا السياق:

في معرض تدريسي لمادة الفلسفة في إحدى المؤسسات التعليمية في الأردن أعرض على الطلبة (وكلهم من المسلمين) اختيار إحدى الموضوعات البحثية لمادة مقررة، فإما الكتابة عن الهندوسية أو البوذية أو الإسلام. فيقومون باختيار الموضوعين الأولين طواعية واستثناء الأخير، حتى اضطررت أن ألزم من تبقى من الطلبة الكتابة عن الإسلام. هل وصلنا إلى هذا الحد من الترهيب حتى غدونا نبتعد عن البحث في الإسلام خوفاً من العقاب الوخيمة!

أما بشأن كتاب إسماعيل مظهر «الإسلام لا الشيوعية» الذي شككت في نسبته لإسماعيل مظهر، والذي أخذ الكاتب يستهجن ذلك التشكيك، فقد سقت حججاً على ذلك، ذكرتها في كتابي موضوع الحوار، في الصفحات الواقعة بين ١٠٥ إلى ١١٤ وأيضاً ١٢٢ - ١٣٥، ولها علاقة بارتباط العروبة بالإسلام والتسامح الديني والحرية الدينية ومنهج الكتابة ونحو ذلك، ولا أجد داعياً لتكرارها ههنا، فمن شاء فليعد إليها.

إن الإسلام الذي اتجه إليه عباس محمود العقاد يُعبّر عنه أحد كتبه «مذهب ذوي العاهات»، الذي ألفه في مراحل الفكرية المتأخرة. فهل كل من يختلف معي في الرأي أنعته بأنه ذو عاهة؟ لماذا لا تكون العاهة في نفسي أنا دون غيري!

إن الإسلام الذي جنح إليه عباس محمود العقاد وإسماعيل مظهر لم يأت من فراغ، فقد كان نتيجة ظروف موضوعية فوق عادية؛ أحداث كانت ملتعبة على الصعيد المحلي والعالمية، بخاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وخروج الولايات المتحدة منتصرة

وشروعها في بسط هيمنتها على العالم، فضلاً عن نكسة ١٩٤٨، واعتراف الاتحاد السوفياتي بدولة إسرائيل، وثورة ١٩٥٢ وحرب السويس ١٩٥٦ فلا يمكن أن نفهم الفكر في معزل عن محيطه العام، فالواقع هو الذي صاغ فكر هؤلاء المفكرين العرب الأفاضل، الذين مهما تعرضنا إلى فكرهم بالنقد فلن ينتقص ذلك من قدرهم أو يقلل من شأنهم الكبير. فهذا نقد موضوعي يهدف البناء وليس بهدف الهدم. وهذه نقطة جوهرية أرجو التنبيه إليها.

أما بشأن تساؤل الأستاذ العجلوني عن المادية الجدلية: هل هي متقدمة على مادية القرن السابع عشر أم كانت في حقيقتها نكوصاً عنها إلى لاهوت مادي كما يقول برتراند رسل في تاريخه للفلسفة الغربية؟

إنه تساؤل ذكي مؤدلج ويستحق الإجابة عنه، فأقول: إن كتاب برتراند رسل هذا هو أكثر كتبه تهافتاً، ويعتبر من أكثر الكتب الفلسفية الذي هاجمها فلاسفة الغرب ونقدوها وهدموا أركانها. فلماذا نحن انتقائيون، نلجأ إلى نص دون آخر. إذ تلزمتنا رؤية شاملة متكاملة على نحو ما فعلته في دراستي لبعض المفكرين العرب، فإنني أدعي أنني اكتشفت أنهم تغيروا وتبدلوا، حال العالم كله، فقد وجدت أنهم قد تطوروا في فكرهم وممارستهم، ولكنهم اتجهوا في سياق تطورهم عكس حركة التاريخ التي تتجاوز نفسها، فارتدوا إلى فكر سلفي هو الذي أسس للحركات الأصولية التي نعاني من بعضها اليوم. لذلك، فهي ردة وليست تتجاوزاً بالمعنى الديالكتيكي، ويمكن البحث عن تفسير هذه الظاهرة بدراسة طبيعة علاقات التبعية التي تربطنا بالغرب، وأيضاً بدراسة طبيعة علاقات الهيمنة التي تسد منافذ كل تنمية ممكنة ولا تفتح المجال سوى لإعادة إنتاج الذات كما كانت عليه حالها منذ مئات السنين.

لقد تجاوز الفيلسوف الألماني هيغل فلسفة كانط، كما تجاوز كانط نفسه الفيلسوف الإنجليزي ديفيد هيوم. كذلك، تجاوز ماركس فلسفة هيغل، شئنا ذلك أم أبيننا. هكذا هو مسار العقل في التاريخ. وإذا لم يرق الإسلام بتجاوز نفسه إلى إسلام أكثر تطوراً فإنه سيندر. هذه هي قوانين التطور في الطبيعة، شئنا ذلك أم أبيننا. ما نظمح إليه هو إسلام منفتح على الآخر بكل معاني الانفتاح. إسلام يتعامل مع الآخر لا بوصفه ذمياً أو كافراً أو تاركاً للصلاة، إنما إسلام ينظر إلى الآخر نظرة سوية غير دونية، له من الحقوق والواجبات بالتساوي والتمام. نريد نظرة معاصرة تتجاوز مفهوم التسامح الديني الذي يقوم على نظرة استعلائية

مضمونها تسامح القوي مع الضعيف، كما كانت عليه الحال في بريطانيا في القرن السادس عشر عندما كان البروتستانت يتسامحون مع الكاثوليك متى تكون الغلبة لهم، أو عندما تسامح الكاثوليك مع البروتستانت عندما اعتلت الملكة ميري الحكم (١٥٥٣-١٥٥٨) وكانت كاثوليكية، فأصبحت الدولة تسامح مع البروتستانت.

أذكر في هذا المقام المفكر السوداني محمود محمد طه الذي أعدمه النميري في السودان عام ١٩٨٥، والذي نادى أتباعه بإقامة قواعد الإسلام كلها، واجتهد في تفسير القرآن، حيث رأى أن الآيات المكيّة هي الأساس للشرع، وأن النبي الكريم عندما كان في مكة لم يتمكن من تعليم المسلمين أسس هذه الآيات. فهو يعتقد أن زماننا هو زمان بعث أصول القرآن المكية بوصف الآيات المكية هي الأصول، أما الآيات التي جاءت من بعدها فإنها هي الفروع. لم تنسخ الآيات اللاحقة الأولى، وبالتالي، فإنه ينبغي ألا يكون هناك إكراه في اعتناق الدين ولا عقاب لتارك الصلاة، ولا حكم للردة في الإسلام، ولا قتال للذمي حتى يأتي الجزية عن يد وهو صاغر، لأنه حكم مرحلي اقتضته ظروف الماضي؛ فهذه كلها ليست من أصول الإسلام إنما من الفروع التي كانت ملائمة للقرن السابع وما تليه من قرون (من كتاب: «نحو مشروع مستقبلي للإسلام»، لمحمود محمد طه، دار قرطاس، والمركز الثقافي الكويتي، ٢٠٠٢).

هناك جوانب سلبية وإيجابية في كل حضارة، ونحن أيضاً نكتشف في كل يوم، إلى جانب فضائل حضارتنا، اضطهاداً وعنفًا وتكفيراً وحرقًا واستباحة. فإذا أخطأ شخص ما في اجتهاده، لا بأس، فإن ذلك لن يقلل من قدر الدين أو أنبيائه مقدار ذرة. إن ما نرغب في قوله ههنا إن تحضرنا يستدعي فهم الآخر وليس تشيئته، بحيث تصبح العلاقة بيني والآخر علاقة بين أنا وهو بوصفه إنساناً ولا تكون علاقتي معه على شاكلة أنا وذاك الشيء!!!

أخيراً، أشير إلى ملاحظة الأستاذ العجلوني حول سبب إغفالي علاقة إسماعيل مظهر بمصطفى صادق الرافعي ومحمود محمد شاكر، لأنه يعتقد أنها العلاقة التي قادت إسماعيل مظهر نحو الإسلام؟

أقول: لم أبحث في هذه العلاقة بعد، ربما سأفعل، ولكن لماذا لا يشاركني الباحثون الآخرون هذه المهام، ولماذا ينبغي أن تكون هذه المشاغل كلها من مهمات رجل واحد؟

ولماذا لا نفكر في العمل الجماعي كي تكون دراساتنا أكثر عمقاً وفائدة؟ فالعمل الجماعي يساهم في تقريب وجهات النظر لتجاوز الأزمة التي تعصف بنا في ظل ظروف لا تقل خطورة عن تلك التي بدأت تعصف بنا منذ عام ١٩٤٥، والتي جعلت إسماعيل مظهر وعباس محمود العقاد كليهما يرتدان إلى أصولية إسلامية لا تختلف في مفاصلها الأساسية عن الأصولية المعاصرة.

شكراً لاتساع صدر «الرأي» لهذه الملاحظات التي كان من الممكن ألا تتولد لو لم يبادر الأستاذ العجلوني بالتحليل والنقد.

وتفضلوا قبول فائق الاحترام،،،

جولة في الديوان المشترك «وحيثما نلتقي»

للشاعرين العجلوني والنجار^(١)

بقلم: بلقاسم البرهومي

دأب الشاعر السوري مصطفى النجار على إصدار مجموعات شعرية مشتركة مع رفاق القلم والحرف في الوطن العربي، وبذلك أمكن تخطي أزمة النشر ومواجهة تكاليف الطباعة التي تتفاقم.. إنه حلم جميل، ومشروع رائع يتحقق في حياتنا الفكرية نشجعه ونتمنى أن يتحمس له كل الشعراء.

ولنسأل شاعرنا عن قصة هذه المجموعات الشعرية المشتركة وما هدف هذه الظاهرة الفريدة. يقول مصطفى النجار في حوار أجرته معه جريدة الدستور الأردنية - شؤون ثقافية العدد ٤١٩٧: ظاهرة التفرد في الشعر فهمها الكثيرون فهمًا مرضياً حداً بأكثرهم إلى التشتت والانعزال، وأضحى كل واحد منهم جزيرة منعزلة فأى شاعر ينعزل عن أخيه القريب وأخيه خلف الحدود المصطنعة؟ من هذا الواقع الثقافي العربي المتردى وجدت أن أمد يدي إلى الأخوة الشعراء لننقل فكرة التعاون والوحدة إلى حيز الوجود عبر الكلمة الشاعرة..

وهكذا بعد (حوار الأبعاد) و (الطائران والحلم الأبيض) تأتي مجموعة (وحيثما نلتقي) التي اجتمع على إصدارها الشعاران السوري مصطفى أحمد النجار والشاعر الأردني إبراهيم العجلوني وتضم بين دفتيها ١١ قصيدة تتراوح بين العمودي والشعر الحر، تجول في عوالم الواقع والخيال كعادة الشعراء، وقد ازدان غلاف المجموعة برسوم صغيرة في حجمها، ثرية في محتواها للفنان علي حسين الذي قام بتصميم الغلاف وضمن الغلاف نقراً بيتين للشاعرين - قد لا أكون مغالياً- إن قلت أنهما يرسمان خط ومنهج وفكر الشاعرين.

وأنقل برفقتك -أخي القارئ- إلى التعريف بقصائد هذه المجموعة، وأعترف أن تقييمي سينطلق من وجهة نظر شخصية وربما نلتقي لنتناقش من جديد بعد أن تقرأ (وحيثما نلتقي) في أي فلك يدور الشعاران؟

(١) الخليج الثقافي في ٩/٩/١٩٨١.

وهذه المجموعة هل هي في النهاية إضافة واعية لديوان الشعر العربي الحافل؟ تدخل دنيا إبراهيم العجلوني فنجده في فلك الواقع المأسوي العربي يذرف الدموع ولكنها دموع ثائرة على الظلام، رافضه لكل القيود:

لا تعبأوا بدموعي إنها حجر

أو تحفلوا ببكائي إنه سمر؟

وفي المقابل نجد مصطفى النجار محكوماً عليه بمعاناة الآلام.. لكنه يتحدى فيصرخ.

إن رأيت الفجر قولي: ها هو الشعر تعرى

دمعي القلب يلبي، في كتاب الحب يقرأ؟

حتى لكأنه في خضم حياته تلك لن يفهمه الناس بعض الناس وما يريده هذا العصفور الفريد:

من ذا يفهمها كلماتي وشظايا العمر المهدور

مفعمة بدمي، يقرأ فيها بصماتي

تجرى سامقة بين رؤوس طأطأها الكذب المغرور.

إنها صورة رائعة مخصصة ينقلها مصطفى النجار بلا تكلف.. كيف لا وهو يرمز بذلك إلى المجد العربي الذي أطرق رأسه ونكس جبينه امتثالاً لأحاديث الزور التي تناقلتها الألسن. أما العجلوني فإنه ليقف وقفة باكية على مشارف القدس العربية ويقول متسائلاً:

من أين يأتيك يا قدس التسابيح

من باحة الضوء أو بوابة الريح

حرنا إزاءك دهرًا أين مشرقنا

من نبعة اليأس أو درب التبايح

ويصبح السؤال في عالمنا العربي اليوم عذاباً ومصيراً عند النجار:

من سؤلى ومما قد أثار الجمر جمرا؟

وتطالعنا في قصيدة (العنقاء ونيران طغى المطفأة) صورة أبداع العجلوني في نحتها..
أولست قطعة حية منتزعة من جسد حياتنا حيث تعصف بالمواطن العربي رياح الحيرة، إذ
تسقط أحلامه وأمانيه صرعى ويبقى مع حرمانه في المواجهة:

لا حلمى يكبر، أو يكبر ظفر الحرمان

فأفقاً عين الحلم؟

وهذه ريشة النجار تصور بعد أن شهدت المجزرة:

لم تقل شيئاً ودارت أدمعا حرّى وحرى

وأشارت ببنان انظر الأنهار حمرا

واشهد الليل غرابا يأسر الأطفال أسرا

عربات الموت تجرى ويموت الورد قهرا

أي تغريد وأضحى روضة الأزهار قبرا؟

ولهذا يتمنى إبراهيم العجلوني لو يخبرنا بوساطة أبجديته:

لو أستطيع خلق أبجدية جديدة

تحمل بعض لهفتي

وبعض غربتي

وفي قصيدة (وحين تجيء) نكتشف أن مصطفى النجار بشعره إنما يشعر لتحريك السواكن
وككل المغلوبين على أمرهم ينتظر «مهديا» ينقذه والناس مما هم فيه من فواجع:

من يقرأ كلماتي وبطاقة بحثي

فليذهب عريانا نحو الشمس

وأعاهده علنا سأمزق كل كآباتي

يوم يجيء

يوم ترف عصافير الله

يوم يلون بالشفق المخضل جراحاتي

وسأوقف كل إذاعات البث لحزني

وككل شاعر رومانسي أدمته الحياة يهرب العجلوني فيناجي الطبيعة ويبوح للكائنات الصامتة بأسراره.. فهذا هو ينادي عصفوراً قائلاً:

ألا يا طير ما أشجاك أشجاني

وما أبكاك طول الليل أبكاني

وما ألقاك في قيعان مهلكة

مهيض الروح أودى به وألقاني

فهاث جناحك المكسور أجبره

برمش العين في حب وتحنان

فليس كصحبة الأطيّار في زمن

مشاعر ناسه أحمرى بغيلان

ولكن هل الواقع الدامي يقتل فينا الحب؟ عن هذا يجيب مصطفى النجار في قصيدته: مسكون بالحب واللقاء الأخير، ويعلن في الأولى:

قالوا أحبك قلت: أكثر من شبابي

قلت أكثر من عذابي

من مخاضات المصير!

ولكن في الثانية يشير إلى الصدق. ذلك الذي قلت عنه في كتابي زخرفات الكلام - أضحى عملة نادرة في سوق عصرنا فيقول النجار:

هاث قلبا مترعا بالصدق

والصدق نادر الوجود!

أعطيك من قلبي شعاعاً نادراً

ما مات بعد ولم يمت في ذا الوجود؟

وشاعرنا النجار يؤمن إيماناً لا يتزعزع بأن لا حياة بلا حب بل هو أو قلبه يستحيل لذيهما العيش دون نعمة الحب، تلك الرابطة الإنسانية التي هي أساس وجود الإنسان ذاته:

قلت لي ذات مساء

هل نما الورد بلا ضوء وماء؟

ربما كان؟ ولكن ليس قلبي يستطيع

أن يعيش دون حب ووفاء

ويبدع العجلوني حين يلتقي بالحب في أرض الواقع فنحس معه أنه يعيش حبه وليس الحب حلمًا جميلًا يراوده فقط:

هذا ميدان العشق، الشوق، الثأر، القهر..

وميدان الضحكات

وهنا تنجح كل الأدوار

وهنا تخفق كل الأدوار

وهنا يتماسك هذا الزيف هنا ينهار!

وخلاصة القول: أن الشعارين قد أبدعا فيما كتبا، وتمكنا من حسن استغلال الأدوات اللغوية وتطويع الكلمات الشعرية لما يجري على أرض الحياة وتطرقاً في قصائدهما إلى مشاكل الأمة العربية: كالقدس والفقر والقهر والكذب وهي قضايا تشغل بال الإنسان أينما كان.. ولكننا نعيب على مصطفى النجار في قصيدة «الفجر» وهي عمودية الشكل الطول المفرط مما لا يستسيغه القارئ المعاصر، وإن كنا نعيب عليه أيضاً استعمال ألفاظ يصعب فهمها - وربما عرقلت التفاعل مع القصيدة - مثل النساء - حرى - ناوشه - أفرده.

أما إبراهيم العجلوني فإننا «نهضم» قوله في قصيدة: أغنيات للحب والأمل..

يا ليتنا طفلان يلهوان خلف حائط عتيق

ضلا عن الدنيا وضيعا الطريق

ومات عنهما الغروب والشروق

والريح والأمطار والرعود والبروق.

وليس مقبولاً مثل هذا التلاعب بالكلمات والخيال الشعري - لا العلمي - الخيال
المجنح المبالغ فيه.

لحظات مع كتاب دفاعاً عن العقل^(١)

د. توفيق أبو الرب

أتيح لي أخيراً أن أقرأ كتاب إبراهيم العجلوني الجديد، (دفاعاً عن العقل)، الذي صدر عن مؤسسة رم للدراسات والنشر، في ثمان وأربعين صفحة من القطع الكبير. والغريب أن هذه أول مرة أتناول كتاباً للصديق العجلوني على الرغم من طول الاتصال بيني وبينه، وعلى الرغم من قراءتي معظم كتبه، التي يصدرها، وعلى الرغم من حرصي على متابعة ما ينشره في الرأي، وقد عللت هذا بأن الكاتب نفسه لا يشجع أحداً على الكتابة عنه، ذلك أنه يخشى المجاملة، وعدم التصريح بالحقيقة، التي يبحث عنها دائماً، وقد عللت ذلك من جهة أخرى بأنني أنا أيضاً أستثقل الكتابة عن الأصدقاء والأساتذة، مخافة أن تضطري الصلة بيني وبينهم إلى إخفاء حقيقة ما أعتقد في كتبهم أو مخافة ألا تتسع صدورهم لقول هذه الحقيقة، فأثير حفاظهم وغضبهم، وأحولهم من المودة إلى العدا.

ومهما يكن الأمر فأنا مطمئن إلى أنني سأقول حقيقة ما أعتقد في هذا الكاتب، لأنه ينتظر مني أن أقول هذه الحقيقة ليس غير،... وأحسب أن ثمة ثلاث سمات فيه لا يماري إلا القليل ممن يتبعونه بأنها تتضافر معاً، لتمييزه من غيره:

* وأولها أنه صاحب أسلوب مميز، ينبع من نغمة نفسه، وطريقة عقله في التفكير، ويلاحظ أن هذا الأسلوب فصيح العبارة، جزل الألفاظ، لا تعتوره ركة بين فقرة وأخرى، ولا يدركه الضعف، مهما يطل صاحبه، ومن الواضح أن العجلوني يوليه جل عنايته، وأحسب أن أسلوبه خير دليل على دحض هذا الوهم، الذي يذهب إليه بعضهم، وهو أن العمل في الصحف، أو الكتابة الدائمة فيها، من شأنها تليين أسلوب الكاتب أو إضعافه، والحق أن العمل في الصحف لا يعني البتة أن يهمل الكاتب فصاحة اللغة وأصالة التعبير، وأظن أن القليل من المثقفين يعلمون أن أكبر علمين أنجبهما الأدب العربي المعاصر، وهما العقاد وطه حسين، قد عملا منذ بداية حياتهما في الصحافة: انقطع العقاد خاصة لها، على حين أن طه حسين ظل يديم الكتابة الصحفية على اختلاف مراحل عمره، ومع ذلك فإن هذه الكتابة الصحفية لم تنل من أسلوب أي منهما، ولم تُره من قوته وفصاحته - وذلك لأنهما

(١) جريدة الرأي ١٩٩٢/٩/٢٥.

حرصاً على الجمع بين الأصالة الثقافية والمعاصرة، من خلال التزود الدائم بالقراءة والاطلاع.

* وأما السمة الثانية فهي غزارة الثقافة وتنوعها، والحق أن هذا الكاتب هو من الكتاب الأردنيين القلائل، الذين يكادون ينقطعون في حياتهم للثقافة، ويتوفرون على تحصيلها على اختلاف مناحيها ويخلصون لها أنفسهم وعقولهم كل الإخلاص،... وإذن فالغزارة تأتيه من قبل القراءة المستمرة، وأما التنوع فيأتيه من قبل ظمناً للعقل والنفس إلى المعرفة الإنسانية، على اختلاف فنونها وألوانها، ورائده في هذا عباس محمود العقاد، الذي يعجب به كل الإعجاب، وإذا كان هو قد كتب عنه قبل سنوات مقالة بعنوان: «إنه العقاد، فهل ترسم خطاه؟»، فنستطيع أن نقول: أن العجلوني قد ترسم خطا العقاد إلى حد كبير، تشهد بهذا كتبه المتنوعة، التي تجاوزت إلى الآن خمسة عشر كتاباً، إذ منها ما هو إبداع شعري، نحو ديوان (تقاسيم على الجراح) و (طائر المستحيل)، ومنها ما هو إبداع قصصي، نحو قصة (الوجوه) ومنها ما هو أدبي ثقافي نحو (نظرات في الواقع الثقافي الأردني)، ومنها ما هو فلسفي ديني، نحو «في الفلسفة والخطاب القرآني» ومنها ما هو فكري قومي، نحو (في الفكر القومي).

* وأما السمة الثالثة التي يتسم بها هذا الكاتب فهي الشغف بالحرية العقلية، والميل إلى الاستقلال الشديد في الرأي، والنفور كل النفور من التقليد في الموقف، ثم الإباء كل الإباء من أن تذله الوظيفة، أو من استعلاء المسؤول وعنجهيته.

ومن الموضوعات العويصة التي يشغف بها هذا الكتاب، والتي لا أنشط لها كثيراً، الموضوعات الفلسفية، ذلك أنني أرى رأياً لا أدري: أصحيح هو أم خطأ؟ وهو أن زمن الفلسفة قد ولى في هذا العصر، وأنها قد ماتت، وحلت روحها في أبنائها، أو في هذه العلوم، التي انبثقت منها، أو في العلوم الخالصة، وعلم الاجتماع خاصة، فلم يعد مقبولاً في زمن الوصول إلى الأرقام، أن يجلس فيلسوف كأرسطو على صخرة، ويأخذ يتأمل الكون، ليقرر: أهو ساكن أم متحرك مثلاً؟ أو في طبيعة هذا الكون: مبتدئه ومنتهاه، وما وراءه؟!!

* لذا أراني حين أعود لأتناول كتاب (دفاع عن العقل) أتجنب بعض الموضوعات الفلسفية، التي تضمنها الكتاب، نحو فصل: «في العقلانية» و«في الجدلية»، «في الذات وأبعادها»،

ثم أقبل متحمساً على قراءة الموضوعات التاريخية والاجتماعية، نحو: «في التأريخ للإسلام» و «في الزندقة» و «في السلطة الحزبية».

* وإذا كنت لا أستطيع أن أعرض لكل موضوع في الكتاب، لأقول ما ألاحظه عليه، فأحسب أن من الخير أن أختار موضوعاً بعينه، يمثل طريقة الكاتب في المعالجة، وتتبدى سماته السابقة فيه، وأنا أميل هنا إلى اختيار فصل (في السلطة الحزبية)، وذلك لأن هذا الموضوع هو موضوع الساعة في الأردن، بل في أكثر بقاع العالم، التي أخذت تتحدث عن التعددية الآن، وقبل أن أعرض لهذا الفصل وأناقشه، أحب أن أبدى أولاً ملاحظة على عنوان الكتاب، وهو «دفاعاً عن العقل»، فالابتداء بهذا المصدر النائب عن فعله قوي في دلالته دون شك، ولكن الكاتب لو تأمل عنوانات موضوعاته كلها، لوجدها جميعها تبدأ بحرف الجر (في)، فهي على التوالي: «في العقلانية، في الجدلية، في السلطة الحزبية، في الأيديولوجيا، في معنى الخطاب، في الزندقة، في الذات وأبعادها، في التأريخ للإسلام، وفي السريالية...» وإذن ألم يكن أولى بالكاتب أن يستوحي عنوانه منها، ليتسق فنياً معها، ألم يكن أبلغ أن يكون عنوان كتابه «في الدفاع عن العقل؟»!

* أما فصل «في السلطة الحزبية» فهو فصل صغير، إذ يقع في سبع صفحات من القطع الكبير، ويبدأه الكاتب بمحاولة التفريق بين السلطة والحزب، وحين يحاول أن يبين مفهومه للسلطة، يجد نفسه أمام مفهوم آخر، هو (النظام الأردني)، وهو يعرف هذا النظام بأنه (مجموعة متشابكة من القوى، يضمها نسق من العلاقات.. ص ١٦)، وأما السلطة فيراها عنصراً هاماً من عناصر هذا النظام، فضلاً عن عناصر أخرى، وأما الحزب فيرى أنه قوة من جملة قوى النظام، «يخضع لطبيعة العلاقات السائدة فيه، وهو أيضاً مشروع نظام بديل، مهياً بحسب تكوينه هذا لأن تكون له سلطته أيضاً.. ص ١٧»، وهو يحاول الاشتراك في السلطة، وإذن لا عجب في أن نجد السلطة قد «اصطفت عناصرها من صفوف الأحزاب، ولا عجب إذا ما أحس بعض الحزبيين بأن رضوخهم للأوامر والتعليمات الحزبية هو بطريقة أو بأخرى، رضوخ للسلطة الحاكمة، وأن كون المرء حزياً معناه أنه مندرج في إطار لعبة القوى السائدة، وأنه جزء منها.. ص ١٨». وبعد هذا التمهيد يعود الكاتب إلى تعريف الحزب، أي حزب، فيذهب إلى أنه «مجموعة أفراد

تلتفت حول خطاب سياسي، وفي مرات نادرة حول برنامج سياسي له مرجعية اعتقادية، لا نقول علمية. ولا فلسفية، تتصل فيما يرى هؤلاء الأفراد، أو فيما أريد لهم أن يروه بثوابت كونية أو إلهية. ص ١٨» وهو يرى أن الحزب يخضع في الغالب لإرادة زعيم، أو هيئة زعامة، ذات طابع ما ورائي، سواء أكانت قوانين موضوعية مجردة أو سننا إلهية.. ص ١٨». وليس لعضو الحزب إلا أن يخضع، ولا يجوز له التمرد، والمتمرد يواجهه في الغالب بعقاب، قد يصل إلى درجة اغتيال الشخصية، فالحزب قد ورث في رأي الكاتب، لاهوتا كنسيا صارماً، صار باستطاعة السادة الحاكمين فيه أن يمنحوا صكوك غفران للعاقين، أو أن يعلنوا حرمان الأبقين.. ص ٢٠».

ثم يعرض الكاتب عرضاً واقعيًا، للطور الذي ينتسب فيه الفرد العربي إلى الحزب، فهذا الانتساب قد يبدأ في المرحلة الثانوية، أو في المرحلة الجامعية الأولى، فيعَبُّ المنتسب في هذه السن الفتية، وينفخ، فيحفظ التعليمات، حتى يعتقد أنه مناضل عقائدي، ثم يتورط في هذه اللعبة المضحكة المبكية، وقد لا يتنبه فيها إلا في هزيع العمر الأخير، وحين ذاك يكتشف أن وعيه قد صودر مبكرًا، إذ سيطر عليه الشعار الصارخ، والحماسة المدوية، فيندم هذا الحزبي المتنبه متأخرًا، ولكن لات ساعة مندم!

* ثم يسير الكاتب إلى حقيقة لا مرأى فيها، وهي أن أفكار الأحزاب العربية مستوردة في الغالب من الغرب، كالماركسية والوجودية والقومية بحيث نجد قادة الأحزاب العربية قد ألغوا دور العقل العربي المبدع، وتوكلوا على المترجمات: «.. واكتفوا منها بالنقل الآلي دون التعريب، وغيبوا الأصالة الذاتية والموضوعية تغييرًا تامًا.. ص ٢١».

* وهو يرى أن سلطة (الأيديولوجيا) الحزبية في الأردن خاصة قد تجاوزت دائرة الحزب إلى المواطنين كافة، إذ سيطر الحزبيون على الصحافة، وعلى المناصب الكبيرة، فالسلطة الحزبية قائمة في الأردن منذ زمن، وقد حالت هذه السلطة دون تطور وعي المواطن وأبقتة تابعًا، فهي رجعية متخلفة.. ص ٢٢»، لذلك فهي في رأيه أخطر على الشعب من أية سلطة أخرى، وحسبنا أنها - في رأيه - قد أستلبت وعي المواطن ووجدانه معًا!

وبعد... فأحسب أن معالجة الكاتب لواقع الحزبية السابقة في الأردن هي معالجة صائبة، تقوم على الصدق، وتدل على عمق النظر، ولكن الذي يلاحظ أنه اقتصر في هذه المعالجة على تصوير الكائن، ولم يحاول أن يتجاوزه إلى رسم ما ينبغي أن يكون، وقد يقال: إنّه

في هذا قد ترك التصريح إلى الإيحاء، وإنه يدعو إلى حزبية تخلو من هذه الهنات، فيكون الجواب: أن الكاتب في فصله الذي عقده، لم تند عنه أية جملة توحى بهذا، فهو لم يُقلْ مثلاً: «نريد للحزبية في بلادنا أن تكون أو أن تخلو...!» بل أنا أذهب إلى أكثر من هذا، وهو أن الفصل (يوحي) بكراهية الكاتب للحزبية، أو سوء ظنه بها، وكأنه لا يؤمن البتة بجودها، وإذا كان الأمر معه، كما نظن وتذهب، فيغدو من حقنا إذن أن نتساءل ونسأله: هل هو لا يؤمن حقاً بالحزبية؟.. أم هل هو يؤمن بحزبية تقوم على أسس صحيحة؟.. وإذا كان هو لا يؤمن بالحزبية، فهل هو لا يؤمن بالديموقراطية؟.. وهنا نعود فنسأله: هل يمكن للديموقراطية أن تقوم في بلد دون تعددية حزبية؟.. وإذا كان يمكن فأين هذا البلد؟!.. وهل يمكن أن يدلنا عليه؟ وهل نجد بلداً راقياً في العالم (من الناحية العلمية والاقتصادية معاً) لا يأخذ بالديموقراطية والتعددية السياسية؟! ولماذا انهار الاتحاد السوفياتي على الرغم من قوته العسكرية والعلمية ولم تنهر الولايات المتحدة؟.

* أسئلة نحب للكاتب أن يجيب عليها، وأن يوضح لنا حقيقة موقفه منها - كذلك نحب أن يكون عنوان كتابه القادم «في الهجوم على العقل العربي المعاصر» ذلك أن الموضوع خليق بمعالجة قلمه الجريء اللاذع.

أزمة الفكر القومي:

تصحيح مفهوم! (١)

د. جلال زواد فاخوري

أعترف ابتداءً أن ما يحفزه فينا الأخ إبراهيم العجلوني من ضرورات الخوض المستمر في أزمة الفكر القومي حتى تسوى هذه الأزمة وتلقى حلاً إيجابياً، أقول أن ما يحفزه فينا الكاتب يستحق الشكر لكونه يخلق في كل مرة يكتب فيها عن الفكر القومي والقومية ذاتها مجالاً للرد ذلك أنه قبل عام ونصف كتب مقالاً غاية في الإثارة متناً فيها للقومية العربية والآن يطلع علينا بمقالته الأكثر إثارة من سابقها ليقول أن الفكر القومي موجود ولكن أزمته هي عدم وجود النظرية.

ليسمح لي الأخ إبراهيم العجلوني أن أسجل الملاحظات التي تستحق التعليق كقوله «لو رحنا نستقرئ الكتابات القومية المحورية، سواء أكان ذلك في تراث البعثيين أم في تراث القوميين العرب أم فيما تناثر من أعمال خارج هذين الإطارين، لتبدت لنا مجموعة من النظرات والآراء والأدبيات القومية الرومنسية التي إذا ما أرادت أن تتماسك في إطار فلسفي جامع لسلكت دربين لا ثالث لهما: إما طريق العلمانية الغربية أو طريق الماركسية الغربية أيضاً ولعل التفات بعض المفكرين القوميين مؤخراً إلى الإسلام أن يكون موقفاً تكتيكياً أملت الظروف المستجدة بعد سقوط التجربة الليبرالية وانحسار المد الماركسي في العالم العربي».

أولاً: ليسمح لي الأخ العجلوني أن أذكره بأن تحوله من إنكار القومية في خطابه قبل عام ونصف إلى وجود الفكر القومي مع غياب النظرية يعني قطعاً أن تذبذب المفهوم القومي لديه قد برز بشكل يومي لكل محلل أن الفكر القومي لدى الكاتب قد اختلط مفهومه بمفهوم الوجود القومي ذاته، ذلك أن القومية لا توجد لاحقاً على وجود الأمة وبالتالي فإن الفكر القومي يصبح ملازماً للوعي القومي نفسه على وجود الأمة ذاتها، والأمة العربية صاحبة فكر منذ أن وجدت ولكل ثبات وجودها منذ القديم ومحاولاتها النضالية للبقاء ولإيجاد

(١) جريدة الرأي ٥/٦/١٩٩٤م.

موقع لها في التاريخ الزماني والتحديد الجغرافي على الأرض يعني صلتها المؤكدة بالفكر حتى حينما يبدأ دارسو المداخل للفكر السياسي عند الشعوب فهم يصنفون العرب على قدم المساواة مع الصين واليونان والرومان والإغريق والمصريين القدامى فحضارات ما بين النهرين من سومرية وكلدانية واشورية وبابلية وغيرها من الحضارات العربية لم تكن تخلو من نظريات في الفكر القومي، والنظر في الأدبيات القومية هو نظر في فكر وليس في ما تناثر من آراء رومانسية. فالقومية ليست عواطف ومشاعر رومانسية طوبائية يحلو للعاشق القومي أن يتسلى بها، وليست القومية ترفاً فكرياً أو يوتوبياً فاضلة يظل المفكر القومي ينتظر مجيئها حيث لن تجيء، بل هي وجود هوية عربية لها خصوصيتها التي تختلف عن كل ما هو غربي. وللفكر القومي العربي على امتداد العصور موقف ثابت من علمانية الغرب وماركسية الغرب والشرق لكونها ذات طابع وروح عز على علمانية الغرب وماركسيته التميز بمثلهما.

ثانياً يقول الكاتب «لقد ظل الفكر القومي يراوح في النظر وفي التأمل ويعتمد خطاباً عاطفياً مهموماً ولم يستطع أن ينتقل إلى النظرية إلا محمولاً على مناهج مستعارة سرعان ما تبدى تجافيا عن الواقع الإنساني للأمة، ناهيك بكونها بصناعة الآخر المستعمر الذي يستهدف أول ما يستهدف إلغاء الملامح الحضارية العربية».

هنا وفي هذه النقطة تحديداً وقع الكاتب بالمحذور وهو التناقض الحاد الذي كان عليه إلا يقع فيه وهو الاعتراف بأن الفكر العربي انتقل بالنظرية محمولاً على مناهج مستعارة، وهنا يعترف الكاتب بوجود نظرية ولو كما يقول محمولاً على مناهج مستعارة حيث أنه كان قد أنكر أصلاً وجود نظرية محمولة أو غير محمولة.

وأود هنا أن أصارح كاتبنا الصديق الذي نحترم كيف استطاع أن يفهم أن نظرية الفكر القومي مستعارة من فكر استعماري طالما أن أساس الفكر القومي ابتداءً ونهايةً هي معاناة الإنسان العربي، فحين يطلب الفكر القومي أن تكون القومية والوحدة القومية هي الحل الوحيد للتحديات التي تواجهه وحين نطلب الحرية والوحدة للإنسان العربي على أساس قومي تردها للاستعمار، فماذا يمكن أن نطلب للإنسان العربي إذا لم نحدد عناصر حياته من مفهوم وجوده القومي، من سيقدم الحل للتحديات المعاصرة للأمة العربية إذا لم تكن القومية أو الفكر القومي؟ وإذا كانت النظرية العربية للفكر القومي هي موضع

شك واتهام على هذا النحو فهل نقول أن الإنسان العربي هو إنسان غربي لأن عنصر وجوده هو قومي عربي وما دام فكر العربي القومي هو فكر غريب فالأحرى أن تقول أن الإنسان العربي هو غربي، وغريب لكونه يحمل فكراً غريباً أو فكراً مستعاراً أو محمولاً على مناهج غربية.

من جهة أخرى يعترف الكاتب أن الملامح الحضارية للذات العربية مستهدفة بالإلغاء من قبل المستعمر وأنا هنا أتساءل ألم تكن الحضارة العربية مستهدفة للإلغاء طيلة الحكم العثماني للعرب، ثم ألم تكن الحضارة العربية مستهدفة في الحملة الصليبية؟ ومع ذلك ظلت الحضارة العربية قائمة لأن الحضارة العربية لم تقم اعتباطاً أو صدفة بدون فكر قومي عربي، فالحضارة العربية لم تصنع الفكر القومي بل على العكس لم تكن ولن يكون حضارة أو تاريخ أو ثقافة عربية لو لم يكن هناك فكر تنظيري تستخدمه كل مرحلة تاريخية بما يتلاءم مع تلك المرحلة وظروفها.

ثالثاً: يرى كاتبنا الذي نحترم أن التجربة القومية استعارت شعارات ماركسية لكنها اصطدمت بواقعها السياسي إلى آخر ما يذهب إليه الكاتب. أود أن أذكر الكاتب وهو يعلم هذا جيداً أن الأدبيات القومية تختلف كلياً عن الأدبيات الماركسية، ولعل أقرب دليل على هذا هو عدم اعتراف الفكر الماركسي بالقومية حيث هي في نظره موروث استعماري وبهذا يكون كاتبنا قد وقع بالخطأ الذي حذر منه وقال أن القومية استعارت شعارات ماركسية ومن ناحية أخرى فمن يقرأ ما كتب من مجلدات قومية عربية عن الماركسية من تحليل قد يرى أن ما ذهب إليه الكاتب لا يمكن أن يصمد في مواجهة الحقائق والممارسات الماركسية ولعل ما حدث في العراق إبان ثورة سنة ٩٥٨ بين البعثيين خاصة والقوميين عامة وبين الماركسيين آنذاك يدفع مقولة الكاتب ويعريها. إن هذه النقطة بالذات قد أدانت الكاتب تماماً ولم تكن لصالحه فمن يعرف مدخلات الفكر القومي وحقائقه ويعرف مدخلات الفكر الماركسي وحقائقه يستنتج أن مقولة الكاتب هي إدانة عليه وليس له.

إنني وبحكم معرفتي بثقافة الكاتب إبراهيم العجلوني العميقة الواعية أعترف أنني قد وقفت مندهشاً أمام ما ذهب إليه من أن التجربة القومية كانت ذرائعية وظلت مخاصمة للعلمانية والليبرالية في حين اتخذت القمع والقهر أسلوباً للمعارض حيث أقفُ مندهشاً أمام الخلط المتعمد الذي عمد إليه الكاتب لكونه يدرك تماماً الفرق الشاسع بين الفكر

النظري والتطبيق العملي وليس لي الكاتب أن أذكره بالمثل القائل أن الثورة تأكل بعضها وأن الثورات الكبرى في التاريخ مارست هذه العملية بشراسة وليس التجربة القومية فحسب بل إن أفغانستان وباكستان وإيران أمثلة دامية على ما أقول.

إنني وبحكم تخصصي في النقد والتحليل السياسي والذي يعرفه الكاتب جيداً أقول وبصراحة وجرأة (كوني قومياً حتى العظم) أن أزمة الفكر القومي لا تكمن في وجود نظرية أو لا تكون مع اعتراف بعدم وجود نظرية (حالية) لكن الأزمة تكمن بصورة خطيرة ومقلقة في المنهج الفكري ذاته، وسواء وجدت نظرية أو لم توجد فالأزمة أكبر من وجود النظرية، إنها المنهج ذاته إنها طريقة التفكير والأسلوب والمنحى نفسه.

«الكتايبون في ظلال الإسلام» ل إبراهيم العجلوني؛ تجسيد العلاقة الحميمة بين أهل الذمة والمسلمين^(١)

د. جورج طريف الداود

يأتي صدور كتاب الزميل إبراهيم العجلوني «الكتايبون في ظلال الإسلام» في وقت نحن في أمس الحاجة فيه لإظهار صورة الإسلام والعروبة على حقيقتها منذ فجر الإسلام وحتى يومنا هذا.

لقد استطاع الكاتب من خلال عرض أربع لحظات مهمة في حياة الرسول الكريم «ص» والمسلمين تجسيد العلاقة الحميمة بين أهل الذمة والمسلمين من خلال حقائق تدعمها الوثائق والأسانيد وما هي إلا نماذج مضيئة وضعت الأساس في التعامل مع الذميين بل إنها لحظات تؤسس للإنسانية جمعاء منذ النشأة الأولى للمجتمع الإسلامي وبينت موقف الإسلام من الآخر ولا سيما من أهل الكتاب.

وأولى هذه اللحظات لحظة هجرة عدد من المسلمين إلى الحبشة التي قال فيها الرسول الكريم «أن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم منه فرجاً ومخرجاً».

واستمع النجاشي إلى أول خطاب إعلامي شامل في الإسلام عندما وقف جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه بين يديه يقول: أيها الملك، «إنا كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده».

ثم يقول «فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك واخترناك عن سواك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك».

(١) جريدة الرأي: ٢٠٠٤/٦/٣ م.

وقد سأل النجاشي بعد هذا البيان عما جاء في القرآن الكريم من ذكر مريم ابنة عمران وابنها عيسى المسيح عليهما السلام ثم آوى المسلمين وأكرم وفادتهم بعد أن دمعت عيناه وخشع قلبه وقال أن ما يسمعه من آيات الذكر الحكيم وما جاء به السيد المسيح عليه السلام يصدران من مشكاة واحدة.

ولما توفي النجاشي في السنة التاسعة للهجرة وعلم الرسول الكريم قال أن أخوا لكم قد مات بأرض الحبشة وقد خرج الرسول بالمسلمين إلى الصحراء ووضعهم صفوفًا ثم صلى عليه صلاة الغائب.

ولا شك في أن نزول الآيات في السيدة مريم العذراء والسيد المسيح عليهما السلام قبل الهجرة إلى الحبشة يؤكد أنها جزء من المعتقد الإسلامي. وإذا علمنا أيضًا أن الآيات التي نزلت بالسيد المسيح والمسيحيين ومريم العذراء تكاد تبلغ عدد صفحات أحد الأناجيل الأربعة «متى، مرقس، يوحنا، لوقا» لوصلنا إلى نتيجة حتمية تؤكد التواصل بين الديانات ووحداية المرجع، الأمر الذي يعزز التأخي والمودة والمحبة بين جميع المؤمنين.

أما اللحظة الثانية التي أوردها الكاتب فهي حديثه عن وفد نجران وما كان من مصالحة الرسول الكريم لأهلها وما كتب لهم من كتاب في ذلك بعد أن جاء أشرفهم إلى الرسول الكريم في مسجده في المدينة فأحاطهم بالإيناس والتكريم وجادلهم بالتي هي أحسن واعتبرهم في ذمة الله ورسوله وأمّتهم على دمائهم وأموالهم وملتهم وبيعهم ورهبانيتهم وأساقفتهم وشاهدهم وغائبهم وكل ما تحت أيديهم قليل أو كثير وودعهم الرسول الكريم آمنين إلى ديارهم هذه اللحظة تعبر أيضًا عن الحكمة الألهية والمرجعية التي هي فوق البشر.

واللحظة الثالثة التي أوضحها الكاتب هي موقف الرسول الكريم حيث دخل مكة فاتحًا ودخل الكعبة وكانت أسقفها وجدرانها وأعمدتها مزينة بصور الأنبياء والملائكة والشجر ومن ضمنها صورة السيد المسيح ووالدته السيدة مريم العذراء حيث أمر الرسول الكريم بثوب مبلل بالماء وأمر بطمس تلك الصور ووضع يده على صورة السيد المسيح والسيدة مريم العذراء وقال امحوا الجميع إلا ما تحت يدي.

أما اللحظة الرابعة فهي لحظة فتح بيت المقدس حيث كتبت العهدة العمرية حين رفض صفرونيوس بطريك القدس تسليم مفاتيح المدينة إلا لعمر بن الخطاب الذي أعطى أهل إيلياء «القدس» الأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وألا تسكن كنائسهم ولا

تهدم ولا ينتقص منها ولا من غيرها، ولا من صليبيهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم، كما نصت على ألا يسكن بإيلياء أحد من اليهود وعلى أن يعطي أهل إيلياء الجزية.

إن هذا العهد يعتبر نموذجاً للمعاهدات التي تراعي الناس جميعاً بغض النظر عن دياناتهم أو معتقداتهم، وربط الكاتب هذه اللحظات الأربع بالصحيفة التي وضعها الرسول الكريم عند فتح المدينة المنورة وهي الميثاق الذي حدد أسس التعامل داخل المجتمع الإسلامي وهي أيضاً بمثابة دستور حدد الالتزامات ومنح الحريات لمجتمعها، وبمعنى آخر فإن الرسول الكريم أنشأ أمة متآخية تقوم على عقيدة وقواعد أخلاقية للأوس والخزرج والقبائل الأخرى واليهود وغيرهم من القبائل ومنح حرية العقيدة والإقامة والتنقل ومزاولة الحرف دون تقييد ما دامت هذه الحريات لا تضر مصلحة المجموع وتراعي المبادئ الأخلاقية في السلوك الفردي وفي العلاقة الاجتماعية.

وربط الكاتب بين الصحيفة وكتاب أهل نجران والعهد العمرية كونها صادرة عن رؤية إيمانية شاملة تنظر إلى الآخر المختلف على أنه توسعة للذات وميدان لفضائلها مما يؤكد وحدة الشعور الإنساني في المجتمع والوحدة البشرية رغم تنوع الملل.. والقوميات، فالاختلاف حقيقة كونية وما جاء في الصحيفة وغيرها من العهود يؤكد اعتراف الإسلام بالتعددية المليّة في الأرض وما نراه من تسامح الإسلام توجه صادق نحو الآخر لا موقف اضطرابي أو سلبي كما يفسره أصحاب الأهواء والسياسيون.

وأورد الكاتب وقائع تاريخية ربطها بشهادات من أهل الذمة تؤكد بشكل قاطع حقيقة تعامل الإسلام مع أهل الذمة التي تعبر عن الاحترام المتبادل والأخوة والتسامح والتعاون والمساواة في آن واحد، ومن هذه الأمثلة وصية عمر بن الخطاب لمن بعده وهو على فراش الموت بقوله «أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً وأن يوفي لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وألا يكلفهم فوق طاقتهم».

ولم يكتف الكاتب بذكر اللحظات الأربع وتوضيح أبعادها بل ضرب أمثلة عديدة موثقة بالدلائل والشواهد والأسماء تؤكد مكانة المسيحيين واليهود في الإسلام والمراتب التي وصلوا إليها في ظلال الإسلام ومن هذه الأسماء الأديب هبة الله بن صاعد بن هبة الله بن إبراهيم بن علي والأديب والشاعر، والطبيب يحيى بن يحيى بن سعيد وهو من علماء المنطق، ويحيى

بن عدي الذي درس على يد الفارابي، وعيسى بن إسحق بن زرعة، والفيلسوف والمترجم موفق الملك أمين الدولة أبي الحسن بن أبي العلاء المعروف بابن التلميذ البغدادي الطبيب الحكيم وكان أيضاً أديباً وشاعراً ومتقناً للفارسية واليونانية والسريانية وضيعاً بالعربية، وعُرف بأنه واحد عصره في الطب حتى أنه سمي ساعور البيمارستان العضدي أي المتقدم فيه.

وقد أورد الباحث صفات كل واحد من الكتابيين المذكورين آنفاً استناداً إلى المراجع والكتب والمؤلفات التي تحدثت عنهم مثل أبي حيان التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة الذي وصف بعضهم بأن مجلسه مبارك جيد الوفاء بكل ما جل من الفلسفة وهو الأوفر علماً وأدباً وفلسفة.

وربط الباحث بين الكتابيين الذين يعيشون في ظلال الإسلام الذي وفر لهم أجواء المحبة والتسامح حتى أصبحوا مبدعين بارزين مقربين من الخلفاء وتسنموا أرفع الرتب والمناصب وبين المسلمين الذين يعيشون في الغرب حيث يقول «يبلغ التواء معني التسامح في ذهن الليبرالي الغربي أن يتجاهل تماماً وجود جاره الإفريقي أو الهندي وأن يصعر خده إذا واجهه في الطريق وأن يصرف نظره عنه وهو ما وصفه الدكتور عبد الحسين شعبان في الندوة التي أقامها مركز عمان لدراسات حقوق الإنسان لسنة ٢٠٠٢ بالتسامح السلبي بمعنى أنه لا يظهر الأوروبي كراهية ولا يعترض على وجود غير الأوروبي أو لونه أو شكله أو لغته أو دينه الإسلامي بل يعتبره كأنه غير موجود.

وقد أوردت صحيفة الأخبار المصرية في عددها الصادر في ٢٥ / ٥ / ٢٠٠٤ شهادات علماء غربيين عن عدل الإسلام وسماحته بقلم محمد عمارة ومنهم المستشرق الإنجليزي مونتجمري وات.

وأورد الباحث أمثلة عن سوء معاملة اليهود في أوروبا نقلاً عن الدكتور حسين مؤنس وهي أمثلة بالغة الدلالة على عمق الإذلال الذي تعرض له اليهود هناك منذ انهيار دولة الإسلام في الأندلس كالجلد والرمي بالحجارة والضرب والتعذيب كما بين قسوة قلوب الأوروبيين وضيق عقولهم مقابل ما كان للإسلام إزاء اليهود من سماحة وسعة عقل ووجدان باعتبارهم أهل عهد تجب مراعاته.

موقف مع «المواقف»^(١)

حسني فريز

بسبب الحر أجلس في ساحة الدار بعد منتصف الليل، ويكون الهدوء فلا أسمع أصوات الاحتفالات التي تزعج الليل وهي مندفعة من الفنادق، فيحلو للعجوز الذي أرهقه الحر أن يذهب مع الذكريات الماضية والواجبات الحاضرة، فتذكرت أني سأكتب مقالاً عن مجلة «المواقف». ماذا تراني أقول وأنا أحد مستشاريها؟ أي أنني ملتزم بما تضمه من الآراء والمفاهيم. إذا أثبتت عليها فكأنني أهديت لنفسي جزءاً من الثناء، وفي بعض الأحوال يكون ذلك من طراز الاعتماد على النفس!! لكنني قلت أن المستشار يعرف الكليات، لكن التفاصيل في عدد المجلة الأول جيدة، وإن كل كاتب له قصد وفكر محدد وإنه يبتغي أن يؤدي رسالة، وأن يكون واضحاً دون جمجمة حتى لقد أذهلني (الدكتور سحبان خليفات بيبانه والصفحات التي استغرقها فقد كنت أعرف عنه انصرافه إلى الفكر الفلسفي يؤديه بضرب من التعميم والاندفاع في العبارات الطويلة وترك القارئ وحده يكتشف السبيل إلى الغرض. والمحِب الذي يريد أن يُغرقَ يمني بالإنهاق والإحباط. أما هنا في «المواقف» فإنه يهدف أن يكون سليماً من الإيهام بريئاً من الغموض فكان صاحب موقف مع المواقف.

قال أمير الشعراء شوقي:

قف دون رأيك في الحياة مجاهداً

أن الحياة عقيدة وجهاد

ومن سيل الذكريات بعد زمان من منتصف الليلة رأيت أنني وأنا يافع كنت أصلي صلاة الجمعة واستمع إلى الخطيب يردد القول «يأتي على أمتي زمان يكون القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر» وكنت أفسره بأن الكثرة لا تستطيع أن تحتفظ بالتقوى بسبب الحاجة والمغريات، وكذلك كان الأمر في أواخر أيام الدولة العثمانية. فقد عم الفساد والرشوة من

(١) جريدة الرأي: ١٤/٨/١٩٨٧.

أصغر مسؤول إلى آخر قائمة المسؤولين. وكان الخوف من السلطة يبهظ كل قلب، وكان الفقر فاشياً، ولا يكون التعفف مع الجوع، وكيف يحتفظ الإنسان بالتقوى ورعاية حقوق الله وهو لا يجد ما يقيم الأود هو ومن يلوذ به من الأهل والولد.

وعدت من الرحلة التي تبلغ سبعين عاماً ونظرت في الزمن العربي الحاضر طبعاً والإسلامي فأصابتني هزة شديدة مما أرى من قطيعة وتدابير وتناكر وتذكرت قصيدة قتلها قبل ستين عاماً بالتمام والكمال، في وصف الحال فقلت «كإنا يا قمر لا رحنا ولا جينا».

إذن لا بد من موقف بل مواقف وصمود أمام طغيان البطر وجبروت المغريات في الحياة اليومية المعاشة ولا بد من المواقف أمام السياسة العالمية التي تنذر بأشد الأخطار على القيم وإمحاءها ثم على وجود الإنسان نفسه والأرض التي يقيم فيها.

وبعد ذلك عدت إلى «المواقف» فسرتني أن أعود، وكل شيء فيها، وكل الناس القائمين عليها يشير إلى ما تعانیه حتى الإعلانات. كل أولئك يؤدي إلى أن أهني الصديق الأديب إبراهيم العجلوني ورفاقه الكرام في العمل والأمل.

وإني أرجو للمواقف طول العمر وعظيم الثمر، كما أرجو مساندة أهل العقد والحل وأهل الفكر وعشاق الصلابة في الحق والاهتمام بالحياة الكريمة التي تعيش فيها الكلمة الحرة وتعلو فيها منابر الفكر ومنائره.

وقد علمت أن الأنصار من ذوي الفكر والنفوذ هزتهم الأريحية في القلب والفكر من أجل دعم «المواقف» وتكريمها. وإني لأرجو لها العمر المديد والذكر المجيد.

نظرات

في الواقع الثقافي الأردني^(١)

حسني فريز

الاستاذ ابراهيم خليل العجلوني من رجال الفكر الجادين. وقد نزل الى ميدان الفكر والادب بعد ان طالت قامته، وثبتت خطوته، واشتد ساعده، واستحصد عزمه بمصاحبة أفذاذ التراث العربي والاسلامي القديم وعمالقة المحدثين. وهو على سبيل المثال من القلائل الذين حرثوا انتاج العقاد. ولا اعرف له نظيراً في هذا الباب، إلا أديب الاردن الكبير المرحوم عبد الحلیم عباس.

والذي يبدو ان هؤلاء النوابع تدلهم فطرتهم على السبيل السوي، ذلك بأن الكاتب الصيني المولد الامريكي الدار لين يونانج ينصح من يريد ان يكون كاتباً أو شاعراً أن يختص باحد العمالقة فيدرسه ناثراً أو يحفظه شاعراً، الى جانب معرفته بحياة الناس من حوله ولغتهم الدارجة ومصادر المعرفة الأخرى.

وكتاب نظرات في الواقع الثقافي الأردني صدر عن دار البيروق في عمان قبل اسبوعين أو أكثر قليلاً. وقد قدم له الدكتور سبحان خليفات، وكلمته في حلاوتها ونصاعة بيانها وشمول اشارتها جديرة بالثناء.

والكتاب لا يتناول واقع الاردن الثقافي فحسب بل يتناول ايضاً الثقافة العربية. وفي الكتاب اسراب من الافكار ترف وتهتف بنا أن نفكر فيما ينبغي ان يؤرقنا لسلامة حاضرنا ومستقبلنا، بأن تكون للعرب استراتيجية لا يتحولون عنها جميعاً، ومن ذلك انه يبين لنا ان معاصرنا لعصر الفضاء هي مطلق وجود، ولكن الحدائث معناها ان يكون لنا فيه وجود ابداعي. ثم إننا بوصفنا غرباً نحتاج الى العلم من المدنية الغربية، ولكن علم الغرب له نوابع من الفلسفة والثقافة. ويقول الاستاذ ان ثقافتنا عريقة وغنية وبعض مبادئ الفلسفات الحديثة ليست غريبة عنا ولا عن تراثنا. وكان في زمن ابائنا انحرافات، ولكنهم استطاعوا ان يتغلبوا عليها،

(١) جريدة الرأي: ٣٠/١١/١٩٧٩.، كما نشرت في كتاب مقالات حسني فريز " التي جمعها الدكتور هاني العمدة - كتاب الشهر، وزارة الثقافة، ٢٠١٠م.

ونحن لا ينبغي أن نقنع بترائنا وحده بل لا بد أن نخلق زمننا الراهن، لا أن نكون امتداداً لحضارة الآخرين شرقاً أو غرباً. ويقول أن امتنا ولود للذكاء الخارق، ولكن الجو السائد لا يسمح لهم بالحياة، لأن ذلك محتاج الى حرية الفكر والجرأة في طلب الحق وحب المعرفة وتكريم العلماء وتكريم الإنسان أيًا كان موقعه من العرق أو الدين أو الثراء والفقير.

ويتناول بالنقد والتفنيد اولئك الذين يريدون نزع الاعراب من اللغة العربية. اولئك الذين يريدون الكتابة بالحروف اللاتينية، والذين يقولون بأنها لا تتسع لنقل العلوم الحديثة. فينقل لنا أن (دار مير) للطباعة في موسكو اخرجت كتباً بالعربية في احدث العلوم العصرية، ويقول ان الدولة التركية تكتب الان بالحروف اللاتينية ولكن الحروف العربية ليست من اصل تركي وانا اقول ان الاتراك يجدون شيئاً من الصعوبة ايضاً، فقد كنت سنة ١٩٦٣ مع الدكتور احمد أبو قورة في زيارة لعجوز تركية ادركت الحكم العثماني. وكانت تخبص^(١) بالانجليزية، وانا اخبص بالتركية. وجرى حديث الشعر فقالت أنها تحب الشعر القديم ودليل ذلك أنها نهضت وجاءت بكتاب حروفه لاتينية مكتوب على غلافه ما قرأته اسكي شيرين. واسكي معناها قديم. فقلت شيرين تقصد شعرن مما يدل ان الحروف اللاتينية لا تستطيع ان تكتب العين. فكان ينبغي أن تكون اسكي شعرن. لا شيرين وقلت لها هاتي القاموس فكان معنى شيرين الاسد. قالت هذه غلطة، قلت بلا رحمة الغلطة لا تكون عنواناً لكتاب^(٢).

ويتكلم الاستاذ عن محصول الثقافة عند الكتاب الشباب، فيقول انهم يستعجلون الشهرة ويهربون إلى القصّة والشعر. وفريق من اولئك الذين يمارسون ذلك ليس لهم مستوى. وهناك من يتصدى للنقد قبل أن تستكمل له الادوات. واما حملة الشباب على الشيوخ فانها ناجمة عن ان الشباب لم يتعلموا على الشيوخ بل على الادباء من غير الاردن، وعلى نتف من المترجمات واللغات الأجنبية التي لم يتقنوها. وفي حديثه عن التراث يقول ندرسه دراسة منهجية والمنهجية هي معرفة الطريق الى الحقيقة. فاذا كنت على الطريق فلا يضيرك أي شيء تأخذه لأن المنهجية من مقتضيات الصدق والصدق أقرب الطرق للحقيقة وهو بعض نتاج العقيدة.

(١) خبص في الكلام خلط. (د. هاني العمدة).

(٢) اسكي شعرن معناها الشعر القديم، وانما اثبت النون الاول على الكسرتين دليل الاضافة باللغة التركية. (حسني فريز)

وجاء في فصل الاصفاد قوله أهم ما يمتاز به الانسان قدرته على تحطيم الاصفاد ورفض الوان العبودية، حتى تلك العبودية فوق البنفسجية (يقصد النفسية) التي لا يراها من مات نور الحق في عينيه، وتراها عيون من لم تبلدهم الالفة. وانما يؤتى الانسان عن طريق فكرة، فان لم يكن ذلك مستطاعاً جاءوه عن طريق الاخلاق، فاذا كانت مثلومة سهلت عملية قهره ولا عبرة بعدئذ أكانت احتواء أم تفريغاً أم اذابة. من هنا كان المؤمن اكبر خطر يواجهه الطغاة على وجه الارض.

وفي كلامه عن العرب الان قال هناك قواعد عامة تقوم عليها مجتمعات الشيوعية والرأسمالية، ولكن مجتمعاتنا العربية لا تملك مثل هذه القواعد بل خليط مشوه تماسك بقوة الخوف والجوع. كان اجدادنا ارقى منا في الحركة والمقال.

أتريدني أن الخصص ما لا أحب تلخيصه لحلاوته تماماً. إنني بسبب المساحة تركت مقالیه عن العقاد وطه حسين. وفيهما الاسلوب القوي، والجزالة اللفظية، والمعاني النبيلة. ان الكتاب جدير بالعناية والقراءة الجادة. أهني الأستاذ على هذه الباكورة التي تبشر بموسم خصيب.

شذرات إبراهيم^(١)

حسين الرواشدة

يميل إبراهيم العجلوني، بعد أن أصدر عشرين كتاباً، إلى الاقتصاد في الكلام، فيختار «الشذرات» عنواناً لكتابه الجديد، والشذرات - كما يقول - فن من القول يلجأ إليه حكماء الأمم، ليعبر، على سبيل اللوح الدال لما لا يصح أن يكثر فيه الحديث من أمهات المعاني أو من خلاصات العلوم والتجارب.

والعجلوني كاتب معروف بشمولية ثقافته وتنوع كتاباته، وفي كتابه الأخير تستوقفنا قدرته على امتلاك مفاتيح خاصة للوعي، هي مفاتيحه، يبذلها لقارئه فتفتح بينهما «الكاتب والقارئ» أبواب جديدة من الحس المشترك، وأفاق من الأفكار والهموم، لها قوة الجاذبية في تحويل الهواء بين الاثنين إلى هواء ممغنط، يدفعهما إلى استيعاب كل ما يطرح على «مهاده» الكتابة من مشتركات أو متناقضات، إلى درجة تتلاشى فيها المسافات بين الكاتب الأول «الحقيقي» والكاتب الآخر «القارئ» باعتبارهما يكتبان معاً ذات النص ويقرأه أيضاً.

يحاول إبراهيم في الفصل الأول من كتابه أن يفهم الديمقراطية، فينتقل بين الإنكار والإثبات، ويستعرض التجربة ومعطياتها ويتوقف أمام سيكولوجيا المعارضة والجماهير، مؤكداً أن «الناس هم المقياس» وأن الدم العربي «الحامي» ما زال يحتاج إلى قرون من «التبريد» قبل أن يكون صالحاً لتعاطي الديمقراطية وممارستها مظهراً وحقيقة.

وفي فصل «الصهيونية» يفتح العجلوني أمام قارئه إطلاقات رحبة على الفكر الصهيوني، والثقافة اليهودية، مستحضراً الفيلسوف «اسبينوزا» و «إيلي أبو عسل» مؤلف كتاب «يقظة العالم اليهودي» وغيرهما، ومتسائلاً، «كيف يفكر الإسرائيليون وكيف نام» ثم محذراً من أن إسرائيل لا تريد الأرض والسلام حسب ولكنها تريد إلى جانبها الإنسان أيضاً.

وعبر تراجيديا تصل إلى درجة الضحك من البكاء نقرأ للعجلوني «يد في حلقي» و«الذباب» ولمع وإشارات أخرى، فتتوقف أمام كاتب ساخر يحاول أن يتجاوز التصنيفات المريحة للعقل المتثائب، وأن يلامس همومنا الوطنية والقومية برؤية فلسفية مفتوحة على الوعي الناقد باستمرار.

(١) جريدة الدستور: ١١/٥/١٩٩٨ م.

نستطيع بسهولة أن ندرك ما يريد العجلوني في كتابه، ونستطيع أن نقول بأن أجيالنا بحاجة إلى قراءة هذه الشذرات، لا لإنعاش ذكراتهم وزيادة محاصيلهم الثقافية وحسب وإنما «لتخضير» الحلم اليابس داخلهم وتجديد ثقتهم بقدرة الأمة على النهوض، والعقل العربي على التجديد والإبداع، ونحسب أن المؤلف قد نجح في كشف الكثير من المسكوت عليه أو السائد في حياتنا الفكرية، كما نجح في إعادة الاعتبار لكثير من قيمنا الغائبة وفي توضيح كثير من مفاهيمنا الغائمة، وميزته -هنا- وهو يقدم -شذراته- أنه يصدر عن موقف ملتزم، مشغول بقضايا أمته، ومدرك لهمومها.. في زمن مللنا فيه ضجيج «المثقفين» الذين تصدرهم لنا وسائل الإعلام المختلفة في علب فاخرة.. ليس فيها سوى نكهة المواد «الحافظة».

نشكر لشذرات إبراهيم التي أيقظتنا من راحة الغفلة وغيبة الوعي وفهاهة التفكير.

إبراهيم العجلوني الشاعر^(١)

حكمت النوايسة

وقع بين يدي مخطوط فيه شعر إبراهيم العجلوني كلّ، ووقعت في حيرة أمام هذه التجربة الشعرية التي وأدها صاحبها بإرادة تامّة، وأقول بإرادة تامّة، لأن في هذا المخطوط الذي يشتمل على (تقاسيم على الجراح) و (حينما نلتقي) و (طائر المستحيل) وقصائد أخرى لم تنشر في ديوان، فيه من الشعر ما يمكن أن يشكّل بداية قويّة في الشعر ربّما سرقها الصحافة منّا، أو سرقها ما هو غير شعري من اهتمامات العجلوني، وتخصيصاً الفكر، والنماذج النثرية المتعالية التي وجد فيها ما يشبع رغبة القارئ المنشئ... قرأت الشعر كلّ، ووقعت في حيرة، إذ إن الناثر الذي نحبّ، الناثر الذي أراد أن يكون قلمه ذا لون خاص، يمتاح من لغة أدبية رفيعة، قد تصعب على من لم يخبر دروبها، هذا الناثر الذي أراد هذا الشر، كان في البدء شاعراً، وكانت تجربته في الشعر جميلة، تتكئ على ثقافة لغوية وإيقاعية عالية، فضلاً عن اتكائها على موقف، موقف من الوجود، والكينونة، والإنسان الحائر فيهما، وهذه، لعمرى، عدّة الشاعر، الشاعر الذي يمكن أن يكون صاحب الصوت الخاص، والأفاق الجديدة.

وفي قراءة هذه المجموعات التي ستصدر، إن شاء الله، في كتاب موحد يجمع أعمال العجلوني الأدبية، في هذه المجموعات ما يجعلنا نتساءل: هل يستطيع الشاعر أن يتخذ قراراً بالتوقّف عن كتابة الشعر، وما الذي يدفع الشاعر إلى أن يتخذ مثل هذا القرار؟ إبراهيم العجلوني الشاعر يمتلك من القلق ما يجعل أمر اتخاذ قرار التوقف عن كتابة الشعر سهلاً؛ إذ إن ذلك القلق ليس القلق الذي يتخذ من النفس طوطماً ومن رغائبها عالمًا من الأسرار، وإنّما القلق الذي تندغم فيه الذات في الجماعة بصدق، فتحاول الذات تلمّس وجودها في الجماعة باحترافها التعبير عن القلق الجمعي، وهذا من أمراض الصادقين في القرن الذي انفرد، وعندما أقول الصادقين، فإنني ألمز أولئك الذين استطاعوا أن يكونوا شعراء كل شيء، واستطاعوا السير في طريق الشعر الذي يصلح لكلّ حاجة يريدها صاحبه، وهنا نحن أمام فريقين من الشعراء، فريق فني في الجماعة فكان ما كان وكان أن ترك الشعر بعد خسارات الجماعة التي لم يحتملها، وفريق كان اندغامه في الجماعة سلعة مزجاة، فكان شاعراً لكلّ

(١) جريدة الرأي ٦/٩/٢٠٠٨

شيء وكلّ حاجة... وأنا هنا لست مضطراً للمقايسة، وإن كنت أرى أن العالم يحتمل فريقاً آخر ما زال يقبض على جمر الشعر الملتزم ويهَيِّئ سفينته بهدوء المؤمنين و يقينهم... لكنني، من المقايسة تلك أفهم أن يترك إبراهيم العجلوني أمر الشعر؛ فالشاعر إنسان شفاف يعرض بضاعة روحه على من يحب، وعلى محيطة، فإن وجد مُحِبّاً أَحِبّاً؛ ذلك أن بضاعة الرّوح غير بضاعة اللسان، وشعر إبراهيم العجلوني شعر روحه، وما يقوله في شعره هو ما يقوله قلبه... إنني في ما سبق أبحث لشاعرنا عن عذر، أو مسوِّغ يجعل العجلوني يقتل الشاعر... ورغم معرفتي أسباباً كثيرة تقود إلى ذلك، أتساءل وأبقى أتساءل، فالتجربة الشعرية التي كاد صاحبها يطويها من التجارب المهمّة في الحركة الشعرية في الأردن، ويجب أن تأخذ مكانها الطبيعي في الدراسات التي تتناول الشعر الأردني، وحسنًا تفعل وزارة الثقافة إذا نشرت شعر العجلوني في كتاب جديد، ليكون في متناول محبّي الشعر ودارسيه.

من أوراق.. خالد الساكت

عن الصديق الأديب إبراهيم العجلوني^(١)

خالد الساكت

قال لي توفيق الحكيم مرة عام ١٩٥٦ وكان اصطحبي لزيارته الصديق الأستاذ عبد الجليل حسن عضو الدراسات النفسية الدولية المقارنة، عندما وجهت إليه السؤال التالي: أين تجد نفسك أكثر؟ فقال الحكيم ما معناه: (أخشى أنني لم أكتشف (اطاري) بعد... كم سألت نفسي.. هل أنا كاتب رواية أم تمثيلية؟ هل أنا كاتب مسرحي أم مفكر؟ ثم ماذا أريد قوله بحيث يعيش ويؤثر.. فأنا في مسرحية -أهل الكهف- وفي كتاب «تحت شمس الفكر»، وفي رواية «عودة الروح» وفي يوميات نائب في الأرياف قد وجدت نفسي نسيباً... أو هكذا خيل لي.. لا أدري.. (وصمت قليلاً) ثم مضى يقول: أمام الفلسفات والاتجاهات والمذاهب المختلفة، وأمام الانجازات الفنية والفكرية والعلمية في العالم المتقدم.. أجد نفسي تائهماً وسط التراث المركب المترام «والواقع المصري والشرقي».. فمرة تغمرني روحنا:.. ومرات تجذبني الإبداعات والمخترعات العالمية، بروحها، أو بدون روح.. التخلف يقلقني.. وأهش لكل أنواع التقدم، وأخاف منه في نفس الوقت.. إن مهمة الكاتب وشاهد العصر عندنا. ضخمة وصعبة وخطيرة.. «وسكت. وشعرت» -وزميلي عبد الجليل- بأن علينا أن نتركه لأحلامه وتأملاته الدائمة.

هذه مجرد مقدمة. «دندنة» أعزفها لصديقي الأستاذ إبراهيم العجلوني، الذي يذهلني فيه، تغلغله في مجالات الأدب والفلسفة.. وكما أن الله حباه جسداً سنديانياً، وقدرة فذة على التحرك المحدق بكل الإتجاهات، ويزرع لنفسه حضوراً في مواقع متعددة.. فان هذا التغلغل والقوة والحضور، يرتد عليه -أحياناً- عقبات واختناقات وخيبات وأزمات.. إن هذه الظاهرة الجميلة والموجعة، طبيعية من جهة، وغريبة من جهة أخرى.. قرأت مرة.. بأن هناك علاقة جميلة بين الموسيقى وصنع الجزم.. وقرأت مرة أخرى.. بأن هناك علاقة أكثر من جدلية، بين بعض المصلين في مسجد عريق المسجد الأموي وبين أدنى معطيات كامب ديفيد..

(١) ملاحظة: نشرت في الأعمال الأدبية لخالد الساكت والتي قدم لها الروائي المصري الكبير سليمان فياض.

والصديق المفكر «العجلوني» يعي أبعاد هذه القراءات.. ولكن الإشكال، يكمن في الرفيعة الموزعة.. فيتوه، وهو ينشد ما هو صائب وسديد، ويرتبك وهو الذي يملك إرادة صلبة تستطيع أن تواجه أكثر من «تيار» وأكثر من «طوفان».

إن ابراهيم العجلوني، ثروة ثقافية وثروة وطنية، بما يتضمنان -بالقوة- من أخلاقيات وسلوكيات وكنوز «عالية وغالية وعميقة»:
* يتواضع كثيراً.. فيمنح أناساً لقب الأستاذ.

* وترفح أحياناً، فيغضب الغضب الجميل، أو يرفض الرفض الإيمائي.

* وقد يقبل -ولا أقول يتأقلم- فيحول قبوله إلى هدايا لأطفال العراق، أو مقالات صاروخية محسوبة وغير محسوبة، أو «حياة» يسكنه عن رده الأهانة.. وفي كل الأحوال، فإن في داخله (إيماناً راسخاً) يمسك به على حافة «الصراط»، أو الاستسلام للقدر، أو اللامبالاة.. شيء واحد -يتصور المرء أنه صعب جداً- يزيل كل العقبات والاختناقات والأزمات من طريقه وحياته.

* أن يمسك بورقة ثمينة ويكتب عليها - عبر شهر أو شهرين من التفكير والتأمل الجادين إلى أقصى حد، بعض الأسئلة وبعض الأجوبة: أقول بعض الأسئلة مثل: ماذا أريد من نفسي ومن العلم؟

وماذا أكتب لنفسي وللعالم؟ وما هي الغايات التي أنشد؟؟

* ويأتي بعد ذلك الالتزام «النبي» بما خط من إجابات وما حدد من غايات ووسائل للوصول إلى تلك الغايات، تنويجاً رائعاً لمسيرة ثرة وعظيمة ونادرة. شريطة أن يعيد النظر «بلغته المتماشكة جداً» بحيث تتناغم وتتطابق مضامينها الواضحة المطلقة، مع التغير الحي.. ليصبح العجلوني وأسلوبه ولغته وأهدافه وغاياته: كلاً موحداً: لتبزغ شمس ساطعة ناطقة، كشخصيته الطيبة الرفيعة النبيلة.. وتبرز وتتميز «خصوصيته» وتكثر «بصماته» وتعمق: في الكلمة، والموقف، والاتجاه، والغاية الأسمى، والتأثير المحرك..

* ما أطالب به «إبراهيم» هو ما أطالب به كل إنسان على هذا الكوكب.. وخاصة أولئك الذين يريدون أن يضيفوا لبنة أو أكثر في بناء الحضارة الإنسانية المتشابكة المتفاعلة الممتدة.. وإبراهيم، واحد من هؤلاء بالتأكيد..

مسرحية «الجنرال»

عمل فنتازي

د. زياد أبولبن

يكتب إبراهيم العجلوني مسرحية «الجنرال»^(١)، وجاء تحت هذا العنوان: «فانتازيا عربية في ثلاثة مشاهد»، وقبل التعرف إلى شخوص المسرحية والمكان والخلفيات وغيرها، لا بدّ من الوقوف على مفهوم «الفانتازيا»، وكما جاء في كثير من الأدبيات والدراسات «هي تناول الواقع الحياتي من رؤية غير مألوفة»، وهذا ما تحقق فعلاً في مسرحية «الجنرال»، حيث يقوم المشهد الأول على شخصية الجنرال الذي «امتلاً صدره بالنياشين وعلت كتفيه أعداد من السيوف والنجوم اللامعة»، هذه الشخصية تمثّل السلطة الحاكمة، ومحاطة بستة من الحرس أو الدرك، وهي شخصية الأمر الناهي، وقد جعل الكاتب من الدرك أرقاماً من ١ إلى ٦ دون الدخول في أسمائهم، باعتبار أن هؤلاء أدوات تنفيذ بيد الجنرال، ولا قيمة لهم في الحياة سوى تنفيذ الأوامر، وإن حركة الشخوص: الجنرال والدركيين على خشبة المسرح تتوافق وطبيعة المشهد، فالستارة تنكشف «عن أرض موحلة تناثرت في مقدمتها قطع من الخشب وبطانيات قديمة. وثمة خمس عجلات من الكاوشوك موزعة كأنها مقاعد، على حين مُدّ حبل في عمق المسرح، من أوله إلى آخره، علّق عليه أكياس من النايلون الأبيض، تتبدى من خلفها خمسة براميل كأنها غارقة في الضباب. يتمطى في كل منها رجل ذاهل، ثم يستغرقه النوم، ثم يصحو ليشاءب، وهكذا إلى نهاية المشهد».

يدور حوار بين الجنرال والدركيين الستة، في البحث عن أبناء الشعب الذين اختفوا فجاءة، مما يدفع بالدركيين لتبرير سبب اختفائهم خشية بطش الجنرال، ويتناوب الدركيون الحديث أمام الجنرال متوعدين بأشدّ العقاب لهؤلاء الجاحدين، وإن سبب اختفاء الشعب هو انشغاله في مراسيم الدفن! ولا يظهر في المشهد دفن من؟! حيث يفتح الحوار أمام المشاهد/ قارئ النصّ على تأويلات غامضة أو ملتبسة، ثم يخرج الجنرال ويتبعه الدركيون، ليدخل إلى المشهد شخوص جدد، اتخذ الكاتب لهم حروفاً هجائية (أ، ب، ج، د، هـ)، باعتبارهم

(١) إبراهيم العجلوني، من مفكرة رجل يحتضر: مسرحية وقصص قصيرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٩، طبع بدعم من أمانة عمان الكبرى.

مواطنين، ومن خلال الحوار الذي يجري على ألسنتهم نتبين أنهم مواطنون معارضون للجنرال أو كما وصفهم الدركي (١) (هؤلاء جاحدون..)، في المقابل نجد أن المواطنين الذين اتخذوا البراميل مسكنًا لهم هم سلبيون، ويغطون في نوم عميق، وفعلهم يقتصر على الأحلام، فهم مواطنون صالحون نائمون كما وصفهم الدركي (ص)، ويطلقون الضحكات الهستيرية ثم يخدمون، كلما سمعوا حوار المواطنين الجاحدين، الذين يبحثون عن شيء هلامي أو من صنع خيالهم لا يظهر أمامهم، رغم أن المواطن (ج) قد «رأها»! أي رأى ما يبحثون عنه، وتغلق الستارة في المشهد الأول على سؤال المشاهد/ قارئ النص، مَنْ هي التي رأها المواطن (أ)؟! وكأن بناء المشهد الأول - فعلاً - يُقوم على حركات فانتازية لا يحكمها منطق عقلي، بل تقع أحداثها في عالم متخيل، وشخصها غير واقعية، وهي محض خيال وغرائبية.

ينتقل المشاهد/ قارئ النص إلى المشهد الثاني، حيث تفتح الستارة عن مشهد مكاني بإضافات قليلة على المشهد الأول: «.. المنظر السابق نفسه، بزيادة سُلّم حديدي ملتو ينتهي إلى مرحاض ذي نافذة عريضة مُطلّة كتب عليها W.C بالإنجليزية، و«بيت الأدب» بالعربية، على حين بدت أرضية المسرح مغطاة بالوحل والطين، وقد نُصب على جانبيها منصتان، جلس في كل منهما (قاض) على رأسه علبة حليب أطفال... وعلى العجلات الأربع جلس المواطنون (أ) و(د) و(ب) و(ج)... بينما وقف المواطن (هـ) مثل تمثال إلى جانب واحد من البراميل، التي يتشاءب ساكنوها، ثم يغطون في النوم، ثم يتشاءبون، ثم ينامون وهكذا على مدار المشهد».

يبدو المشهد الثاني بمحاكمة ساخرة أو غرائبية أشبه بمحاكمات قراقوش في الأدب العربي، ومما يثير الضحك والسخرية مشهد القاضيين (١) و(٢) اللذين علت رأسيهما علبتا حليب الأطفال، «ويعرف قراقوش لدى غالبية الناس مقترنا بالأحكام العجيبة والتي تصوره ظالمًا تارةً وغيبًا تارةً أخرى»، وما يقوم به القضاة في هذا المشهد لا ينم إلا على غباء قراقوش، فالتهم جاهزة لترضي غرور الجنرال، والمتهمون يتحولون إلى جنباء، ويتصلون من أفعالهم، ويعلمون ولاءهم للجنرال، وللتخلص من تهم القاضيين يفتعلون الغناء الذي يثير الضحك، ويصنّفون بالمجانين، ويكون مصيرهم الوقوف بجانب البراميل كالتماثيل، أي يريد الكاتب أن يجعل من هؤلاء سخرية للأقدار التي تنتظرهم في محاكمة بلهاء، حيث

يتساوون في النهاية مع الذين يسكنون البراميل، بل مَنْ يسكن البرميل أحسن حالاً، فهم يغطون في نوم، أما هؤلاء فهم يتحولون إلى تماثيل أو يتشابهون مع التماثيل، ففعل التمرد الذي قادوه في البحث عن شيء يعزز قدرتهم على الثورة يتلاشى أمام السلطة الحاكمة.

ينكشف المشهد الثالث بخروج الخمسة الذين ظلوا يثأبون من البراميل، ليدخل بدلاً منهم المواطنون التمردون، وهنا يتقدم ساكنو البراميل وقد كُتب على صدر كل واحد منهم عبارة تنم على الولاء للجنرال: مواطن مخلص، مواطن مُنتم، مواطن شجاع، مواطن مغوار، مواطن نشمي. هكذا أرادت السلطة الحاكمة الممثلة بالجنرال أن يكون المواطنون، فلا يتعدى كل مواطن الحدود المرسومة له من قبل السلطة.

إن حركة الشخوص في المشهد الثالث أكثر فاعلية على مستوى الخطاب الذي يحمله النصّ المسرحي، فمرحلة الوعي تخرج ساكني البراميل عن صمتهم، رغم أنهم ما زالوا يتمرغون في الوحل، باعتباره وحل الوطن، الذي صنعه الجنرال لهؤلاء المغفلين أو النائمين منذ سنوات طويلة، فهم أشبه بأهل الكهف، فاتخذوا البراميل مكاناً لصمتهم، وهربوا من الطاغية الجنرال، وعندما يستيقظون من سباتهم، تتبدد أحلامهم في خوفهم الذي لا يحاول تغييراً في الواقع، وما تلك الأحلام إلا رؤى غير قابلة للتفسير، فألة القمع، وسكناتهم المزروعة في الخوف، كل ذلك قد أفضى إلى الاستسلام، بل تحولت أصواتهم المكتومة إلى هتاف بحياة الجنرال (عاش سيادة الجنرال)، وكل الأصوات أو الشخوص في المسرحية (مواطنون ودركيون) تشترك بالطاعة والخنوع للجنرال، وإن تزييف الواقع وإيهام السلطة بولاء الشعب، هو طوق النجاة.

يبدو النصّ محملاً بالرموز والإشارات للدلالة على واقع فتنازي يعيشه المواطن العربي في ظل سلطة الجنرالات، فلم يحدد الكاتب مكاناً أو زماناً تقع فيه أحداث المسرحية، ولم يحدد شخوصاً تحمل أسماءها، بل ترك للمشاهد/ قارئ النصّ عملاً مفتوحاً على التأويل، ومحملاً بمرجعيات ثقافية ودينية، فاتخذ من اللغة العربية الفصيحة وعاءً للحوار، بل أشبع بعض مفردات النصّ لغة تنهل من التراث معانيها مثل: سنجعلها صعيداً زلّقا، أو نجعلها قاعاً صنفصفاً، طوع بنانكم ورهن إشارتكم، وإذا كان جوابكم هو ما أتوقعه من تقبّضات الألم، أو نتعناه في زمبيل، وهذه أيضاً رؤيا منام أو ما شئت من سمادير الأوهام، بل قل ما أعمق بهجتي وحبوري، أيها الرعديد الأحمق، الإحاطة بهذه الناصية الكاذبة الخاطئة،

وكم من ميت أوحى بثورة جامحة لا يُلوى عنانها، رعديد منذ كنت بين الصُّلب والترائب،
...الخ)، كما ضمّن النصّ أبياتاً شعرية لإيليا أبي ماضي ولأبي العلاء المعري.

يبقى القول أن لحظة التجريب التي ينزع عنها إبراهيم العجلوني في مسرحيته هي إبداع
يسعى إليه لابتكار أساليب جديدة في التعبير أو طرق التعبير الفني، كما نزع إلى كتابة القصة
القصيرة والرواية في كتابه «من مفكرة رجل يحتضر» وكتابه «الوجه»، إلى جانب دواوينه
الشعرية «تقاسيم على الجراح» و«وحيما نلتقي» و«طائر المستحيل».

إبراهيم العجلوني..

بحثاً عن أفق^(١)

د. زياد الزعبي

أيا إبراهيم لم نملاً من سلاف دوالينا الكؤوس، كلما امتلأت عبها المحتالون والمنافقون والحمقى والحواة اللصوص.. هدنا يا إبراهيم غناؤنا العذب للسواقي وبيسنا عطشا. فهل مصادفة أن تكون أولى ألحانك «تقاسيم على الجراح» مثقلة بالنشيج، وغارقة في الدمع. وباحثة عن فجر جديد كلما آن له أن يزرغ امتد الليل، وترنح الزمان. والأفق يردد لحن أغنيتك:

«يا مهيرتي يا محجلة وانت جميلة مدللة

يا مهيرتي عمري انقضى

والحب في شرح الشباب

ظمان يرويه اليباب».

وها أنت يا إبراهيم ما زلت تعزف على «مزامير الحزن»:

«والليل. وأشواق تمتد

وسراب يملأ باب الغد

وأنا أدعو

أدعو

ودعائي يهرب منه الرد».

وحينما نلتقي محدقين فينا نكتشف «أننا نقف مع اليأس جنباً لجنب»، باحثين عن الأمل والحب في زمن الغيلان، فتعمرنا الأمنيات «يا ليتنا طفلان يلهوان/ يعبثان بالزمان، يعدوان

(١) جريدة الرأي ٢٠١٩/١١/٣٠.

في المدى ويسخران بالردى»، لنكون من نسل «طائر المستحيل» بدائين بريئين، يستعيدنا الحب، ويغرسنا في سهل حوران أو على أطراف مؤتة زهرتي سوسن، شجرتي زيتون، ودحنونتين قانيتين تتجددان كل ربيع.

مر غدنا من ألف عام، لم نلتق بالرؤى الندية، ولم ندخل قصور الحلم، كنا نقاتل من أجل عالم جميل، وأمان بيض، وأرض تخضر تحت مطر حروفنا العاشقة، كنا سهاما مريشة بالحب والأحلام والغضب النبيل، كنا باحثين عنا وعن وطن فينا ترفرف فيه رايات القانون والعدالة والحرية، كان سلاحنا الحب والعقل، لم تكن في أيدينا فضة يهودا ولا خنجر بروتوس، وكانت سيوف معاوية أحد من حق علي، وخديعة عمرو وأبلغ من صدق الأشعري. أيا إبراهيم، موقن أنا بأنك غرست في تراب الوطن ترانيمك وأفكارك، ولغاتك، وأنك نسغ حياة يتجدد على مر الزمان..

في لقائي الأخير بك كنت تحدثني بروح «فيشته، ولغته، ذلك الذي يرى أن الألم هو الذي يمنح الإنسان طاقة الحياة ويفجر قواه، وأن تألم الإنسان هو الذي يمنحه صفته الإنسانية الحققة، وأن معاناة الألم بصبر وتأمل توصل إلى ما يسمى «السرور النابع من أعماق الألم».

أدرك يا إبراهيم أنك لم تكن تتفلسف، بل كنت تحدد في تجاربك الشخصية، وفي وقائع عمر عشته وتعيشه مؤمنا بالفكر والمعرفة، ومطاردا سراب أمنيات عصية على التحقيق، تجاربك المثقلة بالمكابدات والظنى والحب والشقاء.. كنت أسمع وأتأمل ويلح علي هاجس أن لعنة المعرفة تجلب كل هذا، وأن التفكير في سياقات أطر تنفيه وتسخر منه وتقصي نماذجه، فعل يؤدي دون ريب إلى غربة روح وتيه عمر يلوب بحثا عن أفق يتسع لأفقه، كما فعل صديقنا أبو حيان الذي أثرى زمنه وأثرانا بفكر ومعرفة لم تعرف الحدود، وأثقله ذاك العصر بالبوؤس والحرمان، وفجر غضبه الحارق ذاك الذي كان يمكن أن يحرمنا لذات المثاقفة بكل ما فيها من الإمتاع والمؤانسة، ويحول بيننا وبين مقابساته وبصائره وذخائره.

إنها بنية عصر تداخلت فيه اللغات والثقافات والأعراق، عصر انقلبت موازينه، فشالت كفة الذين يعلمون، ورجحت كفة من لا يعلمون، وتاه فيه المفكرون والشعراء العظماء في دهاليز الكوافير والنواطير، وانتهوا ضحايا على أيدي الفتاك والشطار والعيارين، فغدا أبو

حيان التوحيدى غريب اليد والوجه واللسان فى عصر استُجبلت فىه السفوح، وتنمّر السفهاء، وسادت الفهاهة والسفاهة. هذا ما نعانىه يا إبراهيم، ونحلم بأن نتحرك إلى أفقنا المرسوم بقوة الفكر وجموح الخيال الذى يمكننا من التعالى على بؤس الواقع وبشاعته وقسوته وخداعه فى سبيل أن «نكون ذات يوم ما نريد».

إبراهيم، ها قد تأملت الدنيا الدنية بعين بصيرتك، وعزفت عن طينها بكل إرادتك، واستصعرت شأنها قدر علو همّتك، فعلوت حرا فى زمن عُسر الحرية، لك المحبة والتقدير.

بائع المسك^(١)

سامر حيدر المجالي

ما جالستُ أستاذنا وعلّمتنا، إبراهيم العجلوني (أبا سلطان)، إلا نالني منه ما ينال جليسَ الصالحين الذين وصفهم سيد الخلق نبينا محمد - عليه الصلاة والسلام - في الحديث المتفق عليه قائلًا: "إنما مثلُ الجليسِ الصالحِ وجليسِ السوءِ كحاملِ المسكِ وناقحِ الكيرِ، فحاملِ المسكِ إمّا أن يُحذيكَ، وإمّا أن تبتاعَ منه، وإمّا أن تجدَ منه ريحًا طيبةً، وناقحُ الكيرِ إمّا أن يحرقَ ثيابكَ، وإمّا أن تجدَ منه ريحًا مُنتنة".

فأنا الذي احتذى وابتاع ووجد أطيّب ريح..

وللأمر تفاصيلٌ تعود بي إلى زمن الصِّبا في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن الماضي؛ إذ إنني واحد من جيلٍ عبّرَ فجوة هائلة بين زمنين ولم تنضج تجربته بعد. كنّا الوارثين لعقود الأيديولوجيات الدخيلة علينا، التي احتكرت المشهد الثقافي في بلادنا، وضمّن خطابها في معظم النتاج الأدبي من شعر ورواية قصة، وكنّا الوارثين كذلك للدولة التئيم، دولة هوبز التي جمعت إلى سطوتها روح الاستبداد الشرقي، ضمن درجات متفاوتة من قطر إلى قطر، فكانت ذات سلطة مطلقة، تمارس الوصاية، وتعسف بالمخالفين، وتمتلك الإعلام.

لكننا من وجه آخر، كنّا المقبلين على زمن تفكك هذه النظم؛ زمن ريغان - تاتشر، الذي سيدشّن انسحاب الدولة من المشهد، وسيعلن التخلّي عن "السرديات الكبرى" لصالح "نهاية التاريخ" وسطوع شمس الليبرالية، وسقوط الاتحاد السوفيتي، وسيطرة الشركات العابرة للقارات على كل شيء في العالم.

في تلك الظروف كان البحث عن موقف أصيل تمتد جذوره في وجدان هذه الأمة أمرًا في غاية الصعوبة، وهو ما يزال كذلك على كلِّ حال. والأصعب أن يقترن هذا الموقف - حين يوجد - بعمق وسعة، وإحاطة ونباهة، وعصامية ونزاهة. كان تلمس رجال من هذا النوع؛ مثقفين مفكرين ذوي أقلام سيّالة ونوايا سليمة وضمائر لم يلوّثها الحطام، كالبحث عن حلقة في فلاة، فإن ظفر المرء بأحدهم عدّ هذا الظفر لقيًا ثمينة، قلّ أن يجود السياق المعتم الفقير بمثلها.

(١) ٢٠٢١/١/٨

هكذا برز الأستاذ إبراهيم العجلوني، واحداً من ثلثة قليلة من الكتاب المرموقين الذين يطمئنُ القارئ إلى ما يقدمونه من محتوى معرفي، وإلى ما يصدرون عنه من غايات نبيلة. توَّجَّح اسمه في نهاية الثمانينيات في كلِّ من "الرأي" "الدستور"، أو لنقل: أدرك جيلي هذا الوهَّج الموسوعي مع تفتُّح وعيه وغموض عالمه؛ فإن رام أحدنا عمقاً فلسفياً وجده عنده، وإن أراد الاطلاع على كنز من كنوز التراث فعند العجلوني ضالته. وكان إذا تحدَّث في السياسة جمع في حديثه بين دقة الفكرة ووجهة الموقف الأخلاقي، لا يهتَر ولا يتنازل، ويسكن انتماؤه إلى حضارة أمته في صميم وجدانه.

لا أنسى على المستوى الشخصي مواقفه المتينة إبان انطلاق الانتفاضة الأولى لأهلنا في فلسطين المحتلة، ولا توازنه خلال حرب الخليج الأولى. ولا يمكن لأيِّ شغوف بالمعرفة الحقَّة أن يتجاوز مقالاته المعرفية؛ إذ يبرز فيها حكيمًا يشير إلى الطريق ويأخذك في مسارات المعرفة، يضيء لك دربًا يقود إلى الإمام الشافعي، وآخر إلى فكر أبي حامد الغزالي، ويأخذ بيدك من الإمام الجويني إلى الباقلاني إلى ابن جني إلى ابن فارس إلى طه عبدالرحمن إلى العقاد إلى نديم الجسر، عابراً الأزمان، طائفاً بالأفكار كما يطوف أحدنا بأخصِّ نواحي بيته.

فإذا ظننت أنه هضم تراث العرب والمسلمين فحسب، تفاجأت بأنه عميق الاطلاع على الفلسفة الإغريقية، وخبير في كانط وفولتير ونيتشة وسائر فلاسفة عصر النهضة، وعصر التنوير، والحداثيين، وما بعد الحداثيين.. ذلك مع قدرة على الموازنة بين فكر وفكر، ونفاد إلى زبدة الأفكار بمهارة فائقة.

ولعلَّ لقائل أن يقول: وما يدريك أنه على هذا القدر من العمق والدراية وأنت لم تعرفه إلا من كتاباته في الصحف، أو شذرات أعماله الأدبية التي لم تطلَّع عليها مكتملة فتكون لك القدرة على الحكم الموضوعي، وأنت تعلم أن نفرًا عريضاً من الكُتَّاب يستطيع التمويه على قارئه، وانتحال آراء غيره فيُضمِّنها قالباً لا يكتشفه إلا من هو أرسخ منه قدماً في العلم والمعرفة؟

هنا أعود إلى أول كلامي في هذه الشهادة؛ لأقول إن خمسين عاماً من الإشعاع المعرفي لتؤكد أن معدن هذا الرجل معدن متفرد، وبرغم ذلك فإنني في هذه اللحظة أبني حكمي على مجالستي أبا سلطان مرات ومرات، بعد أن هيأت لي المقادير معرفته عن كُتُب، وبعد أن مضت منذ ذلك الوقت الموصوف أعوام كثيرة.

وإنه لحسن طالع رغم تأخره، تحققت فيه معاني الصحبة، وحالي فيها حال من أخذ بنصيحة الحكيم العربي الذي قال: "إن لم تجد من صحبة الرجال بداً فعليك بصحبة من إذا صحبته زانك، وإن رأى منك خلة سدّها، أو حسنة عدّها". فبائع المسك غدا لي صاحباً وجليساً؛ ذلك أنني بعد الصّبا تغربت عن بلدي، فضربت في الأرض سنوات طويلة، فلم يتهيأ لي أن ألتقي بأبي سلطان إلا في العام ألفين وسبعة عشر، حين نشرت كتابي الأول "شياطين في حضرة الملكوت" فوصلت نسخة من الكتاب إليه عبر صديقنا المشترك الدكتور حسن المبيضين، وقال فيه أستاذنا أبو سلطان عبر زاويته اليومية في جريدة "الرأي" ما رفعني فوق السحاب، وما أنا إلا دون ما قاله، لكنّه كرمُ روحه وحسن ظنّه اللذان طُبع عليهما.

حينذاك صممتُ على شكره وجهاً لوجه، فالتقيت به في مكان عمله، ونشأت بيننا أسباب المودة الصافية من كلِّ كدر. وتكررت اللقاءات كثيرًا، لا سيما بعد عودتي إلى الأردن بشكل نهائي في بداية العام ألفين وتسعة عشر، فكانت المجالسة تلو المجالسة وأيقنت أن هذا الرجل مدرسة بحالها، وأن في قلبه شيئاً لله، فلا يكتم علمًا، ولا يحضر مجلسًا إلا ترك فيه أثرًا لا يزول.

وهذه الصفات مجتمعة؛ أي نشر العلم، والموسوعية، وصفاء القلب، وجودة الذهن، تجعل جليسه رابحًا في كل حال؛ وأيُّ ربح هو! فإنك إن حدثته في الفلسفة خاض بك بحرًا الواسع وقدمها لك على طبق من مودة، وإن حاوَرته في الأدب استرسل فيه كمن لا تخفى عليه شاردة من شؤونه، وكلما فُتح أمامه باب ولج فيه واستخرج لك من كنوزه ما لا يقدر عليه غيره، كل ذلك يأتيك مقرونًا بذاكرة حافظة، ولسان طلق، وقريحة متوثبة، وإطلاع عميق أفنى فيه سنوات من عمره، زاده فيها كتبه، ومحركه شوقٌ غامر إلى المعرفة.

وهو إلى اليوم على النهج نفسه، بل هو العود الذي كلما عركته التجارب زاد طيبًا. ولعلَّ إيمانه في هذه المرحلة بأنه صاحب مشروع وجب عليه القيام به يؤكّد أننا أمام رجل استثنائي. مشروعه هذا كتاب موسوعي عن شخصية الرسول محمد -عليه الصلاة والسلام- يتناول فيه صورته في عيون الغربيين، ويفنّد افتراءاتهم عليه وعلى شخصه المطهر. إنه فوق علمه وموسوعيته محبٌّ مخلصٌ لشخص نبينا العظيم، يحسب عمله هذا عند الله، ويُنيلك إذ تجالسه قطفًا من محبته هذه، فتكتمل سحابة المسك التي يغمرك بها: علمٌ ثرٌّ من ناحية، ومحبة لله ورسوله من ناحية..

أي بائع مسك أنت يا أبا سلطان!

العبور في أجواء النص عبر قصيدة (في الوصيد)

للأستاذ ابراهيم العجلوني

بقلم: صالح البوريني

ما بين الذاتي والإنساني أو الخاص والعام في موقف الشاعر حدود فاصلة؛ تضيق وتتسع أو تشف وتكثف بقدر ما يتقاربان أو يتباعدان، ولا شك أن مما يرفع من شأن النص الإبداعي على مستوى المحتوى الموضوعي والمضمون القيمي؛ أن يتجاوز المبدع فيه ذاته، وأن يفتح نضجه على آفاق المعاناة الاجتماعية والتجربة الإنسانية .

وهذا ما يلفتنا ابتداءً في القصيدة الرثائية الرائعة؛ التي أهداها الكاتب والأديب الأستاذ إبراهيم العجلوني إلى روح والده رحمه الله تعالى، وسماها (في الوصيد)، ونشرها في صحيفة الرأي يوم ٢٢-١-٢٠١٦م.

والقصيدة قد توحى بأنها رثاء مزدوج لأكثر من فقيد إلا أنها تنطوي على نمط في الرثاء يتجاوز الذات والمخاطب، ويمتد حتى يشمل الحياة كلها ويحيط بالواقع من أطرافه.

قف في الوصيد ووفِّه الإنعاما

هل تستبين على المدى أقواما

يتوجه الرثاء إلى الناس جميعاً، فكلهم راحلون؛ والذين لمّا يرحلوا بعد في سباتهم غافلون، إلا من تنبه إلى خطورة الاسترخاء، ومغبة الاستسلام للأمانى والأهواء؛ فبكر في السرى، وحزم أمره على الجِد.

أسرى المجد فكان أسبق خطوة

والعائر استأنى ، فهام ، فناما

يعود بنا الشطر الأول من البيت إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم : (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت)، ويذكرنا الشطر الثاني (والعائر استأنى فهام فناما) ببقية الحديث نفسه : (والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى) .

تتصرف ذائقة الشاعر في المعاني المقتبسه تصرفاً حاذقاً، وتعيد شاعريته صياغتها في نظم بديع مبتكر، إنه يعيد إنتاج النص المقتبس من غير أن يستعير منه لفظة واحدة. على أن هذا البناء الفني في هذا البيت لا يعكس التأثر بنص واحد بعينه، بل يستدعي في ذاكرة القارئ الواعي نصوصاً كثيرة، وإنه ليرتد إلى ثقافة واسعة يمتلكها الشاعر، قد امتزج في كيانه، وانسلك في نسيجها كثير من النصوص والمفاهيم والمبادئ والمسلمات؛ التي تتبع من مرجعية دينية مقدسة، وأصالة تراثية راسخة، ومخزون معرفي ولغوي وفلسفي غزير .

وهو يلتقي أيضاً مع قوله صلى الله عليه وسلم في حديث آخر: (من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل...)، والإدلاج السير في الليل، وهو مرادف لمعنى الإسراء، قال سبحانه وتعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى...) الآية. فالمُجْدُّ الذي كأن أسبق خطوة هو الكيس الفطن الذي وطن نفسه على الاستقامة والخضوع لأمر الله تعالى؟ فأحكم قيادها واتبع بها سبيل المؤمنين، والعاثر هو العاجز الذي أخذ الأمر بالتهاون والاسترخاء فقعده به ضعف الهمة، ثم ضل في مسارب الدعة والأهواء والتهيه، فأخلد إلى الكسل، وثقلت خطاه عن المسارعة إلى الرفعة وطلب المعالي .

تعدد المخاطب في شخص واحد، وهو غائب عن الواقع حاضر في الوجدان، والمخاطب طيف الأب الذي يظهر واضحا في العنوان الصريح، وخطاب الطيف يجسد قيمة الحب في مقام التبجيل للأب، ومقام الوفاء. كما أن في اشتياق الحي للميت قيمة أخرى جلييلة؛ تشي بالثشوف إلى سمو الروح الأبية الطيبة شوقاً إلى اللقاء، وتطلعا إلى العلياء، ونزوعاً إلى الانعتاق من قيود الطين في دنيا الهائمين، فضلا عن تعجل الخلاص من ربقة مكابذاتها وابتلاءاتها، وتجرع غصصها ومراراتها:

لكنما غلبت عليّ مصائري

فمكثت بعدك في الأسى أعواما

ولغة الأستاذ العجلوني الشعرية لغة تراثية أصيلة، تقبس من مشكاة القرآن؛ فكأنها قطر من مزنه، أو نثر من دره، وذلك في كتابته كثير، ومنه في هذه القصيدة قوله: (ساء منقلبا) (ساء مقاما) (أسلمت وجهي) وغيرها .

ولعل من أبرز محمولات النص الجمالية في هذه القصيدة ما زحرت به من الشحنة العاطفية، التي تميزت بالزخم والتنوع والصدق.

وبقراءة عميقة مستأنية تتظاهر لبصيرة القارئ من وراء الكلمات فضاءات تحتشد فيها
وتتدافع عواطف إنسانية جياشة، ومشاعر قلبية وروحية، تتفاعل وتعتلج اعتلاج المعصرات،
تنبئ عن روح معذبة، وقلب حزين، ورجاء عريض تخيبه مخاتلات الوقائع، ورجولة تغالب
القهر، ونفسٌ أبية نأت بها أنفتها وكرامتها أن تخوض مع الخائضين، أو ترتع مع الراتعين،
واستمع إليه يقول:

لكن أمانئُ القلوب رواجع

بوجيع آهاتٍ يزدن ضراما

ولرب مرتقبٍ تباشير المنى

أخذته خادعةُ السراب فهاما

يا ويحه متلداً متحسراً

قد ساء منقلباً وساء مقاما

ما هي المفاعلات التي أنتجت هذه الشكوى المريرة؟ الشكوى من الحيرة والحسرة
وسوء المنقلب وسوء المقام!! إن لم تكن العقوق والنكران والإقصاء والخذلان؟! وإن لم
تكن الإعراض والنأي بالجانب وثني العطف وتوليّ المبطلين!؟

حين يصغي المحبوب للوشاة، فيصرمُ حبل الوداد، ويأنس القريب بذوي الإحن فتلعب
به أهواؤهم، ويوافق أداء المهرجين ميول النظارة والمصنفين، يُلفي العاشق الأمين والناصح
المبين نفسه محللقا خارج السرب، ومولياً وجهه إلى غير قبلة السارين، هنالك يبتلى
الصادقون، ويزلزل أهل الوفاء زلزالاً شديداً.

والحزن والأسى وخيبة الرجاء والحسرة والغربة والفقد والوحشة والوحدة ومعاناة الصد
والإعراض والسأم والملل، كل ذلك يوجه سلوك الشاعر اللاواعي إلى الشكوى من قسوة
الواقع، والميل إلى الاعتزال، والنزوع إلى العالم الآخر، حيث يجد الثقة التي عدمها في عالم
الشهادة، والمقام الذي يليق بمكانته وبصدقه ..

أكبرتُ هذا الطيف أن يطأ الثرى

وهو الذي خلل الشغاف أقاما

ورجوت للنفس النبيلة منزلاً

من عطر أوارد ونفح خُزامى

البعض يتحمس في بداية السباق، ويجتهد في المتابعة، ويفاجأ في بعض مراحل التنافس بتغير قواعد السباق، واختلاف أسباب الفوز وشروط المشاركة، فيستشعر مرارة الغدر؛ ويأسف على أمل خاب، وإنجاز يؤول إلى التباب، فينطلق بجواده إلى عرض الميدان، متحيزاً إلى فئة الصادقين، ومتحرفاً إلى مناجزة المبطلين.

ما كان اقرب ما دنوت توددا

ما كان أبعد ما نأيت خصاما

لكن لي في كل حال حُظوة

فإلام احتمل الصدود لإلما

يا طول ما اسلمت وجهي ضارعاً

في الحادثات وما وجدت سلاما

عمر تقضى بين أسراب المني

ومطامح لم ألها تهياما

أمضي أخوض سرايها في بلقع

ما أستبين مع الضحى أعلاما

وعلى الرغم من الصدود والهجر وسوء الرد، إلا أنه يتعلق برجاء أخير، ويتشبث بأمل يلح في طلبه، فيتمنى على ذلك الطيف أن لا يظن به عليه؛ ألا وهو الزيارة ولو لماماً. إنه يرجو ذلك الطيف الطاهر النبيل أن لا ينقطع عن الوصل لأن الوحشة قاتلة والواقع مرير .

وقعت عيني في هذه القصيدة على الاستعطاف والوداد والرقّة والرحمى والوفاء والحنين والوجد والعتاب الرقيق الحزين، واستشعار لذة الوصال النوراني، والروحاني، والسكينة وتمعن الحضور الذاتي والوجداني، ومعاناة الصد والإعراض، والشكوى من قسوة الحبيب، وطول الهجر، وتقديم التضحية في مقابل الجحود والنكران، والطموح البائس الخاسر،

والحظ العاثر، والوصل والمبادرة والعمو والصفح، وألفت أيضاً يدا تهبُّ الرضى وتعطر
الأنسام، والتقيت بالحب والإخلاص وصادق الود، وحسن المعاشرة ولين الجانب،
واستحضار الذكرى الجميلة العطرة، والنبيل وكرم الأخلاق، وأنين الشكوى من قسوة
الحياة، والأشواق إلى حياة الخلود الأبدية، والنزوع إلى الاستقلال، والميل إلى إلقاء عصا
الترحال، كل ذلك ماثوث في ثنايا هذه القصيدة، ومنتور بين حروفها، يوضع عبره في فضائها،
وتستجلي العين صورته فيما بين كلماتها، تأمله معي يقول :

يا طول ما أسلمت وجهي ضارعا

في الحادثات وما وجدت سلاما

عمر تقضى بين أسراب المنى

ومطامح لم أهاتهياما

أمضي أخوض سرايبها في بلقع

ما أستبين مع الضحى أعلاما

ومن القيم الفنية والجمالية في القصيدة خطاب الطيف، وهو يجسد قيمة الحب في مقام
التبجيل للأب، وفي مقام الوفاء. وفي اشتياق الحي للميت قيمة أخرى جليلة؛ تشي بتشوف
الروح إلى علياء السماء، شوقاً إلى اللقاء، والتسامي عن الوجود المادي الأرضي، سموّاً
يتعلق بالطهر والنقاء، وأبدية البقاء، والنزوع إلى الانعتاق من قيود الطين في دنيا الهائمين..
فضلا عن تعجل الخلاص من ربقة مكابذاتها وابتلاءاتها وتجرع غصصها ومراراتها:

لكنما غلبت علي مصائري

فمكثت بعدك في الأسى أعواما

وبعد، فهذه محاولة للعبور في أجواء النص، وقد يحلو لبعضهم أن يسميها أسماءً أخرى،
أسماء أنظر إليها من بعيد، فأجدني أقرب إلى رحاب (في الوصيد).

مع كتاب " في الفكر القومي" (١)

صالح خريسات

قال أفلاطون. عقول الناس مدونة في أطراف أقلامهم وقال أصحاب السلطة من بعده للقلم والبندقية فوهة واحدة وقد رأيت أن هاتين المقولتين قد ترجمتا في الكتاب المتواضع الذي صدر عن دائرة الثقافة والفنون في عمان لمؤلفه الأستاذ إبراهيم العجلوني فأردت التعليق عليه.

هذا الكتاب بصفحاته القليلة حاول أن يختصر معاناة الفكر العربي الضارب في نقاش قضايا الفكر القومي ومسألة الفكر المستورد بصورة الزيف الحضاري المائل أمامنا تارة بالتقليد وتارة بالتححرر، على أن كثيراً من الصراعات القائمة بين العرب والتي يدعي البعض أنها تتصل بالفكر المعاصر قلما نجد من بينها معتقداً واحداً يستحق هذه المصادمات أو هذه التشويهاً لوجه الحضارة العربية وقد غاب عن ذهن أصحابنا هؤلاء ممن تأثروا بهذا الفكر الحديث أن فكرة القومية العربية بالأساس فكرة أوروبية جاءت متمشية مع مصالح أوروبا، إلا أن المفكرين العرب وفي غفلة من أمرهم راحوا يشتركون الهموم الأوروبية ويزرعونها في بيئة غير صالحة لها، ففي عام ١٨٥١م عقد مؤتمر فيينا وكانت الغاية منها محاولة إعادة تنظيم أوروبا مما جرى لها بسبب الحروب النابوليونية وتلخصت الفكرة القومية آنذاك في وجوب تأسيس الدول على أساس القوميات فيحق لكل دولة أن تستقل في إدارة شؤونها دون أن تخضع لمشية أمة أخرى، أقول أن هذه الفكرة تولدت عل أثر المعاناة الشديدة التي لحقت كلاً من ألمانيا وبلغاريا وإيطاليا وغيرها من الدول الأوروبية التي أصيبت في الحروب النابوليونية.

كتاب العجلوني يعالج هذا الموضوع بصورة مباشرة فهو يعلن في بداية كتابه أنه ليس لامة الحق في الحجر على العقل العربي وأنه (المؤلف) يوصي باتباع ما ذهب إليه الإمام الغزالي من أن بيان فساد أمر يقتضى الوصول إلى منتهى العلم فيه فعلى، سبيل المثال إننا إذا طبقنا هذا المنهج على الليبرالية الغربية وأردنا أن ننظر إلى هذه الليبرالية في مهدها وإلى ما آلت

(١) جريدة الشعب ١٩٨٦/١/٣١

إليه في مواطنها الأصلية أعوزتنا أولاً المعلومات الدقيقة عن مدى تطابق المبادئ المعلنة عن (الحرية والأخاء والمساواة) مع ما هو واقع حقيقة وأعوزتنا ثانياً القدرة على تحليل الكم الهائل من المعلومات التي تصلنا أو على معرفة صحة التأويلات المصاحبة لهذه المعلومات فضلاً عن القدرة على فرز ما ينفعنا أو يضرنا فيها وبالتالي فإن الحكم المنطقي سوف يكون برسم طبيعة العلاقة بيننا وبين الغرب.

وبغض النظر عن المآسي التي لحقت بنا من جراء السياسة الغربية فإنه يتوجب علينا أن نحاسب أنفسنا أولاً وأن نستفيد من تجاربنا السابقة مع الغرب، ويعلق العجلوني على هذا بقوله (وإذا كانت هذه غفلة قديمة العهد.. فقد أمكن للعربي أن يقول لا بملء صوته.. وتباشير ذلك في الآفاق ثمة من يعملون على أن يعيدوا إلى إنساننا ذاكرته وأن يستنهضوا فيه إرادته ويوظفوا فيه وعيه وأن يمضوا إلى ما يمكن أن يكتشف منابع قوته بعد أن كان ولعهود متتالية لا يستظل إلا بقوة الآخرين وكأن العجلوني أراد أن يذكرنا بالفلسفة الغربية عندما ألقى ريفان سنة ١٨٨٢م في قاعة السوربون خطبة شاملة بعنوان (ما هي الأمة)؟ قال ريفان العنصر الأصلي في القومية هو الإرادة والمشية والأمة إنما هي جماعة من الناس اتفقت مشيئتهم على أن يعيشوا سوية وهنا يطرح السؤال نفسه في أن فكرة القومية القادمة من الفكر الغربي والتي اشتراها العرب لم تطبق من حيث الجوهر، فهل يتناقض جوهر القومية مع رغبة أي شعب من شعوب الأرض في الحياة على هذا الكوكب بسلام وحرية؟ صحيح أن لدينا الآن فكرة عن القومية العربية ولكن أين الجماعة التي تقضي مشيئتها أن تعيش سوية؟ وهنا نذكر تساؤلات العجلوني التي سجلها في كتابه هل من سبيل إلى تصور الحياة في هذه الأرض وليس ثم تعددية في الحضارات واللغات والأديان؟ هل هي حتمية تاريخية أن تهيمن مجموعة حضارية على أخرى؟ وهنا يشير العجلوني إلى أن التعددية هي ملمح رئيسي في التصور الإسلامي للاجتماع البشري (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) إلا أن هذا التعدد لا يعني نفي الوحدة بقدر ما هو السبيل الأمثل إليها وينتهي المؤلف إلى قوله أن المنطق في أبسط تعريف له هو علم قوانين الفكر وقد أقامه الإغريق على قوانين ثلاثة هي الهوية والتناقض وقانون الثالث المرفوع فإذا قلنا العربي هو العربي فقد عبرنا عن الهوية وإذا قلنا نحن عرب ولسنا بعرب عبرنا عن التناقض وإذا قلنا إما أن نكون عرباً أو لا نكون فهذا قانون الثالث المرفوع.

وفي مقالة ثانية عنوانها المؤلف بالحتمية التكنولوجية بين كيف كان تقدّم الفرس والروم بالنسبة إلى العرب الذين كانوا يعانون الفقر ويعيشون في الصحراء إلا أن إرادتهم كانت قوية من حيث الحفاظ على كرامة وحرية الإنسان العربي وهذا هو المعيار الحقيقي للحضارة وليست التكنولوجيا هي شرط الحضارة الأول.

أقول أن هذا الكتاب إذا ما أردنا التعليق عليه فلا بد لنا من الدخول في تفاصيل كثيرة تتشعب إلى الفلسفة والمنطق والسياسة دون غياب الدين الذي لا يمكن أن يقف حيادياً إزاء أي قضية من القضايا المتعلقة بالفكر، والحق يقال أن هذا الكتاب هو خلاصة لمواضيع كثيرة ما زالت تناقش ويدور حولها الجدل ونتمنى على المكتبة العربية أن تسعفنا بالكثير من هذه الأطروحات التي تعالج المواضيع بصورة مباشرة دون وضع القارئ العربي في نقاط التشويش الفكري والتخبط الحضاري.

المواقف^(١)

صالح خريسات

المقربون من السيد رئيس تحرير مجلة المواقف، يدركون جيداً، مدى المعاناة التي صاحبت ولادة المجلة، فإلى جانب المعاناة المادية، كانت هناك معاناة أكبر وأعظم، وهي المعاناة الفكرية التي تتأزم يوماً عن يوم، مشيرة حاجة المجتمع الملحة لموضوعية الثقافة، والواقع أن هذه الموضوعية، غرقت منذ زمن بعيد، في برك الغيوم المضللة للحقائق، الأمر الذي أدى إلى توفير بيئة خصبة لاستقطاب مفاهيم جديدة من شأنها أن تحمل قراءها على تقبلها والانقياد إليها لغياب الجوهر الثقافي المميز للمجتمع، ولانحسار الدرع الفكري الوافي من سموم الغزو الفكري القادم من معسكرات صنع الأذهان.

لقد عمدت معظم مجلاتنا الثقافية إلى اتخاذ ظاهرة التقليد للمجلات الغربية المثيرة والقائمة على إرضاء الرغبات والبعد عن الأصالة، فهي لا تهتم إلا بالرقص والأزياء والهزل والحب والفرغ، حتى باتت الثقافة، بصورة أو بأخرى، تعني معرفة أسماء وطبائع أهل الفن في العالم الغربي، وقد استفحلت هذه الظاهرة وأثرت في أدمغة جيل الشباب المعاصر، فالصور معلقة في غرفهم، والأسماء محفورة على صدورهم، والقيم والأصول وراء ظهورهم، ولا ندري ما معنى أن تستمر الثقافة العربية بهذه الصورة الغربية، رغم قناعة أصحابها بأن هذا النهج لا يعني الثقافة بقدر ما يعني حرق الثقافة بالثقافة.

ألا ترى معي عزيزي القارئ، أن المجلات العربية، قد انجرفت مع التيار الغربي وفقدت أصولها وجذورها؟ فهي تعارض الأعراف والقيم الأصيلة وتقدم لنا مفاهيم زائفة تضاد القيم والأخلاق الصحيحة، حتى لكأنك تجد قمة التناقض عندما تحاول هذه المجلات، أن تقدم الحلول لأزمات الشباب الثقافية، فهي تنظر إليهم من منظرها الأسود مصرة على السخرية بالقيم والأخلاق وضوابط السلوك، أي هي ترمي إلى الضد وتدعي الإصلاح.

إن حاجة المجتمع لموضوعية الثقافة، تؤكد جملة أشياء سلبية تنخر في المجتمع، فهي تعني انخداع الناس بالثقافة وتعني سوء استخدام أسلوب التربية السليمة للأسرة والمدرسة،

(١) جريدة الرأي ١٢/٨/١٩٨٧

وتعني في الوقت نفسه، غياب سلطة الفكر الحقيقي الحر، وضعف المسؤولية الذاتية، أي هي إشارة إلى عبودية الفكر من الجانب الآخر، وهذا يعني تعارض مفهوم الثقافة الحديثة مع وجهة نظر الإسلام والعروبة القائمة على ضرورة تدعيم بناء الأسرة وإعادة سلطة الأخلاق ومنح حرية الفكر.

ومع سطوع شمس مجلة المواقف على الساحة الثقافية، فإننا نأمل أن تلتزم مجلاتنا العربية بموضوعية الثقافة دون التعارض مع قيم وعادات وموجهات سلوك أفراد المجتمع العربي، فلمجلة المواقف، كل تحية وتقدير وأمل بالثبات أمام العقبات.

كتاب يحاول التأكيد على عودة الفكر العربي

إلى مرحلة التأصيل^(١)

صدر الدين الماغوط

يتناول الكاتب الأردني إبراهيم العجلوني في كتابه «في الفكر القومي مشروعنا الحضاري وسقوط الليبرالية» عدداً من المسائل الفكرية الهامة والتي تناقش بنوع من الاستفاضة مسألة استخدام الليبرالية إلى المنطقة العربية على أيدي المفكرين العرب الذين عاشوا تجربة نهوض البورجوازية الصناعية في دول أوروبا وتأثروا بها.

وقد قسم الكاتب إبراهيم العجلوني كتابه هذا إلى فصول ستة كل منها ناقش مسألة على جانب كبير من الخطورة وهي على التوالي:

١- مبدأ الثالث المرفوع: وعنى به مساءلة الحرية والإنسانية والمساواة مبنياً زيف هذا الثالث في حالة، التطبيق وبدلاً من أن يشير إلى شيء من معاني الشعارات الثلاثة فلقد دلل على مدى القسوة والوحشية والتعصب العرقي والديني البغيض من خلال كشف بواطن ما تستر واختفى من ظاهر هذه الشعارات إلى بواطنها التي اعتمدت في النهاية اضطهاد الشعوب التي وقعت تحت نير عبودية مروجي الشعارات.

٢- مسألة الحتمية التكنولوجية: حيث ناقش فيها الكاتب تقرير عدد من الباحثين الغربيين والذين تقدموا به لنادي روما عام ١٩٧٢ مبنياً بالحجة والبرهان والدليل القاطع أن البنود التي أدرجها التقرير والذي تدارس حاجة البشرية في القرن العشرين حيث أكد -وأقصد التقرير- على أن جوهر القضايا التي تواجهها البشرية قائم على الفاقة وسط الوفرة وانحطاط البيئة وفقدان الإيمان بالمؤسسات والعجز عن السيطرة على توسع المدن وعدم احتواء البطالة وضياع الشباب. ورفض القيم التقليدية والتضخم والتمزقات المالية والاقتصادية الأخرى.

وفي مناقشته لهذا التقرير ومسألة الحتمية التكنولوجية فند العجلوني مزاعم القائمين على هذا النادي بما يمتلكونه من قيم أوروبية المنشأ والسبب داحضاً وبالمقارنة الوسائل

(١) جريدة البعث السورية ١٩٨٧/١٢/٦

المستخدمة من قبل مفكري النادي وباحثيه بهدف غزو العقل البشري ثقافياً فهو يقول في رده:

لو أننا ذهبنا نستقرئ أسباب القضايا الجوهرية التي تواجهها البشرية اليوم كما يراها باحثو النادي لوجدناها أسباباً رأسمالية المنشأ بالدرجة الأولى أو وجدناها أكثر ما تكون فاعلية في المجتمعات الغربية وإلا فما شأننا نحن بفقدان الإيمان بالمؤسسات ونحن لم نهند بعد إلى كيفية بناء مؤسساتنا وما شأننا بالعجز عن السيطرة على توسع المدن والتوسع حاجة لدينا في الغالب لا مشكلة وما شأننا بالبطالة ونحن نستورد كثيراً من القوى العاملة المدربة لمشروعاتنا الحضارية المتطورة وما شأننا برفض القيم التقليدية وبضياع الشباب ونحن لم نبل شيئاً من ذلك إلا بفعل الهجمة الثقافية الغربية علينا.

إن قضايا رأس المال الغربي في مده التكنولوجي ليست هي قضايانا ونحن ما نزال دون مرحلة التصنيع الزراعي كما أن مشاكله التي يعاني منها بسبب من يقظة شعوب الأرض ورفضها للاستغلال ليست هي مشاكلنا ونحن جزء من هذه الشعوب، إلى أن يصل في النهاية إلى رأي مقنع في رفض الحتمية التكنولوجية والتي هي تنميط العالم حيث يقول:

إن تعويلنا إنما يكون على الإنسان نفسه لا على الأشياء وعلى المبادئ لا على المدعين. وفي ضوء ذلك تنفي حتمية التنميط التكنولوجي الغربي من عقولنا ونقف دون ما يراد بنا من استلاب ثقافي وندرك أن التكنولوجيا ليست شرط الحضارة الأول وإن كانت شرط المدنية وإن المعيار الحقيقي للحضارة هو الإنسان حرته وكرامته.

ورغم ما جهد به الكاتب من تفنيد لمزاعم التقرير إلا أنه أهمل مسألة أساسية وهي تعتبر جوهر الحوار كي يأتي دحض الفكر الليبرالي علمياً ومقنعاً.

فمما لا شك فيه أن المجتمع العربي ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية مر بتحويلات عديدة وجذرية في حياته إلا أن الفكر العربي ظل يراوح في متاهة السلف والخلف وكان لزاماً على الكاتب أن يطرح على نفسه وقراءه السؤال التالي:

ما هو واقع الفكر العربي المعاصر؟ وإلى أي مدى استطاع هذا الفكر أن يلعب الدور المطلوب منه في قيادة هذه التحويلات وإلى أي مدى أصبح الفكر العربي المعاصر فكراً حديثاً يلغي مقولة الليبرالية المستوردة.

وحبذا لو أدرك الأستاذ العجلوني أن أكثر من مثقف عربي يجيب اليوم عن هذا السؤال
قائلاً:

الفكر العربي ما يزال متخلفاً

الفكر العربي ما يزال فكراً أسطورياً

الفكر العربي مسرح للعديد من الأوهام.

هذه الأجوبة كلها تعني أن الفكر العربي المعاصر لم يتخط بعد عتبة الانتقال إلى فكر حقيقي أي فكر يتوافر فيه الشرطان الأساسيان ليكون على مستوى الحداثة والقدرة على لعب دور قيادي في حركة تطور المجتمعات العربية ألا وهما: أن يكون الفكر العربي علمياً وثورياً في آن واحد وقد أغفل الكاتب مسألة هامة في رده على الحتمية التكنولوجية.

وهي أن المراحل الأساسية للفكر الإنساني عبر التطور التاريخي للمجتمع البشري هي ثلاثة: الفكر الميثولوجي والفكر العلمي والفكر العلمي الثوري. لأن الأول فرضته طبيعة العلاقات الإقطاعية والثاني فرضته الثورة الصناعية على الإقطاع والثالث قاد الانتقال إلى الاشتراكية فإذا كانت هذه هي بصورة مبسطة للغاية الأشكال الأساسية للفكر الإنساني فإن الإجابة عن التساؤل عن موقع الفكر العربي وعن إمكانية تنويره والسبل المؤدية إلى ذلك تصبح متاحة.

وللإجابة على التساؤل يمكن القول: أن الفكر بحكم واقع المجتمعات العربية هو فكر ميثولوجي والمطلوب من الفكر العربي هو أن يتحول إلى فكر تاريخي أي أن يتطور عبر تلك المراحل الثلاث ليصبح على مستوى الفكر الإنساني المتقدم.

ولما كان من الواجب أن يتوافر لكل مرحلة من مراحل الفكر الثلاث التي أشرنا إليها قاعدتها الاجتماعية كي يستطيع الفكر الانتقال عبر تلك المراحل فإن تطور الفكر العربي بانتقاله إلى المرحلة الثانية أي من الميثولوجيا إلى العلمية يظل رهن انتقال المجتمعات المتخلفة من مجتمعات إقطاعية إلى مجتمعات صناعية أي أن عقلنة الفكر العربي مرتبطة جدلياً بتصنيع المجتمعات العربية المتخلفة وهذا يعني أن الرساميل العربية هي المؤهلة لتحقيق هذا الانتقال إلى المجتمع الصناعي أي إلى تحقيق الثورة الصناعية. وفي ظل هذا الانتقال تسود الديمقراطية التي تتيح دخول الفكر العربي مرحلة التنوير أي تحديث

الفكر وعقلنته وتحوله إلى العلمية الثورية لأن الفكر المتطور مرتبط جدلياً بالفكر العلمي الديمقراطي أي بالمرحلة الوسيطة التي لا بد من إنجازها.

في الفصل الثالث يطرح العجلوني وجهة نظر قابلة للنقاش. فيها يبحث عن المكونات الأساسية لمشروعنا الحضاري في مواجهة الليبرالية ويستند في ذلك إلى أصول تراثية يرى فيها المنقذ والمخلص الحقيقي لأزمة الأيديولوجيا العربية ويعتبر الطهطاوي في مقدمة المشروع داعية لليبرالية لكنه يعود في النهاية للتأكيد على شخصية الطهطاوي العربية وسماته البيئية ذات الطابع المحلي من خلال إرجاعه إلى أصوليته المجددة بيد أنه اعتبر العودة للأصولية مرهونة بالعودة إلى أحكام التشريع الفقهي أي أن الارتداد إلى أصول الشريعة الإسلامية هو الثابت ولا مجال للمتحول في هذا السياق.

في الفصل الرابع يحاول العجلوني جاهداً البحث عن مكونات الخصوصية العربية من خلال الالتزام المطلق والحر في بما أعطاه التراث العربي لهذه الأمة مقارناً ما بين منهجية ابن خلدون كدعوة للتأصيلية مثاله في ذلك كما في قوله في الصفحة ٥٣:

لعل حاجتنا إلى المنهج الخلدوني في الصدور عن المبادئ والتعويل على الطابع وتطبيقه على تاريخنا وحاضرنا في آن واحد مخافة أن يحرف وعي الأمة عن مساره الذاتي. وأن يجعل مشروعها الحضاري رهناً بإرادة الآخرين معتبراً الإرث الإغريقي الفكري أنموذجاً حضارياً لكنه ليس غازياً بمعنى أنه كان فكر تنوير لكنه لم يستخدم القوة في فرض هيمنته على شعوب الأرض كما هو شأن حضارة رأس المال اليوم.

ووفقاً لما تقدم ولما أسهب في شرحه الأستاذ العجلوني فإننا نسوق الملاحظات التالية:

ما دام كل شيء في الكون نسيباً والعرب كانوا كاليونانيين والرومانيين يتبعون الأسلوب الغيبي في بعض أبحاثهم والأسلوب اليقيني في بعض آخر فإن ذلك يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الثورة الاجتماعية العربية لا يمكن أن تتم بصورتها الحقيقية إلا إذا سبقتها ثورة فكرية لأن الثورة الفكرية المطلوبة لا يمكن أن تكون غير ثورة علمية في جوهرها بمعنى ثورة العقل على جميع أشكال الفكر اللاعقلانية كما يقول المرحوم جلال فاروق الشريف في كتابه بعض قضايا الفكر العربي المعاصر.

لذا فإن الأستاذ إسماعيل مظهر كان محققاً تماماً عندما أكد قبل أكثر من نصف قرن من الزمن أن الثورات السياسية لا يمكن أن تكون جذرية ما لم تسبقها أو ترافقها ثورة فكرية تصفي الحسابات تماماً مع واقع الفكر القائم وتنطلق لتشق لهذا الفكر مساراً جديداً مفتوحاً على العصر هذا العصر الذي هو عصر الثورة العلمية قبل كل شيء عصر التغيرات الثورية التي يرتبط فيها الفكر ارتباطاً لا انفصام له بالواقع متمسكاً بمحركات هذا الواقع مكتشفاً قوى التغيير القائمة فيه متلاحماً معها لتصفية جميع أشكال التخلف في حياتنا المعاصرة.

وحبذا لو أدرك الأستاذ العجلوني أن الأصولية لا تعني العودة للغيبات بقدر ما تعني خلق حالة من الاهتياج الاشتعائي لصياغة مكونات ثقافية جديدة تحمل ملامح وسمات العصر الذي نعيش دون أن ن فقد التراث العربي أصالته ودون أن ننال من قيمة الآخرين الذين أعطوا.

إن كتاب العجلوني «في الفكر القومي مشروعنا الحضاري وسقوط الليبرالية رغم خلافي معه في بعض النقاط يعتبر بحق محاولة جادة وهادفة لدعوتنا إلى التأصيلية المنهجية وهو إضافة جديدة للمكتبة العربية وإضافة هامة كذلك لكنها قابلة للأخذ والرد بحثاً عن فكر يقيني قائم على العلم ومعطيته؟!»

إبراهيم العجلوني

ورأيه في الغلو... (١)

د.صلاح جرّار

حاولت كثيراً أن أتحرر من أثر مقالة الصديق الأستاذ إبراهيم العجلوني التي نشرها في جريدة الرأي يوم الاثنين ١٣ حزيران ٢٠١٦، عن أسباب الغلو النفسية، فقد كان ما فيها من بعد النظر وعمق الإدراك ما يستحق التأمل طويلاً، إنها ليست مجرد دفاع عن حرية الرأي والتعبير عن المعتقد، سواءً أكان سليماً أم سقيماً، بل تعرض لمنهج نستطيع من خلاله مواجهة التطرف قبل وقوعه، فالعجلوني يرى أنّ من أهم أسباب الغلو والتطرف هو منع الناس من إبداء معتقداتهم، وأنّ ذلك المنع يؤدي إلى انغلاق العقول وفساد الأمزجة وتفاقم المشاعر الملتوية وانبساط مدى التهاويل والخرافات. وإنّ أكثر ما يؤدي إلى الانغلاق هو عدم التعبير عن الذات الذي يعدّ متطلباً حيوياً للإنسان. ولذلك يدعو الكاتب العجلوني إلى إتاحة المجال لأصحاب المعتقدات للتعبير عن آرائهم ومعتقداتهم دونما خوف من العواقب، وذلك من خلال المناظرات مع أصحاب الآراء والمقالات على أسس سليمة.

ويرى الأستاذ إبراهيم العجلوني أنّ كثيراً من الفتن والثورات وحركات التمرد عبر التاريخ كان سببها الحؤول بين أصحاب المعتقدات المختلفة وبين التعبير عن ذواتهم وأفكارهم، وأنّ اعتقال اللسان أقرب سبيل إلى الفصاحة الدموية للسان، وأنّ حرية التعبير للأفراد والجماعات هي أول أسباب السلم المجتمعي الذي نريد.

إنّ مقالة إبراهيم العجلوني هذه التي تجنّب فيها استخدام مصطلح «التطرف» الذي شاع في هذه الأيام على الألسنة، وفضّل استخدام المصطلح اللغوي المتجذر وهو «الغلو»، مقالة تستحق من القارئ مزيداً من التأمل لما فيها من أبعاد فكرية وثقافية واجتماعية ونفسية وسياسية مهمّة، وتستحق من كاتبها مزيداً من التوسّع بما يفضي به إلى إصدار كتاب مستقل يعزّز هذه النظرية بالشواهد الفكرية والأحداث التاريخية والأبعاد النفسية.

(١) جريدة الرأي ٢٠/٦/٢٠١٦م.

إنّ الحديث عن التطرف الذي أضحى صرعة في هذه الأيام وقامت حوله كثير من الاجتهادات والدراسات، ما زال في حاجة إلى البحث المعمق في جذوره التاريخية وأسبابه النفسية والاجتماعية و الثقافية والمنطقية كالذي تناوله العجلوني في هذه المقالة العميقة والمتميزة.

الإثارة الفكرية في التراث العربي^(١)

فصل من كتاب الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين رئيس نادي جدة الأدبي: «في معترك الحياة»

كتاب النادي الأدبي الثقافي - جدة - ١٩٨٢م

موضوع قيم، «مضغوط» ولكنه مركز، قدمه الأستاذ «إبراهيم العجلوني» من دائرة الثقافة والفنون - بعمان - الأردن. الموضوع في خمس صفحات، كتب بأسلوب فني مجنح، ركز فيه على أهمية تراثنا العربي، وأشار.. إلى أن العيب، ليس في التراث حين نهمله، ولكنه في عدم فهمه، وفي إخضاعه لمقاييس غربية عنه، فلا تتطابق معه، رغم أن التراث قد درس، ومع ذلك لم نستطع إدخال هذا التراث.. كعنصر رئيسي في ثقافتنا المعاصرة..

ولم نستطع.. أن نثبت قوة الإثارة الفكرية الذاتية فيه.. ويشك الأستاذ العجلوني في أن هذا المبدأ.. لم يدخله الكثيرون في اعتبارهم، حينما تعرضوا.. لهذا التراث، مسلطين عليه أضواء باهتة.. من النظريات العارضة، والآراء المنتحلة ويستشهد.. صاحب هذا الموضوع.. الذي أقدمه اليوم، بنماذج من شعر أمروء القيس والأعشى، ويؤكد على الواقعية.. التي تشع من التراث، حين نبذل مجهوداً ما، لتفكيك الصورة الشعرية.. إلى أجزائها الأولية، وهي صور حسية متلاحقة.. في كلمات.. ذات مدلول حسي.. واقعي.. «وهذه الخصيصة.. تجعل من تراثنا كتاباً مفتوحاً سهلاً علينا.. بمجرد تجاوز الرداء اللغوي، النفاذ إلى روحه وتمثل.. عظمته وقدرته.. على العطاء المستمر».

ويمضي الأستاذ العطلوني.. في تقدير تراثنا والسبل التي يجب أن نسلكها.. إلى فهمه أولاً.. ثم إلى الاستفادة منه، فيقول، «والواقعية اللغوية.. ليست بالشيء القليل. حين يراد فهم هذا التراث وبعثه، حيّاً.. في الحياة الشعرية والأدبية المعاصرة، فالفرق جدٌ كبير.. بين أن يقف بيني وبين تراثي جدار من التجريدات الذهنية، والقولب الفلسفية. وبين أن أرتع في تراث.. لكل كلمة فيه واقعه المحسوس. لهذا.. لانعدام الصواب.. حين نؤكد أن العربية تجريبية،

(١) تعقيب على البحث الذي قدمه إبراهيم العجلوني إلى المرتمر الحادي عشر للأدباء العرب في طرابلس ليبيا ١٩٧٧ بالعنوان المذكور أعلاه.

في أصولها اللغوية، ومن هنا، فهي قوية.. قوة هائلة.. في الاستدلال الفكري، لأنها تفيد من نزعتها الاستقرائية.. إفادة قصوى، إلى جانب الوسائل الفكرية الأخرى.

ونحن ندرك، أن الأدباء الفحول.. المعاصرين تعمقوا.. في فهم التراث ودرسه.. فكونوا شخصياتهم.. من تراثنا، ثم أضافوا إليه.. روافد الثقافات الأخرى، ولم يخضعوا تراثهم لمقاييس المعاصرة، وإنما كان التراث أساساً.. في تكوين عقولهم، حين هضموه، وتعمقوا فيه وأفادوا منه.

ويجب ألا نجمد على التراث، ولا ننقله بقوالبه وظروفه، إلى العصر.. الذي نعيش فيه، وإنما نأخذ منه زادنا، من اللغة والصور والأخيلة والعمق والجمال، ونضيف إليه، ما يتواءم معه، ليكون له روافد، وإحياء وبعثاً. ولعل الضعف الذي نشهده اليوم.. في أنصاف الأدباء، هو إهمالهم لتراثهم.. لما حفل به من لغة وبيان ومعان، فنجدهم سطحيين، لأنهم قصرُوا في الإفادة منه، ولم يبذلوا مجهوداً، للأخذ من التراث.. بما يقيم أفكارهم وشخصيتهم المستقلة، فجنحوا إلى السهل والسريع، لأنهم يستعجلون الوصول إلى الشهرة.. من أقصر الطرق.. وهذا ما جعلهم قريبي الغور، لأن حصيلتهم من الزاد قليلة جداً، أو نادرة.. وبالأمس.. تحدث الأستاذ (سمير أحمد ندا).. في جمعية الفنون بجدة. في محاضراته القيمة. الرائعة عن «الجزور الحضارية للدراما العربية».. فأكد أن العرب زلم يتخلفوا ولم يقصروا، في هذا اللون الأدبي ودل على ذلك.. بشواهد من التاريخ القديم. ويلتقي الأستاذ العجلوني بموضوعه. الذي نتحدث عنه، مع الأستاذ ندا، فيقول: «ونحن نرى.. أن من الخطأ الظن.. بأن شعر العرب.. لم يعرف المسرحية.. كما هي عند اليونان، لقصور في فهم العرب.. لهذا الفن، فاللغة العربية.. في قدس أقداسها، ديناميكية، حركية، درامية فطرية».

ويصل الأستاذ العجلوني، أو يقف بنا، في أثناء حديثه ليقول «هكذا يتضح ما قصدته.. بقوة الإثارة الذاتية في التراث العربي في أصوله، فهو تراث واقعي، عقلائي، حركي أولاً، وهو يستعصي على أساليب الدراسة.. في ضوء النظريات الجاهزة ثانياً، الأمر الذي نراه بحاجة.. إلى قليل من الأمانة، وعلى وجه التحديد فيما يتعلق بالصدق الفني.. الأدبي، الواجب توفره.. في دارسي التراث».

وهذا هو منطق الحق الذي يجب أن يتوافر، في دارسي تراثنا، وإلا فإنه يظلمه بالتخمينات والفروض، التي لا تنطبق عليه.

«والذوق الفني، أو الحس الجمالي، ليس وليد صدفة، ولا هو إلهام.. يأتي من السماء، ولكنه معاناة طويلة، ووقوف متأمل.. إزاء جزئيات العمل الفني، مصحوب بنبض وجودي، أى أن تتولد لدى المتذوق -خبرة فنية ذاتية- يلتفت بمقتضاها إلى العمل الفني، كحقيقة تمارس.. لا شيئاً يوصف» هكذا يقول باحثنا الأستاذ إبراهيم العجلوني..

وناقذ التراث المعاصر. يحتاج إلى الذوق الفني.. للأدب العربي حتى يفهمه، ويتمثل قيمته الفنية وأصالته، وهذا يحتاج إلى صبر.. في استيعاب نصوصه، وهضم معطياته، فكراً، وفناً وخلقاً.. ويرى الأديب -اليوت- أن أكثر الشعراء معصرة.. وقدرة على التجديد، هم الذين نسمع.. فيما يقولون أصوات الأجداد.

ويقول الأستاذ العجلوني في هذا الصدد.. «نحن إذن نخطئ كثيراً.. حينما نحاول إضاءة نص أدبي.. قديماً كان أو حديثاً.. بقوة النظريات المعروفة لدينا، والتي غالباً.. ما تكون مستمدة.. من بيئات مغايرة، ذات تاريخ وحضارة مغايرين، ولقد يحسن.. أن نستمد زيت مصابيحنا.. من النص ذاته. ففهم المتنبي مثلاً.. لا يكون في ضوء فلسفة القوة عند نيتشة، وكذلك فهم أبي العلاء.. لا يكون في ضوء تشاؤميات شوبنهاور، بل يكون هذا وذاك مستمداً من النصوص الأدبية لكليهما»..

هذه أضواء.. تنطلق من وجهات نظر كاتبنا العجلوني، يلقيها على التراث، وفي طريق.. الذين يريدون دراسته، من المعاصرين، كأسس، إذا حادوا عنها، يخطئون.. في فهمه، وبالتالي تخطئ الأحكام.. التي يرسلونها، لأن الأدوات التي استخدموها، لا تنطبق عليه، أو لا تلائمه، ولا توصل إلى حقيقته، في فهمه وتذوقه.. إذن هم يبعدون عنه لأنهم لم يستعملوا الوسائل الوثيقة الصلة به.. أو توصل إليه، كما نخطئ في نقل التراث -كما هو- من عصره الذي أنشئ فيه إلى عصرنا الحديث من غير بلورة ولا تجديد ولا ما يتطلب من تغيير قوالب وصور بما يلائم العصر الذي نعيش فيه.

ونستخلص من موضوع الأستاذ العجلوني. «الإنارة الفكرية.. في التراث العربي» النقاط.. التي أجملها في قوله «لكي يتم للأدب أثره. وقوة جذبه، إلى قيم معينة، يجب أن يعتمد على: أ- القدرة الفائقة، على رسم النموذج (المثل).

ب- الصدق مع الواقع، أي أن تكون الحقيقة نصب عيني الأديب دائماً.

ج-الصدق مع الذات، أو ما يسمى بالصدق الفني.

ثم:

١-الوضوح والبساطة.. وهما ركنان أساسيان، لا يقوم بدونهما، أدب ناجح، إذ ينعدم بدونهما.. الاتصال بين المبدع والمتلقي..

٢-الأدب.. قوة محرّكة، تستدعي التزاماً وتوحي بالتغيير.

ولا أدري.. ما يعني الأستاذ العجلوني بالبساطة إذا كان يريد غير التعقيد، فأنا معه وإذا كان يريد غير ذلك، فقد اختلف معه، فالوضوح شيء أساسي لأنه سمة الأدب الحي أما البساطة في التعبير مثلاً، فهي ضعف، لأنها.. لا تكون معها القوة، في المنحى الفني، ولا تكون البساطة في العمق، وقبل ذلك وبعده، تأتي المعاني، التي تحدد القيمة الفنية الموضوع.

ولعل مما يبعثنا عن تراثنا هو «الاتباع الحضاري» الذي نعاني منه اليوم.

ونحن مع الأستاذ العجلوني، في حاجة إلى العزم والصبر على البحث.. لفهم تراثنا، وإلى قدرة جمالية وذوقية، تتناول بهما تراثنا.

ونختتم هذا الموضوع وما كنت لأطيل الوقوف عنده لولا أنه يستحق ذلك، يقول إبراهيم العجلوني: «وأنه ليحزنني.. أن تذهب جهود كثير.. من مثقفينا سدى.. في تصيد إفرازات الآخرين، في حين.. ليس بيننا وبين كنوز تراثنا سوى خطوة، أو خطوتين».

وأنا أرى.. أن هاته الخطوة، أو الخطوتين، ليست بالشيء الهين اليوم، في عصر السرعة، واللهث في متطلبات الحياة وهمومها، فأين الجلد على البحث؟ وأين سلاح اللغة العريق.. الذي يحمل إلى العمق؟ وأين الوقت.. الذي يتيح للباحث أن يفرغ إلى التراث، استقراء، ودرسا واستخراجا؟ والأديب.. في دوامة لقمة العيش، وكل ما حوله يلهث ويجري، فكيف السبيل.. إلى التوقف والأناة.. في الدرس والفهم؟ وأين السبل التي تعين على التفرغ للبحث والتقصي في هذا الزمن العصيب؟ حتى الصروح العامية لم تتح للأديب العربي.. العودة إلى التراث لاستخراج كنوزه، بدراسات مفعمة بالتقصي والإدراك العميق، للاستفادة منه، على ضوء الأسس.. التي أشار إليها الباحث، وألمحت إليها.. بعيداً. عن تقليد مناهج مختلفة، لا تؤدي إلى مقاصد.. فهم تراثنا، وتسليط الأضواء عليه، بذوق ومنهجية.. لا تخرج عن واقعه،

وكذلك الصدق.. وموضوع الأستاذ العجلوني الذي قدمت عنه هذا التعليق، لعله فريد.. فيما قدم لمؤتمر الأدباء العرب.. الحادي عشر في طرابلس، رغم أنه مضغوط ومختصر، ولكنه مركز، فهو يقول «مع اعترافي.. بقصور هذه الالتفاتة، عن استيعاب الفكرة. التي أرمي إليها، إلا أن هذا لا يلغي ما ذكرته.. من أن استنطاق النصوص هو حجر الزاوية.. في فهم التراث العربي».

أسلوب عال في الحوار^(١) إبراهيم العجلوني

عبد اللطيف زهد

كم أنا سعيد بهذه المداخلة ذات المستوى العالي من أدب الحديث ومن سعة التصور.
وكم أنا سعيد كذلك، بأن ما كتبه تحت عنوان «الواقعة هي اختبار المفهوم» قد دفع
الأستاذ «عبد اللطيف زهد» إلى كتابة هذه المقالة الذي أظهرتنا على إشكالية تخرج
المفاهيم والتباسها حتى في الدائرة الحضارية الواحدة.
ولعل ذلك أن يكون سبباً لمزيد من النظر في ما نبديء فيه ونعيد من «مصطلحات» نكاد لا
«نصطلح» إلا على القليل منها.

إبراهيم العجلوني

جرت عادة المفكرين في العالم غير المتقدم أن يوردوا أو يسردوا التعريفات بدون إثبات
واحد منها أو بدون اتخاذ موقف ما مع تعريف ما وتبرير هذا الموقف تاركين مسألة مناقشة
التعاريف لمفكري العالم المتقدم مكتفين بشرف النقل والسرد وإنما لمبادرة جدية منك يا
أستاذ إبراهيم أن تتصدى لتعريف من تعريفات الحضارة فتختبره.

وأنا معك بأن «الواقعة هي اختبار المفهوم» بمعنى أن مقياس صحة تعريف ما هو مطابقته
للواقع، لأن التعريف يجيء ليصف واقعاً ما وصفاً محدداً ومحدداً فلا خلاف بأن الواقع
المعرف هو مقياس صحة التعريف.

والمشكلة في التعريفات غير القاموسية أن التعريف يأتي لإنشاء الواقع المعرف، فهو
تعريف وتحديد للواقع المعرف في نفس الوقت ومن هنا كانت هذه التعريفات هي في حد
ذاتها مشكلات معرفية مختلف فيها كثيراً.

(١) جريدة الرأي ٢٥/٨/٢٠٠٢

ومن هذه التعريفات، الحضارة فما هو هذا المعنى الكامن في صدور المفكرين ويريدون لهذه اللفظة أن تعبر عنه؟ ويعرف بها؟ فالأمر معكوس كما ترى فهي لفظة استحسنها المفكرون وأرادوا لها أن تعبر عن معنى في نفوسهم، فما هو هذا المعنى المطابق لواقع ما تتحسسه نفوس المفكرين؟ فالواقع كما ترى موجود في نفوس المفكرين وهو الواقع لاختبار هذا «المفهوم».

ويلاحظ أنك أحللت كلمة «المفهوم» بدلاً من التعريف في حين أن المفهوم غير التعريف، وإن كان من الممكن أن يصبح التعريف مفهوماً عند شخص ما.

نقول فلان موسوعة بالفكر الإسلامي مثلاً، فالفكر هنا، هو الآراء التي لها واقع والفكر هنا لا يعني به أنه يضبط سلوك الشخص الذي يحمله.

ونقول فلان مفاهيمه مفاهيم إسلامية، فالمفهوم هنا لا يعني الآراء التي لها واقع فقط بل وتضبط سلوك من يحملها، وجاء هذا الضبط من أن حاملها صدق بأن هذه الآراء تعالج الواقع المتعلق بها.

ولذلك فالمفهوم هو إدراك واقع الفكر والتصديق فيه.

أما التعريف فأظنك أطول باعاً مني في التعرض له، لذلك لن أتعرض له.

والآن لنأت لتعريف الحضارة بأنها «مجموع المفاهيم عن الحياة».

إن أي فكر بحاجة لإدراكه أن يكون لدى مدركه معلومات سابقة بمستوى هذا الفكر لأن ليس كل الأفكار تبحث مستويات واحدة، ولذلك هو بحاجة أن يكون مدركه انتقل في قدرته على الرؤية، لمستوى يساوي الفكر المبحوث وإلا كيف سيراه، أي كيف بإمكان من كان نظره ضعيفاً أن يرى ما ليس بمقدور نظره أن يراه.

نقول حضارة رأسمالية وحضارة إسلامية، ولا نقول حضارة عربية أو حضارة هندية. لأن كلمة هندية لا تدل على حضارة ما، ولا يستدل بحضارة ما على «الهندية».

كان الهندي الأحمر يسعى لأخذ السكين من الإنسان الأبيض ولكنه كان يثق بمفاهيمه عن الحياة أكثر من مفاهيم الأبيض عن الحياة، ولم يكن ليتخلى عن مفاهيمه عن الحياة كتخليه عن قوسه ليحصل على البندقية.

إن الياباني يذهب فيتجسس على مصنع أوروبي أو أميركي لينقل ما يراه إلى اليابان وكذلك المسلم أو الشيوعي أو الرأسمالي، ولكن ماوتسى تونغ كان يربط الفتاة التي كانت ترجع إلى الصين وقد قصت شعرها على الطريقة الأوروبية أو الأميركية إلى سارية في المطار ثلاثة أيام. إن النظام الإسلامي مثلاً حريص على الحصول على كل وسائل التقدم العلمي أو أساليب الإدارة الحديثة مما توصل إليه الرأسماليون، ولكن هذا النظام لا يقبل مفهوماً واحداً عن الحياة مما هو متعلق بالرأسمالية.

إن الإسلام هو مفهوم معين عن الحياة والرأسمالية هي مفهوم معين عن الحياة. وهذا ما يرفضه المسلم من الرأسمالية وما يرفضه الرأسمالي من الإسلام، فالمسلم يعتقد أن لهذه الحياة خالفاً خلقها وأرسل رسلاً لكي يبلغوا الناس كيف يعيشون هذه الحياة عيشاً محدداً بأوامر محددة ونواه محددة ويعتقد بأن آخر هؤلاء الرسل، ورسالته ملزمة لكل الناس هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وأن الناس سيدخلون الجنة أو النار بناء على حياتهم بحسب رسالته. والمسلم يدعو لهذه المفاهيم عن الحياة وواقع هذه المفاهيم ليس واقعاً مشخفاً بعد، ولكنه معروف.

ومن الممكن أن يتوصل المسلمون إلى تطبيق هذه المفاهيم عن الحياة، ثم تأتي قوة فتهزم المسلمين وترضخهم بالقوة إلى أن يعيشوا حياتهم تحت سيطرة مفاهيم أخرى، فهل يعني ذلك أن المفاهيم الإسلامية عن الحياة لم تعد موجودة؟ وهل ضاع المسلمون ولم يعد لهم ما يسمى بالحضارة؟

إن صحة المفهوم الأساسي هو أن يثبت العقل هذا المفهوم الأساسي ويكون في نفس الوقت ملائماً للظاهرة الإنسانية، فمقياس صحة المفهوم الأساسي ليس الواقعة، لأن الواقعة يجب أن تكون بحسب هذا المفهوم لأنه صحيح والمفهوم الصحيح لا بد وأن ينجح ويؤدي إلى سعادة الناس.

ولا يقال حضارة سميرية نسبة لمفاهيم سمير عن الحياة فلا بد وأن تكون هذه المفاهيم معتنقة من قبل مجموعة معينة، من الناس أي أن الحضارة ليست مفاهيم فرد بل مفاهيم مجموعة.

يذهب العربي المسلم إلى أميركا فيجد أن هدفه من هذه الحياة يختلف عن الرأسمالي، كما تختلف علاقته بالمرأة في هذه الحياة كما تختلف نظرتة للسعادة، الخ مع أنه معجب

بالأساليب الإدارية والتقدم العلمي لكنه لا يستطيع أن يعجب بمقياس المنفعة وعلاقة الرجل بالرجل.. الخ فالرأسمالية لا يميزها أي لا يعرفها في مجال الحضارات تكنولوجيتها أو إدارتها.

فالإنسان من مجموعة ما يركب نفس السيارة التي يركبها إنسان آخر من مجموعة أخرى، ويستعمل نفس التلفون والكمبيوتر ونفس السلاح إلى آخره من الوسائل المادية، ولكنه يرفض أن يذوب بأخلاقه أو قيمه أو أحكامه المستمدة من نظامه، فهناك مجموعة ما، ومجموعة أخرى، في الواقع أن ما ترفضه كل مجموعة هو ما يميز تلك المجموعة، حضارتها، مفاهيمها عن الحياة.

إن عمارة ما لا تنشأ بإنشاء سليماً إلا إذا كان هناك مخطط مسبق لها، ولا يطالب صاحب المخطط أن يكون لمخططه شاهد أي أن تكون العمارة قبل البناء، البناء الذي يقوم على مخطط له.

وكذلك لا تقوم حياة معينة إلا على مفاهيم معينة، ولا يطلب شاهد مصدق من حياتنا قبل أن نحيا هذه الحياة المعينة، لن تكون الحياة حياتنا إلا بمفاهيمنا، ولا يطلب أن تأتي بحياة شاهدة قبل الحياة.

والقول أن الحضارة هي مجموع الوقائع التي تنم عن مجموع المفاهيم التي يعتنقها نسق اعتقادي ما أي أن الحضارة هي تجلي المفهوم أو برهان نجاحه في أن يكون واقعاً.

هذا القول لا يرقى أن يكون تعريفاً أو مفهوماً، للحضارة لأن صاحبه يكمل قائلاً أن الحضارة هي تجلي المفهوم.. فهو بمجرد إكماله هذا يقول لسان حاله أن ما تقدم من تعريف غير مفهوم والحقيقة أنه انتقل ليس إلى مطابقة المفهوم مع الواقع، ليبرهن أن تمام الواقع يطابق تمام المفهوم، بل ذهب إلى نجاح تحقق المفهوم في الواقع، وقد ينجح المفهوم بتطبيق قسري جبري كالأشترائية وقد لا ينجح لأن هناك قوى تفوق قوى أصحاب مفهوم معين كأصحاب المفهوم الإسلامي ولكنه مفهوم موجود سواء طبق أم لا وموضوع «نجاحه في أن يكون واقعاً» موضوع آخر.

وبالنسبة للشق الأول من القول.

«مجموع الوقائع التي تنم على مجموع المفاهيم التي ينتظمها نسق اعتقادي».

إن قولك هذا يقتضي أنك تقر بوجود العقيدة أولاً فمجموع المفاهيم تكون مجموع الوقائع بحسبها، ولعلك تعني أن مجموع المفاهيم لا يجوز أن تسمى حضارة إلا إذا قام عليها مجموع الوقائع، إن قولك «مجموع الوقائع» هو تحرز أقل دقة فما زالت المفاهيم «عن الحياة» فإن فيها قابلية أن تكون مجموعة وقائع ولا بد. إلا أن صاحب «عن الحياة» لا يقع في محذور أنه ليس كل مفهوم يكون واقعة فالمفهوم الإسلامي عن الحياة أنها مخلوقة لخالق ليس «واقعة» بل مفهوم صحيح عن الحياة، أي هذا المفهوم يميز مجموعة من البشر لكونها تعتنق الإسلام أصبحت مجموعة المسلمين. يميز تصورهم الخاص بهم عن الحياة والمفكرون من البشر يطرحون تصوراً محدداً ويدعون إليه، فإذا كان متعلقاً بالحياة واعتنقه مجموعة معينة من الناس كان حضارة لهم سواء استطاعوا أن يعيشوا بحسبها أو غلبهم غالب منهم من أن يكون لحضارتهم وقائع.

وقد قمت بالتعديل قائلًا:

«الحضارة حقًا هي مجموعة المفاهيم المستمدة من الوقائع أو المستخلصة من الواقع الإنساني في شتى تجلياته وإن أجدد الحضارات بالخلود تلك التي تبني مفاهيمها شخصيات تتمثل إيمانها واعتقادها مكارم أخلاقية كما هو الأمر مع سيدنا رسول الله، أو هي الحضارة التي تنزل فيها آيات الله على أكثر خلق الله مروءة».

وسأناقش قولك هذا بالأسئلة التالية:

- هل مجموع المفاهيم مستمدة من الوقائع أم الوقائع مستمدة من المفاهيم؟
- هل الواقع الإنساني مستخلص من مجموع المفاهيم؟ أم مجموع المفاهيم مستخلصة من الواقع الإنساني؟
- هل الواقع الإنساني يتجلى تجليات شتى؟ ولماذا تكون تجليات شتى إن لم يكن بفعل مفاهيم شتى؟ وهل تكون تجليات مفاهيم «حضارة» أم مفاهيم «حضارة» فتجليات معينة؟ وهل الحضارة غير الخالدة لا تعود حضارة، أم أن الخلود إضافة جديدة لا تتعلق بنفس المفاهيم؟.

فالطفل الذي يموت بعد أن يولد بثانية هو إنسان والإنسان الذي يعيش مائة سنة إنسان، فالذي يجعل الطفل والمعمر إنسانًا هو غير قصر وطول أو «خلود» أحدهم، وكذلك

حضارة الازتك حضارة، وحضارة الفراعنة حضارة، وحضارة الإسلام حضارة، كما أنك تعرف حضارة ما من بطون الكتب وخلود إحداها دون الأخرى لا يجعل غير الخالدة ليست حضارة، لكن هناك حضارة صحيحة وحضارة غير صحيحة، والحكم بالصحة مستمد من الحكم على المفهوم الأساسي الذي بنيت عليه أو انبثقت عنه المفاهيم عن الحياة فإذا كان مبنياً على العقل وملائماً للظرة كان صحيحاً فكانت الحضارة صحيحة.

ومن المعلوم فإن الحضارة الصحيحة هي التي تبني شخصيات مثل سيدنا رسول الله وليس العكس والحضارة التي بنت سيدنا رسول الله موجودة الآن وبإمكانها بناء من هو مثله، بالتأسي فيه صلى الله عليه وسلم. والتأسي فيه طلب إلهي، ولذلك فهو طلب واقعي، ممكن لأن الله لا يكلف المستحيل.

وأخيراً إن تمثل مجموعة الناس أنظمة في الحياة هو «الأمر» الجدير وليس تمثل فرد من هذه المجموعة للمكارم الاخلاقية، ذلك لأن هذه المكارم الاخلاقية هي جزء من مجموعة المفاهيم عن الحياة ولأن بناء الفرد ليس هو «الأمر» المطلوب تحقيقه، بل إن بناء الفرد هو تحصيل حاصل. لأن تمثل الرسول بأخلاقه حصل ولكن ليس هذا هو «الأمر» بل تمثل مجموعة الناس ومنهم الرسول لكل المفاهيم عن الحياة هو المطلوب لذلك وجدنا رسول الحضارة الإسلامية مصمماً على تحقيق مجموعة المفاهيم الإسلامية في الواقع على شكل أنظمة سياسية واجتماعية واقتصادية.. الخ.

فالحضارة الإسلامية هي نعمة الله على البشر، وهي مجموع المفاهيم عن الحياة قال الله تعالى «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً» ولا تبدل هذه المفاهيم ولا تغير وإلا لتبدلت النعمة إلى نقمة كما قال الله تعالى «ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا» وهذه المفاهيم ليست «بناء لمعادلات ذهنية» الخ بل هي الحق الذي نزل من عند الله.

قراءة في العدد الأول

من مجلة المواقف^(١)

بقلم: عبد الله رضوان

بفرح استقبلنا صدور مجلة ثقافية جديدة، جاء صدورها في وقت نفتقر فيه إلى مجلة «أفكار» ومجلة «المهد»، وهذا يزيد من أهميتها ويعمق من دورها الثقافي، بحيث تصبح المجلة الوحيدة غير الرسمية في الأردن التي تتولى هذا النهج، ومع إدراكنا لحجم الصعوبات التي ستواجهها المجلة على أكثر من صعيد، فإننا نضع أيدينا على قلوبنا ونحن نتمنى لهذه المجلة النجاح والاستمرار.

ضم العدد الأول من المجلة محورين رئيسيين: الأول تناول الجانب الثقافي أردنياً وعربياً، والثاني جاء متعلقاً بالجانب التربوي التعليمي ضمن صيغتين -الأولى تطبيقية تناولت الواقع التربوي التعليمي في الأردن سواء في «ندوة التعليم الجامعي» أو مقالة الأستاذ حسني عايش عن «واقع العمل التربوي في الأردن»، والثانية نظرية تقدم بها المفكر الدكتور هشام غصيب إذ أعطانا تحديداً نظرياً موجزاً لطبيعة المؤسسة التربوية وموقعها ودورها الاجتماعي عبر مقالة أراها الأكثر تميزاً بين مواد العدد الأول من «المواقف».

يضاف إلى ما سبق مقالات متفرقة تناولت جوانب فكرية مختلفة.

تحدد السيدة ليلي شرف في مقالتها حول «أزمة الحركة الثقافية في الأردن» إشكالات هذه الحركة، ومسببات تراجع واقعنا الثقافي ضمن النقاط الأربع التالية:

* الضغوط السياسية التي تعرض لها الواقع العربي مما أدى إلى تشرذمه، وكان أولى ضحايا هذا الواقع السياسي هي «روح الانفتاح والتواصل العربي التلقائي» و«ضعف هذا

(١) جريدة الرأي ١٩٨٧/٩/٢٠

التواصل على المستوى الفكري الثقافي أفقد الحركة الثقافية في الأردن الكثير من الحيوية ومن مصادر الإغناء اليومي».

* «الأحداث السياسية التي توالى في الخمسينات والستينات، حملت معها تضيقاً على الحريات الشخصية والفكرية، ووضعت الحياة الثقافية في مأزق لم تخرج منه بعد» إنه مأزق الحرية، حرية الفكر والحوار وحرية «تصادم الفكر مع الفكر».

* إن المجتمع الأردني منذ نشأته مجتمع يعتمد على الدولة في تنظيم الخدمات وإقامه المؤسسات، وفي طرح المبادرات وفتح المجالات، والحياة الثقافية في أساسها تعتمد في نجاحاتها على المبادرات الشخصية الأهلية» أي أن الأصل في النمو والتطور الثقافي أن لا يعتمد على المؤسسات الرسمية وهذا ما لم يتحقق له أردنياً، وأضيف أن هذا لم يسمح له بأن يتحقق أردنياً.

* حرب حزيران ١٩٦٧ وتأثيره على النشاط الثقافي.

وكما نلاحظ مما سبق أن السيدة ليلي شرف تضع يدها على أهم إشكالات واقعنا الثقافي المتمثل أساساً في مشكل الحرية ومدى توفرها للمبدع / للمفكر الأردني، وهي تشير إلى هذا مباشرة إذ تقول: [فالحياة الفكرية لا يمكن أن تزدهر وتنتعش في غياب مجالات التجارب الفنية والفكرية وطرح الآراء غير التقليدية والمبادرات الإبداعية.. وهي إن لم تتمتع بالمناخ الذي يربحها ويحميها ويفسح لها في المجال لتطوير تعبيرها عن فنها ضعفت ووهنت ثم غابت].

مع أن رقعة الحياة الثقافية في الأردن عبر مسيرتها كانت رقعة ضعيفة، فلا الانفتاح العملي الذي كانت بدايتها معه بقي لها، ولا كانت قاعدتها الداخلية مؤهلة أو حتى كافية لحمل مثل هذه الحياة على أكتافها» إلا أن السيدة شرف ترى في واقعنا الثقافي الحالي بشائر خير تتمثل في * القلق الثقافي الفكري الذي يشعر به مثقفونا اليوم مؤشر على أن الحركة الثقافية الفكرية قد دبّت فيها الحياة.

* وإن ما حملته نكبة فلسطين من تفاعل أردني - فلسطيني قد بدأ يعطي ثماره الثقافية، بعد أن تجاوز سنوات الأزمات العصبية.

* كما وتلاحظ السيدة شرف بدء انتعاش حركة الطباعة والنشر في الأردن، وارتفاع مستوى الإنتاج.

المقالة الثانية التي نتوقف عندها هي مقالة المفكر الدكتور هشام غصيب، الذي يحق له أن يحتل مركزاً مرموقاً في قمة الهرم الثقافي في الأردن لتمييز أطروحاته النظرية ودقتها العلمية الرائدة في مجتمعنا، وذلك في مقالته «المغزى الاجتماعي للمؤسسة التربوية» والتي استطاع أن يعرفنا من خلالها على طبيعة المؤسسة التربوية من حيث نشأتها، وارتباطها بمرجعيتها التاريخية/الاقتصادية الاجتماعية، معتمداً المادية العلمية منهجاً وحتى لا أشوه ما قدمه الدكتور غصيب في مقالته التي تستحق أكثر من قراءة، أرجو أن يسمح لي بتقديم الإشارات الموجزة التالية من مقالته:

* إن تطور الفلسفة يشير بوضوح إلى أن ثمة شرطين فلسفيين أساسيين لكل منهجية ما علمية، وهما: الإدراك المنهجي لمادية الموضوع، والإدراك المنهجي لجدلية العلاقة بين الذات العارفة والموضوع المدروس.

* إن هذا الإدراك الفلسفي لمادية الموضوع وجدليته يقود حتماً في حقل الدراسات الاجتماعية إلى اعتبار القاعدة الاقتصادية، أعني مجمل علاقات الإنتاج ومجمل قوى الإنتاج، هي الأساس في تحديد ظاهرات المجتمع في تفسيرها.

* لقد «هيمنت البرجوازية الأوروبية منذ ذلك [الثورة الفرنسية] على المؤسسة التربوية في شقيها العام والخاص، وسخرتها لتخدم أغراضها الاقتصادية والأيدولوجية».

* إن البرجوازية الأوروبية الناشئة انتزعت وظيفة التعليم من حضان المؤسسة الدينية.. وأودعتها المؤسسة التربوية الحديثة الموجهة نحو خدمة مصالح الطبقة البرجوازية واحتياجات المجتمع الرأسمالي الجديد».

* إن التوجه العام [في المجتمعات الرأسمالية الحديثة] للمؤسسة التربوية. ترتبط جميعاً ارتباطاً وثيقاً بعملية الإنتاج وتلبي حاجات عامة أساسية لهذه العملية، فالحق أن هذه المؤسسة (التربوية) تعمل على إنتاج شرط اجتماعي أساسي من شروط الإنتاج المادي الرأسمالي وهو المهارات والكفاءات والكوادر.. وهذه المهارات بدورها تشكل محور قوى الإنتاج في المجتمع، والتي تحدد علاقات الإنتاج، ومن ثم البناء الاجتماعي برمته.

* إن التحالف الطبقي الحاكم يمارس سيطرته وهيمنته في المجتمع بصفة أساسية عبر سلطتين وجهازين أساسيين: السلطة السياسية والسلطة الأيديولوجية.

* السلطة الثانية، فهي في العادة لا مركزية، إذ أنها تتشكل من عدد كبير من المؤسسات المستقلة ظاهرياً والتي لا تتوحد من خلال هرم مركزي، بل تتوحد من خلال أيديولوجيا التحالف الطبقي الحاكم... وفي مقدمة هذه المؤسسات في المجتمعات الرأسمالية المتطورة الحديثة: المؤسسة التربوية، والمؤسسة الدينية، ومؤسسة العائلة..».

* إن المؤسسة التربوية في العصر الحديث هي الأداة التي تضمن إعادة إنتاج الشروط السياسية والأيديولوجية والنفسية لعلاقات الإنتاج، ومن ثم فهي أداة لإعادة إنتاج علاقات الإنتاج نفسها.

هذه بعض الاجتزاءات من هذه المقالة الهامة والمتميزة بين مقالات العدد ككل. ونحن إذ نكتفي بالإشارة إلى هذين الموضوعين بين مواضيع المجلة، فإننا لا نقصد بالتأكيد التقليل من قيمة موضوعات أخرى تطرح آراء وتحديات هامة ومتميزة سواء في المجال الثقافي [د. سحبان خليفات] أو في وجه المؤسسة التربوية الأردنية [مقالة الأستاذ حسني عايش]، أو تحديات في وجه المؤسسة الدينية يصفها جارودي في مقالته التي يجب أن تناقش من علماء مسلمين قادرين على الإجابة على تحدياته وتساؤلاته والتي وردت في مقالته [الإسلام دين الحوار والكلمة السواء].

إن مجمل ما سبق يشير ويؤكد تميز المجلة، وقدرتها على إثارة الجدل والحوار ضمن موضوعات ذات حساسية فائقة، وهذا ما سيجعل مهمة رئيس تحريرها الزميل إبراهيم العجلوني صعبة ودقيقة، ولكن؛ هنالك ملاحظتان أرى ضرورة تمثلهما في المجلة وهما:

* الامتداد عربياً وعالمياً، بحيث لا تصبح المجلة أردنية فقط، لتتفق بذلك مع شعارها الرئيسي [فكرية - عربية].

* أن يكون للإبداع مكان فيها، كملحق في كل عدد مثلاً، للإبداع بدوره نتاج فكري هام يحمل هوية الأمة، وقضاياها، وهمومها، ولا يمكن أن تقوم مجلة فكرية بعيدة عنه.

شخصيات

عائلة.. وحكمة^(١)

أ.د. عصام سليمان الموسى

في وطني كفاءات متميزة لها في قلوب معارفها مكانة خاصة فرضت حضورها بالكلمة والفكرة والحكمة التي تطلقها فتتوقف عندها ملياً. أذكر من هؤلاء الأستاذ إبراهيم العجلوني والأستاذ حسني عايش كمفكرين كبيرين. قد لا يتفق معي الجميع لكن في تجربتي الشخصية أجد كل واحد منهما عملاقاً بالفكر والسلوك، وقامة عالية مقدرة بلغت الحكمة.

حسني عايش المفكر، المربي، الناقد، المؤلف، صاحب الفكر النير.. تعجز الكلمات عن وصفه. لم أعرفه شخصياً إلا بمقدار، بل استمعت لحديثه، وقرأت بعض مقالاته، وكتبه. وكلما قرأته أو استمعت لنقاشاته، ازدادت إعجاباً بفكره ونظرته لما نمر به من أحداث. شرفت بزيارة لمنزله مؤخراً وتحدثت معه، كان وهو في الخامسة والثمانين من عمره المديد يتحرك بخفة وبعزيمة الشباب ويتحدث بصفاء ذهن حول قضايا معاصرة، ودعاني لزيارة مكتبته الضخمة والثرة في تسوية منزله وفيها كان يجتمع رجال الفكر وأصدقاؤه يناقشون القضايا المختلفة كل أسبوع.

وهناك قامة أخرى من قامات الوطن، الأستاذ إبراهيم العجلوني، حين يتحدث إليك لا تمل حديثه، يجول بك في دروب العلم والمعرفة، مسكون بالحضارة العربية يقارن منجزاتها مع الآخر، أو المختلف كما يحب أن يدعوه، كما في أحدث نتاجاته الفكرية، كتاب (نحن ومفكر الغرب: نظرات في المختلف) الذي يقدم فيه مقالات مما نشر طيلة السنوات تبين رؤيته للفكر الغربي، والمنحنيات التي نلتقي فيها معه، والأخرى التي نختلف معه فيها. كتاب ينم عن معرفة عميقة قلما توجد عند كثيرين.

كتب الصديق الدكتور محمد القضاة عميد كلية الآداب في الجامعة الأردنية في مقال في جريدة الرأي قبل فترة نادباً عدم وجود الأستاذ «المثقف» في الجامعات الأردنية -إلا ما ندر- واتفق مع الدكتور محمد فيما ذهب إليه.

(١) جريدة الرأي ٩/٥/٢٠١٨م.

نحتاج في هذا الزمن، الذي يطارد الإنسان فيه أمور الحياة المتشعبة، إلى وجود (الأستاذ المثقف)، أو الفيلسوف الذي بلغ مرحلة الحكماء، خاصة في الإنسانيات، فيحلل واقعنا على ضوء ماضينا ويعطينا من رحيق فكره إضاءات تحليلية شافية وعلاجية تعيد التوازن المفقود في حياتنا.

أتمنى وجود منبر تلفزيوني لمثل هذه الشخصيات تتحدث لنا عن رؤاها الفلسفية في الحياة، مع محاور ذكي ملم بالأمور، وفي لقاء أسبوعي نسهر معه مساء يوم يكرس للفكر لا للغناء والمسلسلات. ومع الأسف فإنه لا توجد برامج ثقافية فكرية تقدم نقاشات راقية. إن وجود مثل هذا البرنامج الذي يجمع مفكرين في وطني لا شك سيغنيننا فيتحدثون فيه لنا، يعلموننا، يناقشهم، نهمل من معين خبراتهم، وحكمتهم التي توصلوا لها عبر سنوات عمرهم، فنهر المعرفة دافق عند هؤلاء، وبحرهم ثر، نتمنى لهم طول العمر والصحة والسعادة.

إبراهيم العجلوني أصالة التجربة وتجليات الشعر

(تقاسيم على الجراح نموذجاً)^(١)

د. عماد الضمور / أكاديمي وناقد أردني.

ما أجمل أن تجتمع الأصالة والحدثة معاً في عمل إبداعي! يتحول معهما إلى مناجاة عميقة تملأ الصدور، وتبهج القلوب، وتمتلك من المواقف الشعورية ما يجعلها حالة وجدانية متفجرة تنبعث وهداً وتتشكل روحاً قادرة على الحلول في الأجساد.

في ديوان «تقاسيم على الجراح» والصادر عام ١٩٧٣م في بيروت، للشاعر والمفكر الأردني إبراهيم العجلوني يمكن رصد درجة عالية من الأصالة في التجربة والصوت النافذ، فضلاً عن قدرة واضحة على استيعاب النبض الإنساني بهواجسه العميقة، فثمة شاعر قادر على النظر في داخله والغوص في أعماقه، يأتي بصور تشفي الوجدان وتشعل الفكر، صور تعمق من القيم الجمالية، ذلك لأن مبدعها شاعر يملك الإحساس المرفه، وموهبة الإبداع الفني، شاعر أوتي من الحسّ الإنساني النابع من عالم الحياة والأحياء ما جعله قادراً على البوح والتأثير.

ما يُقال عن موقف إبراهيم العجلوني من الزمان أنه ذو ارتباط وثيق بالطبيعة؛ فالشاعر في ديوانه يشع رومانسية ووجداً مشبعاً بالفكر، والرؤى، ولا عجب فالديوان جاء في مرحلة مهمة عاشها الشعر في الأردن، مرحلة التحول من القصيدة العمودية إلى شعر التفعيلة بإيقاعه التصويري واختزاله للمعنى، الذي بدأ في القصيدة الأردنية مع تيسير السبول وعبدالرحيم عمر، وخالد محادين وغيرهم من الشعراء الأردنيين.

في قصيدته «مزامير الحزن» يظهر إبراهيم العجلوني عاشقاً لليل، مناجياً له، باعثاً لأحزانه، وهو ليس العاشق الوحيد المفتون بالليل، أو ممن تهدج وحده بسحر الليل، لكنه مع ذلك يُثير فينا تعاطفاً كبيراً مع تجربته، فالقصيدة تمثل بذاتها عالمها في غاية الدقة والشمول والعمق من حيث المضمون والبراعة من حيث الفن، تبعث معاناة الإنسان واصراره على التحدي من خلال الكشف عن أرض الحقيقة، وإبراز الحلم برؤاه المتوهجة.

(١) جريدة الرأي ٢٠١١/٩/٩م.

قد يتفاوت تأثرنا في القصائد التي تناجي الليل وتتغنى به، وهي كثيرة يحفل بها الشعر العربي قديمه وحديثه، لك أجملها وأصدقها تعبيراً عن مشاعرنا هي القصائد القرية إلينا، لأنه لا انفصال بين الجمال الفني والموقف الإنساني والشعر الخالد الذي يقهر النسيان، ويضيء عتمة الدجى على اختلاف الأزمان وتباين الأفكار.

أجد نفسي في قصيدة «مزامير الحزن» أمام أداء شعري راق، يتفتق بالمعنى ويكتنز بالرؤى ويصعد من العاطفة ويؤكد حقيقة أن الشعر شعور مهما أبرز الشاعر مقدرته وأدواته الفنية، لأن الموهبة والبراعة الفنية كفيلتان بخلق قيمة إنسانية فائقة.

يهزنا وصف الشاعر لليل وكأنه مقابل للشاعر، أو جزء مفقود من ذاته النازفة، إذ يقدّ العجلوني نموذجاً إنسانياً لحالة تواصل شفيف بالليل تغرق في الرومانسية، يقول^(١):

الليل، وأشواقٌ تمتدّ

وسراب يملأ باب الغدّ

وأنا أدعو

أدعو

أدعو

ودعائي يهرب منه الردّ

فالشاعر يستمد من مشهد الليل الصور ويشعل الأحاسيس بنزعة إنساني متحققة، ورغبة في الخلاص من أسر الواقع، وذلك بصوت مسكوب من سرد يعانق الوجود بتلقائية وحرارة كفيلتان بنقل الشحنة العاطفية للقارئ، وهي سيطرة مكنته من تفجير أقصى طاقة يحتويها اللفظ تعبيراً عمّا يرمز إليه من معنى، إذ تتمثل عناصر الطبيعة من خلال ذات الشاعر، حيث يقول^(٢):

واهترّت في الليل الأشجار

وبكت أكمام النوار

وهتفت وآمالي صرخت

(١) إبراهيم العجلوني: الأعمال الأدبية، ط١، دار ورد للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠٠٩م، ص ٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٤.

وصرختُ وآمالي صرخت

يا هذا اللاشيء الجبّار

أترى .. أهلكت فتى الأزهار؟!!

وعندما يتداخل الزمان بالشخوص والمكان في نص شعري فإن ذلك من سمات الأدب
الفاعل، فالزمان ماضٍ في سرمديته، والمكان باقٍ على حاله أمّا الشاعر فيقف بإحساسه
المجرد وروحه العظيمة يبحث عن ما يمدّه بأسباب الوجود، يقول^(١):

الليل وأسماءُ تترى

وظلالٌ تُغري بالذكري

والركبُ يسير

وعلى الأطلال تحفُّ بنا

أنوال تنسج من دمنا

أكفان حرير

نغمٌ حالمٌ شجي يعبر من خلاله إبراهيم العجلوني إلى الحياة إنه اليقين بحتمية الفناء،
وكأن فراق الحبيب والحرمان من ملذات الحياة جعلت الشاعر مستسلمًا لغيوبة السلوى
والنسيان، ومستهلكًا لرصيده الوجداني وتجاربه في الحياة، يقول^(٢):

الليلُ وعشاقُ كثرُ

ذهبوا لم يبق لهم أثر

وبثينة هام بها آخرُ

ولكلّ شأنٍ يغنيه،

في عرس الموت .. ولا خبر ..

يشغل موضوع الموت بتجلياته المؤلمة وفضاءاته الحاملة مساحة واسعة من ديوان
«تقاسيم على الجراح» وهو موت رومانسي شفيف، وقد أتى على الشاعر حين من الدهر

(١) المصدر نفسه، ص ٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٦.

كان خياره الوحيد هو الموت؛ وهو تعبير عن قلق وجودي حملته الشعر المعاصر في بواكيره الأولى بعدما شعر بأنه بمنأى عن الحياة بتفاصيلها المدهشة وروحها المتحفزة، ممّا جعله يصوغ الحياة من خلال فعل الموت، حيث يقول في قصيدته «أبحث عن قبري»^(١):

أنا إن بُحَّ صوت الأمس في خلدي

ولم أسمع نداء غدي

فمعدورٌ

طبول اليوم تصرعني

تدغدغ في صميمي الموت،

ترميني .. بقاع الحب لا ركُبُ

يمرُّ عليَّ .. لا صخب

ولكن عتمة الأبد...

إن تأكيد إبراهيم العجلوني لذاته بوصفه فناً انطلق من فاجعة الموت في نغمات عميقة الشجوة، بالغة الأثر في نفس المتلقي، إذ يتجاوز المأساة الخاصة إلى مأساة عامة ماثلة في فعل الموت التي تعمق الشعور الإنساني المشترك بعظمة فعل الموت من خلال خضوع الشاعر للألم الذي يفجره الموت بعدما أدرك أنه عرضة للمصير نفسه، يقول^(٢):

إذا ما ضاعت الآهات عبر مسارب الأحزان

وبات الليل مصلوباً على بوابة الضجر

وجفت أضرعُ الوتر

أصخت السمع للأنواء تنشد للدنا خبري

غريباً كان

تقاذفه دروب البؤس والحرمان

(١) المصدر نفسه، ص ٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠.

تخبّ به هنا وهناك راحلة الهوى الظمآن

نحط غداً بباب الفجر يا حيران

نحط غداً

نحط غداً

وطالت رحلة الفجر

لقد أحدث الشاعر أثراً واضحاً في نفس المتلقي لما تحتويه كلماته من قدرة على تجسيد المعنى الإنساني والتعبير عن المشاعر بكلّ صدق بما يكفل لها البقاء.

وفي قصيدة « قبل الرحيل » يرثي الشاعر نفسه، بلغة تمتلك من الطاقة التعبيرية ما يكفي لبعث الأثر العميق في نفس المتلقي، إذ تنداح الألفاظ من أعماقه ممتزجة بذاكرته لتشيّد بناءً سامياً من المعنى العذب الذي يقع في القلب ألمّاً وحنناً على ضآلة فعل الحياة مقابل حتمية الموت وقسوته.

يستهل الشاعر قصيدته الحزينة بخطاب غاضب رافض للواقع، وزيفه، وخداع علاقاته البائدة، ويكاد هذا الخطاب يبلغ مبلغ الصرخة التي يطلقها من أعماق نفس مكلومة، وقلب مشخّن بالجراح، محروم من شعاع الأمل، فكانت كتابته للوصية حيث يقول^(١):

قبل أن أرحل هاكم قصتي

زوروا كيفما شئتم وقولوا

كان مسطولاً بمقهى جنّة

وطواه في ذرا المسّ أفولٌ

أو تنادوا حول مصوى حلمي

وارقصوا حول مهاوي أمنيّاتي

هاهنا يرقد مهدور الدم

ويريح النفس من بلوى الحياة...

(١) المصدر نفسه، ص ٧١.

وتبلغ مأساة الشاعر درجة عالية من التفجع وهو يسرد خاتمة سيرته الحزينة، وذلك من خلال نسيج درامي على نمط سينمائي تتقطع فيه المشاهد، وترتقي فيها الشحنة الدرامية وفق نمط مسرحي يبلغ الذروة بالمعاناة، والنهاية التراجيدية بالموت، حيث يقول^(١):

صحتُ مصلوب الرؤى: يا للهوان

جفَّ عودي.. إذ هوى الآفاق طفلاً

ثم أسلمتُ إلى الموت عنائي

وهوى لي عن سنام الفجر رَحُلُ

إذ يتخطى الشاعر حدود الشعر الذاتي إلى الشعر الإنساني؛ لأصالته في التعبير عن الحسّ الإنساني بالمصير الفاجع، الذي يتجاوز حدود الذات ويستقطب الألم الإنساني عبر المسيرة الأبدية معبراً عن معاناة الإنسان في مواجهة فعل الزمن تحتوي مشاعر الناس وآلامهم. فأبى سحر خفي وشجن عميق يفجره رثاء النفس في المتلقي، وأبى رغبة تلك تدفع بالشاعر لرثاء نفسه؟.

إن اتصاف تجربة إبراهيم العجلوني بالمعاناة انتقلت عدواها إلى الشعر، ممّا أشاع فيه حرارة تزيد من عراقة التجربة الإنسانية، ورقى المعاني الإنسانية الحاضنة للمعنى والقادرة على تحريك الفكر والوجدان، فضلاً عن براعة الشاعر في توظيف أدواته الفنية القادرة على الإفصاح عمّا بداخله في حركة دائرية دائبة بين أرض الواقع وعالم الرؤى وذلك باستشارة طاقات اللغة، واختراق حصونها المتينة بحثاً عن معنى غائب أو فكرة شاردة، أو لغة ساكنة تأبى إلا أن تغادر مبدعها بحثاً عن آفاق إنسانية أرحب.

في ديوان « تقاسيم على الجراح » نقرأ لشاعر متمكن من صنعته بارع في شحذ أدواته الفنية وتوظيفها لمعانقة المعنى، فنجد أنفسنا أمام نفس جمعت بين رهاقة الشعور وعمق الفكر، يتحول معها الشعر إلى إحساس بشري عام، وتتجاوز معه اللغة قدرتها على الرصد لتدخل في باب الكشف، بعدما أعاد الشاعر تشكيلها في قالب جديد لينقلها إلى المتلقي بروح وثابة وفكر مشحون وجدلاً بحضور وجلاء روحي لا يخلو من سمات الفن الأصيل الذي يفيض أسى في إنسانيته، ويزداد بريقاً في تقاسيمه التي تتجاوز الجراح إلى معانقة الوجود.

(١) المصدر نفسه، ص ٧٢.

الطريق

إلى مائدة الرافي (١)

د. عمر القيام

هذه رسالة تستنبط فرحاً خاصاً، وتتبعث آمالاً..

وهي بالغة الدلالة على أن أجيالنا الجديدة أكثر حرية وحياء من أن تخنق وبعيها المناهج المطروقة والأذواق المستهلكة!!

ولعلي، إذ أتركها بين يدي مرتادي هذا الأفق اليومي^(٢)، أن أكون مستبشراً بها وبصاحبها كثيراً.. مع اعتقاد جازم بأن معركتنا الثقافية اليوم لا تختلف في كثير من عناصرها وحيثياتها عن المعركة التي خاضها الرافي العظيم رحمه الله..

قرأت بتدبر ما كتبه الأستاذ إبراهيم العجلوني حول «مائدة الرافي» في أفقه بتاريخ ١٢/٥/١٩٩٤، وأثر في نفسي توقيت الدعوة إلى قراءة فكره، وحسن صياغتها وتشبيها بمائدة المسيح على نبينا وعليه الصلاة والسلام، ولا سيما في هذا الزمن الذي تردت فيه ثقافة العرب وحضارتهم إلى درك أتاح لكل من دب ودرج أن يعبث في بنيان هذه الثقافة ويغمز من قناتها.

يدعو الأستاذ العجلوني إلى قراءة تراث الرافي، وبالتالي إلى تدبر موقفه العام من اللحظة التاريخية التي واجهها، وإلى تحليل مكونات هذا الموقف وفحص مظاهر القوة فيه، والإفادة منه في صياغة موقف (وجودي) من الواقع الذي نواجهه وهي دعوة جليلة الأثر لو كان لها رجال.

فالرافي -مفكراً وأديباً ومبدعاً وناقداً- رجل مهجور قابع في زاوية النسيان لا يذكره إلا هؤلاء القابضون على جمر ثقافة العرب وجذوة الدين، ومغامرة البحث في تراثه تواجه من المصاعب ما يصد الباحث عن المضي في طريقه وما زلت أذكر أن صديقاً لنا صحت عزيمته

(١) جريدة الرأي ١٢/١٢/١٩٩٤

(٢) نشرت في زاوية "أفق" اليومية التي كان يكتبها العجلوني في صحيفة "الرأي" لمدة عشرين عاماً ونيف.

على كتابة بحث علمي لنيل الدرجة الجامعية الثانية (الماجستير) عنوانها «الرافعي الناقد» فأبى القائمون على شؤون الدراسات العليا هذا العنوان، وأصروا على صياغة أخرى للبحث عنوانها «جهود الرافعي النقدية» متذرعين بأن الرافعي لم يكن ناقداً، وأن هذا العنوان يتجاوز حدوده وإمكاناته.

بل إن الرافعي - في حدود تجربتي الجامعية - لا يدرس إلا في إطار الصراع مع العقاد وطه حسين مع الإشارة إليه على أنه نموذج للسلفية والرجعية، أما تجربته الإبداعية وموقفه الفكري العام فأمور لا يكاد يذكرها - حتى الرافعيون - إلا على استحياء، فقد استقر في النفوس - اتباعاً للظن - أن الرافعي قد كتب لأهل القرن الثالث الهجري، فضربة لازب أن يأفل نجمه من سماء التاريخ الأدبي والفكري.

إن وراء الأكمة ما يتجاوز شخص الرافعي، ولقد كثرت الشواهد على أن هناك مكرراً خفياً يحاول تضيق الخناق على النموذج «الرافعي» وما زلت أذكر تلك المرارة التي تحدث بها محمود محمد شاكر أكبر باحث في الثقافة العربية الإسلامية - عن تجاهل مؤسسات الثقافة له، وإغفالها تجربته التي سيفتح العرب عيونهم عليها ولو بعد حين.

ربما كان دافع الأستاذ العجلوني إلى كتابة كلمته هو المنعطف الخطير الذي تمر به هذه الأمة، وأيضاً فإن هناك تمللاً في ساحة النقد الأدبي وشعوراً بالتبعية، ونزوعاً نحو الرؤية المستقلة النابعة من صميم هذه الثقافة العظيمة، ويوم تبدأ الخطوة الأولى، سيكون الرافعي وابن شاكر رائدين أمينين لا يكذبان أهلهما، ورحم الله أبا الطيب حيث يقول:

وهكذا كنت في أهلي وفي وطني

إن النفيس غريب حيثما كانا

كتاب «الشذرات»

والأفق الروحي عند ابن عربي^(١)

د. عمر القيام

ما فتىء الكاتب ابراهيم العجلوني يطالعنا بين الحين والآخر بشمار فكره، وبلاغة لغته، ويستنهض العزائم من اجل مشروع ثقافي يستشرف آفاق المستقبل من خلال بصيرة نافذة في اللحظة الراهنة وآفاق مشرعة على الماضي في لحظاته الزاهرة، بحيث تتأزر الازمنة الثلاثة في بلورة رؤية واضحة للاشياء، وتتجاوز آفاق المحنة الثقافية التي تتخلل طريقة وعينا، وتسيطر على مناهج كتابتنا، وتحول بيننا وبين الاعتراف من منابع الابداع الاصيل، وهو ما نتهامس به سرًا، ولا نملك الجرأة على الصدع به، ودعوة المثقفين الى تجاوزه والتمرد عليه، واستثني نفرا قليلا ممن يعز عليهم هذا الاستلاب الثقافي الذي دهينا به، ويطمحون -رغم قلة الناصر- الى تجاوز هذه المرحلة الثقافية العلية.

وخلال هذا الجهد الحميد للعجلوني، تبلورت لديه بعض المواقف الفكرية التي يخالفه المرء فيها على كثرة الاتفاق معه. ويبدو ان ضغط الواقع الثقافي والحضاري هو الذي ينحرف بالاشياء عن وجهتها الصحيحة. فالعجلوني يذهب في لقاء ثقافي على صفحات «الرأي» - الى ان المعتزلة هم الاطول قامة والأعلى هامة في سياق الثقافة العربية الاسلامية، وان جهودهم في بلورة علم الكلام، وتأسيس اللاهوت الاسلامي - ان جاز هذا التعبير - هي من التفرد والعظمة بالمكان الرفيع، وهذا حكم يحتاج الى اعادة نظر ومزيد عناية وتحقيق، وفيه اجحاف بحقوق الفقهاء والمتكلمين على طريقة اهل السنة ولا سيما علماء الاشاعرة الماتريديّة وفقهاء مدرسة ابن تيمية من الحنابلة وغيرهم ممن بذلوا جهودا عظيمة في سبيل صيانة العقائد، وضبط التوغل العقلي الذي تفجّر على ايدي المعتزلة ولا سيما في المرحلة المتأخرة من مسيرتهم حيث اصبح النشاط العقلي والبحث الكلامي محفوفًا بكثير من المخاطر، وطريقا الى زعزعة اليقين وقدح زناد الشك بسبب انشغاله بالقضايا العقلية المجردة ومناقشتها داخل اطار العقل وحده (اللاغوس) وما كانت تنتهي اليه من مفهوم

(١) جريدة الرأي ١١/٢/١٩٩٨م.

«تكافؤ الأدلة» وما ينشأ عنه من زلزلة لقواعد العقائد، وتأريث لنار الشك والاضطراب. فاذا كانت المعتزلة هي الأعلى هامة وقامة بين علماء الملة، فيا ضيعة جهود علماء السنة التي لم ينقطع تيارها من زمن الشافعي وابن حنبل الى يومنا هذا، مروراً بالطحاوي، والطبري، وابي الحسن الاشعري، وابي منصور الماتريدي وابي بكر الباقلاني، وابي يعلى الفراء، وابن تيمية، وابن القيم، وابن حجر العسقلاني الى آخر هذا السَّمط الكريم الذي لم يغفل يوماً عن المخاطر الروحية والعقلية التي يمكن ان تنشأ من الفكر المعتزلي. هذه واحدة؟!

- ٢ -

واما الاخرى: فان العجلوني قد ذهب في الكتاب الثاني من «الشذرات» الصادر عام ١٩٩٨ (ص: ١٣٠) الى ارتياد افق آخر هو الافق الروحي الصوفي كما تبلور على يد محيي الدين بن عربي (٦٣٨ هـ)، وهو الافق الذي تأسس على مقولة وحدة الوجود الخطيرة، وهي المقولة التي تذوب فيها الفوارق بين الاشياء حتى يصل الامر الى الذات المقدسة، ويتجلى الوجود وحدة واحدة تشهد على قضاء الله الكوني، ويتلاشى فيها قضاؤه القدري والشرعي، ولقد بذل علماء الاسلام كثيراً من الجهود الفكرية في سبيل الوقوف في وجه هذا النمط من الوعي الذي اطل برأسه في فترة الحروب الصليبية، حيث دعا ابن العربي، وابن الفارض، والعفيف التلمساني وغيرهم الى صهر الاديان في بوتقة واحدة، ظنا منهم ان هذا الحل هو الذي سينقذ المسلمين من المحن والكوارث التي اطبقت عليهم، ولكن النتيجة كانت بخلاف ذلك، ولم يستطع المسلمون ان ينفصوا عن جباههم غبار الذل والهزيمة الا عندما نشأ فيهم امثال العز بن عبد السلام، وابن تيمية اللذين ادركا ان اللحظة التاريخية في زمنهما كانت تقتضي البحث عن مقومات الذات وخصوصيتها، وذلك بالتركيز على مفهوم الفروق والخصائص، لا على الاشباه والنظائر.

لقد دهشت حقاً عندما رأيت العجلوني يستشهد بأبيات ابن عربي الشهيرة: «لقد صار قلبي قابلاً كل صورة»، واستبد بي طائف من عميق الأسى لهذه العثرة التي يصعب اقلتها، فمشروع ابن عربي مشروع خطير محفوف بكثير من المزالق، وهو مرفوض جملة وتفصيلاً الى السياق التاريخي للثقافة العربية الاسلامية. ولعل احوالنا الحاضرة وما يعصف بها من كوارث وتحديات ان تكون محتاجة الى يقظة روحية وفكرية تسهم في تماسك شخصيتنا،

وتذكي فينا عزيمة المقاومة في زمن اصبحنا فيه قصعة يتداعى اليها الأكلة من كل حدب وصوب، ولست بالذي يسيء الظن بابراهيم العجلوني، فقد عاش هذا الكاتب خلال مسيرته الثقافية في قلب هموم الامة، واظنه سيبقى قابضا على جمر الصبر والرضا. ولقد كان خليقا بي ان احتفي بالكتاب، واتوقف عند تجليات الابداع والرصانة فيه، ولكنني آثرت طريقا اخرى آملا ان اكون فيها من المحاورين المخلصين^(١).

(١) ربما كان جديراً بالإشارة هنا إلى البحث الذي اختتم به العجلوني كتابه "إسلام ومسلمون" بعنوان: "عن التصوف: رؤية مختلفة" حيث يقدم الكاتب رؤية لابن عربي توافق إلى حد بعيد ما يذهب إليه الدكتور عمر القيام في مقالته هذه (سمير اليوسف).

أين الفلسفة..

من الخطاب القرآني^(١)

عودة الله منبع القيسي

* صدر حديثاً كتاب لأخي الأستاذ إبراهيم العجلوني بعنوان «في الفلسفة والخطاب القرآني». ضم تسعة عناوين، وهي مجموعة المقالات التي يتكون منها الكتاب. وإبراهيم صاحب فكر ناضج وأسلوب رصين وعمق في تناول ما يتناول من موضوعات، وكتابه هذا.. دليل على امتلاك الكاتب لهذه الصفات. ولكن هذا.. لا يمنع أي.. سأختلف معه في بعض الجزئيات.

خطوط رئيسية

والكتاب، وإن قام على مقالات، فإنه يتناول أفكاراً وخطوطاً رئيسية تدور حول واحدة منها أو أكثر كل مقالة. وهذه الأفكار والخطوط هي:

١- إن كثيراً من أهل الرأي في بلادنا العربية هم مغتربون في أفكارهم وتصوراتهم وهذا يقتضينا «مواجهة حاسمة» ص ٧ وجهاداً بالقلم.. لكي تعاد الأمور إلى الطريق الصحيح، وتجري في المجري السليم.

٢- إن النموذج الأمريكي أصبح نموذجاً طاغياً، وحتى لا ندوب في حوامض هذا النموذج، علينا، ونحن أمة ذات عراقة، أن نهتم بترائنا وخاصة بجوانبه «التي تكمن فيها قيم الحرية والعقل والجهاد، وأن ينظر إلى هذا التراث بصفة كونه قوة فاعلة تسري في صميم حركة العصر، لا على أنه متحف وطني نفاخر به ولا نتجاوز ذلك» ص ١٥.

٣- إن كثيراً من الدارسين للفلسفة يعتبرون أنفسهم في عداء مع الدين كأن إله الدين «مناقض للعقل ملغ له، ساع إلى تدميره، كما يقول إن (محاربة العلم للدين) في مجملها، انعكاس لتاريخ الكنيسة (ولا نقول المسيحية) مع العقل، هذا التاريخ الأسود الذي حمل الإسلام

(١) جريدة الرأي ١٢/٥/١٩٨٤م.

جريرته وهو أقرب إلى أن يكون نقيضاً له، على طول الخط الصاعد من المبعث إلى هذه اللحظة ص ٢٥، وإن الإسلام لا يتناقض مع الفلسفة، فلا تناقض بين الخطاب الفلسفي والخطاب القرآني.

٤- إن الذين يتناولون الفكر الإسلامي من منطلق متحيز إنما يجورون عليه ويحملون عليه ما ليس منه، وذلك يلجئهم إلى الأخذ بالروايات الشاذة والتمثل بالحركات الغربية، مما يقودهم إلى نتائج غريبة، الفكر الإسلامي، والحركة الجماهيرية للتاريخ الإسلامي منها براء.

٥- إن الديمقراطية المدعاة لدى كل حزب وكل قوم.. لهي أقرب إلى الوهم وإلى الدعاية الحزبية أو السياسية.. منها إلى الممارسة الحية التي يصلح عليها أمر العباد والبلاد لقد «اقتربت ديمقراطية الغرب منذ كانت بعقلانيته» وبمحاولاته لاستيعاب الوجود في مقولات، وصبه في نظريات شاملة، وقد تمخض هذا الاقتران عن «لا إدرية» واضطراب بالغين على مستوى الفكر، وعن حريين عالميتين على مستوى السياسة».

هذه خطوط رئيسية في الكتاب تدور حولها كثير من المعاني والتفصيلات يعرضها الكاتب بأسلوب مشرق، وثقة بالنفس، يدل عليها اطلاعه الواسع الذي تشير إليه هذه الكتب الأصول الكثيرة التي يومية إليها خلال عرضه للمعاني والأفكار.

ليست الفلسفة كالخطاب القرآني

الأستاذ إبراهيم ذو ميل شديد إلى الموضوعات الفلسفية ولذلك يعز عليه ألا يدخل الفلسفة في أفق تفكيره ويعز عليه، من جهة أخرى، موقف أولئك الذين يجعلون من الدين نقيضاً للفلسفة، على اعتبار أن الفلسفة، في زعمهم، هي المنهج الأقوم في تناول الحياة.

ولذلك.. يحاول أن يوفق بين الفلسفة وبين الدين كما فعل قديماً ابن رشد الفيلسوف الأندلسي.

أما أنا.. فأعتقد أن الدين.. يلغي الفلسفة، لأنه ليس في حاجة إليها، وقد يبقى منها التفلسف أو المنهج الفلسفي. لأن الدين.. هو، في جوهره، تفسير للحياة وما بعد الحياة، والفلسفة.. هي، في جوهرها، محاولة لتفسير الحياة وما بعد الحياة..

إن الدين والفلسفة يتزاحمان على مجال واحد لكن الدين يملك من الأدوات ومن ربح النظرة ما لا تملكه الفلسفة. ولذلك.. فهو أقدر على التفسير.. منها، يدل على ذلك.. أن الأديان -في أصلها- قد جاءت بمفاهيم موحدة أما الفلسفة فقد جاءت بمفاهيم مختلفة، تتفاوت بين فلسفة وأخرى، فهل منظور أفلاطون المثالي كمنظور أرسطو الواقعي، وهل منظور سارتر الوجودي كمنظور «كونت» الوضعي..؟ إن مفاهيمها تتفاوت بين فلسفة وأخرى.. لأنها لا تنفك عن ذات صاحبها وعن ظروفه المحيطة به. إنها تتأثر بالواقع وتؤثر به... لأنها «مقيدة» بالزمان والمكان والذات.

أما الدين.. فهو يستوعب الزمان والمكان والذات أو هو يعلو على الزمان والمكان والذات من جانب أصالة أفكاره وصدقها وثباتها وديمومتها.. ثم يتفاعل، من جانب آخر، مع الزمان والمكان والذات.. لا ذات الرسول فحسب وإنما ذات كل فرد في إطار كل زمان ومكان..، لأن أفكاره تتصف «بحوارية» جوهرية، أصيلة فيه، تأتيه من طبيعة أفكاره لأن الدين يقوم على مجموعتين رئيسيتين من الأفكار، أفكار تخبر عن عالم الغيب، وهذه تتصف بالثبات، وأفكار تخاطب عالم الشهادة، وهذه تأتي على صورة مبادئ وتوجيهات وقوانين فطرية، تترك للإرادة البشرية والعقل البشري حرية الملاحظة والتجريب والتفاعل مع الواقع، تشكيلاً وتطبيقاً.

على هذا.. فإن الفلسفة سلاح من لا عقيدة له، ولكن من يمتلك سلاح العقيدة.. فليس به من حاجة إلى الفلسفة.

إن الدين.. يمكن أن يستعين بالمناهج الفلسفية، باعتبارها أدوات في طريق تحقيق الهدف، ولكنه يرفض الفكر الفلسفي باعتباره محاولة لتفسير الحياة وما بعد الحياة.

على هذا فإنني أتخفظ على قول الكاتب «وإن للإسلام فوق ذلك تصوراً مميزاً للإنسان والكون والحياة، لا يمكن استمداده إلا من القرآن الكريم مباشرة، وهو فيما يفترض المنطق أساس أية فلسفة عربية أصيلة» ص ٢٥ واعتراضي ينصب على العبارة الأخيرة وهو حسب أن التصور القرآني فلسفة. إننا نحاول أن نقدم «تسوية» عندما نقول ذلك لأن الأصل أن تصور القرآن للكون والحياة والإنسان.. يعلو على الفلسفة، حسب المفهوم الاصطلاحي الفلسفي.

طبعاً.. أنا مدرك الأفق الواسع الذي يطل منه الكاتب والهدف البعيد الذي يرمي إليه وهو أن يكون الإسلام هو المنظور والإطار والمجال.. غير أن محاولات التسوية لا تقود إلى ذلك الهدف ويا للأسف!

إن الذين يظنون أن الفلسفة تساوي الفكر، وأن الدين يساوي الوهم أو الحلم.. هم أناس ينظرون إلى الحقائق بعين ذات حَوْل فالحقيقة أن الدين هو الذي يساوي الفكر أما الفلسفة فهي تساوي «فكراً» فحسب لماذا؟ لأن فكر الدين فكر أصيل ثابت دائم أما فكر الفلسفة فهو فكر -في معظم جوانبه- مؤقت شكلي يؤول إلى الانحلال أو يؤول إلى أن تتجاوزه البشرية. إن فكر الدين في إحدى مجموعتيه اللتين أشرنا إليهما آنفاً.. لهو فكر عملي واقعي، لا يؤمن إلا بالإنجاز والتحقق «وقل اعملوا، فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون» (سورة التوبة ١٠٥) أما مجموعته الأولى.. فهي الثوابت التي تحفظ لمجموعته الواقعية اتزان حركتها.

موقع المنطق

أما المنطق.. فلا بأس من دراسته ومن الاستعانة به في التفكير، فقد يشحذ الذهن في ترتيب الأدلة والحجج. كما يقول ابن خلدون فيما نعرف، وفيما ينقل الكاتب عنه ص ٢٦ بيد أني أعتقد مع ابن تيمية، فيما ينقل عنه الكاتب، «أن المنطق اليوناني.. لا يحتاج إليه الذكي ولا يتنفع به.. البليد» ص ٢٤، وأزيد على ذلك أن كل فكر أصيل يتضمن منطقاً، وإن لم ترتب مواده ترتيباً نظرياً، ولم تعط أسماء اصطلاحية لأن المنطق كالبلاغة قد يكون المرء بليغاً دون أن يعرف رسماً واحداً من رسوم الاصطلاحات البلاغية، شأن الشعراء في الجاهلية وفي صدر الإسلام وقد يكون المرء عيباً وهو يحفظ كل مصطلحات البلاغة.

وهذا.. يتفق مع قول الكاتب «فنحن أمة متأملة حكيمة بالفطرة، وبمقتضى الجبلية النقية وليس معقولاً أن يوجه الخطاب القرآني، بما يشتمل عليه من منطق وشمول ودعوة إلى التفكير. إلى قوم لا شأن لهم بهذا كله وقد كان المسلمون خليقين بإيجاد منطق بقضايا وحدود ومقدمات ونتائج.. لو أنهم لمسوا الحاجة إليه» ص ٢٤.

وبعد: فإن الفكر الإسلامي فكر أصيل مستقل، جاء ليحجب على كل الأسئلة التي يطرحها الإنسان، لأنه لا يجد لها جواباً، أساساً، أو لأنه لا يجد لها جواباً في الفلسفة، لأن الفلسفة هي نتاج فكر إنسان، في ظروف اجتماعية محددة، بإطار زمني وجغرافي وثقافي وبشري.

ومن هنا.. فقد ظلت نظريات الفلاسفة تتغير من عصر إلى عصر..

ومن هنا أيضاً.. فقد ظل ما يسمى.. (الفلسفة الإسلامية) يعيش على هامش المجتمع الإسلامي ولا يؤثر فيه لأن التأثير الحقيقي الكبير.. كان للفقهاء، لأن الفقهاء تبنا فكر الإسلام. أصلاً وفرعاً.

وليس أمثال الغزالي يعد من جماعة الفلاسفة، وإنما نعني بالفلاسفة أمثال ابن رشد وابن سينا والفارابي، هؤلاء الذين تبنا فكراً وافداً، وحاولوا أن «يوفقوا» بينه وبين فكر الإسلام ولكن.. هيهات.

الخيارات المؤسسة

للعلاقة مع الآخر المختلف^(١)

فايز محمود

صدر مؤخراً عن مركز الرأي للدراسات والمعلومات، الكتاب رقم ٣٥ من مكتبة الرأي، المؤسسة الصحفية الأردنية، بعنوان «الكتايبون في ظلال الإسلام» تأليف الأستاذ إبراهيم العجلوني، يقع الكتاب في ٨٢ صفحة من القطع الوسط، مشتملاً على الفهرست التالي: مقدمة.. صحيفة المدينة: لحظة تأسيس.. تماهي الكتايبين في المجتمع الإسلامي.. قول في التباس المفاهيم.. أسئلة تتضمن إجاباتها.. عرب ويهود، وأوروبيون.. والمنطق والوجدان في حوار الأديان.. وفي مقدمته الموجزة يشير العجلوني! «وعلى أننا نظرق موضوعاً سبقت إليه الأقلام واختلفت فيه الأفهام، إلا أن ثمة في هذا الكتيب تنبيهاً إلى الأسس العقدية والأصول الإيمانية واللحظات المؤسسة للحضور الإنساني الكريم للكتايبين في ظلال الإسلام، إلى ما اشتمل عليه في الوقت نفسه من تدليل على حسن تمثّل هذه الأسس في المجتمعات الإنسانية المفتوحة التي أقامها المسلمون».

وأثناء تسجيل برنامج تلفزيوني ظهر قبيل صدور هذا الكتاب بفترة حين كان يعد للنشر، تمنى الأستاذ إبراهيم العجلوني على سمو الأمير الحسن بن طلال أن يكتب لكتابه هذا مقدمة وذلك ضمن وقائع حوار لسموه مع عدد من الكتّاب في الصحافة الأردنية.. ونجد المؤلف يكتب في زاويته اليومية في هذه الصحيفة، تاريخ ٣/٤/٢٠٠٤ بعنوان «رسالة كريمة من سمو الأمير الحسن بن طلال ما يلي: كعادته وجميل ما نعهد منه، غمرني أميرنا العالم الحسن بن طلال أعزه الله بفيض من لطفه وإيناسه، وشرفني بالرسالة الكريمة المبينة تالياً، والتي ستظل علقاً نفسياً أدخره ما حييت:

(١) جريدة الرأي ١٦/٧/٢٠٠٤م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الأستاذ إبراهيم العجلوني حفظه الله

تحية المحبة، وبعد،

لقد تلقيت ببالح الشكر والتقدير إهداءكم الكريم: نسخة من كتابكم الجديد القيم الكتابيون في ظلال الإسلام.

وهو كتاب بليغ تكاد كل فقرة فيه تشع حكمة ونباهة وجزالة، ولعل أبلغه فصلكم المبدع «صحيفة المدينة: لحظة تأسيس»، الذي أمل أن يترجم إلى اللغة الإنجليزية وينشر على أوسع نطاق.

وإذ أهنئكم على هذا الإنجاز، فإني أسأل المولى العلي القدير أن يكلائكم بعنايته وأن يوفقكم دوماً.

بوركتكم وعوفيتم، وسلمتم..

أخوكم

الحسن بن طلال

عمان في ٢١ ذو الحجة سنة ١٤٢٤ هجرية

الموافق ١٢ شباط / فبراير ٢٠٠٤ ميلادية

يستغرق المبحث الأول «صحيفة المدينة: لحظة تأسيس» الصفحات من ٧ حتى ٣٩، ويذكر المؤلف بحق: تأتي اللحظة التاريخية، للصحيفة أو لـ «وثيقة المدينة» في سياق متماسك، يبلغ حد النسق أو الاتساق الكامل، من اللحظات المؤسسة للعلاقة مع الآخر المختلف ديناً، والتي يمكن اطراد القياس عليها كلما أتيت لبني الإنسان أن يقيموا بينهم علاقات سوية، لا قسر فيها ولا اعتساف ولا استلاب ولا نهاب، ولأن هذه اللحظات المؤسسة في التاريخ الإسلامي، هي منه بمثابة الأركان التي يرفع عليها الوجدان.

يورد العجلوني اللحظات المؤسسة الأربع على التوالي، كما يلي:

١- لحظة الهجرة الأولى إلى الحبشة أو لحظة النجاشي.

٢- لحظة وفد نجران.

٣- لحظة فتح مكة وإزالة الصور والأوثان من الكعبة.

٤- لحظة فتح القدس والعهد العمرية.

وجاءت قراءة إبراهيم العجلوني كما ألمح في ختام مبحثه، قراءة أولية للصحيفة أو لوثيقة المدينة.. في سياق ينتظمها وأخواتها اللواتي يؤكدن قيام التسامح في الإسلام على أصول قرآنية ومبادئ عقدية، أو على رؤية شاملة جامعة جديرة باهتمام العالم كله وتقديره، وهي فيما أمل توطئة لما وراءها من النظر العميق في ما سميناه ابتداء «اللحظات المؤسسة» للعلاقة مع الآخر المختلف ديناً.

المبحث الثاني «تماهي الكتائبين في المجتمع الإسلامي» يستغرق الصفحات من ٤٠ حتى ٥٦ من الكتاب.

ويعمد فيه العجلوني إلى أشخاص بأعيانهم، يتخذهم أنموذجاً للقياس أو قل بالأحرى للائتناس، مثل هبة الله بن صاعد بن هبة الله بن إبراهيم بن علي، ومثل يحيى بن يحيى بن سعيد.. ومثل يحيى بن عدي وعيسى بن إسحق بن زرعة.. ومثل كثير غير هؤلاء حفلت بهم عصور الإسلام، وقام بهم الدليل على سبق هذا الدين إلى إقامة «المجتمع المفتوح» على الإنسانية كلها، على اختلاف مللها ونحلها وألسنتها وألوانها.. ويخلص ههنا المؤلف إلى أن تلك كلها صفحات بيض غراء، من الحضور الإنساني الكريم للآخر الكتابي في تاريخ الإسلام، أو في «المجتمع الإنساني المفتوح» الذي أقامه هذا الدين العظيم، فهل من قارئ منصف لها، وهل من متدبر حكيم؟

ثم نطالع المقالة اللاحقة في كتاب العجلوني، بعنوان «قول في التباس المفاهيم» تغطي الصفحات من ٥٧ حتى ٦٥ والتي يؤكد فيها التواء معنى «التسامح» في ذهن «الليبرالي» الغربي، حيث يبلغ حدّ أن يتجاهل تماماً وجود جاره الإفريقي أو الهندي وأن يصعر خده إذا واجهه في الطريق وأن يصرف نظره عنه، وذلكم هو مداه القصي المحمود عليه من التسامح! ويؤكد المؤلف ههنا، حضور التسامح الحق، بكل معانيه ودلالاته في مجتمعاتنا العربية الإسلامية.. ويقول إنه لا تزال هناك غمائم مفهومية تحول دون رؤية كثير من المسائل على حقيقتها، ولا يزال الوضوح مطلباً عسيراً عند كثير ممن يخوضون حديث التسامح في

حياتنا الثقافية، ولا سيما أولئك الذين يرددون مقولات صيغت لأول نشأتها في مراكز البحث التابعة لوزارة الاستعمار ودوائره القائمة بالكيـد لأمتنا ليل نهار، وأول ذلك هذا التباكي على «الأقليات» في المجتمعات الإسلامية، أو على أصحاب الديانات الأخرى كالمسيحية واليهودية، ثم ما نتبين في عجيجه من كلام لا قوام له، ولا حقيقة وراءه، عن «المواطن» و«الذمي» وغير ذلك كثير.. وبعد أن يتناول العجلوني هذه المسألة ينتهي إلى تبين: فكيف بالله يكون للذمة والذمي وقد أنيطت بهما كل هذه المعاني، أي دلالة على غضاضة أو امتهان وكيف يجوز أن نترك كل هذا السموق وهذا الاحترام للإنسان وخياراته إلى بعض ظلال سائهة ومقاصد معدولة مما يظنه أو يتوهمه بعضهم، حيث لا يغني الظن - ولا سيما في هذه المسألة المهمة - من الحق شيئاً؟!

يلي ذلك إضاءة بعنوان «أسئلة تتضمن إجاباتها» «من الصفحة ٦٦ حتى ٦٩» هي أسئلة مستمدة من الدراسة الممتازة التي نشرت في العدد السادس والعشرين من مجلة «المنهاج» البيروتية تحت عنوان «الفاتيكان بين الاعتذار لليهود وعدم الاعتذار للعرب والمسلمين».. وأود أن أذكر أن الإجابة على ما ورد في هذه الإضاءة، موجودة - على سبيل المثال لا الحصر - فيما كتبه الأستاذ فتحي رضوان في كتابه «الحرب مع إسرائيل مقدمات ونتائج» - صدر عام ١٩٧٠ عن دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، المكتبة الثقافية، القاهرة - حيث يشرح أنه بسبب دخول أوروبا في حروب متصلة مع أهل هذه المنطقة: لقد حاربت العرب في الحروب الصليبية، التي أدت إلى زحف الأتراك من آسيا الوسطى إلى منطقة الشرق العربي، واستيلاء الدولة العثمانية على عاصمة الدولة البيزنطية «القسطنطينية» ودخولها في حروب متصلة لخمسة قرون مع أوروبا، كانت فيها جيوش السلطان العثماني تنزل الهزائم الكبرى بدول الغرب. وتهدد عواصمها في أوروبا الوسطى. فلما انحسرت موجة الدولة العثمانية، دخلت أوروبا في حروب ضد محمد علي وجيوشه وأساطيله، فلما ضيق على دولة محمد علي التي كانت موشكة أن ترث دولة بني عثمان، دخل الغرب في صراع مع القومية العربية الحديثة في مصر وفلسطين والعراق وسورية ولبنان وفي كل المغرب العربي.. فأهل الغرب لا يضمرون للعربي، بل للشرقي عموماً، إلا الكراهية أو الاحتقار أو الخوف، وفي أحسن الأحوال يبدو لهم الشرقي غامضاً غير مفهوم.. في حين أن الأوروبيين ينظرون إلى اليهود على أنهم شركاء لهم في إقامة الحضارة اليونانية - الرومانية، ولليهود مساهمة في بناء هذه الحضارة لا يستطيع الغرب أن ينكرها، وهم معاً أبناء العقيدة اليهودية - المسيحية، التي يعتبر فيها كتاب اليهود

الجزء الأول من أجزائها، بل الجزء الرئيسي.. وإذا كان اليهود قد صلبوا المسيح، حسب ما ورد في الأناجيل، فالمسيح هو يهودي أصلاً، جاء لا لينقض الناموس بل ليقيمه، والإنسان قد يحتمل العيش مع ضحيته التي عذبها، أي يقبل أن يعايشها، ولكنه لا يطبق الخصم المنافس.. خصوصاً إذا كان هذا المنافس قوياً وقد عاش زمناً طويلاً الفاتز المظفر.

يشمل برأيي ما ذكرته عن الأستاذ فتحي رضوان الأنف الذكر، الإجابة كذلك عن إضاءة الأستاذ إبراهيم العجلوني اللاحقة «عرب ويهود، وأوروبيون» -الصفحات من ٧٠ حتى ٧٤.. هذا إضافة إلى ما ينبغي ذكره في هذا المجال، إنه كما دخل العرب إلى شبه جزيرة ايبيريا بالتعاون مع اليهود وبعض حكام الجزيرة كيداً من بعض الحكام الايبيريين لبعضهم البعض، خرجوا منها على وجه الشاكلة حين أخذ يستعين حكام العرب «دول الطوائف» بأمراء ايبيريا الأعداء ضد بعضهم البعض، ولم تستجب الدول الإسلامية في المشرق لنجدتهم من قبل، بعد حملة يوسف تاشفين في معركة الارك التي أخرت سقوط الأندلس فترة زمنية غير قصيرة.

ونصل الآن إلى المقالة الأخيرة في فحوى الكتاب، بعنوان «المنطق والوجدان في حوار الأديان» من الصفحة ٧٥ حتى ٧٨، حيث يبين المؤلف أن الأديان خطابات منجزة لعموم الخلق. وهي بسبب ذلك لا تتحاور، بل يتحاور أتباعها.. وحين يتحاور اثنان من دينين مختلفين، لا بد أن يكون كل منهما ظاهراً على دين الآخر، قارئاً لكتابه، متبحراً في ثقافته، وأن يكون كل منهما في مستوى الآخر، معرفياً وأخلاقياً. وأن يكون الحق هو مقصودهما لا الرغبة في الظهور أو الغلبة.. تلك شروط موضوعية للحوار بين أتباع الأديان.. وأنا أشهد أنها شروط غير متوافرة في كثير من المؤتمرات واللقاءات التي تعقد في أرجاء العالم، والتي يتنادى إليها أكاديميون ورجال دين وعلماء من مختلف الأديان.. ويخلص العجلوني في هذا إلى أنه مهما يكن الأمر. فإن شيئاً من هذا الذي ندعو إليه هنا قد تحقق في بعض اللقاءات، وأن ما نحن فيه، أو ما يؤرقنا حقاً، أن يطرد ذلك وأن يتخذ سبيله إلى الواقع الإنساني رشداً.. والله ولي المؤمنين.

أستسمح الصديق الحبيب إبراهيم العجلوني، في أن أعلق على مقالته الأخيرة حول حوار الأديان، بمقابلة بين عنواني كتابين له: «نحو حوار معقول مع السادة الأميركيين» و«الحوار مع السادة الأميركيين».

نحو حوار معقول بين الأديان: اللا حوار بين الأديان.. فحين تكون الدولة قوية، أي دولة، يكون الحوار محض عملية غسل دماغ للأضعف قوة واقتداراً، ويكون المجتمع متعاضداً ينعم فيه الإنسان عموماً بشيء من طبيعته السمحة، ولا شيء من شتيت الروح الإنسانية في شتى دياناتها، وفي شتى مذاهبها للدين الواحد، يعود إلى الرتق بعد فتنه.. ينمو الإنسان ويجدد اهابه بسمت أكثر لياقة ووعياً لذاته ومواءمة لظروفه العامة.. إنما السياسة هي التي تثير موضوعاتها الزائفة، وتجلياتها الآفلة سريعاً لكسب بعض الوقت، خاضعة لشرنقة أنانيته المصلحية.

وبعد..

فلا ريب أن الأستاذ إبراهيم العجلوني يتمتع باطلاع واسع على الثقافة العربية الإسلامية وعلى الفكر الغربي، وله اجتهاد دؤوب وموقف ملتزم في مجمل القضايا التي تتقابل في هذا الأفق.. وأن كتابه هذا يستحق الاعتبار فيما هدف إليه من إيضاح موقف ديننا الإسلامي من الآخر - وتميزه الإيجابي في صميمه وصور تاريخه المضيء في مواجهة الإرهاب.

فزاغة النقد المحلي

وسقوط الجيوب المتبقية^(١)

فخري قعوار

يقول الشاعر إبراهيم العجلوني في واحدة من مقالاته

«في حديث عابر بيني وبين أحد كتاب القصة، سألته: لماذا يتقاسم القصة عندك نمطان من الناس مرسومان بالمسطرة، كأن يكون فيها عامل تنظيفات ومدير بنك، تدير كيفما اتفق الحديث عنهما، حتى تؤمن توفر مفردات توجهك السياسي، أو ما قد أظنه توجهاً لك؟ أو يكون فيها بائع خضار على عربة وصاحب سيارة فارهة، أولهما مثال الخير والاستقامة، وثانيهما مثال الوحشية والقسوة، ولماذا تكون الأشياء في قصصك أما بيضاء أو سوداء ولا ثالث بينهما، ولماذا هذا التضييق كله، حيث تتوجب السعة والإحاطة؟ سألته عن كل ما سبق، فما كان منه إلا أن ابتسم وهز رأسه ثم قال: إنهم كتبة النقد الذين يدفعونني إلى ذلك، وأنا أعلم أن الدنيا مليئة بالألوان والظلال، وأن من خطل الرأي اعتماد هذه الثنائية القاصرة عن فهم الناس وعلاقاتهم.. لكنهم سوف يتهمونني بالرجعية إذا تركت ذلك، ولن يصفني أحد بالواقعية التي انتسب إليها أبداً.. وذلك ما لا أريده.

قلت له: هذه واقعية غريبة حقاً، واقعية النظر المريض، لا واقعية الحياة بطولها وعرضها وعمقها وآفاقها وأبعادها.

لكن صديقي هذا كان ذكياً، وكان ذكاؤه عملياً على نحو جعلني أنفض اليد من مراجعته.. فما هي غير أيام حتى نشر قصة بالمواصفات آنفة الذكر!

هذه الحكاية التي رواها الشاعر إبراهيم العجلوني، تشير بسطوح إلى تخلف ما يكتبه نقاد ساحتنا المحلية، بل هي تجسد مأساة في واقعنا الأدبي!

إن فهم الكاتب للالتزام في الأدب، على أنه بيانات، وبلاغات، أمر مدمر للأدب، ولا يمكن أن يعطي للحياة الزخم المنشود، كما أنه لا يستطيع أن يقترب من عمق الحياة وغورها، ذلك أن الحياة دائماً أرحب من الأدب والفن، والأدب والفن يحاولان أن يقتربا من الحياة،

(١) جريدة الأخبار ١٩٨٠/٥/٢٤

والحياة ليست أبيض وأسود فقط، ففي الحياة ألوان أخرى تتفاوت وتتراوح بين الأبيض والأسود، والكاتب الملتزم قادر على الاقتراب من زخم الحياة وتدققها، وقادر على تجسيد أفكاره الواقعية، دون أن يمد عنقه تحت سكين ناقد، فالنقد عندنا كما قلت في أكثر من مناسبة متخلف، ويتخلفه هذا عن موكب الإبداع، يحاول جر الأدب إلى مواقع متخلفة.

فالقول بأن النقاد يريدون كذا، ويرفضون كذا، هو قول مردود، وغير مقبول، إذا اتفقنا على تدني مستوى النقد المحلي، وإذا اتفقنا على أن محاولات النقد المحلية لا تؤهل أصحابها لمواقع قيادية متقدمة.

في جمعيتي حكاية، تشبه حكاية الأخ العجلوني، فقد قال لي كاتب قصة، صدرت له مجموعة قصصية، ومجموعته الثانية في طريقها إلى الصدور، أنه يعاني من النقاد ومن أحكامهم، فهم يطرون بالقاص إذا كتب قصة «واقعية»، يدخن بطلها سيجارة هيشي، ويرتدي قمبازاً ويعاني من مختار القرية لأنه يتعاطى بالربا ويأخذ من بطل القصة فوائد مرتفعة تسبب إرهاقه ومعاناته الشديدة! وهم أنفسهم -النقاد- يستهجنون أمر كاتب قصة إذا سعى لمعالجة نفس الموضوع، ولكن دون أن يجعل بطل قصته مدخنًا، ودون أن يجعله يرتدي قمبازاً، وأضاف الكاتب المتذمر قائلاً: إن المرء يحار في أمر النقاد، وبأمر فلان وفلان وفلان على وجه التحديد، فقد حاولت كتابة عدة قصص خرجت فيها عن مواصفاتهم، فقابلوا الأمر بالاستهجان، واعتبروني دخيلاً على كتابة القصة، ولذلك، فإنني مضطر للتقيد بما يريده هؤلاء النقاد، لأنهم يرفعون من يشاؤون ويقللون من قيمة أدب من يشاؤون، ولا يجدون من يبين لهم حجمهم الطبيعي! لقد صار النقد «فزاعة» نخشاها!

حدث هذا، وأنا مستعد لذكر اسم هذا الكاتب إذا اقتضى الأمر، وأظن أنه هو نفسه لا يمانع في ذلك!

لقد استطاع الأخ إبراهيم أن يضع أصابعه على فجاعة الكتابة عندنا! فجاعة الناقد أولاً، وفجاعة بعض المبدعين ثانياً.

ولمن أساء فهم مرادي، أقول أن الالتزام في الأدب لا يعني أبداً أن نكتب قصة رديئة أو قصيدة رديئة وأن الالتزام يعني فهمًا عميقًا شاملاً لحركة التطور الإنساني، كما أن الالتزام يعني الانسجام مع قوانين الطبيعة والحياة، ويعني بعد هذا وذاك تجديداً أو سعيًا للتجديد

على صعيد الإطار الفني.. وأبغض الأصوات الأدبية إلى الناس الأصوات التي تحاول
تقمص شخصيات الآخرين، دون إضافات أو محاولة للإضافات.

ففي أعقاب حرب حزيران ١٩٦٧، انفلت على الناس سيل من القصص والقصائد التي
تدين العدوان الإسرائيلي على الأراضي العربية، وتندد بهمجية المحتلين ووحشيتهم.
والحقيقة أن قيمة هذا السيل كله لا تساوي قيمة افتتاحية إحدى الصحف في ذلك الوقت!

وسقطت المباشرة!

وظهر دعاة «الواقعية الفوتوغرافية»، وصاروا يطالبون بتسجيل الواقع كما هو، ويشترطون
في الكاتب الملتزم المبدع أن تدور أحداث قصته في مخيم شنلر أثناء الشتاء، حيث يكون البرد
قارصاً ويرتفع منسوب الوحل.

وسقطت الواقعية الفوتوغرافية!

وفي خرائب هذا الاتجاه، ظلت بعض -الجيوب- التي ترفع من قيمة القصة إذا كانت
تسجيلية، وتقلل من قيمتها إذا كانت تجريبية!

وستسقط هذه الجيوب!

تحية للأخ إبراهيم، فقد فتح جروحاً لا تكفي هذه المساحة للكتابة عنها!

إدارة الرأي

وعودة الأحكام العرفية^(١)

محمد الصبيحي

حين تم تعيين د. فهد الفانك رئيساً لمجلس إدارة (الرأي) صفقنا طويلاً لحصافة الاختيار فالرجل كاتب كبير متميز وهو الأكثر شهرة وقراء في المملكة ولا يقبل الإملاءات الخارجية ولا تدخلات (دائرة مكافحة القوارض في أمانة عمان) فيما ينشر وما لا ينشر في الرأي، وقلنا أن سقف الحرية المخطط له بدقة والذي كان يتمتع به الفانك سينعكس على مستوى الحرية الصحفية في الرأي منبر الوطن وصوته المرتفع.

ولكنها الفاجعة التي وصلتنا أن يقبل الفانك تقييد أقلام زملائه وحصرهم على الرأي وسقفها الذي يطال (عنان السماء) وأن يفضل منصباً ببضعة آلاف من الدنانير على أن يكتب عموده في الزميلة (المجد).

إن صديقنا د فهد الفانك يحرم الآن على زملائه الكتاب ما كان يحلله لنفسه.

فهل المستهدف الصحافة الأسبوعية أم كتاب الرأي؟؟، هل المقصود خفض سقف الأسبوعيات إلى مستوى الطابق الأخير لمبنى (الرأي) أم خنق أفكار خالد محادين وإبراهيم العجلوني وفخري قعوار بحيث لا تتجاوز سقف أفكار وحرية قلم الدكتور فهد الفانك وسقف المقال الفكري السياسي اليومي لرئيس التحرير الأستاذ عبد الوهاب زغيلات؟؟

إذا كان المستهدفون هم العجلوني ومحادين وقعوار فإنهم الكتاب الصحفيون الأردنيون الوحيدون المعروفون على المستوى العربي بمقالاتهم ومؤلفاتهم، وعليهم أن يدافعوا عن أنفسهم، ولقد كنت في القاهرة قبل أشهر فأكتشفت أنهم يعرفون جيداً من كتاب الأردن العجلوني وناصر الدين الأسد، وفي المملكة المغربية وقف إبراهيم العجلوني محاضراً في مدينة وجدة فأبهر الحضور وسلب قلوبهم وعقولهم و ولكنه الآن ممنوع من كتابة مقال في (البيداء) في زمن الحرية والفضاء الواسع.

(١) جريدة "البيداء" ٢٣/٧/٢٠٠٦م.

سنبرق إلى مجلة (وجهات نظر) وصحيفة (القاهرة) أن كاتبنا المفضل إبراهيم العجلوني ممنوع من كتابة مقال أسبوعي في صحيفة أردنية صغيرة أسمها (البيداء) وسنبرق إلى اتحاد كتاب المغرب معزين بعودة الأحكام العرفية إلى منبر الوطن (الرأي) الغراء.

ولكنني أقول للأستاذ الكبير عبد الوهاب زغيلات رئيس تحرير الرأي الذي ما كان ينبغي له أن يقبل تدخل الإدارة في التحرير أو أن يتغذى بالفانك لتمير القرار؟!، وأقول له دلني على كاتب أردني واحد غير إبراهيم العجلوني قادر على محاججة كبار المفكرين العرب والأجانب في الفكر والفلسفة والتاريخ والحضارة؟! أيكون احترام هذا العملاق المفكر بمنعه من الكتابة في صحيفة صغيرة ناشئة اسمها (البيداء)؟؟.

أما إذا كان المستهدف هو الصحف الأسبوعية فإنها معركة غير متكافئة أن تضع الأم الكبيرة (الرأي) (عقلها بعقل صحف صغيرة)!! أين نحن من الرأي وإعلاناتها التي أكلت المادة الصحفية فتباهت إدارتها بالأرباح النقدية والمكافآت المجزية والمياومات المغربية، ونحن في الصحف الأسبوعية بالكاد نستطيع توفير رواتب الموظفين؟؟ ومع ذلك فإن المثل العربي يقول (أن البعوضة تدمي مقلة الأسد) والاستهداف من الكبير للصغير منقصة مثلما يكون الاستهداف من الصغير للكبير تطاولاً، أما حين يواجه الاستهداف باستهداف مشابه فإنه يصبح حقاً وواجباً.

بكل الاحترام للزميل د. فهد الفانك والزميل الأستاذ عبد الوهاب زغيلات والزميل السيد نادر الحوراني نقول سنرد على قراركم بالقانون ووفق أحكام قانون الشركات وليس قانون المطبوعات والنشر، سنرد كمساهمين في المؤسسة الصحفية الأردنية يمارسون حقهم القانوني في الرقابة على مصلحة الشركة وموجوداتها وإدارتها وفق أحكام القانون والأصول الإدارية.

نحترم قراركم ونودع الأستاذ الكبير إبراهيم العجلوني من صفحات البيداء ونأمل أن تحترموا قرارنا وتوجهاتنا في المستقبل القريب فلسنا بالشيء الكبير بجانب (أهرام) الصحافة الأردنية صحيفة الرأي منبر الوطن، والخلاف في الرأي لا يفسد الود والمحبة والاحترام.

إبراهيم العجلوني :

البحث عن واحة مفقودة

د. محمد القضاة

من أين نبدأ الرحلة يا أبا سلطان، من الصريح حيث الفكاهة والتندر والأمل أم من مرابع الصبا في الهاشمي الشمالي حيث الفتوة والشباب وصحبة «أبو إبراهيم» أم من كهولة أم السماق الشمالي، حيث اختلطت الأوراق وغارت الأيام واحتملت تقارير السنين، أم من فرص ضائعة بين خطوط الطيران ووزارة الثقافة والإذاعة وجريدة الرأي ومؤسسة آل البيت والجامعة الأردنية والتعليم العالي ومجلة آفاق الإسلام، ومجمع اللغة العربية وجريدة الرأي والدستور، وغيرها وفي كل مرة كان لك حجتك، كنت في القسم الثقافي كما أنت الآن تهرب في اليوم المهم أقصد تغيب وقد يكون غيابك قسرياً، لكنك تكون قد أعددت عدتك، من أين نبدأ الرحلة من هذه الأمكنة الغائبة الحاضرة، هل نكتب عنك فيها، ونذكرك كيف كنت فيها، أم نعود إلى شذراتك وهمومك وصبائك، أم نتوقف عند مؤلفاتك، لا ندري.. صورك متباينة، ومواقفك كثيرة ومقالاتك تنتشر كل يوم في الأرجاء والفضاءات البعيدة، لا ندري هل نفيك حقك أم لا، وأنا أعرف أن الكتابة عنك غير مغرية للآخرين، لأنك غير مفهوم في أوساط كثيرة أو قليلة، فأنت اليوم وطني حتى الثمالة وغداً في الصف الآخر هكذا تفهم. وأنت اليوم مثقف ومفكر وشاعر وقاص وراو لكنك ناقد في صف وحيد، وأنت حين تكتب مقالاتك اليومية تجدها ذكية وغنية وثرية والمؤسف أن القراء لا يفهمونك يا إبراهيم.. الكتابة عنك صعبة، وأصعب منها أنك بسيط وفطري وتتمتع ببراءة الأطفال فهل هذا هو عمق البساطة، ولكن ما يشفع لك هو سجلك الطويل مع الكلمة والحرف فها هي حروفك تضيء المكان والزمان، وها هي مؤلفاتك تنوف على السبعة والعشرين منها: تقاسيم على الجراح، نظرات في الواقع الثقافي، حينما نلتقي، مسلمات في ضوء التحقق، في الفلسفة والخطاب القرآني، في الفكر القومي، الوجوه، فصول في الفكر العربي، الراضون، نحن وثقافة المستقبل، يوميات عراقية، طائر المستحيل، هموم أردنية، في المسألة الديمقراطية، نحو حوار معقول مع السادة الأميركيين، دفاعاً عن العقل، فسيفساء أردنية، الوعي المتمرد، أحزان مسيحية، في عبقرية البساطة، والشذرات في أجزاءه الثلاثة، وأخيراً من مفكرة رجل يحتضر.

هذا هو إبراهيم العجلوني الكاتب والمثقف والواعي والمدرك أين هو، يكتب ويصدر مؤلفاته منذ العام ١٩٧٣ ولغاية الآن رغم ظروفه القاسية وشح إمكانياته وهي كتب رغم تفاوت تواريخها وتباعد آفاقها مسكونة بهاجس الحرية، ومسوقة مساق الرفض العميق لوقائع هذا الزمان واشتراطاته ولا أنسى وأنا أقرب من أبي سلطان أن أسجل حكايته عن السراب الأخضر، وهي حكاية إبراهيم المثقلة بالهموم والهواجس والألم والمواقف المتباينة والصدق والعفوية، وهو يقول: «منذ وعى، وهو يبحث عن واحة مفقودة، في بيداء لا ترحم، ومنذ ذلك الحين وهو يضطرب بعنف، ويلوك يأسه وعذابه، ولطالما خدعه البرق الخلب، والأمل الكاذب، ولطالما استشعر في الغيث مزناً ثم لم يلبث أن هرب خوف الأعاصير، وهكذا مضت أيامه: شارع طويل محفوف بأشواق وأزاهير، أشواكه حقيقة وأزاهيره خيال.. وطالت رحلة الضنى، وأوشك العمر على النفاد، وذات يوم وقع صاحبنا على كتاب قديم متآكل الأطراف، وكان موضوع الكتاب -الصوت والصدى- يدور حول صوت صعد أحد آلهة الرومان فكان صدها متمثلاً في أناس تأتي وتروح، وما أن يعلم هؤلاء بأنهم صدى لا غير، حتى تبدأ معاناتهم لأقسى أنواع الشعور بالخيبة والمرارة، من يومها، وصاحبنا يطوف في الأزقة والشوارع مردداً: أنا الصدى أنا الصدى».

ها أنت يا إبراهيم تكتب وتدافع عن الحرف والكلمة وأعرف أنك لا تملك الأموال والأطيان؛ ولكنك تملك عقلاً وقلماً وقلباً يندر في زمن تتوارى فيه القيم والمبادئ، ها أنت تكتب عن الواقع وترفضه، تكتب يومياً مقالتك وتجدها موزعة بين داخلك الفلسفي ونهارك المتلاطم، تجدها تارة تحلق في أجواء الوطن وتدافع عنه، وتارة تغضب من حقبة كتبك، لأنك تبخر في حروفك في زمن لا يفهم الحروف، ها أنت يا إبراهيم ومد عرفتك لا يستقيم لك قرار، أقرأ بين سطورك لأكتشف أن بساطتك تفوق بساطة الأطفال، وأبحث في جيوبك فأجدك أغنى من كل الأغنياء وأفقر من مريم العنبرية، وأعود أقلب صفحاتك لأجد نفسي بين واقعين إبراهيم المتشطي الذي لا يعجب حتى نفسه، وكتاباتك الواثقة من حروفها ودلالاتها وسطورها، وأتابع رحلتي لأجدك لا ترحم حتى نفسك، وإذا ناقشتك تسمعي لكنك تركب رأسك، ومع كل ذلك يبقى لكلماتك طعمها ولتقاشك تقاسيمه، ولحديثك حلاوة وطلاوة، وكلما أمعنت في حوارك أكثر أجد نفسي أكثر، ها أنت دائماً تشمخ فوق ذرى الأضواء وكأني بك تقول لي: من يقتل الكلمة يقتلني، من يذلها يذلني، مجدي مجدها، عمري عمرها، وبها كنت بها سأكون. ها أنت يا إبراهيم ما أصعب شروطك وهي تحوم حول

عمر مضى ونهار مدبر محترق، وحزن رمادي يستيقظ في اعترافات العمر الخائب، ومعدرة
لفاروق شوشة الذي اعترف قبلك في ديوانه «في انتظار ما لا يجيء» عن عمره وشجوه وحزنه
وأيامه التي شاخت في كوى النسيان، وأنا أتصفح الشذرات بإضاءاتها وأفكارها وآرائها
وأعاصيرها، أدركت أنك ترقد عنيماً في دورة الإعصار وانهمار العمر ولذعة الذكرى وكوى
الأنفاس والأخاديد والحصاد المر، وكأنك تغني وتردد مقاطع اعترافات العمر الخائب
لفاروق شوشة حين يقول:

سكنت همتك القعساء يا نفس، عرفت الأمر، جربت الذي كان، تخطيت الزوايا
والصفوفاً.. ها أوان الفصل، بوحى، اعترفي، لا تدعي بعد عزوفاً واهتكي عنك ستار الرغبة
الجبلى، قناع الأسف الكاذب، ذاك المضحك المبكي، فما عاد يفيد الصمت، كوشفت،
واترعت من اليأس صنوفاً.. كم تطامنت، وأسرعت الخطى عدواً، وجاوزت حدود الوهم،
شارفت على الأفق ظلالاً قابعات، وطيوفاً.. كم تبدلت قناعاً، وتلبست خداعاً، وتواريت
وراء الأمل الخلب سيفاً ورغيفاً.. وصحوناً حين طار العمر، نقتات الحصاد المر، نهتز
لمرأى الغد إذ يفجؤنا عارين، نهار جراحاً ونزيفاً.

وبعد، فلم يترك لنا صديقنا فرصة الحوار في زمن الرذاذ والوهم والأعمار الفارغة الفارغة،
لكنك يا إبراهيم ارتحت إلى مواطن الصدق والبساطة وعملت بصمت وارتفعت من على
كتفيك وجوه وحروف، انطلقت وغاصت ووصلت وأنت في كوى النسيان. أنت كما أنت،
لا أريد أن أرجع بالتذكار استدني الذي فات لأن الذي فات سقط في هوة النسيان ومضى وهو
لا يحمل شيئاً، فقد حملتهم ومضوا وأنت كما أنت، وبعينيك سؤال أخرس الدمع ما يزال
عصياً، وأعتذر لصديقي فاروق شوشة اعترافاته المسبقة لإبراهيم حين قال له: من جديد ها
أنا ألقاك في عصف الذهول المر، تجتاز الفحاج السود ظمآن، شقيماً.

قراءة مختلفة

في فكر جمعة حماد وأدبه^(١)

د. محمد عبدالله القواسمة

يجد الكاتب إبراهيم العجلوني محوراً يدور حوله فكر المرحوم جمعة حماد وأدبه، وينطلق في كتابه الجديد « في عبقرية البساطة (جولات في فكر وأدب جمعة حماد) محللاً هذا المحور من خلال مؤلفات جمعة حماد المنشورة .

أما المحور فكما يتضح من عنوان الكتاب فهو البساطة التي لا تعني التبسيط أو السذاجة، وإنما تعني جودة تحليل الأفكار والوقائع، ووضوح المنطلق والغاية، إن هذا النوع من البساطة هي مفتاح شخصية جمعة حماد والسمة الغالبة على مجمل نتاجه الفكري والأدبي.

ففي كتاب «مع رحلة الضياع» استند جمعة حماد كما يرى الأستاذ العجلوني إلى الفن في تقديم صورة حية لمرحلة من مراحل القضية الفلسطينية قبل النكبة، فينقل ذكريات الناس في جنوب فلسطين كما تنداح من الذاكرة فجاء الكتاب مزيجاً من التاريخ والأدب، بل أكثر حياة من التاريخ لأنه يجسد عظمة الناس العاديين ، أمثال: سليمان بن خميس من قبيلة السعيدين الذي قاوم الاحتلال ببندقية قديمة.

وفي قصة « بدوي في أوروبا » يلتقط إبراهيم العجلوني الرؤية العميقة في بساطتها لتلك العلاقة بين الشرق والغرب من خلال الروح السمحة، والثقة المتبادلة التي تربط بين بطلي القصة «سويلم» و«عبد الله» الألماني فإذا كان عند الأوروبيين علم وصناعات فإن عندنا الفطرة النقية، والروح البريئة. وهذه الرؤية للعلاقة بين الشرق والغرب تختلف عن الرؤية عند أبطال «عصفور من الشرق» لتوفيق الحكيم ، و«موسم الهجرة إلى الشمال» للطيب صالح، و«أديب» لطف حسين فأبطال هذه الأعمال منبهرون بحضارة الغرب، أو مندغمون فيها .

(١) إبراهيم العجلوني: في عبقرية البساطة (جولات في فكر وأدب جمعة حماد) . عمان المؤسسة الصحفية الأردنية ١٩٩٥، ١٢٠ صفحة (مكتبة الرأي؛ ١٠)

وفي كتاب الوفاق الدولي والصراع العربي الإسرائيلي يحلم جمعة حماد كما يرى إبراهيم العجلوني بالسلام القائم على مبادئ راسخة، ويلحظ في حركة الأحداث العالمية تحولات وخرائط لعالم جديد، ويرصد هذه الحركة في أوروبا الغربية لأنها المثل والأنموذج الذي يتشكل فيه عالم الغد، ويتمنى أن تحذو الدول العربية حذو أوروبا الغربية على طريق الوحدة والقوة .

ويقراً العجلوني كتاب جمعة حماد « إشارات على طريق العمل الإسلامي من خلال ما يسميه ثنائية «النظر والعمل» أي النظرية والتطبيق. ففي مجال النظرية بين جمعة حماد حقيقة إعجاز القرآن كما جاء في الفصل الرابع من الكتاب، ويظهر اتفاق النص القرآني ومعطيات العلم الحديث متطابقاً مع العالم الفرنسي موريس بوكاي الذي يرى أن القرآن لا يحتوي أي مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث، ويقترح في مجال التطبيق صيغاً لبناء الذات المؤمنة، والمجتمع المتماسك، وأداء الرسالة وتبليغها، وذلك بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله، وإخلاص الجهد لله، والوعي بما يراد للمسلمين وأوطانهم، والارتفاع إلى مستوى التحدي الحضاري الذي يواجهون.

ولا يكتفي العجلوني في كتابه «في عبقرية البساطة ..» بتحليل العناصر التي تتشكل منها شخصية جمعة حماد ، كما تجلت في كتبه بل يورد مقالات كتبها مفكرون وأدباء عن فكر جمعة حماد وأدبه ، فيورد في الفصل الأخير تحت عنوان « في مرايا الآخرين » مقالات الأساتذة : سعد جمعة و أكرم زعير وحسن التل وفايز محمود، وهذه المقالات لا تبدو متباعدة عن أجواء الكتاب لأنها تعزز ما ورد فيه من آراء، وتعكس مدى الأثر الذي تركه جمعة حماد في معاصريه .

إن كتاب «في عبقرية البساطة» قد أبرز. كما أرى. عبقرية البساطة أو بساطة العبقرية عند الاثنين: جمعة حماد وإبراهيم العجلوني نفسه، وتتضح عبقرية البساطة عند إبراهيم العجلوني في طريقة معالجته الموضوع لغة وفكراً واتقاداً فاستطاع . كما فعل العقاد في عبقرياته أن يتتبع الخيط الرفيع الذي يشد نسيج شخصية جمعة حماد، ونجح في ذلك، حتى جاء كتابه كما قال الأستاذ محمود الكايد في تقديمه: «رحلة ممتعة وغنية، تعمق الوعي وتثري المعرفة» .

قضايا الثقافة والحياة

في عدد "المواقف" الأول^(١)

محمد سعيد مضية

الموقف التزام حيال الحياة والمجتمع والكون، والإنسان موقف يحدده المسلك والتصرفات إزاء الواقع والمشاكل التي يثيرها هذا الواقع، وهو مسلك وتصرفات محكومة بنظرة إلى الكون والحياة ووجدان يتكون عبر معاركة الحياة ومعاناة قضاياها، وهو في نهاية الأمر تجلي الثقافة المكتسبة من خلال الممارسة الذاتية والخبرة غير المباشرة، وتعدد المواقف البشرية إنما يعكس تباين النظرات والخبرات وتباين المسالك في الحياة، إنه تعدد يعكس في جوهره تعدد المصالح، وحوار المواقف يخصب الثقافة لأنه يوسع دائرة الرؤية ويتيح انفتاحاً يبذل قمامة التعصب والتزمت.

هذه هي الآمال المعولة على «المواقف» كمجلة فكرية عربية فصلية، وهي آمال تملئها ضرورات المرحلة الحضارية التي نجتازها كما يدركها رئيس تحرير المجلة وزملاؤه في هيئة التحرير ويبررها موقف يدأب رئيس التحرير على التزامه واستنهاضه.. موقف التسامح حيال الآراء المخالفة ومحاولة إيجاد القواسم المشتركة معها.

وما أحوج ثقافتنا إلى موقف متسامح، ما أحوجنا إلى هدوء الأعصاب واسترخاء العواطف ونحن نسمع الآراء المخالفة. ما أشد إلحاح الخروج من قوقعة التزمت والإفلات من أسر الأفق الضيق وتصيد وتائر العقلانية والرؤية الموضوعية إلى الظواهر والوقائع والأحكام ومعالجتها بأدوات المعرفة العلمية والوجدان النقي من شوائب الذاتية والمنطلق من أسار التقليد والرتابة.

ما أحوجنا إلى فهم للثقافة معرفة بالبيئة ونواميس حركتها وقوانين تطورها الصاعد، ما أحوجنا إلى قناعة لا تطال بأن «الحياة الفكرية لا يمكن أن تزدهر وتنتعش في غياب مجالات التجارب الفنية والفكرية وطرح الآراء غير التقليدية والمبادرات الإبداعية وتصادم الفكر مع الفكر والنقاش والحوار...»، كما تفضلت السيدة ليلي شرف في مقالها الأولى بالمجلة.

(١) جريدة الرأي ٢١/٨/١٩٨٧م.

إنه المناخ الذي يزدهر فيه الإبداع وتنبأ أسبابه المادية والروحية، فالإبداع انبجاس لإلهام داخلي تولده معاناة ذاتية وتحفزه حاجات التغيير وضروراته، فهو غير قابل للبرمجة أو تحديد المواصفات أو فرض الموضوع.

ومن جهة أخرى فالإبداع مشروط بأوضاع اقتصادية واجتماعية محددة. إن التنمية الثقافية لا تتم إلا في مواكبة التنمية المادية وفي تفاعل مع شروطها وآلياتها، فالثقافة لا تنمو في أصص أو بيوت زجاجية بل تحت شمس الواقع وصقيعة وهبوب رياحه، إنها تنمو من خلال مصارعة الواقع والتحكم في ضروراته، وصولاً لما هو أكرم للإنسان وأفضل وهي تزدهر من خلال التفاعل مع الهموم البشرية واستنهاض الإنسان لإنجاز مهمة التقدم، فالثقافة الأصيلة هي التي ترتبط بالتقدم كما يقول الدكتور سحبان خليفات. وهذا الارتباط لا يستند إلى مرسوم أو ادعاء، بل يتجسد معاناة للواقع وتعمقاً في قضاياها وقوانين حركته وإمساكاً بمشاكله وحاجاته ونفاذاً إلى عناصر حل المشاكل داخل المجتمع ذاته فليس هناك صفات جاهزة أو رويشات تصرف من صيدلية اجتماعية ابداً. لم يفهم عاقل الثقافة امتيازاً يحتكر من خلال النعوت والألقاب أو ديكوراً يزين به سلعته الفكرية أو وكالة تجارية. الثقافة كانت ولم تزل وستبقى مكابدة للواقع وجهداً دائماً للتقصي والاكتشاف وانتزاع المعادن الثمينة من الواقع الاجتماعي والطبيعي، وبدون محاوررة الواقع يستحيل إغناء الثقافة الوطنية كما يستحيل الاسترشاد بتراث قومي أو فكر إنساني، فالثقافة الوطنية، إذ لا تبدأ من الصفر، تتناول من الثمرات ومن الثقافة الإنسانية ما يجيب على تساؤلات الواقع ويحل مشاكله إلا أن التعامل مع الواقع لا يتم وفق خطوط تجريبية معزولاً عن كنز التجربة الإنسانية، هناك العام والخاص مجدولاً في تلك التجربة، والمهارة تتجلى في الإمساك بالعام وتطبيقه بصورة إبداعية على الواقع، أي دمجها بالخصوصية المحلية.

ما من ثقافة في عصرنا المتميز بثورة تكنولوجيا الاتصالات وبالروابط الاقتصادية والسياسية التي لا فكك منها تستطيع الانعزال عن الثقافة الإنسانية وما من مدرسة ثقافية إلا وتقيم بنائها على أساس من التراث، وتكتسب عناصر التراث والثقافة الإنسانية مشروعيتها من خلال إجابتها على أسئلة الواقع الراهن وضروراته. وبالفعل يستجيب فهم التراث والتمسك بعناصر منه دون غيرها لحاجات اجتماعية محددة ومصالح اجتماعية قائمة لا تخفى على البصيرة النافذة فليس في قضايا الفكر استيراد ووكالات.

فإدراك طبيعة الثقافة وآلية عملها لا يستقيم مع افتعال خصومه بين تراث ومعاصرة أو بين محلي وأجنبي، فالثقافة في جانبها المعرفي أفكار وليدة تجربة إنسانية وهي تفعل وتنال مشروعاتها إذا ما تجاوزت مع خبرة إنسانية، والفكرة المتقدمة تتحول إلى واقع نفسي للفرد عندما تدفعه إلى سلوك متقدم، وهذا مشروط بارتفاع منسوب خبرته الذاتية، والصراع الثقافي صراع على سلوك الإنسان ومواقفه من خلال صياغة وعيه فيما أن تنير الثقافة الوعي وتعني الطاقة الروحية أو تزيّف الوعي وتفرغ شحنات الطاقة الروحية، إما أن ترفع الإنسان إلى موقع السيد لواقعه وقراره ومصيره أو أن تغيب الواقع وضروراته وتخدر الوعي وتبذل الوجدان فتقذف بالفرد أو المجموعة في متاهات الضياع وتولججة أو تولجها في أنفاق بلا منافذ.

قديمًا قال غوته على لسان بطله فاوست «الجدير بأن يرث هو من يقدر على أبتغاء تراث له في الحياة» وفي عصرنا الذي تتشابك فيه المصالح والعلاقات الدولية فإن الاطلاع السيء على التاريخ ومسيرته يثمر عبادة للتقاليد والماضي ويولد الاعتقاد بإمكانية حشر الحاضر في قمقم الماضي بعد تفسيح الفروع والأغصان التي أنبتتها شجرة الحياة المتجددة الاخضرار.

بشكل ملموس يورد الدكتور مصطفى سويّف (العربي عدد ٣١٧، أبريل ١٩٨٥) العلاقة الجدلية بين التراث والمعاصرة إذ يقول «لينا إلى جانب الكتابة بالعربية نقوم كأفراد أو كأجيال من الباحثين بالبحث والتنقيب في المخطوطات والكتابات العربية التي تحتوي الكثير من المواد العلمية الثمينة المجهولة حتى الآن.. لو تمت عملية الرجوع بشكل جيد فقد نجد مشكلات هامة قد تكون في صورتها البسيطة بالمقارنة إلى ما وصل إليه العلم الآن (وهو يتحدث في مجال علم النفس) ولكنها بالنسبة لنا نحن الذين نتكلم ونحلم ونشرح بالعربية تشكل البداية لتكون وجدان قومي يغذي عملية البحث العلمي (الهجين لدينا) إنه يشكو من واقع أنه «قد نطرح لدينا مشكلة على أنها المشكلة الأولى رغم أنها تكون العاشرة في قائمة مشكلاتنا لكنها تطرح هكذا لأنها طرحت في الغرب على أنها الأولى».

ثم يعالج قضية تعريب العلم كضرورة ملحة إذ يقول، إن القراءة بلغة أجنبية تقيم حاجزاً يحد من قدرات الإبداع في وقت مبكر من العملية الفكرية وليس بالضرورة من العمر، لو قرأت نفس المادة بلغتك القومية، اللغة التي تحلم بها، اللغة التي وأنت صامت تسرح وتتخيل من خلالها فإنه بدون شك يكون الواقع مختلفاً وقدراتك على الانطلاق واللعب بالأفكار تتم بحرية أفضل».

إن اللغة حقيقة الفكر المباشر ومهما كانت الأفكار التي تتجمع في عقل الإنسان فهي لا تستطيع أن تولد وتحيا إلا من مصدر أَلْفَاظ اللغة وعباراتها، إذ لا وجود للأفكار العارية المتحررة من أجهزة التعبير، وكما أن اللغة هي آلية الاتصال الأساسية فإنها بنت التجربة التاريخية وتشكل العنصر الأهم والأساس في الثقافة القومية، إنها أساس السّمات النفسية للأمة والقومية ويقول هوبز أن المعرفة ما كانت لتأتي إلى حيز الوجود بدون اللغة.

فالتعلم باللغة القومية إذن عامل دينامي في تنشيط الفكر والذكاء وتسهيل البحث وإثراء المعارف القومية غير أن البحث نشاط إنساني مشروط بحاجات الواقع، حاجات التنمية الوطنية، إن العلم الطبيعي مدين في تقدمه لاستجابته لحاجات تسخير الطبيعة لصالح الإنسان وترقية الإنتاج المادي.

ومن هنا نبدأ.

فإذا انتقدنا الهياكل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بسبب قصورها عن تنشيط حركة ثقافية فإنما مرد القصور هو عجز أو تخلف هذه الهياكل عن تأمين التنمية الاقتصادية المطلوبة والتي تتواكب معها وتتفاعل التنمية الثقافية، وبالتالي فإن واقعة التشرذم أو هجرة الأدمغة أو تغريب الثقافة أو واقع الترجمة والتربية.. وكل عوامل الواقع الثقافي المتردي إنما يحكم عليها وفق معايير تنمية القوى المنتجة التي يحتل الإنسان العنصر الأساسي بينها وترقية الإنسان معارفه وقيمه ومعايير السلوكية ومثله، وتفتح شخصيته وتطوير مواهبه تشكل حجر الأساس لترقية القوة الذاتية في جوانبها المادية والروحية.

إضاءة حقائق التاريخ

بزاد معري ينفذ تضاريس الحاضر^(١)

د. محمد شحادة عليان

الشذرات «الكتاب الأول» عنوان المنجز الأخير في سلسلة الإصدارات، التي يقدمها الأديب إبراهيم العجلوني، وقد صدر عن مطابع الإيمان ١٩٩٨ في مائتين وخمس وستين صفحة من القطع الكبير، والكتاب فيه من المنوعات الأدبية والثقافية ما يحفز القارئ على متابعة القراءة. لقد جاءت محتويات الكتاب مشتملة على عدد من الموضوعات الرئيسة وهي «في الديموقراطية، في الصهيونية، لمع وإشارات، في الوطن والوطنية، في النهضة وشروطها، وفي فاتحة الكتاب جاءت المقدمة التي كتبها المؤلف وبدأها بقوله: «الشذرات فن من القول يلجأ إليه حكماء الأمم، ليعبر، على السبيل للمح الدال، ما لا يصح أن يكثر فيه الحديث، من أمهات المعاني، أو من خلاصات العلوم والتجارب» ولم ينس العجلوني أن يشير إلى شذرات هيراقليطس الفيلسوف الإغريقي، والتي حظيت بشهرة كبيرة وكان ذلك قبل ما يقارب ألفين وخمسمائة سنة، وبلغ عدد تلك الشذرات مائة وثمانين وثلاثين شذرة.

وإذا كان موضوع الكتاب يكشف عن حصيلة صاحبه المعرفية والثقافية فإن ما قدمه إبراهيم العجلوني في شذراته ليقوم الدليل على وعي الكاتب، وصدق رؤيته ونضج تجربته وفهمه لمسار طبيعة الحياة والأشياء في عالم متغير.

إن الدخول إلى العالم الداخلي لموضوعات «الشذرات» يحتاج إلى تهيئة النفس، لفتح أبواب هذه الشذرات، والتنقل بين جنباتها، التي أرادها العجلوني أشبه بمحطات استراحة أو مرافئ يصلها المسافرون في هذه الحياة يقطعون فيها سهولاً ووهادا تلوحهم الشمس بهجيرها أو يتقبلون على جمر الواقع المؤلم.

تقرأ المقدمة فتستعيد الإشارات إلى أقوال الإمام علي كرم الله وجهه في «نهج البلاغة» وأبيات زهير بن أبي سلمى العشرين الأخيرة في معلقته وكتب المتصوفة وعلماء الكلام الإسلاميين، وما ورد في بعض كتب السهر وردي ومحي الدين بن عربي وغيرهما. وعندما

(١) جريدة الرأي ١٤/٥/١٩٩٨م.

تستعد لفتح بوابة الموضوع الأول «في الديمقراطية» يريك الحوار الذي يجعله العجلوني فاتحة الحديث يقول: هل تؤمن بالديمقراطية؟!

-نعم، أو من بها أشد الإيمان.

-إذن أنت تعرفها!

-ماذا تقصد؟!

-أقصد أنك تعرف ما هي الديمقراطية؟

-طبعاً، وإلا لما آمنت بها.

-فما هي الديمقراطية، إذن؟

ويتواصل الحوار بطريقة ذكية، تعري الإنسان وواقعه، وبيوح الحوار بإيحاءاته التي تجعل القارئ يصرخ في النهاية ربما بينه وبين نفسه، وربما يعلو صوته قائلاً: «آه يا زمن العجائب» إن موقف الأديب الفاعل في مجتمعه وأمته يجب أن يكون مرشداً حاملاً لمشاعل الصدق، كاشفاً الزائف والمبهرج، ومن لعامة الناس الذين هم أساس الدول غير الأديب يشعل قناديل الوعي في سرايب طرقهم ودهاليز الحياة عندما تختلط الحقائق بالأباطيل ويحتاج الناس إلى من ينقلونهم من الظلمات إلى النور.

يتناول العجلوني في شذراته في قسم «في الديمقراطية» الإرادة الوطنية وتجلياتها، وبين الإنكار والإثبات، معارضة، في التجربة ومعطياتها، سيكولوجيا المعارضة، القياس، تفاوت ومساواة، هذا الدم العربي الحامي، لحظة صدق، إصلاح وترقيع. ومواقف عديدة من واقع الحياة وممارسة أهلها بأسلوب نقدي فيه السخرية اللاذعة المستبطنة عالم الكلمات الداخلي بكل مفرداته الإيحائية. لقد ضم العجلوني شذرات هذا الباب ب «كلمة السر» والتي أشار فيها إلى مقالة للمرحوم حسني فريز نشرتها أفكار في أواخر السبعينيات تحت عنوان «تطورهم وتطورنا» وفي المقالة المشار إليها يعزو الأديب الراحل حسني فريز سبب تأخر تطورنا لعدم فتح أبواب الحرية كما يمارسها الغرب وفي ذلك يقول العجلوني في نهاية شذرتة.. العبرة إذن، تكمن في أن التطور الحي الفاعل الذي ذهب أستاذنا حسني فريز رحمه الله، إلى أنه غير وارد في وعينا وحساباتنا، مرتبط بالحرية، وأن هذه الأخيرة هي وحدها كلمة السر في ليلنا الممتد البهيم» ص ٨٣.

أما شذرات موضوع «في الصهيونية» فتبدأ بتوضيح حقيقة تاريخية مقلوبة بعنوان «حاييم فارحي.. والتاريخ المقلوب» «وفارحي» هذا يهودي من أهل عكا عاش في زمن أحمد باشا الجزائر تعاون مع الفرنسيين في عهد نابليون، لتقديم معلومات تساعد الجيش الفرنسي لاحتلال عكا، التي بقيت صامدة، ورجع الغازي مندحراً على أعقابها، يجر أذيال الهزيمة والخذلان ولم تنفع مراسلات فارحي السرية مع استخبارات نابليون ومني الفرنسيون بهزيمة نكراء وتحطمت أسطورة قوتهم على أسوار عكا الباسلة الصامدة ولكن أحلام حاييم فارحي في إعادة أورشليم إلى بني قومه اليهود وجدت صداها في نداء نابليون الذي وجهه إلى يهود العالم عام ١٧٩٩ وكان الهدف من وراء هذا النداء كسب اليهود إلى تأييد مطامع نابليون في السيطرة وقهر الشعوب.

شذرات العجلوني ترتدي ثوب الكتابة الأدبية وتقدم المعلومة وتزيد الجانب المعرفي ويظهر ذلك في «يقظة العالم اليهودي، وجذور فكرة الإقليم الاقتصادي، حول عقلية المؤامرة اسبينوزا.. وأساتذته العرب، عن الثقافة اليهودية.. مكانتها ومخاطرها وغير ذلك من ألوان الكتابة التي تدفع القارئ إلى مواصلة القراءة بلا ملل. إن صفحات الكتاب «الشذرات» غنية بما احتوته من تناول واع لقضايا مفصلية في حياتنا الحاضرة، وهي تعري بلا رتوش ما يتصل بالسلام الذي يريده الأعداء كما يشتهون ويستعين الأديب العجلوني بطرح أفكاره بلغة عذبة سائغة تعينه على تجسير المسافة بينه وبين المتلقين. وأعتقد أن كتاب الشذرات يستحق القراءة والاطلاع على كامل محتوياته لأنه رصد أمين لتفاصيل الحياة وتضاريسها الهامة وبخاصة المتعلقة بالوجود العربي في هذه المنطقة التي كرمها الله أن تكون أرضنا تضم كثيراً من شهداء المسلمين وأعلام قادتهم في زمن الفتوحات الإسلامية، ولهذا أدعو إلى قراءة الشذرات ففيها المعلومة الدقيقة والرأي الصائب، والنقد الساخر بعيداً عن مجانية المباشرة والكتاب أولاً وأخيراً ثمرة جهد رائع للأديب العجلوني الذي سبق له أن أصدر عشرين كتاباً في موضوعات متعددة توزعت بين الإبداع الشعري والقصصي والدراسات القيمة بدأها بديوان شعر «تقاسيم على الجراح - بيروت ١٩٧٣».

يوميات عراقية.. (١)

محمود إسماعيل بدر

-مشكلة كتاب (يوميات عراقية) الذي صدر حديثاً في مائة صفحة عن دار الكرمل.. إن كاتبه أديب رقيق أكثر منه كاتب سياسي محترف.. فهو يتعامل مع (الحالة العربية) محاولاً الخروج من سطوة (إطار المقالة السياسية) إلى فضاء أدبي إنساني خلاق يتيح حواراً أو معطيات لغوية منتظمة وبنية واقع اجتماعي.. ليجعل من الحالة العراقية نموذجاً إنسانياً شمولياً من خلال ذاتية امتلكت القدرة على استقبال أشياء العالم ومرئياته المتناقضة.

* يتوقف الكتاب في الباب الأول (الرؤية) عند (مشروع النهضة العربي) مستخدماً النقد الأدبي كأداة مجابهة سياسية مراوغة مستحضراً بعض الأحداث من الماضي ليلقي الضوء على الحاضر.. في أزمة الصراع العربي الأوروبي.. فوضع الأمم المتكاملة والشعوب أمام قرصنة الأوروبيين ومحاولتهم اقتناص النهوض العربي من خلال أفراد وصفهم المؤلف بـ (الوصافين) الذين ينقلون الصورة الخارجية للعربي دون أن يفهموا حقائقه الداخلية.. متمثلاً في النموذج العراقي الذي اعتبره العجلوني نسقاً حضارياً رافضاً للرأسمالية الغاشمة وطريقاً أمثل لتحرير الإنسان العربي بوجه عام داعياً إلى القوة في الفكر والأخلاق والوعي على نحو ما يقول: (نحن العرب ندعو إلى حرية الإنسان.. ومعنى هذا ينبغي أن نعد ما نستطيعه من قوة ومن وعي ومن رباط خيل. وبه وحده نملك أن نباشر زماننا الجديد - ص ٢٠).

* وفي حوار رائع راق نجد أنفسنا في بغداد حاضرة العرب ودار السلام كالقدس معيار مروءة العربي.. بينما نراه يصعد النفس القتالي من خلال خطاب أدبي بليغ حين يجمع في (بعيداً عن اليأس) التجربة القتالية العراقية واللبنانية والفلسطينية في مواجهة العدوان.. في أجمل تصوير بلاغي للروح القومية.. والتمثيل الكنائسي حين يصور لنا الملامح المشتركة بين بوش ونيرون في تدمير الروح الإنسانية.. بوش يمثل قوة السيطرة اليهودية على الإدارة الأميركية وشرب نخب الديكتاتورية على أنقاض العرب.. كما شرب نيرون خمرة على أنقاض روما، وفي أجمل ما يكون التمثيل فالكاتب يأخذ الرموز من الأحداث

(١) ١٩٩١/١٢/٧م.

والشخصيات التاريخية ليكشف على خريطة الفكر والواقع كل التحولات في النمط السياسي والاقتصادي.. وفي مجموعة أدبيات (مقالات) تنطوي على طرح ومعطيات ومقارنات وتجارب تمثل الرد الأمثل على المؤامرة الصهيونية الإمبريالية على نحو ما فعل في الزمن العربي في البصرة ص ٣٢ وأنها بغداد أيها المتخلفون ص ٥٩ وفلسطين بين عبد الناصر وصدام حسين ٤٩.

* إذا جاز لي القول.. وبعيداً عن أبحاث الأكاديميين.. يمكنني القول أن أسلوب العجلوني في يوميات عراقية يعمل على تحرير الكتابة السياسية الأدبية من حدود الوعي الفردي والنظرات الجزئية - وأن يعبر بصدق وشاعرية ودفء عن منطقتي التطور وحركة التاريخ في أدق حالة (ظاهرة) تاريخية تصطدم بها المنطقة العربية منذ خمسين عاماً.. ففي مقالته (الصداميون - ص ٨٧ - يربط بين الواقعيين: التاريخي والاجتماعي ليجمع بين الأصيل والمعاصر.. من خلال الربط بين الفرد والمجموع.. باعتبار أن البطولة الحقيقية هي التي تنشأ وسط المجموع.. من خلال (منهج فكري) يدعو إلى توظيف الظواهر في خدمة المجتمع والقضايا الإنسانية.. فهو يتوقع نتيجة لحرب الخليج أن تتكون (جماعات فكرية) ضد الغرب المستعمر وتدعو إلى نهوض عربي شامل في الفكر والسياسة تدعو إلى التمايز الحضاري والثقافي.

* عند العجلوني سببية متبادلة بين الأدب والحياة تجد محصلتها النهائية في مجموعة الظروف أو المواقف السياسية المتأثرة بظروف تاريخية مشابهة (أقوال الحسين بن علي) هي جزء عزيز من المذخور النفسي لجنود العراق الأشاوس الذين يخوضون اليوم إحدى المعارك الفاصلة مع أعداء العروبة والإسلام - (ص ٨٩). من هنا يمكن القول أن العجلوني سياسي بالمعنى الذي يعبر فيه بفكره الأدبي ونتاجه الفني عن موقفه من الأحداث الساخنة.. فجاء الكتاب ترجمة أمينة لما تغلي به قلوب الملايين في أزمة الصراع التي تؤكد على رسوخ وجود الإسلام والعروبة وشرف النصال من أجلهما.. تحية لصديقنا (أبا سلطان) الذي إذا نطق بصدق وإذا كتب فاض منه سيل من الدرر الثمينة أنها الكلمات التي هي حقيقة صورة صادقة من أدب المقاومة.

"المواقف"

ثقافة عالية وفكر رصين^(١)

محمود عواد

صدر العدد الأول من مجلة «المواقف» وهي مجلة فكرية فصلية تطبع في الأردن، وإذا كان العرب في الجاهلية يحتفلون بنبوغ شاعر فيهم، لأنه كان سيفهم وصحيفتهم، فإن من الحري بنا عرب اليوم، أن نحتفي أكثر بميلاد دورية رفيعة المستوى، تنقل نتاج مبدعينا ومثقفينا إلى الإنسان العربي في أرجاء وطنه الكبير، الذي ألف الكلمة المسموعة، وعزف عن الكلمة المطبوعة الجادة منها على نحو خاص، وكان ولا يزال، من واجب كتاب «زوايا» الثقافة «وأعمدة» الفكر، في صحفنا السيارة وغيرها من وسائل الإعلام، أن تنبه قارئها إلى هذا الفعل الثقافي، لا من قبيل الترويح فحسب، وإن كان هذا مطلباً لازماً، بل لاطلاعنا على ما تحويه من موضوعات قيمة، تعالج قضايا ذات مساس مباشر بواقعنا ومستقبلنا، وتعمل على تشكيل إرادتنا في عملية «التغيير» التي تسعى إليها مجتمعاتنا العربية أو تحتاجها. ومن جوف السكون الذي ران على أمتنا العربية، ومن الخواء الذي يلف مؤسساتنا الثقافية كما يلف عقولنا ووجداناتنا، تخرج للنور هذه المجلة، لتتيح تصادم العقول، وتلاقح الأفكار، تنشد الحقيقة والحياة وتسعى ليوم رضي وغد أفضل. هذا الفعل الثقافي الذي لا يزال في طور النشوء، يحاول «إرساء أحد الأسس لعصر تنوير جديد، مرتكزاً على محورين: معرفي خالص، واجتماعي سياسي لكن ذلك كله لا يكون مالم تكن الحرية لحمته وسداه كما يقول رئيس التحرير أما اسمها فهو تذكير بكتاب -المواقف- لللاجي الذي يعول كثيراً على العقل ويدافع عن مقومات الأمة العقائدية والعقلية وتذكير بكتاب -المواقف- للنفري الذي يتوفّر على تعميق الوجدان ويهيئ للفعل الاجتماعي الأخلاقي.

أما الموضوعات التي تناولتها المجلة فقد تراوحت بين الفكر والثقافة والتربية والتعليم والاقتصاد والسياسة والاجتماع، واحتلت التجربة الأردنية من ذلك كله اهتماماً واضحاً ولتنوع الموضوعات وكثرتها فإنني سأشير هنا فقط إلى المحور الخاص حول «السمات

(١) جريدة الرأي ٤/٩/١٩٨٧م.

الرئيسية البارزة لواقعنا الثقافي» العربي، الذي كتبه الدكتور سحبان خليفات، ويقع في ثمان وعشرين صفحة ولأني لا أزمع نقد البحث، قصوراً مني عن ذلك، وحتى لا أسيء إليه بالاجتزاء أو الاختصار فإنني سأقدمه فقط للقارئ الكريم، لأترك له الفرصة كي يستمتع بقراءته كاملاً في أصله وغيره من موضوعات المجلة.

بدأ الباحث بتحديد معنى الثقافة التي هي «من أكثر الكلمات غموضاً والتباساً» وانصب اهتمامه على الثقافة «المرادفة للفكر، الذي نقول أنه من إنتاج تلك الفئة من الروائيين والشعراء والفلاسفة والعلماء الخ.. والتي تصنع حركة المجتمع وتراقبها، وتستبق مراحل التطور وتمهد لها وتحققها بما تنشره من قيم جديدة ورؤية مستقبلية. وبعد الإلحاح على المعنى (الوظيفي) للثقافة شرع في تحديد أبرز سمات الثقافة العربية المعاصرة، التي تميز غالبية الأعمال أو غالبية العاملين في هذا الحقل. «ويستطرد الدكتور خليفات قائلاً: ومعنى هذا أن الكاتب يعترف بوجود استثناءات منذ البداية، ولن تكون تصورات خاطئة إلا إذا تبين أن حجم الاستثناءات أكبر مما يدعي أنه القاعدة العامة الإجمالية.

استعرض الكاتب بعد ذلك معوقات الثقافة العربية المعاصرة في سماتها التالية: تسويق الثقافات واقعة التشرذم، هجرة الأدمغة، الصراع على تغريب الذات والثقافة، التغريب والترجمة والتعريب، خواء المؤسسات الثقافية، زيف الاعتقاد، انهيار اللغة والفكر والوجدان، سلبية علاقة الإعلام بالثقافة غياب الفلسفة العربية. وبعد أن شرح كل واحدة منها شرحاً كافياً، انتهى بالتوكيد على دور التربية في الخلل الذي تعيشه الثقافة والأمة حيث تجاهلت بقصد أو بدون قصد تحديد هوية الإنسان الذي يراد تكوينه من خلال التربية ويرى أن الثقافة الوظيفية في المقابل تعني: تكوين المواطن المبدع لا المواطن المقلد. فإذا اتخذت التربية لها هذه الغاية، أصبحت الوسيلة الفضلى لدفع المجتمع من التخلف إلى التقدم أي لإحداث ذلك التغيير الجذري في البنية الاجتماعية الاقتصادية، الذي يجعلها قادرة على أن تؤدي وظائفها الإنتاجية تأدية حديثة أي منتظمة ومستديمة استدامه ذاتية، كما أورد الباحث اقتباساً من كتاب تحديث العقل العربي لمؤلفه الدكتور حسن صعب.

ثم يطرح عدداً متتالياً من استفهامات النفي:

* هل نجحت العمليات التربوية في العالم العربي في تغيير هندسة العقل العربي ليصبح أكثر منهجية وقدرة على التكيف مع الواقع واهتماماً بمواجهة المستقبل؟

* هل نجحت التربية والثقافة السائدة في بث مجموعة قيم اجتماعية ضرورية كالحرية والنظام والتعاون؟

* هل رسخت في أفراد الأمة القدرة على ممارسة التحليل والتركيب والحدس المبدع؟

* هل أوجدت في عقول الأفراد مناهج حقيقية للتفكير الموضوعي والسلوك الخلقى؟

ويخلص إلى القول: إن الإجابة بالنفي شجب، بالضرورة للثقافة السائدة ودعوة صريحة إلى ما ينبغي أن يكون أو إلى ما نحتاج إلى أن يكون.

إن رشاقة أسلوب الباحث وحسن عرضه لمجموعة الأفكار التي تضمنتها مقالته لا يعفيه وغيره من المثقفين من التوسع في دراسة كل واحدة منها في بحث مستقل، غوصاً في أحشائها وسبراً لأعماقها حتى تتضح الصورة أكثر، إذ لا يكفي النظر إليها مجتمعة في مشهد بانورامي عام كما أن قدرته على تشخيص معوقات التغيير الثقافي والحضاري لمجتمعنا العربي، لا تغنيه عن تبيان ميكانيكية التغيير لهذا الواقع. وكذلك فإن تمكنه من الإلمام بجوانب البحث أكاديمياً مكنته بتحديد ملامح واقع الثقافة لا تشفع له عدم إيراد أمثلة حية، صريحة وواضحة، من الواقع المعاش، فيكون باحثاً أكاديمياً أكثر منه ممارساً لهذا الواقع أو فاعلاً فيه، لكن يبقى الشناء على قدرة الدكتور خليفات على هذا الطرح الشمولي بهذه الفصاحة والحصافة ثناء مستحسن مستزید.

وللمواقف فضل نشر هذا الفكر الراقى الذي يجيء كالندى في مواسم الجفاف، والخصب في سنيننا العجاف. وإذا عذرنا المجلة عن ثغرة أو عثرة، في خطوها الأول الوئيد، فلن يكون حالنا كذلك حين يشتد سوقهم والساعد. ولا غفران لها إن لم تفتح صدرها وذراعيها، لكل ذي رأي وبصيرة على مساحة الوطن العربي الكبير، فتستكتب وتستقطب خيرة المبدعين والمفكرين وإن اختلفت نغماتهم وصرخاتهم، وتفسح لهم مكاناً ومكانة ولتحتكم للقارئ المواطن ولتثق بعقله ووجدانه، فالكلمة أمانة.

مواقف ومخاطبات..

لقاء بين الأدب والفكر^(١)

الشاعر السوري مصطفى النجار

ما من نهضة أدبية إلا كان من ورائها نهضة فكرية تحتضن البذور ومن ثم تطلق العنان للأغصان والأزهار والثمار.

إن المذاهب الأدبية ما كانت لتزدهر وتتسع وتتجذر ما لم تكن قد أقلعت من أرض مهدتها أقلام المفكرين. والشعر العربي القديم ما ازداد قوة وعمقاً إلا بعد أن تغذى بالآراء الناضجة.

والمقصود هنا ليس خضوع الأدب والفن أثناء الولادات لسلطة الفكر أو الفلسفة أو الأيديولوجيا، وإلا كان المولود لا يتصف بصفات الفن بل تطغى عليه سمات هؤلاء، إنما المقصود أن التوجه الشامل لأية نهضة في الفن أو الأدب لا يمكن أن يستمر عمقاً وشمولاً إلا في مناخ فكري حاضن وحافز ومرشد لهذه النهضة. ولعل الناقد إبراهيم العجلوني من الأردن الشقيق عرف هذه القضية الهامة فرسم بخطواته التطبيقية ملامح فكرية اتصف بها منذ كتابه النقدي «نظرات في الواقع الثقافي..» الصادر عام ١٩٧٩، فضلاً عن ملامح نقدية تستضيء بالتراث الإسلامي والعربي فيقول مثلاً:

لكي تتم للأدب صفته يجب أن يعتمد على عنصري الخيال والجمال.

لكي يتم للأدب أثره وقوة جذبه إلى قيم معينة يجب أن يعتمد على:

أ. القدرة الفائقة على رسم النموذج (المثل).

ب. الصدق مع الواقع أي أن تكون الحقيقة نصب عيني الأديب.

ج. الصدق مع الذات أو ما يسمى بالصدق الفني.

ثم يضيف العجلوني قائلاً: الوضوح والبساطة ركنان أساسيان لا يقوم بدونهما أدب ناجح

(١) الجزيرة السعودية / العدد ١٠١٩١ / ٢٣ / ٨ / ٢٠٠٠ م.

إذ يندعم بدونهما الاتصال بين المبدع والمتلقي. الأدب قوة محرّكة تستدعي التزاماً وتوحي بالتغيّر.

كل ذلك وغيره يوضحه العجلوني بعد أن يضع أمام القارئ قبسات من القرآن الكريم ومن الحديث الشريف وبعض أقوال السلف الصالح، يستأنس بها في تأسيس نظرية نقدية عربية إسلامية تصب في محاولات بعض الجادين المخلصين المتتورّين الساعين إلى التخلّص من التبعية الثقافية والفكرية والحضارية للآخر، ولآثار الوافد المستلبة لشخصيتنا.

ويستمر العجلوني في هذا السبيل فيصدر عدة كتب منها: مسلمات في ضوء التحقّق ١٩٨٠
- في الفلسفة والخطاب القرآني ١٩٨٤ وفصول في الفكر العربي ١٩٨٧.

أما كتابه المهم الجميل «مواقف ومخاطبات» الذي نحن بصدد الحديث عنه، فهو يجيء به مؤكداً على مساراته السابقة، ومستظلاً أكثر بالحرية الفردية ورؤية واعية لما يحيط بالمرء فيقول (إن انفلات الفرد من ركام المجموع ورفضه أن يكون رقماً من أرقام ثم سعيه للانتقال من الكينونة للجردة إلى الشخصية الفاعلة ذات الخيار، هذا التحرّر الفردي هو أساس تحرر المجتمع وهو اللبنة الأولى في الدولة).

ويبدو أن العجلوني وقع خياره على أن يكون في المستوى الأعمق من إدراك العلاقات، وهو مستوى تراه القلة التي تتجافى عن الانخراط في الوعي العام، وتؤثر أن تكون لها رؤيتها الخاصة، كما أشار في أول بحث من بحوث هذا الكتاب، فقال:.. والذي أراه ويراه بعض المغامرين معي أن الموت مع الجماعة ليس رحمة بحال من الأحوال، وأنه أهون على المرء أن يكون نبتاً شيطانياً هائماً في الفضاء من أن يكون موطأ الروح والعقل لغفلة الآخرين وجهل الآخرين وعماية الآخرين!؟

وعبر (مواقف) التي تمتاز بالعمق والجرأة والمكاشفة والوضوح نجد العجلوني بأسلوب أدبي علمي يفند، ويحلل، ويدحض، ويسمي الأشياء بأسمائها فيقول في مقالة الراضون ص ٢٢ مثلاً: ما يعززه نظرتة إلى حرية الفرد وإلى النضج في الوعي والأخذ بالجواهر وعدم الركون إلى خطأ مجمع عليه مثلما حدث ذات يوم من أيام عام ١٩٥٨ حيث طالب -كما يقول العجلوني- اتحاد الكتاب المسكوفيين بطرد واحد من الراضين الروس من اتحاد الكتاب السوفيات وقد وقّع جميع أعضاء الاتحاد المذكور على وثيقة اتهم بوريس باسترناك بالخيانة والمروق وبأنه آبق وعدو للواقعية وغير ذلك من المفردات.

كما يجد العجلوني ثمة علاقة بين الرفض والغربة فيستشهد بقول أبي العلاء المعري: أولو الفضل في أوطانهم غرباء؛ إنما لا يغيب عن باله بأن التمرد يجب أن يكون رفضاً للاستلاب العام.

ومن هذه الزاوية يرفض أي ربط بين الفن وتخريب الجملة العصبية ومن ثم الجنون إذ يؤكد على ربط خلق العمل الفني بنظام وضبطه بقانون، ونفي المصادفة، ويعتبر الشاعر عاقلاً وعاقلاً جداً.

ويدعو إلى صفاء اللحظة الأولى وإلى دهشة الوعي البكر التي تخولنا طرح التساؤلات الجوهرية، من هذه العودة نفيه لمقولة شائعة بأن الفلسفة في العالم بدأت بطاليس أو بواحد بعينه من فلاسفة الإغريق إنما يقول: لقد كان من أفدح الأخطاء التي وقع بها مئات الباحثين في الفكر الإنساني أنهم انطلقوا من المركزية الأوربية، في رؤية تاريخ هذا الفكر دون أن يتبهبوا إلى الأمم غير الأوربية أو إلى التاريخ الإنساني بوجه عام، ذلك أنه لا يعقل أنه تظل أجيال البشرية معدومة الإحساس في هذا العالم إلى أن بزغ فجر طاليس عام ٥٨٥ ق.م.؟!

وفي الوقت الذي يلاحق الظواهر الخاطئة فهو في «التقد الذاتي والإحساس بشقاء الآخرين ص ٢٨) يؤكد على النقد الذاتي الذي سيظل هو السبيل الأمثل لامتلاك رؤية أكثر سعة ثم يقول في ص ٣٠: إن النفس اللوامة التي أقسم الحق بها في كتابه الكريم، نفس متسعة للآخرين، مرهونة بهم سعادة أو شقاء.

كيف الوصول إلى إنسان يمتاز عن غيره، بضمير يقظ ونفس مرهفة يحاسب نفسه على كل صغيرة وكبيرة قبل أن يحاسب الآخر؟.

كنت أتمنى على الأستاذ العجلوني معالجة هذا الموضوع الهام بشمول عرف به. وبوضع النقاط على الحروف للوصول إلى ما يرتجيه إنساننا الباحث القلق المتشوّف؟!

ومثلما طرح العجلوني في (مواقف) جملة من الآراء الفكرية نجده أكثر شاعرية في (مخاطبات) التي اشتملت على عدة عناوين منها؛ المقامة الخمسية في المحكمة الشرقية، تأملات في فلسفة السقوط، رسائل غير نمطية. ونجده أديباً من الطراز الرفيع من حيث الأداء واختيار اللقطات، وابتداع بعض اللقطات المستأنسة بقبسات من التراث العريق، والمستوحاة من أرض الواقع وبخاصة ما تبدى في المعالجة الذكية الساخرة التي تذكرنا

بكبار الأدباء الناثرين الذين سطعوا في عالم النثر الفني أمثال الجاحظ وبيديع الزمان الهمذاني في القديم، والمازني، وأحمد حسن الزيات وغيرهما في هذا العصر، حيث يبدأ العجلوني المقامة الخمسية بهذه العبارة: رعاك الله أبا الوليد ما كان أنفد صبرك، وأحد بصيرتك، ورحم الله ابن شهيد صاحب التوابع والزوابع فإن خير ما التمس لنفسه ولك العذر به هو قوله وقد أشبهت الحال:

كأن الدجى همي ودمعي نجومه

تحدر إشفاقاً لدهر الأراذل

هوت أنجم العلياء إلا أقلها

وغبن بما يحظى به كل عاقل

وأصبحت في خلق إذا ما لمحتهم

تبينت أن الجهل إحدى الفضائل

ولن يخفى على القارئ المعاصر بأن أبا الوليد هو مثل ابن شهيد، هما معاً قناعان تاريخيان ومعاصران.

ونجد في ترتيب وصياغة (تأملات في فلسفة السقوط) ما يلي:

التأمل الأول: في الأشياء التي يمكن أن تكون موضع الشك.

التأمل الثاني: في طبيعة الروح العربية التي نعرفها (أحسن مما نعرف واقعنا الملموس).

التأمل الثالث: في (والله غالب على أمره ولو كره الكافرون).

مهارة يغبط عليها العجلوني، تدل على إبداع فكري تضمن معالجة الواقع.

ويختتم العجلوني تأملاته قائلاً: وبعد، فيحسن الوقوف عند هذا الأمل على أن نعلم أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. مع الاعتذار لحكيم فرنسا (ديكارت) على استعادة عنوان كتابه الذائع الصيت (تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى).

ونجد هذا الظرف وهذه الصياغة في «رسائل غير نمطية» حيث يستهل كل رسالة بما يلي:

من العبد الفقير عبد الرحمن الصابر إلى صديقه القديم عبد الوهاب السالك سبل الخير.

من العبد الفقير عبد الرحمن الصابر إلى صديقه القديم عبد المنان السالك سبيل الإحسان.
من العبد الفقير عبد الرحمن الصابر إلى صديقه القديم عبد الرزاق السالك سبيل الإغداق.

ثم يختم هذه الرسائل بقوله: وبعد، أيها الصديق الصدوق والناصح والنصوح.. ألم تسمع بقول القائل. رب حكمة في رأس أحمق لا يستخرجها مليون عاقل ولو كان الشيطان لهم ظهيراً.

حسن.. إنني أنا الأحمق.. وأنت سيد العقلاء!؟

ومن خلال سطور هذه الرسائل غير النمطية الجديدة المعاصرة، الساخرة والسخرية من أرقى طرائق التعبير والتصوير، إن كانت هادفة ليست للإضحك والتنفيس.. نجد الهدف منها ومن أدائها الساخر حيث يتكئ على كيلة ودمنة فيجري بينهما حواراً ناقداً لمواصفات تعسفية.

ويذهب العجلوني إلى التاريخ ليستحضر شخصية هبنقة الأحمق فيوظف هذه الشخصية في حكاية تنتهي بالعبارة حيث وقف هبنقة خطيباً في الناس الذين استمعوا إليه تحت طلب من حكيم حنكته الأيام والتجارب فما وجد إلا أن يهاجم هذا الحكيم بهذه الكلمات التي ساقها العجلوني في لوحة وصفية مرحة: تنحنح هبنقة، ثم سعل، ثم حك رأسه مراراً، ثم سعل مرة أخرى، ثم أدار عينيه فيهم متأملاً شأن من يبحث عن رجل بعينه منهم ثم سعل مرة ثالثة.. وقبل أن ينفد صبر الناس قال هبنقة وهو يشير إلى رأس الشيخ وقد مالت عمامته فبان صلعته: اللهم العن هذه الصلعة، واحشر صاحبها في جهنم، إنك أنت القوي المنتقم! وقبل أن يستفيق حكيم خراسان من غاشيته، كان الناس قد جعلوا عالي المنبر المنسوب سافله، ومزقوا أسمال هبنقة وورموا أنفه، ولولا رحمة الله لكان من الهالكين.

على أن هبنقه، حين أفاق من غيبوته، انتحى جانباً ولملم ما تبعر من خيزرانات منبره المخلّع، وقال في نفسه: إنهم لا يفهمونني هؤلاء الأغبياء، ثم بدأ يصلح منبره مرة أخرى!.

ومثلما كان في حكاية هبنقة عبرة قديمة وجديدة فإن في نموذج «الأستاذ فاضل» من الواقع المعيش ما يثير في النفس، الحزن على النموذج الطيب، المتقن لعمله، المحترق في سبيل الآخرين، فكانت النهاية مكافأة على ما بذله هذا المواطن الفاضل فيما رواه العجلوني من خلال سياق حكايته المعاصرة.. وذات صباح جاء من يطلب الأستاذ فاضل إلى الإدارة، وكان بين يديه بعض الملفات لم ينهها، فاستأنى قليلاً حتى انتهى منها، ثم أقفل أدراج مكتبه بهدوء، ومضى إلى غرفة المدير، ومكث هنالك حوالي ربع ساعة ثم عاد مطرماً وقد بدت

عليه مسحة حزن.. حاولنا استنطاقه عما حدث، لكنه أبقى. غير أننا علمنا في اليوم التالي أن المدير قد خصم من راتبه أسبوعاً، واتهمه بأنه يعيق سير العمل! من ذلك الحين والأستاذ فاضل كما ترونه، واجم ذاهل، لا يعبأ بسوى النظر من النافذة إلى الشارع.

وقبل أن نختم هذه الجولة من المفيد والمستحب أن نشير إلى المقطوعات النثرية الفنية التي جاءت على نمط اوراق الورد عند الرافيعي أو بعض تحليقات جبران خليل جبران أو غيرهما، لما تحتويه من لغة وخيال وصور وحكمة وتأمل، وكأنما أراد العجلوني - وهو الشاعر- إضافة إلى كونه الباحث والناقد المهتم بأمور الفكر والفلسفة، أن يحقق طرفي المعادلة في الجمع بين معطيات الفكر ومعطيات الروح، بين العلم بمنهجيته، وبين الشعر والتأمل الشعري، كما حقق منذ البدء بين الأصالة والمعاصرة. ومن مقطوعاته التي بلغت الخمس أورد (رؤيا) حيث يقول:

صحو مفاجيء، وعي خصب مغدق يبعث الرؤى أسرابا

طين يتشكّل، حلم عصيّ ينبثق من صخر الوقت

سحب تنجاب كما الرغوة عن سماوات صافية بلا حدود

ألوان تصطخب وتهدأ

أيّنا القادم من تخوم الحقيقة؟

أيّنا الذي رأى؟

وأيّنا آخر الأمر، جرح عينيه البكاء؟!.

أجل.. أيّنا الذي يعي، يشعر، يقرأ، يكتب، يعيش يبدأ الخطوة، الخطوات الأولى على طريق الهوية الحضارية، في نفض الغبار عن الحقائق، في صياغة المنهج ورسم الطريق، وتحقيق الأهداف في توازن وانسجام من غير إفراط ولا تفريط يتعاقب فيها الفن مع الحياة بعيداً عن صراع الأجيال في مساء تتوحد فيه الأزمنة.

أجل أيّنا.. يدرك ما معنى أن يبدأ من جديد؟

فصول في الفكر العربي

محاولة في التأصيل^(١)

منيرة شريح

عن دار الكرمل في عمان صدر كتاب جديد للأستاذ إبراهيم العجلوني بعنوان: «فصول في الفكر العربي» وقد تضمن هذا الكتاب بين دفتيه بالإضافة إلى المقدمة العناوين التالية: أولاً في فقه الوقائع محاولة في التأصيل.

ثانياً: حديث العقل... حديث الواقع... ثالثاً عن الحوار. وشروطه الموضوعية. رابعاً تساؤلات حول العقل العربي. خامساً حوار هادئ حول مسألة شائكة. سادساً كلام في القضية الفلسطينية. سابعاً حين نمتلك الإحساس بالزمن ثامناً دور البطل في التاريخ.

لقد تناول المؤلف في كل فصل من فصول كتابه هذا مسألة فكرية هامة من المسائل المطروحة على واقعنا العربي. فيها هو يقول لنا في المقدمة: «بأن الذي يجمع بين فصول الكتاب هو أنها تدور في معظمها حول مسألة جامعة تكاد تستغرق همومنا الفكرية في هذه المرحلة من تاريخنا القومي: وهي «وعي الذات ووعي الآخر» وما يمكن أن يندرج في إطارها من قضايا سواء أكانت منهجية، أم ثقافية.

ومن هنا نجد أن للأستاذ العجلوني رأياً مميزاً نجده في فقه الوقائع محاولة في التأصيل حيث يقول: «إذا كانت النصوص الثابتة هي المعيار في أي معتقد، سواء أكان دينياً أم وضعياً، وكانت الأشياء إنما تقاس عادة بها وتعود إليها فإن في الاعتراف «العملي» الفذ من المسلمين الأوائل بضرورة متابعة «الواقعات» بالقياس. حافظاً لنا اليوم كي نحاول بدورنا امتلاك عصرنا بوعي غير منقطع عن نسقنا الاعتقادي الذي ارتضيناه.

وأما في تساؤلات حول العقل العربي: فإن للأستاذ العجلوني رأياً آخر مخالفاً لنظرية الأستاذ محمد عابد الجابري والذي استند الأخير فيها على ما قدمه (لالاند) من نظريات حول الموضوع فيها وجوه للخلاف كثيرة وأما الرأي الذي قدمه الأستاذ العجلوني معارضاً فيه رأي الأستاذ الجابري فهو: أولاً: استخراج المبادئ الكلية والضرورية الواحدة لدى

(١) جريدة الرأي ١٣/١١/١٩٨٧م.

جميع الناس غير منفصل عن الاستدلال بها. وليس يصح أن نقسم الفاعلية العقلية للإنسان أو وعيه العقلي مثل التقسيم الذي استند إليه الجابري من حيث أنه يضع حداً فاصلاً بين كلا حالي القوة والفعل في المبدأ العقلي.

أما اعتراض الأستاذ العجلوني الثاني على الجابري فهو أن الجابري انطلق من فرضية لالاند في محاولة لرصد الأساس المعرفي لإنتاج المعرفة داخل الثقافة العربية، وصنف العلوم والمعارف فيها تصنيفاً أخذ فيه بعين اعتباره ما رآه «البنية الداخلية للمعرفة. آلياتها ووسائلها ومفاهيمها الأساسية» ويستمر الأستاذ العجلوني في مقالته هذه في مناقشة الآراء التي أتى بها الأستاذ الجابري مستنداً إلى أمثلة من القرآن الكريم. وفي النهاية يخلص بنا إلى نتيجة خطيرة يجب أن نتنبه لها ونكون بكامل وعينا إزائها وهي أننا أمام استشراف جديد، ولكن من الداخل...!!

وفي الفصل المعنون (كلام في القضية الفلسطينية): يؤكد الأستاذ إبراهيم العجلوني أن الإنسان العربي يدرك معنى الوحدة العربية ويستوعبها بفطرتة وأن كل المؤامرات التي تحاك ضد الإنسان العربي لكي تمزقه من الداخل وتقضي على إيمانه الراسخ بوحدته لا بد وأن تنتهي بالفشل. كما يقول في هذا الفصل من الكتاب «إن الإحساس بالتاريخ واستفتاءه في قضيتنا الأولى فلسطين العربية المغتصبة وأخذ العلم عنه فيها جملة وتفصيلاً، كل ذلك مما تبلغ حاجتنا إليه حد الاضطرار. فليكن لنا الخيار في ذلك قبل أن نفقد كل خيار.

فالصدور في مواجهة القضية الفلسطينية عن حس تاريخي، هو ورقتنا الأخيرة، بعد سقوط الأوراق كلها في الخريف العاصف للمرحلة التي نعبرها، وهو يعني أول ما يعني أن نضرب بجذورنا في الأرض، فلا نعود مهددين بالاقتلاع، وأن نحسن التحديق فلا يلتبس أمامنا حق بباطل.

وفي متابعتنا لهذا الفصل من الكتاب نجده يقول: «وعلى الرغم من أن الوجدان العربي بعامة قد كسر القيد وامتلك إرادة الوعي بالذات، إلا أن العقل السياسي العربي الحديث ظل، ولأسباب عديدة أسير المواصفات السياسية الغربية، فلم يرق إلى مستوى الوعي العام بالتميز الحضاري والخصوصية الثقافية: أو إلى مستوى الإحساس بالتاريخ، وظل، تبعاً لذلك دون مستوى المواجهة».

وإن نحن انتقلنا بين فصول كتاب الأستاذ العجلوني دارسين ومستفيدين ومستمتعين أيضاً بتلك اللغة الرائعة الجميلة التي افتقدناها وأصبحنا نحن إليها فنجدها لدى الكتاب والمفكرين العظام مثل العقاد والمازني والرافعي وغيرهم من أعلام الفكر الحديث في وطننا العربي سوف نجد أنفسنا أمام الفصل السابع المعنون بـ «حين نمثك الإحساس بالزمن» حيث قد أعيد للزمن مهابته وعظمته. وقد برئ مما نسب إليه من النعوت التي نسمعها في كل حين من حيث هو زمن رديء.

فالزمن عند الأستاذ العجلوني وعاء ونحن الذين نملؤه بصالح أعمالنا أو بالرديء منها. وهو قد اتخذ لنا أقرب الناس إليه مثلاً ألا وهي والدته... فهو يقول عنها: «إن أول ما تحرص عليه هو إقامة الصلاة في وقتها، ثم إنها لتحرص أشد الحرص على أن تكون بمشهد من طلوع الشمس، وهو مشهد لا تعدله بشيء من متع الحياة، وتعتبر يوماً خلا منه يوماً مشؤوماً، تستعيد بالله من فجاءته. ثم هي بعد ذلك «تباشر أمومتها الخالدة، وتستخف أحمالها الثقال، صابرة، راضية تستعين بالصلوات، ضحى، وظهراً، وعصراً، ومغرباً، وعشاء، على الهم الفادح، والشقاء المقيم، وعلى مرض الصغير، وغيبة المسافر، وضعف الحيلة، وفقر الحال. كانت تقسم يومها، ستة أقسام، تتخللها صلوات خمس، تستعيد في كل واحدة منهن دهشة الفجر الأولى - كما تستعيد بها عزمته الأولى.

كانت بأبسط عبارة، تجدد زماها، وتباركه، وتأخذه بقوة، وتستأنسه وتحله من نفسها مقاماً علياً.

وهي لم تلعن ساعة من ساعاته، أو يوماً من أيامه، ولا رأت فيه نحساً أو شؤماً، بل رأتها امتحاناً، وقبلته على نحو ما رأتها فقطعته بالعمل وعبرته بالصبر والمجاهدة. ومن هذا المثل يستدل الأستاذ العجلوني على أن الزمان ظرف محايد، نزكيه نحن، ويزكينا هو أيضاً، إذا ما ملأناه بالعمل الجاد المثمر. أو نسلب أنفسنا تلك الزكاة، فنكون من ذوي الخسر لا من الذين (آمنوا) و (عملوا الصالحات) و (تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر).

وأخيراً لا يسعني إلا أن أقدم شكري وتقديري للمؤلف على هذا الكتاب الفكري القيم. الذي بالإضافة لما يحمله من متعة اللغة يحرك فينا العقل ويشحذ منا الهمم، ويؤملنا بعصر فكري عربي رصين مستنير.

«فصول من النقد» للعجلوني :

قراءات وخطرات في قضايا أدبية^(١)

موفق ملكاوي

يتضمن كتاب «فصول من النقد» للكاتب إبراهيم العجلوني مقالات في النقد الأدبي، إلى جانب متابعات في الشأن الثقافي لعل أبرزها مقال حمل عنوان «قراءة الكتب بما هي مواجهة واختبار».

ويرى العجلوني أن عروض الكتب باتت تنافس الترجمات بما يصفه «الخيانة الأدبية» رثياً أنه صار «قصارى جهد المتأدب أن يقرأ ما يتيسر من تلك العروض مكتفياً بها عن قراءة الكتب نفسها، معتقداً في الوقت نفسه أنه أصبح ظاهراً عليها».

ويبين أن القارئ يبني من تلك القراءات «صورة شائهة للواقع الثقافي، لا تعكس من هذا الواقع إلا أطرافاً منه وجوانب من سطحه الخارجي».

ويتساءل في مكان آخر من الكتاب الصادر أخيراً عن منشورات أمانة عمان الكبرى «هل يمكن قراءة الأدب بمعزل عن قراءة الأديب؟ وهل يجوز افتراض وجود نص إنساني متحدر من المطلق لا يكون صاحبه إلا مجرد أداة تعزفُ عليها أصابع الدهر فتطلق الألحان؟».

ويذهب إلى أن تلك الأسئلة تبدو ضرورية في سياق الحديث عن «حقائق الأدب الإنساني» على نحو ما تمثلت في عباقرة العظام، مؤشراً بذلك على الروائي الروسي فيودور دوستويفسكي».

ويتصدى في كتابه لمقولة أن الرواية هي «ديوان العرب» غير منكر أن في «الروايات ما يستحق أن نسلكه في مقام ديوان العرب، وأن في الروائيين من يمتلك الأصالة والبيان الكفيلين بتهيئته لأن يتبوأ مكانه في هذا المقام» مستدركاً أن هؤلاء «قلة قليلة لا تشكل ظاهرة تستطيع إنزال الشعر العربي عن عرشه أو طرده من ديوانه أو زحزحته من أيوانه».

(١) جريدة الغد ١٤/٩/٢٠٠٨م.

ويصر على أن الشعر هو «ديوان العرب» مقرأً أنه يبقى «ديوانهم الأثير بلا منازع، وما دون ذلك إلا سمدير الأحلام وأمشاج الظنون».

وحول جائزة نوبل كتب العجلوني: إن ثمة مسافة لا تعبر بين الجائزة وبين المكافأة، ونحن لا نماري في أن مثل هذه الجائزة، حين تكون جائزة بحق؛ فإنها تكون قلادة أو وساماً على صدور مستحقيها.

ويتابع: لكننا لا نقبل أن نخدع أنفسنا فنراها، حين تكون مكافأة في غير صورتها من حيث هي ثمن بخس لمواقف مرفوضة أخلاقياً ومعرفياً، مواقف لا يرى بعضهم غضاضة في اتخاذها وهم يلهثون في رضى مانحيها (ومن وراءهم أحياناً) أو وهم يسقطون كالخيول الهرمة على أعتابها.

ويستذكر في الكتاب أدباء راحلين مثل عبد الحليم عباس الذي كتب عنه «كنت أتمنى أن أجلس إليه، وأن أحاوره حول مؤلفاته، وحول ما كتبه، بوجه خاص عن الحرية والأدب في كتابه عن السياسة والأدب، وأن أفيد من تجربته، وأن أسأله: هل يقتل الرجل الأدب؟ وهل رجل القيمة دائماً في كبد؟».

ويكتب عن محمد العزي: خاض تجربة السجن وتجربة التعليم وتجربة التفلسف، فكان من ذلك كله ما جعل من جلوسي بين يديه في مرات معدودة، معنى الحرص الحريص على ألا تذهب كلمة واحدة من دون أن تأخذ مكانها في بنيتي العقلية والشعورية. وتلك سنة وجدنتي ألزم نفسي بها في كثير من الحالات المشابهة، ولا أرى لها عنها حولاً إذا هي أحسنت القياس على ما كان من اعتقاد العقاد بأن الكتب تضيف حيوات إلى حياتك، وذلك باتخاذ الشخصيات الحية نفسها مدداً لك وذخراً والتماس القوة المباشر منها.

وحمل الكتاب الواقع في نحو ٢٠٠ صفحة من القطع المتوسط عناوين: قراءات وخطرات، في النقد والنظرية النقدية، في النظر الناقد، مفاهيم ومصطلحات، رواية وروائيون، مع نجيب محفوظ، سينما وتلفزيون، آفاق.

وصدر للعجلوني نحو ٣٠ كتاباً منها في الشعر: تقاسيم على الجراح، وحينما نلتقي، طائر المستحيل، فسيفساء أردنية، شعر وشعراء.

وفي مجال الدراسات صدر له: مسلمات في ضوء التحقق، في الفلسفة والخطاب القرآني، فصول في الفكر العربي، نحن وثقافة المستقبل، نحو حوار معقول مع الأمريكان.

كما صدر له عناوين مثل: الرافضون: مواقف وخطابات، الوعي المتمرد، الشذرات، في مرآة الإسلام، كتب وشخصيات، الكتائبون في ظلال الإسلام، أحزان مسيحية، رجال ومناهج، العقل والدولة، إضاءات وفي حوار الآخر واحترام الذات.

الصعلوك النبيل^(١)

مؤنس الرزاز

الصدیق إبراهيم العجلوني :

كُتبت يوم أمس عن مشروعك الروائي الذي يتحدث الفصل الأول فيه عن «حادثة» مولدك العجيبة التي تعبر عن حردك وعدم قدرتك على التأقلم مع كرتنا الأرضية. وكنت قد قرأت لي هذا «الفصل» فتحمست له حماسة هائلة، ورحت أضغط عليك كي تواصل الكتابة.. بلا جدوى.

وها أنت تعلن الآن عن اكتشاف، كنت قد وقفت على أسراره منذ زمن بعيد: «... إنه لا بد من «فتلان» من درجة ما، ومن رصد مختلف الزاوية، ومن ضربة على الرأس، ومن ألوان شتى من الجنون.. لا بد من هذا كله كي يكون المرء روائياً» ثم تضيف بعد فقرة: «ولعلي قادر هنا أيضاً على فهم المقامات والأحوال التي يعبرها الصديق «الروائي بحق» مؤنس الرزاز، وما يعانيه من أعراض الكتابة الروائية، حين تكون فعل وجود، وترجمة أمينة صادقة عما يصاحب ذلك من قلق وأوجاع، وما يكتنفه، جملة من طقوس...».

ها أنت تقف وتعلن بجرأة، كنت أفتقر إليها لأنني متوار وراء قناع وقور، أن الكتابة الروائية ليست حرفة خياط يفصل الثوب حسب الطلب، ولا تشبه صفة النجار الذي يفصل الأثاث حسب ذوق ومواصفات ومقاييس محددة، وإنما هي «فتلان من درجة ما». ولقد تعرضنا يا صاحبي، كما تعلم، إلى عشرات الضربات على الرأس حتى بات الزميل جورج حداد يشبهني بالمركب التائه في عرض البحر. وأنت تعلم أنني غير قادر على التأقلم مع كرتهم «مملك». وإنني أرغب في أن أشاركك القضية التي ترفعها على «عالمهم» في محكمة الكون، وتعلم أنني سأطلب أيضاً شهوداً إثبات على ما تم ارتكابه بحق روحي وروحك وأرواح كل صعاليك الجنس البشري النبلاء من جرائم تشيب لهولها النواصي.. كما تقول.

ولولا بقية من مناعة داخلية اكتسبناها عبر المران والتدريب والمجاهدة، ولولا بقية من حصانة روحية عكفنا على تنميتها كما يعكف المزارع على البذرة إلى أن تنمو وتصبح شجرة ذات جذور تضرب بعيداً في الأرض، لكان مصيرنا أقرب إلى مصير جيوش الفنانين

(١) جريدة الدستور ١٩٨٩/٧/٣٠م.

والمبدعين الذين انتهوا إلى المصححات، وقوافل الكتاب الذين قذفوا بأنفسهم من قطار الحياة قبل أن يصل إلى محطته الأخيرة!.

ولكن إلى متى، يا صديق الروح، نستطيع أن نحافظ على صيغة التوازن الهش التي تخفي وجه الصعلوك النبيل الخارج على القبيلة والسائد وتبرز، في المقابل، قناع الرجل الوقور المدجن؟.

تصور يا إبراهيم لو أننا لا نعشق هذه الحياة التي نعجز عن التأقلم مع جوانبها المظلمة! نعشقها.. لهذا السبب لا نفقد عقولنا. (هذا إذا لم نكن قد فقدناها بعد مثلما فقدنا قبعاتنا) ولا نتصالح معها، في الوقت نفسه، لأننا لا نطمئن إلا للكمال. تصور أي تناقض مفرج هذا؛ لماذا لا نهرب من المدينة إلى قفار المشاع؟ يقول صاحبنا فايز محمود. كلنا يحلم بكوكب أكثر جمالاً.

جبار هذا الذي يعجز عن التأقلم ولا يهرب. وقلعة حصينة ومنيعة تلك التي تتلقى القذائف والحمم والزلازل والبراكين وتنهار ثم تبعث من جديد بهية أكثر، عصابة أكثر.

ترى هل نصل، بعد لحظة، بعد سنة، بعد دورة فلكية، بعد ضربة أخرى على الرأس.. إلى مرحلة اللهاة؟ هل يدركنا التعب.. نحن الذين لا نصرخ حين نتوجع، وإنما نرقص مثل زوربا اليوناني؟.

ويبقى أن أذكرك بما تعاهدنا عليه: أن يتحد الصعاليك النبلاء الذين خرجوا على السائد، الذين نبذتهم قبائل الدواجن.. كي لا ينال منهم غول التعب واليأس والجنون.. فرداً فرداً. كي لا يستفرد بهم الظلام!.

مغامرة "المواقف" (١)

مؤنس الرزاز

كنا نحسب أن الإنسان المجازف في منطقتنا قد انقرض. وكنا نظن أن التجارب المريرة والطرق المسدودة والأسلاك الشائكة والأسوار المتعالية التي واجهت فرسان هذا العصر المضاد للفروسية قد بددت روح الفروسية وكرست الروح البراغماتية والحكمة الباردة والتعقل الجامد والتردد المشوب بميل نحو الإحجام.

وإذا بزميلنا إبراهيم العجلوني يقذف بالمفاجأة في البركة الراكدة، ويمتطي صهوة المجازفة، ويفتح النوافذ المغلقة الغبراء فإذا بها تطل على مشهد المغامرة الفجائية، فتذكرنا بأن «دون كيشوت» عصرنا قد يربح «حربه الخاسرة» ضد طواحين الهواء، عبر دروب المفاجأة والاستثناء غير المؤلف.

لجأ إبراهيم قبل الإقدام على مشروعه المغامر إلى الحكماء والمتعقلين من أصحابه، ملتمساً المشورة فنصحهم بعدم الإقدام لأن هذا العصر هو عصر «الفيديو» و«ألعاب الكمبيوتر». وضرب له الخبراء منهم مثل مجالات فكرية وثقافية وأدبية متميزة واجهت مصيراً مأساوياً. واستخرج آخرون آلتهم الحاسبة فحسبوا له بدقة حسابات الخسارة المتوقعة والكارثة المادية المحققة.

لكن «المواقف» صدرت، لأنها نتاج إرادة التحدي والخروج على المؤلف، ومخالفة القاعدة. والمغامرة لا تقتصر على الصدور بحد ذاته. وإنما تمتد لتشمل أحلام المجلة وطموحاتها. وفرسان المواقف يريدونها إحدى وسائل «تصعيد وتائر العقلانية الفكرية من جهة، وتعميق النزعة الروحية الوجدانية من جهة أخرى» (...) ويريدونها ذات منهج يقوم على ركنين اثنين: «أولهما معرفي خالص، وثانيهما اجتماعي سياسي..» وهم يحلمون بالمساهمة في تأسيس عصر تنوير عربي جديد لم يقم بعد من رماد القرون، على كثرة الدعاوي التي تعلقبت بذلك.

(١) جريدة الرأي ١٩٨٧/٨/٢ م.

حماسة غربية في زمن فاتر. وإقدام أصيل في مرحلة تردد وإحجام. وحرارة تستحق التقدير
في أجواء الوحشة الباردة المعتمدة التي تلف وطننا العربي الكبير. ومواقف جريئة في عالم
يطارد أصحاب المواقف فيه بكواتم الصوت.

فارس الكلمة العميقة^(١)

نايف النوايسة

كثير من أدبائنا ومثقفينا ليسوا بحاجة إلا لقلم وورقة وقليل من البسمات ليظلوا وراء مشاريعهم الإبداعية حتى ترى النور.. لكن الحياة بكل أعبائها تصد هؤلاء وتحاول أن تميت فيهم هممة الوقوف والاستمرار، ومع هذا كله يهبون واقفين ليواصلوا الحياة والابتسام والتفكير والكتابة مرة تلو مرة.

إبراهيم العجلوني اسم كبير في زمننا الثقافي لا يمكن تجاوزه أو تخطيه، لأنه استطاع في ما ينيف على ثلاثين سنة أن يكون أباً ثقافياً ولا يُذكر اسمه إلا مقروناً بالأستاذ، وحقه أن يأخذ موقعاً يستحقه بجدارة العالم والمفكر والحكيم فهو -بحق- فيلسوف الأدباء في الأردن ولا أظن أن أجد من يماري في هذا القول بعض المرء، لأن الرجل قدّم للدراسة والنظر ما يستحق الوقفة الصادقة والقراءة والموضوعية المتدبرة.

يقولون أن المعاصرة حاجز، وأقول أيضاً -إن صح هذا القول- أن الصداقة حاجز، فإذا كان ما قالوه وقلنا صحيحاً فنسئل ننتظر حتى يموت المثقف ليُكتب عنه شيئاً من باب «اذكروا محاسن موتاكم»، أنا لست مع هذه الحواجز فالعديد من مثقفينا يشكلون ظواهر ثقافية في هذا الزمن الذي نراه سريعاً في كل شيء، ومن مسؤوليتنا الثقافية أن يقرأ هؤلاء المثقفون ليس من باب التكريم وإنما لخلق أجواء ثقافية محمولة على العمق والجدّة ومواجهة الآتي، ووضع الكلمات الدالة في سياقاتها الحقيقية.

منذ «تقاسم على الجراح» والعجلوني يحملق، فارس الكلمة العميقة، بجراحات الأمة ويكتب لها علاجاتها الشافية، كتباً كانت أو مقالات صحفية أو مشاركات بحثية فهو محبوبس معها، مقترن بها، حتى وإن شغلته المشاغل وأخذت به بعيداً فإنه يرتد إليها قوياً لأنه على ثغرة خطيرة من ثغور الأمة، ولسان حاله يقول كما قال طه حسين في الأيام: «لم أكد أعرف الحياة حتى عرفت معها أني سجين». والأمر هنا يقتضي مقاومة السجن لتحميا

(١) جريدة الرأي ١٨/٨/٢٠٠٦م.

الحرية خارجه، ومن حقه أن يتساءل: «هل نحن حقاً في عالم غير حقيقي»، وأقول أن الكتابة المدهشة هي التي تنبثق من هذا التساؤل لاستيلاء عالم حقيقي.

عرفت إبراهيم العجلوني زميلاً وصديقاً وأخاً محبباً، وحمدت له توفره على القراءة العميقة التي تصل إلى حد القراءة الإبداعية المخبرية، فلا يفوته فهم ما يقرأ ولا وعي ما يفهم، ولا إعادة ترتيب المشهد وفق رؤية محكمة التدبير، ومذاهبه في القراءة والكتابة غير خافية عليّ، لذلك فإنني أجيد النظر إليه، وأعرف أين يختبئ العجلوني وراء اسمه الكبير اللامع.. وأقول أن الشهرة لديه لا تعني إلا مجرد كتاب يحصل عليه ليقراه ومكان يأمن فيه لحظة الكتابة ثم يطير محلّقاً كالسنونو في حديقته دائمة الخضرة.

يقول العجلوني: إن المثقف الحقيقي سياسي بالضرورة، وهو أسمى وأصح مقرباً إلى السياسة من محترفها، إذ أن انتماءه إنما يكون إلى الوطن بأجمعه وإلى الشعب برمته، لا إلى هذه الجهة أو تلك، وقد آن أوآن بحث هذه الإشكالية في مؤسساتنا الثقافية، لما يرتبط بها وجوداً وعدمًا من عوامل التردّي.

ومن لم يقرأ «الشذرات» للعجلوني وكأنه لم يطل على ساحة هذا الحكيم الذي قسّم نفسه ليحيا الآخرون كقول عروة بن الورد:

أقسّم جسمي في جسوم كثيرة

وأشرب قراح الماء والماء بارداً

نعم، هو النبل الذي لا يداني، وفي شذراته يقول: «لقد كتبت هذه الشذرات وأنا في كبد من عنت الحياة، وفي رهق من أحمالها، ولولا خشيتي أن أكون ممن يكتمون شهاداتهم لما جمعتها في كتاب.. «لأسباب كثيرة يراها الكاتب وفي الكتاب الثالث من الشذرات نقرأ عن الثقافة والوطن وعلاقتنا بالآخر والإعلام، وكل ما له علاقة بجراحات فلسطين، وما أجمل ما قال من توصيف للمرحلة التي نعيش: «نحن جميعاً» عالقون في الفخ! فأما أن نكون في صف الأميركيين ضد أمتنا، وهذا ما نرفضه رفضاً قاطعاً، أو نكون في الجاهلية العربية المعاصرة..».

وبيّن العجلوني باطل الأميركيين وباطل العرب، مذكراً أن الواقع العربي المعاصر في معظمه صناعة غربية وأنه قائم بفعل فاعل، وأن نيات الصانع ومراميه لا تخفى فيه على

المتدبرين، وأنها إن خفيت زمنًا على عامة الناس فهي ظاهرة لذوي الألباب في كل حين». ومع كل دقائق هذا التوصيف فالكاتب يعول على إحساس الأمة بذاتها وأن لديها في المكنون ما يعصف بالحسابات ويبدد الاحتمالات.

كتب العجلوني ما يزيد على ثلاثين كتابًا تستحق جميعها الدراسة، فهي مؤطرة بلغة متينة تشعر القارئ بأهميته وتحمل همومًا وموضوعات دقيقة ومهمة، ومن أهم الأسئلة التي طرحها في أحد كتبه «اللا حوار مع السادة الأميركان»: هل يكره العرب أميركا حقًا؟ ويجب عنه إجابة مقنعة لا مثلب فيها، وإن استعراضًا سريعًا لعناوين موضوعات الكتاب يجعل القارئ ينشد إلى عمق تجربة مثقف سياسي يضرب في عمق الفلسفة ليستوي الفكر سائغًا أمام كل حصيف نظيف يشرب الماء من مشاربه الحقيقية.

ومع كل هذا العطاء غير المنقطع، أقف عند مفصل أبكاني كثيرًا وأنا أضع أصبعي على غربته وسط هذا الضجيج، وهي غربتي بطبيعة الحال:

«أصيح، أستجدي، ألوب: دمعتين يا فؤاد دمعتين

لكنّما بترك أيها الضنين

نازحة، شحيحة، بعيدة الدموع

وليس فيك ثم غير جمرتين».

حول كتاب :

"نظرات في الواقع الثقافي الأردني"^(١)

نايف النوايسة

يبدأ الكتاب بمقدمة للدكتور سحبان خليفات تناقش مواضيعه مناقشة ساهرة وتستبطن حروفه بصورة واعية وراء المحور الذي يجمع شتات الكتاب، والوحدة الموضوعية التي تتلاقى فيها كل مواضيعه، ولقد جعل الدكتور خليفات (الأنا العربية) مهمة رئيسه ارتاد المؤلف عوالم الفكر من أجلها، خالصاً من كل ذلك إلى قيمة الكتاب الفكرية وأهميته للمكتبة العربية وأثره في خريطة الواقع الثقافي الأردني.

إن البحث في الواقع الثقافي مهمة صعبة، ذلك أن الاضطلاع بأعبائها يقتضي من الباحث قدراً من المعاشية المدركة والمعاناة الحقيقية لعناصر هذا الواقع، وقدرة على تحديد العوامل والظروف التي تحركه أو تعيقه عن الحركة، ثم يقتضي ذلك منه إسهماً إيجابياً في تحريك هذا الواقع حركة فاعلة، والمؤلف في ضوء ما تقدم قادر على المهمة لصلته الوثقى بالساحة الثقافية الأردنية والعربية وحضوره الواعي فيها، وسعيه الدائب إلى التغيير، وهو -على أي حال- يعلن عن نفسه بوضوح في مواضيع كتابه.

يقول الدكتور خليفات عن الكتاب (ليس كتاباً في النقد الأدبي ذلك أن ما بين أيدينا بحث نقدي في الثقافة العربية الراهنة..). أي أنه كما يقول الكاتب (محاولة أولية في البحث عن الذات (الذات العربية) وفي تلمس مقومات النهوض الفكري..). والبحث عن الذات العربية لا يكون وافياً إلا بالتعرض لعناصر الواقع الثقافي العربي، وتتبع الخطوات والوقوف على (ما) وصل إليه هذا الواقع، ثم تعيين الوسائل والأهداف التي تليق به، وفوق ذلك تحديد (الرابط، أو النواة) التي تمسك بأبعاده كلما أوغل، وتبعث فيه الحركة حينما تسكن أطرافه.

يتعرض العجلوني في كتابه لمواضيع كثيرة تقود القارئ إلى تحديد الرؤية الفكرية عند الكاتب، فهو في مفهوم الحداثة والمعاصرة يسلك طريقاً لخصه الدكتور خليفات في (نحن) في حاجة إلى علم الغرب وصناعته فقط أما القيم فلدينا ماض نستمد منه ضوابط سلوكنا..)

(١) جريدة الرأي ١/٤/١٩٨٠م.

لكن علم الغرب وصناعته لا يأتیان بدون قيم كما أشار الدكتور خليفات، فما الحل؟؟ هل ننبذ علم الغرب وقيمه ونقبع ساكنين في مسارب ماضيها أم نأخذ من الغرب علمه وقيمه ونقطع صلتنا بجذورنا؟؟ أو كما يقول الأستاذ محمد قطب (هل معنى ذلك أن نغمض عيوننا عن كل ما أحرزته البشرية في العصر الحديث من تقدم؟ ونلغي من حسابنا كل ما يسره العلم من خدمات؟) والجواب واضح وتلمحه في الكتاب، أي (إذا اجتمع علم الغرب وثقافتنا العربية التي هي بنت حضارة عريقة ذات خصائص متميزة.. توفرت لنا كل القوى المطلوبة وتحركنا كقوة مساهمة في رقي الإنسان وحمايته وتكريمه)، وأتساءل، ما الذي يمنعنا من أخذ علم الغرب ونبذ قيمه؟؟ ألم نكن هكذا في فترة سابقة حين ترجم علماءنا الفلسفة اليونانية ترجمة فقط؟؟ وما قام به الاتحاد السوفياتي في العصر الحديث أكبر برهان على ما زعمت فإنه أخذ التقنية الغربية بدون القيم، وأقام بهذه التقنية والقيم التي انطلق بها من الفكرة الماركسية صرح بناء ذا مسار متميز وأنا أشارك المؤلف رأيه بأن الحضارة العربية ذات الخصائص المتميزة تقبل أية جزئية (مفيدة) داخل إطار هذه الحضارة، ومن المتعذر علينا اتخاذ مسار متميز ونحن لا زلنا في اضطراب فاضح بين المدارس المناهج، والدليل الذي يستند إليه الكاتب هو هروب الكتاب إلى محاولات الشعر والقصة، وتخاذلهم أمام تحديات الفكر الجاد.

ويطرق العجلوني أبواباً أخرى لها من القيمة ما تجعلها جديرة بالقراءة مرات ومرات، فهو في القضية اللغوية يتصدى لكل الذين يحاولون إلغاء حركات الإعراب في اللغة العربية، زاعمين لذلك مزاعم شتى، أقلها جمود اللغة العربية عن مسايرة متغيرات العصر، لكن المؤلف يدحض هذا الزعم بحجة عملية أبرزتها دار مير للطباعة في موسكو التي نشرت العديد من الكتب العلمية باللغة العربية مبرهنة على أن هذه اللغة تملك عناصر بقائها، في حين نجد أصحاب اللغة ذاتها يستثقلونها ويأنفون من الكتابة بها وينزحون عنها إلى لغات أخرى. إن هذه النزعة الخبيثة التي ينادي بها أعداء الثقافة العربية ضرب من ضروب الاستعمار الذي أشار إليه المفكر مالك بن نبي -رحمه الله- في كتابه (وجهة العالم الإسلامي) الذي ركز فيه على قابلية الاستعمار الذي أودعها فينا الاستعمار. إن لغتنا العربية لغة فاعلة وقابلة لاستيعاب مستجدات العلم وقضايا العصر وشؤونه وليس أدل على ذلك من أن جملتها تبدأ بالفعل، وهذا ما يشير إلى الحركة والحياة والفاعلية.

أما ما كتبه العجلوني عن الأصفاذ فإنه يقول فيه (إن من لا يرى غير الأصفاذ الحديدية امرؤ عاجز تماماً عن استيعاب المأساة وتمثلها.. فنحن في عصر الأصفاذ فوق البنفسجية)، هذا البحث القيم الذي يفتش العجلوني من خلاله عن (الإنسان) كعنصر من عناصر الحضارة حقيق بالتوقف عنده والنظر في خطوطه العريضة، فالمؤلف بعد أن حدد ماهية هذه الأصفاذ من حيث المقياس، يبين التفاوت في أهميتها من حيث الطبيعة ومدى الفاعلية، والظروف الموضوعية التي تعمل من خلالها، ومدى مقاومة الشيء المصنّف (بفتح الفاء) أو انصياعه لها. ثم إنه - بعد ذلك - يتناول دور العقل في التحرر من الأصفاذ ويعتبره أكثر الأشياء تمرّداً، أما دور الخلق فلا يقل أهمية عن دور العقل، أو لعل الأهمية واحدة لكليهما، لأن التناقض بين القيمة الفكرية والقيمة الأخلاقية هو السبيل الذي تنوشنا به الأصفاذ وفي الكتاب (إن محاولات قهر المفكر إنما تبتدئ برصد وتوقع أي خلل في بنائه الفكري أو أي ثلم في دائرته الفكرية، فإن لم يكن توجهت الجهود إلى دائرته الأخلاقية فهي الوعاء الواقعي لفكره، فإذا كانت هذه مثلومة تسنى لعملية القهر أن تتم..)، أي أن المفكر المؤمن صاحب العقيدة - كما يرى - يختلف عن غيره بصورة جوهرية في ضوء هذا المقياس، لكن كيف يتسنى لنا إدراك هذه العلاقة في زمن شمله التزلف وعمه الرياء والمداهنة والولاء الأعمى؟ وهل بيننا مفكرون يضبطهم سلوك الدائرة الأخلاقية التي لا تتناقض مع الدائرة الفكرية؟؟ يحتمل ذلك، لكن لا بد للمفكر المؤمن من عقيدة سليمة يؤمن بها، وضوابط سلوكية من هذه العقيدة، وعلى هذا النحو يذهب العقاد في كتابه (أفيون الشعوب) إلى أن (تمحيص الكلام لا يغنينا عن تمحيص المتكلم... وبأن الكلمة تختلف معانيها باختلاف قائلها..). مشيراً بذلك إلى قوله ماركس (أن من لا يعمل لا يأكل)، فنحن لو طبقنا هذا الاتجاه على العقاد نفسه فماذا سيقول لنا المؤلف الذي خص العقاد ببحث رائع؟؟ لا ينكر أحد ما للعقاد من مآثر على الفكر الإسلامي فهو فارس بقلمه رائد في علمه، جريء في رده، فهل يشفع له كل هذا في مقياس (القيمة الفكرية والقيمة الأخلاقية) أو (المفكر المؤمن صاحب العقيدة) أو أمام قول العقاد نفسه (تمحيص الكلام لا يغنينا عن تمحيص المتكلم...) فالضابط السلوكي مقياس، وبالتحديد الضابط السلوكي الإسلامي.. وما طبقناه على العقاد نطبقه على الدكتور طه حسين الذي تعرض المؤلف لعالمه من خلال (جنة شوكة) وسواء كان طه حسين في جنة الشوك أو في إسلامياته فإنه لا يزال ذاك الذي كتب (في الأدب الجاهلي) و(مستقبل الثقافة

في مصر) و(الأيام) وسواها، ونحن حين نضعه على الصراط الذي أقامه الكاتب (القيمة الفكرية والقيمة الأخلاقية) فلا أدري كيف سيسير عليه الدكتور طه حسين. وأخيراً لقد تناولت في هذه العجالة بعض مواضيع الكتاب، تلك التي تظهر رؤية الكاتب الفكرية وتبرز حقيقة نظراته في الثقافة العربية.

صعوبة في فهم المعاني،

وتعمق في التعبير

يوسف الغزو

عن دار الكرمل للنشر والتوزيع صدر كتاب جديد للصديق إبراهيم العجلوني «فصول في الفكر العربي» هو كتاب صغير بعدد صفحاته كبير بما يضم بين صفحاته من قضايا دقيقة تناولها الكاتب بعد غوص عميق في لجج العتمة الفكرية التي تلف الواقع العربي. حتى ليكاد يطغى الغث على السمين، والطالح على الصالح.

ففي مقالة «في فقه الوقائع محاولة للتأصيل» يدافع الكاتب عن اعتماد القياس على الوقائع التاريخية في إصدار الأحكام الآنية... مستنداً إلى السنة النبوية وما نادى به المفكرون من الشرق والغرب.. ويسمي هذه العملية كلها بفقه الوقائع... ويقول عنها أنها «مزيج من المقايسة والتحليل»... ثم يدعو إلى «استخلاص المفاهيم والأحكام التي لها صفة الثبات في مثلها الأعلى، وإن تغيرت مفرداتها وقواها بتغير الأزمنة والأمكنة والناس.

والمقال طبعاً يستشهد بآراء عدد من المفكرين كابن خلدون والفيلسوف النمساوي لودفيج فتشتجاين. كما استمد من التاريخ الإسلامي أكثر الشواهد توهجاً حين أورد قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع الأعرابي الذي قال لعمر: والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا وجعل في هذا ومن هذا مقياساً للعلاقة بين الشعب والحاكم.

وفي مقالة «حديث العقل وحديث الواقع» يغوص الكاتب إلى قضايا أكثر بعداً عن السطح حين يناقش أثر الواقع الفردي أو الاجتماعي أو الاقتصادي في حيوية الأمة. كما يزاوج بين العقل والواقع... فالواقع هو العقل كما يقول هيجل والعكس صحيح... ولكن ليس كل ما هو منطقي عقلي أو واقعي... فالمنطق قد لا يستطيع ضبط بعض الأمور رغم أنها تبدو واقعية وبالتالي عقلية... ويخلص الكاتب من إحدى فقرات المقال إلى اعتماد المنهج العقلي المستند إلى أسس سليمة عقلانية... ويرفض المنهج الذي يستند إلى أسس خرافية حتى لو كان ينادي بالدفاع عن المستضعفين من الأرض.

«فعلى سبيل المثال، سوف نجد أن بعض رافعي الشعارات الأيدولوجية «التقدمية» أكثر تخلفاً في مناهج التفكير من أولئك الذين نراهم في الطرف المقابل، تماماً كما كان من أمر الشيعة الذين كانوا يدافعون عن المستضعفين في الأرض منطلقين من فكرة المهدي المنتظر والإمام الغائب. والمعتزلة الذين كانوا فلاسفة الدولة العباسية، وأكثر جماعة تعول على العقل في نسقها الاعتقادي في الوقت نفسه».

وفي مقاله «عن الحوار وشروطه الموضوعية» اتفق مع الكاتب في أن الفكر مغامرة لا تنتهي وأن الحوار الحقيقي هو الذي: «يغني الحياة» يهزها، يحقق أسمى تجلياتها... وهو الذي يقوم بين فكرين كلاهما يتجدد ويغامر ويكتشف... وكلاهما يسعى إلى الحقيقة. وأجدني أختلف مع الكاتب في فقرة الحوار القائم على أرضية التعدد... أو ربما جزء من الفقرة... فهو على حق حين يقول: «فإن مما يقتضيه ذلك أن نحترم الاختلاف بين الناس فيما يعتقدون، وفيما يرون من شؤون هذا العالم الذي فيه يضطربون. وأن لا نجور «على خصوصياتهم الدينية والقومية والوطنية». ولكنني أختلف معه حين يقول -«وأن نحتكم وإياهم إلى ما خلاف عليه من معايير العقل ونتخذ ذلك سبيلاً إلى ما هو أوسع حتى نتحقق لنا جميعاً قاعدة مشتركة تكون ميثاقاً إنسانياً وعهداً مسؤولاً. نقيم به مجتمعنا الواحد من جهة، ونشد به إنسانيتنا الواحدة من جهة أخرى»... والخلاف في هذا يستند إلى أنه لا حوار في مجال العقيدة. ولكن الحوار يبقى خارج العقائد وفي مجالات تنظيم العلاقات الإنسانية، والحقوق الشخصية والجماعية.. الخ... كما ينطبق هذا الخلاف على الفقرة «١٣» أيضاً... وبعد هذا اتفق مع الكاتب من ضرورة التكافؤ في الحوار... وإن مناهج البحث قد تكون أكاديمية صرفة... أو مناهج مبدعة خلاقة.

وفي مقالة: «تساؤلات حول العقل العربي» يرى الكاتب أن العقلية عند أية أمة من الأمم على أنها الصياغة الوجدانية النفسية الخاصة بهذه الأمة أو تلك... وهو من خلال هذا التعريف يختلف مع المفكر المغربي محمد عابد الجابري الذي يتفق مع «اللاندر» الذي يرى أن العقل ينقسم إلى قسمين، عقل مكون بكسره تحت الشدة على الواو... وعقل مكون بفتحته فوق الشدة... والعقل المكون من النشاط الذهني التي يصوغ القرارات ويكون المبادئ... في حين أن العقل الآخر هو مجموعة المبادئ المعتمدة أساساً... ويرى الكاتب أن هذا التقسيم غير دقيق بدليل أنه إذا كانت مجموعة هذه المبادئ المقررة هي جزء من

المبادئ الكلية الضرورية سقط التمييز أصلاً... «وإذا لم تكن كذلك أصبح وصفها بالعقل مغالطة مكشوفة ولم يعد ثمة مسوغ للتمييز كذلك».

وفي مقاله: هل يمتلك الانتحال الفكري مسوغاته المنطقية» يرى الكاتب ضرورة عدم لجوء المفكر إلى أفكار الآخرين. وأن يكون له فكره الخاص. وأن لا، يقيس الحوادث في مجال الفكر بمعزل عن الظروف السياسية والاجتماعية. وعدم حشر معطيات تاريخ الأمة في قوالب مستقاة من أنساق حضارية أخرى، ويضرب مثلاً بهيجل الذي عرف الدين بأنه «إحدى البرهات الأساسية في عبقرية شعب وروحه»... وفي الحقيقة فإن هذا التعريف يبدو مبتوراً إذا ما أريد انتحاله لتعريف الإسلام مثلاً... فالإسلام «قد فجر عبقریات مئات من الرجال العرب والفرس والترک والسريان وغيرهم» وليس العرب وحدهم.

وفي مقاله «كلام عن القضية الفلسطينية». يلمس الكاتب بقلمه صميم المشكلة وجذورها، ويرى أنها قضية قومية بكل معنى الكلمة، يشعر بها كل عربي قريب أو بعيد ويورد فقرات من مقال لمفكر جزائري هو محمد بشير الإبراهيمي يقول فيها. «يا فلسطين. إن في قلب كل مسلم جزائري من قضيتك جروحاً دامية. وفي قلب كل مسلم جزائري من محتكك عبرات هامية» وعلى لسان كل مسلم جزائري في حقل كلمة مترددة هي «فلسطين قطعة من وطني الإسلامي الكبير قبل أن تكون قطعة من وطني العربي». ويطالب الكاتب -أعني إبراهيم- باستقراء التاريخ... وملاحظة حس الجماهير لدى التصدي لمعالجة هذه القضية..

أما عن مقاله «دور البطل في التاريخ»... واتفاقه مع الدكتور محمود السمرة في التلميح إلى ذلك الدور لدى مراجعاته للكتب التي ينشرها في مجلة «العربي».. فإنني أيضاً أعتقد أن الفرد سواء كان بطلاً أو عادياً هو اللبنة الراسخة من بناء المجتمع الذي يقوم أساساً على أكتاف الإنسان الذي يشكله... فكيف إذا كان الفرد بطل عقيدة كمصعب بن عمير وسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري... أو بطل رأي كما كان سعيد بن المسيب وعمرو بن عبيد، والمنذر بن سعيد... أو بطل حرب كما كان عزيز المصري... أو بطل سياسة كما كان أحمد لطفي السيد... أو بطل أدب كما كان طه حسين والعقاد... أو بطل فلسفة كما كان مصطفى عبد الرزاق.

والخلاصة فإن القارئ لكتاب «فصول في الفكر العربي» يلمس فيه جهداً بالغاً... وعناية مفرطة بقيمة الفكر... ودعوة متجددة إلى التجديد في الفكر... وإن كنت لا أملك في نهاية هذه

العجالة إلا أن أضع بين يدي الكاتب ملاحظة حول صعوبة فهم المعاني وبعض التراكيب اللغوية، والتعمق في التعبير اللغوي لبعض المسائل... أرجو أن يرفق الكاتب بقارئه... وتكون وجبته اللغوية وتعابير المعنوية بحجم وجبته الفكرية متعة وفائدة وسهولة هضم....

«المواقف»

ما لها وما عليها^(١)

يوسف الغزو

حين أكتب عن «المواقف» التي صدر عددها الأول في أواخر الشهر الماضي فإنني أقدر ولا شك أولئك النفر الذين تحملوا عبء إصدارها بدءاً برئيس التحرير المسؤول الصديق إبراهيم العجلوني.. ومروراً بمدير التحرير والمحررين وانتهاءً بالمستشارين.. كل تحمل من فكره وجهده ووقته وبعضهم تحمل من جيبه عبء هذه الإضافة الجادة إلى سوق الأدب الذي يكاد يخلو أو يفتقر إلى مثل هذه الدوريات المتخصصة بقضايا الفكر، الملتزمة - مع ذلك - بمواقف جعلت منها عنواناً لها وشعاراً..

حين كانت «المواقف» في طور التكوين وحتى قبل ذلك حين كانت مجرد فكرة تدور في أذهان أولئك النفر الذين حملوا عبء إصدارها... لم أكن أتوقع أن تكون المجلة على هذا النحو من حيث الشكل على الأقل... ولا بهذا العدد من الصفحات.. ولا بهذا الإخراج المتقن والورق الصقيل... وإن كانت واثقاً بأن موضوعاتها لن تكون أقل مما وجدتها عليه.. فهي مجلة أستطيع أن أقول أنها أنيقة شكلاً وموضوعاً.. وأنها قد ملأت فراغاً مربعاً من الحركة الأدبية الجادة... وأنها قد ولدت وفي أعطافها بذور بقائها... وأنها تذكرنا بـ «أفكار» من حيث القيمة الأدبية وإن كنت لا أتمنى لها أن تتعثر كما تعثرت «أفكار» إلى أن توقفت عن الصدور منذ أشهر.

إن ما لمجلة المواقف كما أسلفت أنها قد استكثبت عددًا من المفكرين العرب والأجانب... وتنوع عطاء عددها الأول كماً وتنوعاً وتنوعت القضايا المطروحة من خلاله.. فكتبت السيدة ليلى عبد الحميد شرف عن الحركة الثقافية في الأردن... وطرحت الموضوع طرحاً جديداً حين ربطت الماضي بالحاضر على الصعيدين السياسي والثقافي... وكذلك على الصعيد الاقتصادي حين ربطت بين الاكتفاء الاقتصادي وأثره على النتاج الثقافي بشكل عام.

(١) جريدة الرأي ٢١/٨/١٩٨٧م.

وساهم الدكتور سحبان خليفات بالكتابة عن السمات الرئيسية لواقعنا الثقافي بما عرف عن الدكتور خليفات من شمولية النظرة ودقة التحليل.

أما الأستاذ حسني فريز فقد تناول الفكر الأردني من خلال بعده القومي... وتحدث عن ذكريات لديه تعتبر وبحق وثائق هامة في تطور الفكر الأردني بأبعاده القومية الراسخة... وعلاقة المفكر الأردني بالروح القومية وقضايا الوحدة العربية وفي ذلك يقول: «وبعد فإنني أحب أن أنظر من المفكر الأردني كيف يستطيع أن يكون شيئاً بعيد الهم واسع الآمال في الحاضر والمستقبل إن لم يكن من رجال الوحدة العربية».

وتتوالى المقالات فيكتب الأستاذ حسني عايش حول واقع العمل التربوي في الأردن. ويكتب الدكتور غصيب عن المغزى الاجتماعي للمؤسسة التربوية، ويكتب الدكتور فهدي الفانك عن الليبرالية في السياسة والاقتصاد. ويكتب مدير التحرير محمد ناجي العمارة عن العقل عند الأفغاني. والدكتور كمال ناصر يكتب عن المحامين العرب والحريات الإنسانية... ومحمد أحمد عواد عن جمال الدين الأفغاني في قفص الاتهام.. وليما نبيل... عن قرطبة.. مركز الحضارات... بالإضافة إلى الإصدارات الفكرية... وندوة عن تعريب التعليم الجامعي في الأردن شارك فيها الدكتور عبد الكريم خليفة والدكتور محمود إبراهيم والدكتور عبد اللطيف عربيات. كما يحق لمجلة المواقف أن تفتخر بأن خصها الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي بمقال خاص بعنوان «الإسلام دين الحوار والكلمة سواء» في حين كتب السيد عودة الله القيسي مقالاً في فلسفة المطلق لدى ذلك الفيلسوف الذي أعلن إسلامه قبل خمس سنوات وأصبح يعرف لدى المثقفين العرب بـ «رجاء جارودي». كل هذا بالإضافة إلى الافتتاحية التي كتبها رئيس التحرير عن عصر تنوير عربي جديد. استعرض خلالها وبشكل موجز ومكثف دور العقل في نهوض الأمة في الوقت الذي لا يلغي فيه دور النزعة الروحية الوجدانية ويقول: «إننا لا نعدم من هذا الاختيار إشارة واضحة إلى ما نعتقده من أن أي استنهاض لأمتنا لن يكون إلا بتصعيد وتائر العقلانية الفكرية من جهة، وبتعمق النزعة الروحية الوجدانية من جهة أخرى.

هذا ما للمواقف... وهذه هي إيجابياتها، أما ما عليها فهو في الحقيقة قليل... ويكاد ينحصر في خلو المجلة من الإبداعات الأدبية كالشعر والقصة والمسرح. ذلك أن هذه الإبداعات هي في حقيقتها ضرب من ضروب المعرفة الفكرية.. وتحمل في طياتها مواقف لا

تخفى على القارئ على أمور المجلة. فالقصة الجيدة موقف... وكذلك القصة والرواية والمسرحية... ولا يجوز أن لا يكون لها من «المواقف وبين مقالات المواقف» مكان. وإنني على ثقة بأن العدد الثاني من هذه المجلة سوف يتدارك هذا السهو غير المقصود. فنقرأ فيه ما فقدناه من العدد الأول الذي -ورغم هذه الهفوة- يظل عدداً متميزاً ممتازاً يحمل في أعطافه -كما أسلفت- بذرة بقاءه واستمراره.

كتاب جديد: نحن وثقافة المستقبل نظرات جديدة في الفكر المعاصر ومناقشة حادة لأزمة الثقافة الاختلاف في الفكر الإسلامي أوسع أفقاً من فكرة التعددية^(١)

محرر مجلة عُمان الثقافي

بعد كتبه فصول في الفكر العربي (١٩٨٧) ومشروعنا الحضاري وسقوط الليبرالية (١٩٨٥) وفي الفلسفة والخطاب القرآني (١٩٨٤) ونظرات في الواقع الثقافي الأردني (١٩٧٩) صدر للباحث الأردني إبراهيم العجلوني كتاب فكري جديد بعنوان (نحن وثقافة المستقبل). ويحمل الكتاب الجديد الرقم الثاني عشر في سلسلة منشورات وزارة الثقافة والتراث القومي بعُمان ويقع في ثلاثين ومائة صفحة ويضم من الأبحاث والمقالات عشرة نشر بعضها في مجلة (المواقف) التي أصدرها الباحث منذ سنتين كما نشر بعضها في مجلة (أفكار الأردنية) وبعضها ينشر لأول مرة.

ويحدد المؤلف إبراهيم العجلوني غايته من كتابه هذا بقوله أن الأيديولوجيا هي لاهوت مادي جديد يسيطر على ناشئتنا بأوهامه وأساطيره ويريد أن يروج في صفوفهم لأنماط من التفكير هي أبعد ما تكون عن تلبية الاحتياجات الفكرية والروحية لهذه الناشئة وهو بمقالاته وأبحاثه هذه يخوض جدلاً عنيفاً في محاولة لإرساء مبادئ مذهب إنساني جديد يلبي تطلعات الجيل العربي من بعض إن لم يكن من كل جوانبه.

وفي البحث الأول نقرأ وجهة نظر جديدة حول مصطلح (التعددية) الذي يتناوله المفكرون العرب على أنه يمثل التعبير الحديث عن فكرة تعايش التيارات المختلفة في صفوف المجتمع العربي الإسلامي من يمينيه ويساريه ومن طائفية وعلمانية ومن روحانية ومادية.

ويرى الباحث أن هذه الفكرة التي يسלט عليها الباحثون الضوء ليست جديدة على الفكر العربي الإسلامي وإن خيل لكثيرين أنها جديدة وجل ما في الأمر أن المحدثين استبدلوا لفظة تعددية بلفظ الاختلاف فكما يعنون بالتعددية تنوع التيارات الفكرية والفلسفية والذهبية

(١) مسقط / عُمان ١٩٨٩/٦/١م.

وتعايشها في إطار معين فقد عنت لفظة الاختلاف هذا المعنى بل تجاوزت ذلك إلى شمول التنوع العرقي والثقافي والديني ، وقد وردت لفظة الاختلاف في القرآن الكريم عدداً غير قليل من المرات وكانت في كل مرة تعني ضرباً من التنوع فقد عبرت عن التعدد في العالم الموضوعي سواء فيما يتصل بطبيعة العالم من جبال جدد بيض وحممر أو ما فيه من نبت مختلف ألوانه أو ما في خلق الله من تباين في الألسنة والسحنة وما في الأمم من تباين جاء بعد إيجاد ومنها الاختلاف والتعدد في الممل والنحل (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) فهذه الآيات تستغرق وفقاً لتقدير الباحث جل الممل والأديان حسب بل إن القرآن في رأي الباحث لم يكتف ببيان واقعة الاختلاف على مستويات العالم الموضوعي والاجتماعي والإنساني والممل والأديان حسب ما يجلو ويبينها على مستوى المدينة ودار الإسلام نفسها فتراه في سورة البقرة يقسم الناس إلى ثلاث فئات الأولى هي فئة المؤمنين (الذين يؤمنون بالغيب وقيمون الصلاة) ثم (الذين كفروا) وأخيراً فئة (المنافقون الذين يقولون آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين) .

ويحذر المؤلف بالطبع من دفن الرؤوس في الرمال على طريقة النعام التي ألهمت نفسها بعدم رؤية الصياد تجنباً للخطر الدائم أي أننا يجب أن لا نتهاون إزاء فكرة التعدد والاختلاف في مجتمعاتنا ويجب علينا أن نحول هذه الفكرة ذات المردود السلبي إلى فكرة ذات مردود إيجابي باتباع المذهب الإنساني الذي يصهر ثنائيات المجتمع في بوتقة واحدة.

وللمؤلف بحث آخر بعنوان (مقاسبات لزمان جديد) وهو مجموعة من الآراء في سلسلة الأبحاث والأفكار المذهبية الفلسفية والاجتماعية فمنها ما يتصل بأدبيات الحوار وقيمة الجدل من منظور عربي إسلامي فأساس الحوار في رأيه قائم على احترام وجهة النظر الأخرى.

وهذا ما تتسم به الحوارات الدائرة الآن في مجتمعنا الفكري فالأكثريّة الساحقة مع معتنقي المذاهب الأيديولوجية الحديثة وحتى المذاهب العلمية والفلسفية لا يولون الرأي الآخر أي اهتمام بل سرعان ما يحكمون عليه بالعجز والعقم آخذين بفكرة (الاحتكار المعرفي) وأنهم هم الذين خصوا بالعلم وغيرهم ليس له إلا أن يوصف بالجهل وهذه النظرة جعلت الأفكار الأيديولوجية التي يؤمن بها هذا الغريق من أهل النظر أشبه بنوع من اللاهوت ولكنه لاهوت مادي يقوم على نفي غيره.

وهذا في نظر المؤلف نوع من التفكير الدجماطيقي أي القطعي الذي لا يأخذ بالحسبان وجهة نظر الآخر

ويتناول في البحث نفسه فكرة التحولات السريعة في المجتمع وأثرها في فكره وحياته الروحية وقد ثبت أن التغيرات السريعة في المجتمع تترك بصماتها واضحة على كثير من النظريات الاجتماعية أو الاقتصادية والسياسية بحيث كانت هذه النظريات تضطر من حين لآخر إلى تغيير نفسها مراراً التواكب حركة الحياة.

ويستشهد المؤلف بأمثلة من التاريخ الغربي الحديث غير أنه عندما يتطرق إلى العالم العربي تفجعه حقيقة أن الفكرين العرب من تنويريين وغيرهم أغفلوا هذا فظلوا ينظرون إلى النظريات والأفكار نظرة غير تاريخية فمع أن المجتمع يتغير ويتحرك بسرعة إلا أن الأفكار لديهم لا يطالها التغيير لا تبعاً للزمان ولا تبعاً للمكان وهذه رؤية ثبوتية يرفضها العلم كما يرفضها الواقع وترفضها العقلانية.

وعوداً إلى «التعدد» فإن المؤلف يراه قائماً على الثوابت التالية:

* التحاور.

* العدل والإنصاف.

* عهد المواطنة.

* الموضوعية في التقويم.

* الاجتماع على كلمة سواء.

وبعد ذلك يتناول المؤلف كل واحد من تلك الثوابت مستشهداً بما شاء له الله من الأمثلة والنصوص القرآنية التي توضح كلاً منها توضيحاً لا يدعُ لبساً لدى القارئ مستعرضاً بعض ما جاء في كتب الحديث وكتب الفرق وبعض مظاهر الاختلاف التي وسم بها المجتمع الإسلامي مستنتجاً الأصول الجامعة لظاهرة الاختلاف عند المسلمين وهذه الأصول تؤكد ما يلي:

* الاختلاف سنة كونية وواقع موضوعي.

* الاختلاف سنة بشرية وواقع إنساني.

* الاختلاف طريق الوحدة كما أن الوحدة مُناخُ الاختلاف.

* الاعتراف بالاختلاف مقابل وهم الشمولية والكلانية وجل صنوف الإكراه.

* الاختلاف ضرورة ووعي هذه الضرورة هو مفتاح الفكر الإنساني الجديد الذي يريده الباحث.

وينظر الباحث إلى الفكر العربي المعاصر فيرى إلى أن هؤلاء المفكرين قد اتبعوا بعض المذاهب التي ترى نفسها دائماً على صواب وغيرها على خطأ ولا تعترف إلا بذاتها مذهباً فكرياً وما عداها متهم أو موضوع في دائرة العجز والقصور والتخلف والدعوة للماضي.

وهو يرى أن هذا الضرب من التفكير أياً كان مصدره يتعارض مع فكرة الاختلاف وأصحابه كأنما يريدون من الناس أن يخوضوا في الساقية وقد وضعوا على أعينهم غشاوة مما يحول بينهم وبين النجاة والخروج إلى بر الأمان والوجه الصحيح في نظره هو أن يواجه المسلم كل هذه التيارات بكل وضوح مهتماً بكل منها معطياً لكل مذهب منها اعتباره.

وهذه هي الركيزة الأولى للمذهب الإنساني ففي المذهب الإنساني لا توجد (أقلية) ولا يوجد فكر (رجعي) ولا يوجد مذهب (تقدمي) فلكل دورة وقيمتها بقدر ما يثرى تطورات الفرد إلى الكمال والتوازن والانسجام ولو نظر العرب المعاصرون بدءاً من عصر النهضة إلى الموضوع بهذا الوضوح لما وجدنا أنفسنا الآن ضحية التناحر والتمزق الذي يذكرنا بمصير دول الطوائف في الأندلس.

إن الخروج من هذه المحنة يحتاج في رأي الباحث إلى مشروع تربوي وإعلامي وثقافي.

ومثل هذه الرؤية في نظره تظل قاصرة على الإمساك بالحقيقة، وهنا لا بد من اتباع المذهب الإنساني الجديد الذي يسلم بضرورة التغيير مع كل واقع جديد مسقطاً من حسابه الطقوس المذهبية والدعاوى الأيديولوجية الفجة التي ظلت ترزح على صدور البشر رديحاً طويلاً من الزمن وكأنها تذكر بممارسات الكنيسة الظلامية في العصور الوسطى.

ونقرأ في كتاب العجلوني بحثاً قصيراً عن اليسار الإسرائيلي على الرغم من أن مفهوم (يسار) و(يمين) من المفاهيم غير الجذابة لدى الباحث إلا أنه يستخدمها هنا في سياق خاص

توجيه طبيعة المعالجة ففي ضوء التقارير العلمية لا يوجد يسار إسرائيلي فالإسرائيليون بحكم الواقع كلهم فئة واحدة مع وجود بعض الفوارق في التفاصيل.

فهؤلاء الذين يقال عنهم يساريون هم صهاينة أكثر من مناحم بيجن فالقبول باغتصاب فلسطين وتشريد أهلها لا يمكن أن يكون موقفاً يسارياً بل هو موقف خياني فليرد اليساريون الإسرائيليون ما سرقوه أولاً ثم بعد ذلك يجري الكلام عن أنهم يساريون أو يمينيون.

ونقرأ للبحث رداً على الدكتور هشام شرابي وزعمه أن تخلف المجتمع العربي الإسلامي الحديث وتمزقه وعدم لحاقه بالركب الحضاري الغربي مرده إلى تكوينه الأسري وبنيته الأبوية التي سماها التركيبية (البطركية) فالمؤلف هنا يرد على الدكتور شرابي بقوله أنه يقع في التعميم ويدخل المتعدد والمختلف في زاوية نظر ضيقة لا تقيم وزناً للاختلاف فالعالم العربي عالم واسع وفيه عادات وتقاليد متنوعة فالأسرة في الأردن مثلاً ليست مشابهة للأسرة في عمان أو في تونس أو في ماليزيا أو في السودان. أو في اليسن فكيف يطبق على هذا التنوع والغنى مفهوماً يفترض أن كل ذلك متجانس التركيب؟

كما نقرأ للمؤلف بحثاً آخر في علاقة الفكر بصاحبه فهو لا يؤيد الاتجاه إلى النظر للفكر مستقلاً عن صاحبه فلكل فكر مهما كان حظه من الموضوعية والتجرد العلمي صله بذات المفكر ويقتبس من كتاب الدكتور ماهر عبد القادر (فلسفة العلوم) بعض الآراء التي كتبها علماء في الفيزياء وعلماء في الحيوان يؤكدون فيها أن العنصر الذاتي لا يغيب حتى عن أدق التجارب المخبرية.

الغرباء..

إلى الصديق إبراهيم العجلوني^(١)

شعر: أحمد أبو عرقوب

«إنهم يستغلون كرمنا، ويفدون على بلادنا، فلا يحدقون إلا في الحجارة التي خلفها الغزاة المعتدون بعد أن عبروا هذه الأرض ذات يوم غرباء، وارتحلوا عنها غرباء..»

مروا غرباء..

مروا وباً سَمَّ لحم الصحراء

رسموا وطننا، زعموه لهم، فارتاعت آلاف الأشياء

كظمت في الم (جرش) النبطية قهر الحزن

ونامت زمنا في استرخاء.

سكنت كل خفافيش الليل بعينيها، والتفت برداء الظلماء

خطرت في طهر معابدها المسبية الهة (الاولمب) الرعاء

وجع (الحارث) يقطع في شريان القلب

وآلهة البلقاء..

تتضور -يا عيني- جوعا..

خلف شقوق الأرض..

وفوق الرمل الحارق في البيداء..

والرب الأغرقي المغرور..

تكرش من لحم القربان..

وعربد تيتها في الابهاء..

(١) جريدة الرأي ٢١/١٠/١٩٨٠م.

يا ويلي، فرسان الروم
اغتصبوا (تدمر) في وضح الصبح،
ومالوا عصرا.. (للبتراء)
واقنادوا الحارث في صغد مشؤوم.
مقرونا.. بالبنت (الزباء).
هل يندب حظا هذا الطلع المسموم..
اذ يتسكع في اقبية التاريخ المنسي..
ويقرأ في سفر مخروم..؟
هل يعرف أن القيصر جرح وجه الشمس..
وطارد قمر الشرق المظلوم..
وتعقب غزلان الصحراء..
ليرقم سطرًا في صخر المجد الرومي المزعوم..؟
ماذا ينبغي ذاك الطلع المسموم؟
إذ يبعث في ذاكرة الصحراء الوجع المنسي..
ويكشف عن عمق الجرح بأوعية القلب المكلم..
يتأمل أسرار الصخر، ويقرأ من نقش في باب الهيكل..
عن مجد الغربان الوحشية،
انظر:

هذي قطع الخزف الحمراء..

انظر: هذي الحفرة كانت يوما.. بئر دماء..

انظر: هذا جسد نبطي تتعشفه الأرض..

تأصل فيها، مد عميقا في رحم الأغوار

ليطلع عطرا، يتضوع في شجر الطرفاء..
لا تشغل نفسك فيمن حلوا غرباء..
ومضوا.. غرباء..
ما احتفلت أودية القدس بهم يوماً..
ما اعترفت بمعابدهم..
ما صلت في الأروقة المشروعة، البلقاء..
لا تشغل نفسك في غبش التاريخ..
وتعبر دهاليز الزمن الغابر..
تتهجى أسماء أناس الغرباء..
عين (الحارث) رغم مرور الأيام، تطل هناك..
كقبس من ومض البرق..
ونار الثأر.. وجرح القهر النكاء..
ويل للباحث عن أوعية الفخار العبري..
يترجمها وطناً..
ويكابر..
ثم يكابر. ينسج من هذيان الحلم، خيالات..
وتكشف عن أمل السر الأشياء..
يتهاوى الحلم..
وتشرق في وطن الاسراء...
يا طلع الروم المسموم..
شمس العرب الخضراء..

THE LITERARY CORNER

Koranic influence

مقالة بالإنجليزية للأستاذ أحمد جابر^(١)

“IN AL-SAREEH, my hometown in the northern part of Jordan, I was brought up by a benevolent, religious family. We used to gather around the fireplace reciting the Koran; a family member would read a verse, another member reads another verse and so until we finish a whole chapter and then move to another. My grandmother, a benign woman, used to recite religious, double-rhymed songs which we -the children of the family- learnt by heart due to frequent repetition.” Such was the atmosphere which produced a serious, talented poet called Ibrahim Al-Ajlouni. The poet is not a fundamentalist, neither is he a fanatic Muslim: “I am a true believer, that’s all. I even have friends among the toughest of radicalists with whom I objectively discuss the most complex matters of life.”

Ibrahim Al-Ajlouni, a soldier’s son, was born in the Jordanian town of Al-Sareeh in 1948. He spent his early childhood in the northern Jordanian village and then moved with his father to Amman, whose charm and love turned him into a devout Ammanite. He completed his elementary, preparatory, and secondary schooling in the capital. Like most of the Jordanian writers, Ajlouni graduated from the Arab University of Beirut with a B.A. degree in Arabic (quite phenomenal among the Jordanian poets). The writer occupied important cultural posts: editing secretary of “Afkar” magazine, chief of the cultural section at the Jordanian Broadcasting Station, and presently he is the cultural editor of Al-Rai’ daily. Ajlouni has two published verse collections: “Tunes on the Wounds (1973),”

(١) نشرت في جريدة "الجوردا تايمز" بعنوان: "الأثر القرآني في أعمال العجلوني": شاعر من الصريح.

and “When We Meet (1980).” The mystic poet has also the following books published: “On philosophy and Koranic Address (1984),” “Axioms in Light of Realisation (1982),” and “Views on the Jordanian Cultural Situation (1979).” He has many essays on Islamic culture and other serious matters published in the most highly esteemed magazines and dailies.

The Koran’s sharp influence on Ajlouni can be best reflected in the following passage which I quoted from his book “On Philosophy and Koranic Address.” The Koran is the quintessence, the means, and the end:

“The main idea which I advocated is that any attempt exerted to understand the Arab individual, history and thought should necessarily adopt the Koran as an axis, a starting point, and a refuge.”

The philosopher in Ajlouni believes that:

“Many men of thought in the West have begun a new, serious stage of investigating into our rightful religion, which we hope to lead them to the path”.

He also believes that the attempts of positivism do badly need: “Godly direction, void of vanities from the front and the back, for he who does not make God his light shall have no light.” (Purely Koranic language which delineates the Holy Book’s influence on the poet).

However, the Koran’s influence on Ajlouni’s poetry, despite the paucity of this poetry, is far more conspicuous. Although it is difficult to convey to English the Koranic diction which the poet used. I tried to indicate the words he used by putting asterisks

It should be noted, however, that the first four words -constituting the first four lines- in the following verse are impossible to translate; some Muslims believe that the usage of such ununderstandable

words denote the miraculous eloquence of the Holy Book:

“Kaf*

Lam*

Alef*

Meem*

The letters scream with determination

And the words have the taste of daggers

I blow thy balloon to help them grow

And you have to master dotting

The first is Kaf* and the last is Meem*”

In a poem entitled “Three Psalms at the Threshold of Night,” Ajlouni, still ladling from the Koranic diction, mystically addresses God to express his perdition and to ask for salvation:

“At thy door

My demolished temple heaped up, licking its deep wound

Cursing its bad luck

Emitting a puzzled tune from its rosy sadness

Groaning on the paths of wind, chewing the tune of pain

And searching for an echo lost in the vertigo of nothingness

Aimlessly wandering around while the sky’s ears are full of wax*

And a thousand grievances* in the eyes

And a thousand prayers*

And tears like stones blocked the aperture* of light,

And pulled it to the abyss* of darkness*

Tis good tidings* for thy beloved

Heralding the coming of thy rejoicing rain*

At thy door

I spent years inscribing the letters of my elegy
And watching my imminent death
'Tis told these were thy commanded terms
And these were the registration stamps in your sublime
Kingdom*

At thy door.

Ajlouni is also influenced by the Koranic style which, by and large, has always been affecting Arab writers and thinkers. Within this context the poet writes of Rima Tannus, a Palestinian commando woman imprisoned by the Israelis:

“Rima! I have no command over my destiny
Al-Ta’I’s fires were off, the knights went astray
And the shriek was sent back by the sand hills
I was left with no one but God and this sword
so I said I’d make a raid
Maybe, man would wake up
Maybe, Rima, man would wake up.

In the same poem which, in my humble opinion is his best ever, he follows his mystic lines as he addresses the Palestinian captivated heroine:

“Rima is my Arab Sphinx
The desert blaze with which I run after the rosy deer
The dawn breeze is proud of her, striving towards sublime zones
Rima, I have no command over my destiny
Whispering can become seductive at the doors of our city for
the guard,
The harlot, and the prisoner
And, sister of expatriation and sadness,

They'd tied my voice with a thong and thrown me in a well and said

'Tis a wonder what they said, sister, my torture was destined.

Our poet wound up dissecting the internal and external loss of the Arab individual, assimilating himself to the story of Joseph, whose brothers threw him in a well - an implicit allusion!

In a poem entitled "Bitter Grapes", Ajlouni, still resorting to the Koranic style, describes the absurd time of the present and the imminent explosion. He metaphysically poses the types of questions that absurdly dance at the edge of fear, inhibitions and uncertainty:

"What if a fiery quaver was sung in the wedding of the handsome?

Or the song of oppression?

What if moaning dies by embracing a storm?

And your patience papers are scattered

In the path of wind?

What if the wound penetrated into the wound of Christ?

Or melted as songs whispering to dawn?

Are you sustaining time and your worn-out loom wearing the dream?

Night... and illusion

Morning... and blood.

Ye, who weeps without refuge

Free your tears from captivity

And explode... This is the explosion time.

You and I

And everyone chewing silence

And everyone ridiculing this hatred
And everyone blowing fire in this mansion
And everyone living while dead
All of us, do sell in an auction the chastity of voice
But, my friend, if I choose, I would cross the river of silence
You and I.”

It seems that the defeated individual chose otherwise, for it is an “if”, not a determined will.

This beautiful, profound, and excellent poetry is a natural product by a talented poet delving deeply into his own Islamic culture - basically the mystic schools - without losing sight of the importance of the Western civilization - an educated poet is a rarity nowadays!

In the midst of the poetical draught and sterility which the Jordanian literary arena suffers from, Ajlouni’s poetry includes nothing hackneyed, or trivial. His poetry gives pleasure through musical quality as well as through temptation of beauty it inspires, beauty of thought, of feeling, of expression, and of technical skill. He even goes beyond that and tells us of our unspoken thoughts and our varied moods - quite phenomenal of good poets. Ajlouni’s few poems galvanise our souls from the slough of indifference and apathy into which most of us went to fall, into energy and hopefulness and renewed accomplishments - no wonder then, that many of the Arabic language Academy members rank him as one of the top poets of the country.

But Mr. Ajlouni stopped writing verse five years ago. This is absolutely a passive step on the part of a poet of Ajlouni’s calibre, a dilemma which we hope he will surmount very soon.

Ahmad Jaber

المساجلات والردود

بين يدي هذه المساجلات والردود

يضم هذا الباب المساجلات والردود التي شارك فيها كلُّ من إبراهيم العجلوني وإبراهيم سكجها وأحمد المصلح وجمال ناجي والدكتور عمر الساريسي ومحمد بديع عبد الدايم.

كما يضمّ محاضرة للعجلوني حول منهج جمال الدين الأفغاني في التعامل مع التراث، وتعقيب الباحث العراقي عبد الجبار سعيد عليها، ومحاضرة أخرى عن فلسفة التعليم في الإسلام وتعقيب الباحث اللبناني طارق متري عليها.

ويمثل هذا الباب؛ بما اشتمل عليه، صورة من جدل الفكر والثقافة في الأردن والعالم العربي ويبسّط جوانب من الحياة الأدبية والاتجاهات النقدية والذوقية التي عرفها المشرق العربي الاسلامي في الهزيع الأخير من القرن العشرين.

من ابراهيم

بقلم ابراهيم^(١)

ابراهيم سكرها

«لست اعلم على وجه التحديد، ما القوة الخفية التي تحول بيني وبين مهرجان جرش، منذ ان كان هذا المهرجان الى هذه الساعة من عمر الزمان.

لقد حاولت ان استجمع ارادتي مرارا لحضور شيء من النشاطات التي يعلن عنها كل عام، ولكن شيئاً ما كان يذهب بالارادة، ويميت العزم، ويتعدى بي آخر الامر عن ان اكون من المستمتعين بما يشتمل عليه المهرجان من صنوف الرقص والغناء والتمثيل والانشاد.

قلت في نفسي، ابتداء ربما اعتراني الوهن لما استشعره دائماً من ان امة تواجه كل هذه التحديات، وشعباً تتجهمه الايام، لا يمكن ان يكون على حال تسمح بمثل هذه الظاهرة، لكنني عدت عن ذلك الهاجس أو عاد عني، حين ايقنت ان ليس من حقي ان افرض رأيي هذا على الاخرين، وانني قد لا اعدم عدداً كبيراً من الناس يهتمهم ان يكونوا في سعة وبحبوحة وفرجة، للاسباب نفسها التي تحملني على تصعيد الاهدات ومجازبة الهموم!

ثم قلت في نفسي: قد يكون سبب هذا الحجاب ان الرومان هم الذين بنوا جرش القديمة مستراحاً ومرصداً، وانني لا بد مستذكر حقبة مرة من تاريخ اسلاف العظام حين اضطروا لخدمة الغزاة واحتمال ظلمهم، وان ذلك يغشى افقي بسحابة سوداء تحول بيني وبين الانفتاح الذي هو سمة رئيسة في المهرجان، لكنني عدت وقلت ان هذا سبب غير كاف وعلّة غير مرجحة، فلو كان المهرجان قائماً باسم «اليرموك» او «مؤتة» وهما رمزان عريانين اسلاميان خالصان، لما عدت نفراً آخر من المواطنين الذين يغضبهم مثل هذا التوقع الحضاري على الذات، ومن هنا فقد ضعفت حجتي، وفقدت ما يؤهلها لان تكون جزءاً من ارادة عامة، ينخرط فيها الجميع في عيد، اي عيد!

(١) جريدة الرأي ١٩٨٩/٧/٢٣م.

لم يبق اذن الا ان انظر الى المسألة من جانب اخر، قد يكون متعلقا هذه المرة باوضاعي المالية الصعبة، وبما اعانيه من صراع الكمبيالات الشهرية والدورية والفصلية، وبما تراكم علي من ديون، لكنني ما لبثت ان طردت هذا الخاطر «الشخصي» عني، لما يؤدي اليه من «لا يجوز» بين الذاتي وبين الموضوعي، او بين الخاص وبين العام، وذلك خطأ منهجي ما كان لي ان أقع فيه أبدا!

خلاصة الامر: انني لم اجد مسوغا «مقبولا» لهذه الجفوة القائمة بيني وبين المهرجان، فهي جفوة لا منطوق فيها ولا مدنية ولا حضارة روح، فضلا عن انني بصفتي هاويا كتابة الشعر، أخسر فرصة لا نظير لها، كي اكون نجما يشار اليه بالبنان، ويتحلق حوله الفتيات والفتيان، في حفلة «تواقيع» اسطورية قل ان وجود الدهر بها؛

وأية ما انتهى. اليه من حيرتي انه ليس من المنطق ان نحاول «منطقة» كل الاشياء والوقائع والاحداث وان هناك حالات لا يفلح العقل في فهمها او تفسيرها وان ما بيني وبين المهرجان لا يعدو ان يكون حالة من هذه الحالات.

وسبحان مقلب القلوب وغافر الخطايا والذنوب.»

كل هذا، بالنص، منسوخ من خواطر الصديق الزميل ابراهيم العجلوني، التي نشرها في «اوراقه» بالامس في «الراي»، وقد وجدت فيها «اصلا» ل «صورة طبق الاصل» ظلت تطوف في خاطري على مدى مهرجانات جرش الثمانية، فرأيت ان انقلها، واتبناها، وكأنما ان انسبها لنفسي، مع التحفظ على حقيقتين شخصيتين: الاولى، انني لست «كحيانا» الى درجة ابراهيم العجلوني، والثانية، انني لست ممن يهون الشعر او يتبعهم الغاؤون كما ابراهيم العجلوني..

وسلام الى ابراهيم... من ابراهيم!

قراءة حرة في نص حالم

ردا على اياد القطان في مقالته عن

"الحرية في ثقافتنا الوطنية"^(١)

* الاسلام محور اساس في النظرية القومية...

* القطرية ليست «مطلقا» نسبح بحمده ليل نهار...

* نشأ الاردن قوميا من لدن دخول الامير عبدالله اليه..

... اقول ابتداء انني سعيد بهذه المقالات التي يكتبها الاستاذ اياد ابراهيم القطان، لما تنطوي عليه من جرأة في التصريح بما يعتقد من جهة، ولما تلقيه في ركودنا العقلي من بواعث التفكير والتأمل من جهة اخرى.

وإذا كان اسلافنا في العهود القديمة يحتفلون بنبوغ الشاعر واحتناك الخطيب وقدرة الراجز، بصفة كون هؤلاء قادة روحيين، وناطقين اعلاميين، وكتابا لديوان العرب الذي يضم مفاخرهم واياهم واعرافهم ويحمل ما يعتقدون، فان علينا، اليوم، ان نحترف، وبالقدر نفسه، بالعقول الذكية، التي تستطيع ان تنجو من إسار ما هو اعتيادي وسائد ومألوف، وان تخترق سجف التضليل الايديولوجي، والجهالة، والتخلف، مؤكدة قدرتها على الرؤية المحققة، وعلى التحليل العميق، وعلى توجيه الوعي الوطني الى ما ينبغي ان يتوفر عليه من مقومات الحياة، واليقظة، والتنوير.

ولعل على رأس اسباب غبطني بهذه المقالات، وبالقليل القليل الذي يحذو حذوها في صحفنا الاردنية، انها تصدر، بوجه عام، عن استقلالية في الفكر، وعن رفض مبدئي لهيمنة العشائر الحزبية، التي أودت بوعينا الوطني، وحصرته في ازقة ضيقة ودروب موحلة، وجعلته مخاريق بايدي المضاربين الجهويين والمغامرين السياسيين، الذين غالبا ما يتمتعون، وبأهلية يحسدون عليها، بالنزق الايديولوجي والفراغ الفكري في آن واحد.

ثم انها، الى ذلك، تشتمل على غضب «عقلاني» ما كان احوجنا اليه، بازاء كل من العقلانية الباردة المستكينة التي تومض بمقدار وتضيء بمقدار، وتتحفظ مع نفسها قبل غيرها من

(١) جريدة الشعب ١٨/٤/١٩٨٨م.

جهة، والانفعالية المبتدلة التي يظن بعضهم انها قادرة عل جعل اللون الابيض الناصع احمر بلون الدم من جهة اخرى.

لقد ظلت كيمياء السياسة - بما تتضمنه من سحر الساحرين - حkra عل هاتين النزعتين اللتين تلتقيان في الائتمار بوعينا الوطني، وها نحن اولاء امام نزعة مضادة، نأمل ونشدد هنا عل كلمة نأمل، ان تكون. اذا ما تجاوزت فوضى البدايات، أن تكون اول الغيث فيما نحن بصدده من تنوير في كلا حياتنا الثقافية والسياسة.

على ان حفاوتي بما يكتبه الاستاذ القطان، وبدلالته العامة على المستويين الوطني والقومي، لا تحول، ولا ينبغي لها ان تحول دون اختلافي الشديد معه، على كثير من وجهات النظر التي يبديها وعلى المنهج العام الذي يضبط به حركة افكاره، وبخاصة حين يحاول ان يعود بمجموعات من الاسباب المتباعدة الى سببين اثنين لا غير، او حين يختصر الالوان المتميزة للواقع الثري في لونين اثنين حسب، او حين يعمد الى التبسيط الذي قد يكون مخلا، والى التنظير قريب المأتمى، الذي يريح كاتبه ويربك قارئه ويجانب الحقيقة في ضربة واحدة.

ولقد كان حريا بنا لدى محاوره الاستاذ القطان ان نحتكم واياه الى منهج واضح في مواجهة الوقائع السياسية والفكرية والاجتماعية التي تعتمل في حياتنا المعاصرة، وان نصدر معا عن مفاهيم محددة تساعدنا في امتلاك واقعنا بوعي محيط نافذ، بيد ان هذه مهمة شاقة الى ابعد حدود المشقة. فضلا عن انها في بعض جوانبها اقرب الى ما كان انتقده الفيلسوف الالمانى «هيغل» عند مواطنه العبقري "كانط، من تعويله عل تعلم السباحة نظريا قبل الدخول في الماء. وان غاية ما نطمح اليه في هذا الباب ان نتبين منهج البحث باسلوب اجرائي، او خلال مقالات الاستاذ القطان نفسها وما يمكن ان تشي به من ملامح منهجية.

لقد قرأنا للكاتب يوم الاثنين الموافق للثامن عشر من نيسان الحالي في صفحة «الرأى الآخر» من الشعب الغراء مقالة جامعة تحت عنوان رئيس هو «الحرية في ثقافتنا الوطنية»، وآخر توضيحي هو «افكار عديدة لوجهة نظر واحدة في الامن والحرية»، وقد اشتملت المقالة التي تمثل بحق اسلوب الاستاذ القطان عل ستة اجزاء جاءت تحت اللافتات التالية: العزل السياسي، اشكالية الحرية، نحو عقد ثقافي جديد، قضايا القومية، - الوطنية والحاكم.

وإذا نحن انعمنا النظر في الجزء الاول الذي يدور حول «العزل السياسي» او القهر السياسي كما اثبتته التجارب العربية فان اول ما يثير انتباهنا هو هذه الثنائية «القومية السلفية» التي يرى اليها الكاتب وهو يوزع اتهاماته فهو يبدأ ناعيا على جميع الانظمة «القومية» الحاكمة بطشها بشعوبها واسقاطها الشرعية عن معارضيها، وتوظيفها لثنائية «الكارزما والجماهير» ثم ينتقل دونما تسويغ منطقي او بافتراض انه يعرف ما لا نعرف، الى القول بان هذه المقدمات قد جعلت الطلب شديدا على نظريات المودودي حول المعارضة السياسية التي قارن احكامها باحكام اهل الذمة، أو الى القول بان «سيد قطب» كان للسلفية كما. كان «احمد سعيد» للقومية، وبان هناك التقاء ايدولوجيا بين السلفيين والقوميين، مبعثه وقوف الجهتين موقف العداء للرأسمالية، التي هي بكلماته «رمز اساسي من رموز الليبرالية الحرة التي تقبل اللامركزية والتعددية والحرية الطائفية والحزبية البرلمانية» وبان ذلك كله كان عللى نحو او آخر سبيلا الى اغتيال الحرية في ثقافتنا الوطنية!

اننا هنا امام خلط واضح للاوراق، أملته رؤية قد تكون مخرصة في المنطلقات وان لم تكن صائبة في الاحكام. وليس يستوي فيما نرى ولا في اي مقياس ان نضع «سيد قطب» المفكر والاديب والداعية الذي دفع حياته ثمنا لما يؤمن به في سلة واحدة مع مذيع هادر الصوت، ولا هو من العدل في شيء ان نساوي في تحليلنا للاحداث بين القامع وبين المقموع، بين الظالم وبين المظلوم، بين من تسلموا مقاليد الحكم وبين من احتوتهم السجون فضلاء عن اننا سواء في اطار الفكر الاسلامي الذي يصفه الكاتب بالسلفي او في اطار الفكر القومي لا نملك ان نقسم الرؤى والانظار والتصورات عل نحو نضع معه لافتة جامعة مانعة هنا ولافتة هناك ثم نكتب بالخط العريض: ها هنا القوميون.. وها هنا السلفيون!

ولعل من الجدير ذكره ان جمال عبد الناصر نفسه كان يتردد قبيل الثورة مباشرة عل المفكر الاسلامي سيد قطب وان ميشيل عفلق مؤسس حزب البعث قد كتب مرارا بان الاسلام هو الرسالة الخالدة لامة العرب، وان الفصل القسري بين العروبة والاسلام قد بات اليوم بتطور وعينا القومي موضع نقد شديد وان هناك اتجاها عروبيا قويا يتبنى الاسلام محورا اساسا في النظرية القومية.

ان هذا كله مما يمكن ان نتجاذب الرأي حوله مع الاستاذ القطان. فاذا اضفنا اليه ما ذهب اليه من ان كتاب سيد قطب «معركة الاسلام والرأسمالية» يجعله اشتراكيا نصرانيا في الوقت

الذي لم يكن فيه الاقتصاد الاسلامي كنظرية بدبلة قد ظهر فان من واجبنا ان نذكر الصديق الكريم بكتاب آخر لسيد قط سابق لهذا الكتاب هو كتابه «الاسلام والسلام العالمي» الذي يضع فيه «ملامح النظرية المالية في الاسلام» مكتفين بهذا هنا وموجهين النظر الى ان الكاتب قد استعمل حتى الان مفاهيم «العزل السياسي» و«القومية» و«السلفية» و«الليبرالية الحرة» وغيرها في حشد حاشد لا تقتضيه مجمل المعطيات التي وظفت هذه المفاهيم لتحليلها الامر الذي يظهرنا على قوة «هاجس التنظير» لديه وهو هاجس يصعب قهره فيما نرى ونلمس من تحليلات ذات وفرة في الاحكام الخافضة الرافعة التي لا تقبل المراجعة او الاستئناف!

اما الجزء الثاني من المقالة، والمتعلق بالاستبداد الشرعي، فيبدأ بمقدمة شرطية تتضمن حيثيات يصعب التسليم بها مع الكاتب.

يقول الاستاذ القطان: «اذا كان المثقف الوطني القومي والسلفي - ولنلاحظ الثنائية المريحة مرة اخرى - ينشر ثقافة مستبدة، وينادي بالمستبد العادل والزعيم البطل والحزب الواحد والدولة الحلم، فلا حرج على الحاكم الرسمي ان يصبح زعيما واحدا فالاستبداد الرسمي ما هو سوى مرآة عاكسة ومكبرة للاستبداد الثقافي الذي مارسه ثقافتنا الوطنية العربية، خاصة في النصف الثاني من القرن العشرين».

وانه لمن الممكن ان تظل المسألة مشروطة بوجود ذلك المثقف الذي يبشر بالزعيم البطل والحزب الواحد وما يجري مجراهما، فيكون قولنا ان الاستبداد الرسمي انعكاس للاستبداد الثقافي نتيجة مترتبة على مقدماتها او معلولا دائرا مع علتها، لكن الكاتب قد ضرب صفحا عن الشرط الذي يتضمنه السياق، واعتبر المسألة محسومة ومقطوعا بها، اذ لا بد لديه ان يكون المثقف الوطني «القومي او السلفي» مبشرا بالزعيم البطل، والحزب الواحد، والاستبداد، على الرغم من توافر الشواهد، عن يمين وشمال، على بطلان هذا الافتراض، وذلك لكي يتسنى له ان ينفذ الى الهدف الذي وضعه ابتداء نصب عينيه، وهو ادانة التفكير القومي برمته والمناداة بـ «الانتماء القطري الذي يتأسس على معارضة وطنية ملتزمة بدائرة القطر العربي الواحد» الامر الذي يمكن الخلوص اليه ضمن رؤية مغايرة تبقي للانتماء القومي حضوره وتجعل من التعددية القطرية التي هي واقع مؤسف لا نستطيع انكاره مرحلة من مراحل الكينونة القومية الكبرى، التي يشكل الاسلام ديننا وحضارة محورها الرئيس.

اننا بالضرورة مع الاصلاح الداخلي الذي ينادي به الاستاذ القطان ومع الحد من التسبب بكبح الاستغلال وبالقضاء على الرشوة وبالاصلاح الاداري وبحفظ الحقوق ولكن من قال ان هذا كله سوف يأتينا على طبق من فضة حينما نجعل من انتمائنا القومي نسيا منسيا ونكتفي بتلك الواقعية السياسية ضيقة الافق التي تريد ان تحشرنا في اطار الاقليم المحدود الذي نريدنا القوى المعادية على جعله «مطلقا» نسبح بحمده ليل نهار!

اننا حتى لو قصرنا الامر على تجربتنا الأردنية فسوف يتبين لنا ان هذا البلد العربي قد نشأ قوميا من لدن دخول الامير عبد الله اليه ابان الثورة العربية الكبرى وانه بحكم هذه النشأة سوف يستمر قوميا على الرغم من جميع التحديات التي تضغط في اتجاه العزلة والقطرية.

بل ان شهداءنا في الازمنة الحديثة وفي جميع معارك التحرر والاستقلال انما واجهوا الموت بيقين عربي اسلامي وبايمان لا يشوبه ادنى شك بانهم يدفعون عن حياض «الامة العربية» بكل ما تحمله هذه الكلمة من دلالات..

اما قول الاستاذ القطان «ان الانتماء القطري الذي يتأسس على معارضة وطنية ملتزمة بدائرة القطر العربي الواحد يعمل بالضرورة على تحويل، اجهزة الامن، الى امتداد طبيعي لهذا الانتماء وحارس. امين لها وبدعم من المعارضة الديموقراطية نفسها» فهو محمول وبلا اي تردد على معنى «الحلم السعيد» غير مترابط الأجزاء الذي نود ان ندخل فيه مع الكاتب وتحويل بيننا وبينه وقانع شرسة متكاثفة من المحيط الى الخليج ومن جنوب السودان الى اقاصي تركستان..

والذي نخلص اليه من هذا الجزء ان الكاتب يصادر على مطلوبه ابتداء.. مصادرة ضمنية غير مصرح بها وانه يقفز بين المعطيات ويتأولها على النحو الذي يظنه مفضيا الى غايته التي علق بها بصره بادي الرأي، وانه يقيم محاجته على رؤى لا على وقائع ثابتة ثم يربط بينها ربطا اعتنافيا، كأن يقول مثلا «ان الظاهرة العامة هي ان اكثر الانظمة العربية استبدادا هي انظمة ليبرالية حتى تلك التي تتسربل بلبوس الاشتراكية» ثم يستدرك قائلا: «ولكن لا ينكر احد بانها ليبرالية مشوهة وفسادة واستغلالية» ولماذا؟ «لان المعارضة الوطنية غائبة عن ساحة المحاسبة البرلمانية وكذلك مطاردة منبوذة من قبل ثقافتنا الوطنية» ولماذا؟ «لان المعارضة الوطنية الملتزمة بدائرة القطر الواحد متهمه بالانفصالية والانكفائية والانبطاحية وحتما بالقطرية».

وهكذا فالبناء الرياضي للفكرة التي يدفعا اليها الاستاذ القطان قائم على افتراض صدق مقدمته الاولى التي ينقض بعضها بعضا كما ينقض الاستبداد الليبرالية، كما انه بناء لا تستلزم قضية فيه قضية اخرى الا ان يكون ذلك لزوما نفسيا خاصاً لا يحتمل المناقشة من قريب او بعيد.

اما حديث الكاتب عن «اشكالية الحرية» فهو غير موضوع للنقاش، من حيث تحديد عناصر هذه الاشكالية وذلك بسبب من التعويل الكامل فيه على كل من محمد عابد الجابري وهشام شرابي وهشام جعيط: الاول في تحديد مفهوم الاشكالية والثاني في تحديد مفهوم البنية البطركية والثالث في تحديد مفهوم الكليانية وهي مفاهيم مقتطعة من سياق اجتماعي وحضاري مختلف ولا يمكن ان نسلم بها مع الكاتب او مع الدكاترة الذين وافقهم عليها الا ان نسلم قبل ذلك بتطابق تجربتنا العربية بكل ابعادها مع التجارب الاوروبية الحديثة وذلك ما لا يقوله حتى الاوروبيون انفسهم.

اما من حيث انخراط هذه العناصر في بنيتنا الاجتماعية والسياسية فيمكن ترجمته بحسب اقوال الكاتب الى المعادلات التالية:

* البنية البطركية = التمسك بمبدأ المستبد العادل والزعيم البطل.

* النضال التحرري المستمر = لا وقت للتفكير = البحث عن الحلول السهلة الجاهزة في تاريخنا واساطيرنا.

* الاشتياق للمظلة الوحودية = العيش في حالة الدولة الحلم على حساب الدولة الواقع.

والنتيجة المتحصلة من هذا كله هي كما يرى الاستاذ القطان العداء الشديد في ثقافتنا الوطنية للفكر الليبرالي الحر الطليق!!

ان باستطاعتنا لولا ضيق المجال هنا ان نسهب في بيان ان مفهوم البطركية قائم اساسا على عقدة «اوديب» وعلى تحليلات «فرويد» وانه قد وظف توظيفا خاطئا لدى الدكتور هشام شرابي نفسه، وفي اثبات ان النضال التحرري حافز للتفكير وانه جانب ذو اهمية كبيرة من جوانب التحدي الحضاري الذي نخوضه وفي اثبات ان الوحدة العربية وبالارقام ضرورة يملئها الواقع الفسيفسائي المقيت الذي نحياه لا حلم رومانسي ووهم وهم كما يريد لنا كثير من المتصارخين حولنا هذد الايام ان نعتقد ونستيقن.

نقول ذلك ونحن أكثر ما نكون اتفاقاً مع الكاتب على أهمية الحرية وان كنا نحب ان نحدّد (مفهومها) ونبيّن (ما صدقاتها).

واذ نفضي الى «العقد الثقافي الجديد» الذي يقترحه الكاتب للخروج من المأزق نجده قد صيغ - وهنا المفاجأة - بروح «سلفية نهضوية حقيقية!» ونجده لا يعدو ما قاله «عبد الحميد الزهراوي» فيما نقله الدكتور فهمي جدعان في كتابه «اسس التقدم عند مفكري الاسلام»، وذلك:

* ان لا نجعل بيدنا كل شعوب اوروبا خُصوماً لنا دفعة واحدة.

* وان يشغل كل شعب منا بتقوية نفسه ولا يتلهى بتأميل غيره.

* وان نبقى متذكرين خير اوروبا وشرها ومتيقظين لهما.

* وان نتذكر وجوب التعاطف بيننا وان نعمل بالحكمة ونترك الكلام الفارغ.

وهي كما نرى نصائح ساذجة لا ترقى الى ان تكون عقداً ثقافياً نواثق انفسنا عليه ونتخذه عهداً بيننا فضلاً عن انها تهوّم بعيداً عن مسألة الحرية والامن والثقافة الوطنية وانها لون من الحل السهل الجاهز الذي يتمتع بروح بطركية تحسن النصح في غير موضوع البحث..

لقد كانت هذه كلها مداخل متباعدة الى بيت القصيد التي يلقيه علينا الاستاذ القطان في الجزء الموسوم بـ «قضايانا الوطنية» من مقالته فهي اشبه ما تكون بالتهيئة النفسية لتقبل مجموعة الافكار التي يزيد فيها من دواعي الاختلاف.

وانه لمن حق الاستاذ القطان ان يطرح المعادلة التي تستهويه حول «الديموقراطية القطرية الليبرالية التعددية الحرة!» وان يذهب في اثبات صحتها المذهب الذي يريد.

بيد ان ذلك لا ينبغي ان يكون على حساب مسيرتنا القومية ونضالنا الوجدوي وتجربتنا التاريخية وشخصيتنا الحضارية.

انه لا يملك الحق في الغاء ذلك كله، او في اعتبار «الوطن العربي» الذي نكافح منذ قرن ونيف من اجل وحدته وهماً من الاوهام او وطناً مثالياً معنوياً يستحب ان نتركه في متحف التاريخ لنحقق ذلك «الانتماء القطري النهضوي الديناميكي» العجيب!!

عل ان الاستاذ القطان لا يكتفي بذلك فهو مشغول باقناعنا ايضا بان الامة الاسلامية لم تكن امراً واقعاً في يوم من الايام فكأنه يأبى الا ان يلغي العروبة والاسلام في «ضربة معلم»

واحدة نطلق بعدها متخفين نحو تلك «المعارضة الوطنية الليبرالية المنتمية والملتزمة بالقطر العربي الواحد» او نحو ذلك النبت الشيطاني المتراقص في ضباب الاحلام.

لقد كان بإمكان الكاتب ومن ايسر سبيل ان ينادي بضرورة ان تكون لنا مؤسسات شورية - من الشورى - او ديموقراطية فلا مشاحة في الاسماء وان تكون لنا في هذا الاطار الاصيل معارضة وطنية داخلية غير موحى بها دون ان يجعل من الدين والامة والوطن العربي الكبير اوهاما، ودون ان يقطع دعوى الحرية التي نريدها جميعا من جذورها او يجعل منها خطابا فانتازيا معلقا في الفضاء..

لقد امتلك الاستاذ القطان، فيما نرى. مسوغات البحث واسبابه الوجيهة لكنه لم يضبط الرؤية ولم يدقق النظر، ولم يتبين مواضع الحجاج، فكان ما كان، في مقاله الجامعة «غير المانعة» من آراء وانظار وأطاريح، يمكن ان نصفها، مطمئين، بالوجد البطرقي الحالم، وبالعزل الفكري الظالم، وبانها، اولا وآخرا، اجتهادات خاطئة، لن تعدم الاجر، فيما نرى، وان عدت الصواب..

فهم ملتو

لمعنى التجديد^(١)

إبراهيم العجلوني

يريد منا السيد جمال ناجي رئيس تحرير مجلة أفكار التي تصدرها وزارة الثقافة استحداث «خطاب ثقافي جديد» نتحرّر به، حسب ما صرّح به في مقابلة مع «الرأي» مؤخراً، من إرث الملفات المتقدمة ذات الصلة بالادباء اصحاب القامات العالية الذين فارقوا الحياة».

وقد نفهم معنى «الجدّة» التي يريدها السيد جمال ناجي من حديثه الغامض عن ما يسميه «اعادة تحليل وتأهيل» مبررها عنده «أن ما كان ممكنا فيما مضى من العقود لم يعد ممكنا الان، وانه يريد «ملفات ثقافية محايدة ولتتنا نعرف معنى المحايدة هنا - قادرة على التقاط القضايا الثقافية التي تسهم في تحولات عالما».

فاذا استوى لنا فهم من أية درجة أو على اي نحو مما سبق فإن في طوقنا أن نحسد بما يريده رئيس تحرير المجلة الثقافية الاردنية الاولى «افكار» في نزعتة «الانقلابية» هذه على الآباء والاجداد وان نتصور ذلك لون تصور في النقاط التالية:

اولا: لا ينبغي لنا، في ضوء عملية اعادة التحليل والتأهيل التي ينادي بها السيد جمال ناجي، الحديث عن شخصيات ادبية اردنية أو فلسطينية مثل عرار و خليل السكاكيني والبدوي المثلث ومحمد اديب العامري واسحق موسى الحسيني، وابراهيم طوقان واديب عباسي وعبد الحليم عباس وخالد الساكت وحسن فريز ومحمد صبحي ابو غنيمة ورفعت الصليبي وشكري شعشاعة وتيسير سبول ومؤنس الرزاز وفايز محمود وادوارد عويس وابراهيم المبيضين وعيسى الناعوري وأمين شنار، وكثير غيرهم، بحجة أن «اصحاب هذه القامات قد فارقوا الحياة».

وإنه لتحصيل حاصل، بحسب هذه النظرة، أن يكف اخواننا المصريون عن كل حديث يتعلق بنجيب محفوظ ويوسف ادريس وامل دنقل وصلاح عبدالصبور وعلي محمود طه

(١) جريدة الرأي ٢٠١٧/٧/٤م.

واحمد شوقي وطه حسين والرافعي ومحمود حسن اسماعيل، وكثير غيرهم بحجة «ان اصحاب هذه القامات قد فارقوا الحياة».

ولا نريد أن نذهب وراء ذلك في بيان تهافت هذه الحجة، وكونها دليلا على فهم ملتو وقاصر لمعنى التجديد، لأن ذلك سينتهي بنا الى واقعة رفض نزقة لكل مقومات شخصيتنا الثقافية (الاردنية العربية الاسلامية) منذ بزوغ فجر الاسلام الى اللحظة التي حظيت فيها «افكار» بالقاص المجدد السيد جمال ناجي، وبخطابه الثقافي الذي يقوم عنده على ما يراه تحليلا (وما ثمة تحليل ولا تأويل) أو على ما يراه تأهيلا (وما ثمة الادعوى لا نحب الخوض هنا في اساسها الفكري والنفسي).

ثانيا: نفهم من كلام السيد جمال ناجي أنه يتصور ان الاسهام «في تحولات عالمنا» يقتضي التنكر لتراث اعلام الفكر والادب السابقين، وتلك دعوى تقوم الشواهد في «عالمنا المعاصر» على بطلانها، وحسبك أن تنظر - إن كنت تصبر لذلك - في اداب الامم التي تسهم اليوم في «تحولات عالمنا، اسهاما عظيما، كالروس والصينيين واليابانيين والهنود والفرنسيين والاسبان.. اتراهم تنكروا لاولئك «الذين فارقوا الحياة» كما يقول السيد جمال ناجي بصريح العبارة.

ثالثا: لقد كان مما قاله الشاعر والناقد الانجليزي «توماس ستيربر اليوت» إن اكثر الادباء قدرة على التجديد هم الذين تتبين في أصواتهم نبرات الاجداد.

وكان مما قاله «ميشيل فوكو» في كتابه: «نظام الخطاب» - وكذلك في كتابه عن «حفريات المعرفة» - ان خطابنا الثقافي - في اوربا - يمتد منذ ما قبل طاليس الى ما بعد سوسير.. ولم نر أيا من هذين الناقلين المفكرين ولا احدا ممن فهموا معنى الحداثة والتجديد، ذهب الى ضروره طي ملفات اولئك الذين فارقوا الحياة» على نحو ما ذهب محرر افكار المجدد.

ولعل السيد جمال الناجي لم يسمع بالارسطيين الجدد، نسبة الى «ارسطو» وبالكانتيين الجدد - نسبة الى عمانوئيل كانت- وبالهيجلين الجدد - نسبة الى هيجل. إذ أن أول ما يتبادر الى الذهن السليم أن هؤلاء جميعا بنوا أفكارهم وفلسفاتهم على ما كان قاله اولئك «الذين فارقوا الحياة» وأنهم صدروا في «ملفاتهم الجديدة» عما كانوا أبدعوه.

إن ما نتبينه من تهالك هذه الدعوى الداخضة قد يدفعنا الى «اعادة تحليل» أعمال السيد جمال ناجي نفسه، فلربما أمكن لنا ان «نؤهل» أنفسنا لمزيد فهم للبنية الشعورية والفكرية التي تكمن وراء هذه الدعوى التي نعتبر هذه الكلمة مقاربة اولى لها، ونعد قراءنا بمزيد كشف وإيضاح لمنطلقاتها وغاياتها، وللحديث صلة.. بل صلوات.

وماذا عن الفهم القاصر للتجديد؟

رداً على مقالة العجلوني

• جمال ناجي

واضح أن أفكاري التجديدية لم تعجب السيد ابراهيم. وبالطبع فأنا لا أستثني كلمة واحدة مما ورد على لساني في ذلك التصريح الذي أدليت به للرأي، إذ ليس لدي ما أخفيه وليست لدي أصوليات مستترة توظف بكائيات الراحلين لتحقيق أغراضها.

لكن يبدو أن المسألة مع السيد ابراهيم «ليست رمانة»، إنما هي «قلوب مليانة» على خطاب الثقافة المدنية والتجديد الثقافي الذي تتبناه «أفكار». وليت العجلوني اكتفى بعدم التدقيق، إنما هو اجتزأ من التصريح ما قد يسعفه في تشويبه لما قلته مكتفياً بعبارة وردت في السياق حول الأدباء المتوفين، وهنا لا بد لي من أن أعرج على لفظ «المحاينة» المشتق من حيث الظرفية، والذي قلبه ابراهيم وأورده في مقاله (محاينة) متسائلاً عن معنى هذا اللفظ الذي قام هو بتبديل ترتيب حروفه بما يخدم مبتغاه.

إلى هذا الحد؟ أهكذا تحاكم الأفكار.

طيب، ماذا نفعل أكثر لكي تكون مطمئناً على مستقبل ثقافتنا العربية باعتبارك «الحارس الأمين عليها»؟ ففي نهاية الأمر مجلة أفكار ليست حلقة ذكر وتكرار، إنها ابنة الحياة والشريكة الثقافية المعرفية في صياغة حاضرها ومستقبلها، ومن يرى غير ذلك عليه إعادة تأهيل نفسه بما يتوافق مع متطلبات عصرنا.

لن أهبط إلى مستوى ألفاظ وعبارات التحامل والتهكم التي يعج بها مقال السيد ابراهيم، كما لست معنياً بكيفية فهمه تلك الفقرة التي تتحدث عن الملفات الدورية لا عن المواد التي ما زالت افكار تقوم بنشرها عن الأدباء الراحلين في أعدادها المنتظمة، أما إذا كان الكلام غير مفهوم له، فسأحيله إلى رد إبي تمام: لم لا تفهم ما يقال؟

إن النهج التجديدي الذي اختطته «أفكار» ليس وليد اجتهاد شخصي إنما هو محصلة نقاشات وحوارات بين أعضاء هيئة التحرير على مدى جلسات عدة، وجميعهم أساتذة وأصحاب اختصاص لا يخدمهم مقال مجحف هنا أو هناك، ولعلم ابراهيم، فليس في واردنا

التراجع عن نهجنا الذي اتخذناه خدمة لمجتمعنا وتحسينا له من موبقات الفهم المتكلس للتطور الإنساني ومتطلباته المجتمعية والمدنية.

أمر آخر يثير الاستغراب وهو وضع ثبث بعشرات الأسماء من الأدباء في المقال المذكور، بما يشبه دليل الهاتف، بقصد استعراض المعلومات، مع اننا في عصر الانترنت وبوسع اي كان تحشيد مئات الأسماء ووضعها في واجهات العرض خلال دقائق، فضلا عن أن المبالغة في الاستعراض لا تعزز مكانة أحد بقدر ما تسهم في تقويض تلك المكانة، إن وجدت.

تمنيت لو قام السيد ابراهيم بمناقشة أي من المواد المنشورة في «أفكار» بملفاتها الزاخرة بما هو جديد وحرى بالمراجعة، وهو الذي يعرف أن أفكار مفتوحة له ولسواه من أجل الكتابة ومناقشة ونقد ما نشره على صفحاتها، دون أن يعني ذلك ان «أفكار» تسمح بركل أبوابها المفتوحة بهدف التحامل أو بحجة عدم فهم المقصود.

عموما أعتقد بأني أحسن قراءة ما وراء الرطانة، وما تخفيه العبارات المتخثرة التي تزخر بها شرايين بعض المقالات التي تعادي كل ما هو مدني وتجديدي، واعرف جيدا أن «مربط الفرس» في مقال السيد ابراهيم ليس الادباء الراحلين الذين احترمنا - وما زلنا- إبداعاتهم وإنجازاتهم الثقافية والمعرفية، انما مسألة التجديد الثقافي التي لا يبدو انها تروق له، إلى حد انه ينتقد ما ورد على لساني من أن «ما كان ممكنا فيما مضى من العقود لم يعد ممكنا الآن» وهو ما أصر عليه، وأسأل في الوقت ذاته: في الزمن الماضي كان الناس يؤمنون بالحجب ويعالجون أبناءهم بالسحر والشعوذة ويمنعون المرأة من التعليم ويضطهدونها فهل هذا ممكن الآن يا ابراهيم العجلوني؟

وبعد، فنحن في «أفكار» لا نعاني عصاب الانفصال عن الحياة وتطوراتها، نحن شركاء في تفاصيلها، ومصرون على التجديد الثقافي وعلى نشر الثقافة المدنية التي هي أساس عمليات الاصلاح والتنمية ثقافيا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا، ومن لديه اعتراض فليتفضل بمناقشتنا على أسس معرفية لا تهكمية معيبة لا ترقى إلى أخص خطابنا الثقافي والمعرفي.

ليس رداً

بل تبين وتبيان^(١)

إبراهيم العجلوني

لا ريب في أن مقالتي المنشورة في هذه الزاوية في رابع أيام شهرنا هذا قد أثارت غضب السيد جمال ناجي، رئيس تحرير مجلة أفكار، التي كنت محرراً مسؤولاً لها قبل أربعين عاماً..

هذا ما يملك أي قارئ أن يتبينه من جملة «العبارات الجميلة» التي حفل بها رده على المقالة (وقد نشر أمس الأحد في الرأي) من مثل وصفه لها بالسمكرة، وهبوط المستوى، وأنها «لا ترقى إلى أخصص» خطابه الثقافي والمعرفي.

ولقد حرص السيد ناجي في سياق رده الغاضب على تأكيد أنه ليس لديه «أصوليات مستترة توظف بكائيات الراحلين لتحقيق أغراضها»، وأنه يحسن «قراءة ما وراء الرطانة وما تخفيه العبارات المتخثرة التي تزخر بها شرايين بعض المقالات التي تعادي كل ما هو مدني وتقدمي».

وان مما انقله حرفياً من رده قوله: «وليعلم إبراهيم - يقصد العبد الفقير لله كاتب هذه السطور - فليس في واردنا التراجع عن نهجنا الذي اتخذناه خدمة لمجتمعنا وتحسيناً له من موبات الفهم المتكلس للتطور الإنساني ومتطلباته المجتمعية والمدنية».

ولقد حرك الغضب من مخبات التعبير ما يصدر وهذا الذي ذكرناه عن حفيظة واحدة فنحن نضرب صفحاً عنه.

على إن غاية ما نحصله مما سبق أن السيد جمال ناجي يقود مسيرة تجديدية من موقعه رئيس تحرير للمجلة الثقافية الأولى في الأردن. وأن من تحصيل الحاصل أن يتعرض لنقد «الرجعيين» «المتكلسين» أمثالي، أو في أقل تقدير لعدم فهمهم لطلائعيته أو وقوع أفهامهم

(١) جريدة الرأي ١٠/٧/٢٠١٧م.

دون «أحمص» خطابه الثقافي والمعرفي كما يقول في خاتمة المطاف من غضبته الثورية المدنية التجديدية..

ولست أورد هذا كله، سواء أكان في دعوى التجديد والحداثة أم في تهمة الرجعية والجمود، إلا من حيث هو مُدخل لسؤال واحد أطرحه على السيد جمال ناجي بين يدي ما اعتزمه من استئناف حديث يتعلق بالدعوى والتهمة آنفتي الذكر، فهل سبق يا «سيد جمال ناجي» أن اتفق لك أن قرأت شيئاً من كتابي «نحن وثقافة المستقبل» أو كتابي: «الوعي المتمرد»، أو كتابي «الرافضون» أو كتابي: «مسلمات في ضوء التحقق» أو كتابي: «إضاءات في حوار الآخر واحترام الذات».. هل قرأت شيئاً من هذه الكتب التي عالجت فيها قضية التجديد بما هي فعل تأصيلي في الدرجة الأولى. أو قرأت ما كنت كتبت في تضاعيف مؤلفاتي التي توالى صدورها منذ أوائل السبعينيات حول الأصالة والمعاصرة وشروط التجديد الحضاري؟.

إن كان لم يتفق لك مثل هذه القراءة فحسبي هنا النصيحة لك بالتوفر عليها، فلعلك إن قمت بذلك حق القيام أن تفيد قوة عارضة في دعوى التجديد إن كنت حقاً من دعائه.

وإلى أن يكون ذلك؛ فإن مما أحبه لك أن تقرأ وتقرأ وتقرأ، فتلك هي السبيل التي يمكن أن نلتقي وإياك فيها.. وسلام على القارئ المتدبرين..

وبعد، فقد كنا في غنى عما بُدئ ونعيد، في إشكالية الوعي هذه وفي غيرها، لو لم تكن حياتنا الثقافية قد آلت إلى أوضاع مؤسفة تذكرنا بما كان صارت إليه أمور الكتابة والكتاب حين تولاهم مغامرون وشطار من أمثال: «أسد بن جهور» الذي يصف «علي بن بسام» - الشاعر المعاصر للمقتدر بالله العباسي - أيامه قائلاً:

تعس الزمان لقد أتى بعجائب

ومحارسوم الظرف والآداب

أو ما ترى أسد بن جهور قد غدا

متشبهها بأجلة الكتاب

وأتى بأقوام لو انبسطت يدي

فيهم رددتهم إلى ”الكتاب،

السؤال الذي يطرح نفسه هنا:

هل يمكن لزعيم حدائي مجدد أن يعود إلى مقاعد الدرس مرة أخرى.. ذلك من سابع

المستحيلات..

كن ذاكرا يا شاكرا!

الصيد في جوف الفراء^(١)

• إبراهيم العجلوني

يريد شاكرا النابلسي - في مقالته المنشورة قي الرأي يوم الأحد ٩ اذار ٢٠٠٣ تحت عنوان «كيف يستطيع المفتشون اخراج السلاح من جوف الفراء» - من الولايات المتحدة الأمريكية، أو من «رَبَّة الأرض» باصطلاحه، وبمنتهى يقينه واعتقاده، أن تسارع الى اصطياد (الفراء)، أو الى احتلال العراق «لكي تخرج السلاح المخبأ في جوفه» على حد قوله.

وهو يوجه أنظار الاميركان - بصفته مثقفا وعارفا ودليلا - إلى أن اسلحة الدمار الشامل هناك - وكما ننقل عنه حرفيا - «في جوف الفراء، وبين أحجار القصور، وفي أقبية الاستراحات، وتحت وسائد نوم المسؤولين، وفي أعمدة سررهم، وفي زجاجات عطور نسائهم، وفي نافورات مياه دجلة والفرات التي تحيط بقصور صدام حسين حبيس الرافدين وفي سعف اشجار النخيل التي تظلل قصور صدام واستراحات حراس القومية العرب (كذا) وكبار (النشامي) وفي مراكب صيدهم ويخوتهم...» الى آخر تقريره الشامل عن العراق، بصفة كونه مثقفا وعارفا ودليلا.

إن شاكرا النابلسي يرى أن هناك قوتين فقط تستطيعان اصطياد الفراء العراقي وهما الله (سبحانه وتعالى عما يصفون) وأميركا التي يسميها «رَبَّة الأرض» في شرك متجدد، لما نعلمه من أنه لا إله الا الله في السماوات وفي الأرض، وفي كل وجود معلوم ومجهول.

ثم إنه يدعو «رَبَّة الأرض» الى شق «بطن الفراء»، بعد أن يقدم معلوماته - التي قد لا تعرفها وكالة المخابرات الاميركية نفسها، مؤكدا أن العراق «قد بنى مختبرات ومصانع ومستودعات (لأسلحة الدمار الشاملة) ليس تبني مصانع الشيكولاته والبسكويت، تحت الشمس وعلى رؤوس الجبال. فهذه المختبرات وهذه المصانع وهذه المستودعات كلها متحركة ومحمولة، تنتقل من مكان الى آخر بمنتهى الدقة والخفة والحيطه من شمال العراق

(١) جريدة الرأي ١٨/٤/٢٠٠٣م.

الى جنوبه، ومن غربه الى شرقه، ومن وديانه الى جباله، ومن سهوله الى مرتفعاته دون ان تترك علامة او اشارة أو اثرا. وهي تتحرك «حركة البرغوث» الذي تصعب رؤيته أو القبض عليه».

وهكذا يلتقي شاعر النابلسي مع رأي كل من (بوش) و(بلير) فيتساءل فزعا: «أي مفتشين، وأي تفتيش يستطيع ملاحقة هذه البراغيث في العراق؟» ثم يتساءل فزعا أيضا: «متى ومن يشق بطن الفرا ويخرج منه السلاح المطلوب؟».

ونحن وعلى ما تدفعنا اليه اذواقنا من ضرورة الصمت في مواجهة هذا السقوط المعرفي والأخلاقي، أو في مواجهة هذه «الرغالية» نسبة الى أبي رغال - فإننا ننبه شاكرا الى أنه إنما يدعو الاستعمار الجديد الى ضرب وطنه وأهله ومحارمه، كما نذكره بما لبغداد من أياد بيضاء على البشرية، وبما صدعت به من نور في جنبات الأرض، ثم أخيرا بما ينبغي أن نستمسك به من شعب الإيمان إن كنا مؤمنين.

فلسفة التعليم في الإسلام^(١)

• إبراهيم العجلوني

دَلَالَةُ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ واسعةٌ إلى أبعدِ غَايَاتِ السَّعَةِ، متباعدةٌ أنحاءِ المعاني، مُتراميةٌ أطرافها..

فالإسلامُ تَسْبِيحٌ كونيٌّ شاملٌ يستغرقُ السماواتِ والأرضَ وما بينهما. والإسلامُ دينُ الموحِّدين: أنبياءٌ ومُرسلينَ وعباداً مُخلصينَ.

والإسلامُ هو الهدْيُ الإلهيُّ المنزَّلُ على محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلَّم: عقيدةٌ، وتشريعاً، وحِكْمَةٌ ذاتُ آفاقٍ حَسَنٍ.

والإسلامُ تاريخٌ ممتدٌّ، تدافعت فيه أُمَّمٌ وشُعوبٌ وثقافات.

والإسلامُ واقعٌ إنسانيٌّ عَرِيضٌ، مبسوطٌ على قَارَاتٍ ثلاثٍ هي آسيا وإفريقيا وأوروبا، ولَهُ حضورٌ وراء ذلك في العالمين.

والإسلامُ حضارةٌ ذاتُ تجلِّياتٍ مُختلفاتٍ، من معارفٍ وصناعاتٍ، وعلومٍ وتقنيَّاتٍ، وفنونٍ ومنهجياتٍ، ومذاهبٍ لا تُحصى عدداً، وطرائقٍ قَدَداً.

إنَّه ذلك كُلُّه، مُجتمِعاً أو متمائزاً.

فإلى أيِّ معنىٍ من هذه المعاني نَفِيءٌ، وعن أيِّها نصدُرُ في بحثنا هذا؟

إن ما تنتوره لأوَّلِ النَّظَرِ، ونراه الأقربَ رُحماً إلى موضوعنا، هو الإسلامُ من حيث هو تعليمٌ، أو في جوانبه التعليمية، سواءً أكانت لِدِينِيَّةٍ من فيضِ الرَّحْمَنِ أم كَسْبِيَّةٍ من فَعَلِ الْإِنْسَانِ. ونحن مدعوون، لذلك أو بسبب منه، إلى البحثِ في أصولِ هذا التعليمِ أو في المبادئِ الأولى التي يقومُ عليها؛ إذ الفلسفةُ في بَعْضِ ما تُحدِّدُ به هي علمُ المبادئِ الأولى، وهي حين تضاف إلى التعليمِ فإنها تدلُّ على أصولِهِ الأولى وعلى مبادئه التي ينطلق منها، وإن كان ذلك لا يمنعُ من الدَّلالاتِ المختلفةِ للفلسفةِ على نحو ما ذهب إليه الفيلسوفُ الفرنسي «ديكارت» حين

(١) محاضرة أُلقيت في اللقاء الإسلامي المسيحي الذي عُقد بالتعاون ما بين المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) والمركز الأرثوذكسي للبطريركية المسكونية في سويسرا، عا - الأردن ٣ حزيران ١٩٩٦م.

قال: «إن الفلسفة أشبهُ شيء بشجرة جذورها الميتافيزيقا، وجذعها الفيزياء، وفروعها الطبُّ والميكانيكا والأخلاق»^(١)، أو على نحو ما تبيّنه الفلاسفة في مختلف العصور من فلسفة نظريّة وأخرى عمليّة، أو من معيار للعلم وميزان للعمل، أو ما سلك هذا المسلك من تقسيم وتفريع وانشعاب.

وإذا نحن انتهينا إلى هذه الدّرجة من مُقاربهٍ معنى «فلسفة التعليم»؛ فإنّ علينا أن نمضي قدماً فننشُد تمايز هذا المعنى عمّا قد يلابسه أو يشاكله من المعاني ولا سيما تلك التي نتوسّمها في دائرة التربية الأخلاقية، لما نعتقده من أنّ تظاهر الباحثين قدامى ومحدثين على إدراج موضوعنا في تضاعيف المباحث التربويّة قد غيَّب بعدهُ المعرفي (الابستمولوجي) على أهمّيته وعظيم أثره، وعلى أنه بعدُ أصيل في الإسلام لا ينبغي تجاوزه أو تجاهله أو تناسيه.

يقول الإمام الغزاليّ في رسالته (أيها الولد): «إعلم أنه ينبغي للسالك شيخٌ مرشدٌ مرَبٌ يُخْرِجُ الأخلاق السيئة منه بتربيته ويجعل مكانها خلقاً حسناً، ومعنى التربية يُشبهُ فعل الفلاح الذي يقطع الشوك ويخرجُ النباتات الأجنبية من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه، ولا بُدُّ للسالك من شيخ يودِّبه ويُرشدهُ إلى سبيل الله تعالى، لأنّ الله أرسل للعباد رسولاً للإرشاد إلى سبيله. فإذا ارتحل، صلى الله عليه وسلّم، فقد خلف الخلفاء في مكانه حتى يُرشدوا إلى الله تعالى. وشرط الشيخ الذي يصلح أن يكون نائباً لرسول الله، صلواتُ الله وسلامُهُ عليه، أن يكون عالمًا ولكن لا كُلُّ عالمٍ يصلح للخلافة»^(٢).

كما يقول في موضع آخر من الرسالة نفسها: «أيها الولد. العلم بلا عمَل جنون، والعمل بغير علم لا يكون. واعلم أن العلم الذي لا يُبْعِدُكَ عن المعاصي ولا يحملك على الطاعة، لن يُبْعِدِكَ غداً عن نار جهنّم. وإذا لم تعمل بعلمك اليوم ولم تتدارك الأيام الماضية تقول غداً يوم القيامة «فأرجعنا نعمل صالحاً» فيقال يا أحمق أنت من هناك تجيء..»^(٣).

ونحنُ نتبيّن فيما سبق من كلام الإمام الغزاليّ أن الأساتذة الشيوخ مرشدون وأدلاء إلى الخير، وأن العلم دليل عمل، وأن غايته هي تزكية النفس ومنهجه هو رياضتها.

(١) الموسوعة الفلسفية العربيّة، المجلد الأول (الاصطلاحات والمفاهيم)، منشورات معهد الإنماء العربي، بيروت ١٩٨٦ م، ص (٦٥٥).

(٢) الفكر التربوي عند الإمام الغزالي، الدكتور عبد الأمير شمس الدين، دار إقرأ، بيروت، ١٩٨٥ م، ص (٢٢٥).

(٣) المرجع السابق، ص (٢٢٩).

ولقد سيطر مبدأ التزكية هذا على معظم الأنظار المتعلقة بالتعليم حتى بدا معه الهاجس المعرفي نسيًا منسيًا أو سببًا ممدودًا إلى غاية حسَب.

يقول الإمام ابن الجوزي في (صيد الخاطر): «كان جماعة من السلف يقصدون العبد الصالح للنظر إلى سمته وهديه لا لاقتباس علمه. وذلك أن ثمرة علمه هديه وسمته، فافهم هذا، وامزج طلب الفقه والحديث بمطالعة سير السلف والزهاد في الدنيا ليكون سببًا لرقّة قلبك»^(١).

ويقول في موضع آخر منه: «ليس في الوجود أشرف من العلم، كيف لا وهو الدليل». ونحن نرى هنا أن شرف العلم، وما يمكن أن يلحق من أوصاف مثل «الأصل الأعظم» و«النور الأكبر» إنّما كانت له بسبب كونه السبيل إلى محبة الله، إذ «على قدر رؤية الصانع في المصنوع يقع الحبُّ له» كما يقول ابن الجوزي.

فحركة العقل، إذن، تمهّد لخفق القلب واستقرار المحبة^(٢)، وغاية البرهان هي سكينة الجنان وهدأة الوجدان وجنة الرحمان.

وليس يقع المحدثون من الدارسين بعيداً عن هذه الرؤية التي ترى التعليم مقرونًا بالتربية أو ترى التربية مشتملةً عليه. فالتربية الإسلامية عند الدكتور فاضل الجمالي هداية ووقاية: «هداية إلى الإيمان وإلى استعمال العقل والبحث وراء الحقيقة وإلى الأخلاق الفاضلة وحسن مُعاملة الغير وإلى العمل الصالح.. ووقاية من الشرك بالله ومن الضلال والباطل، ومن الهلاك الجسدي - وهو يقصد هنا قتل النفس بالانتحار - ومن الأمراض التي تُذهب الصحة والعافية، ومن الانحلال الاجتماعي، ومن الأمراض الاجتماعية، ومن الأخطار الخارجية»^(٣).

والتربية الإسلاميّة عند الدكتور حسن شقاوي تؤدّي بالإنسان «إلى عملية التخلية والتحلّية: التخلية من الأوصاف المذمومة، والتحلّية بالأوصاف المحمودة، فهي تنقيف للعقل وتقوية للجسم وتزكية للنفس وتطهير للقلب، دون أن يكون في ذلك تضحية بأيّ من

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي، المكتبة العلميّة، بيروت (د.ت)، ص(٢١٦).

(٢) المصدر السابق، ص(٩٧).

(٣) نحو تربية مؤمنة (فلسفة تربوية تكاملية لتحقيق مجتمع إسلامي ناهض)، محمد فاضل الجمالي، الجامعة التونسية (د.ت)، ص(٤٠).

القوى على حساب^(١) قوى أخرى، فهي عملية توازنٍ وتناسبٍ وتناسقٍ وانسجامٍ بين قوى النفس، وبين قوى النفس وعلاقتها بالله والكون والحياة والناس جميعاً^(٢).

وإنّ مما نلاحظه لدى الباحثين السابقين أن «استعمال العقل» و«البحث وراء الحقيقة» عند الأوّل، و«تثقيف العقل» عند الثاني، قد أصبحت في حدّ ذاتها -أو لعلنا نحب أن نعتقد ذلك- أهدافاً للعملية التربويّة؛ إلاّ أن ذلك قد لا يعدو أن يكون إشارات استطرديّ بها السياق وظهّر عليها أثرُ الترجمات، فلا تملك أن تكون بعضاً من نسقٍ فلسفي أو نظريّة معرفيّة، وتظل في دائرة المجاز اللغوي حتى تتبوأ مكانها في مثل ذلك النسق أو تلك النظرية.

ومهما يكن الأمر في هذه الإشارات وما تدلّ عليه، فهي خطوة واسعة نحو تبين الجانب العقلي أو المعرفي في التعليم بصفة أنه غاية متوخّاة وهدف مقصود.

ولقد كان حريّاً بنا أن نستشعر قرب الدار، أو أن نرى إلى خطوة أوسع في هذا المجال حين وجدنا باحثاً تربويّاً قد انتبه إلى أن التعليم والتربية مفهومان متداخلان يحسن بنا «أن نفرّق بين أحدهما والآخر بحيث لا يلتبس فهم أحدهما أو كليهما»^(٣) وأن هدف التعليم هو إكساب طالب العلم مجموعة من المعارف التي تُقصد لذاتها، وأن مهمة هذه «المعرفة من أجل المعرفة» هي تنوير المدارك وتثقيف العقول؛ إلاّ أنّنا لا نلبث قليلاً حتى نرى باحثنا وقد وظّف هذه المعارف «فيما يعودُ على الإنسان المتعلم بالنفع»^(٤)، إذ «يسعد بحياته حين يسخر طاقتها لخدمته ويسيطر على مجالاتها بعقله واكتشافه»^(٥). ثمّ «يشعر بنفسه وقد حقق ذاته وانتصر على ما حوله من مظاهر الطبيعة، وسخر العلم الذي تعلّمه في تحقيق النفع الذي ينشده، وتلك هي الغاية التي يمكن أن نطلق عليها: «المعرفة من أجل المنفعة»^(٦).

ولئن بدا لنا هنا جانب ذرائعي في ثنائية العلم والعمل، واتخذ العمل معنى الفعل النافع الملموس في الحياة الواقعية، أو ذهب في طريق مختلفة عن أعمال القلوب والجوارح التي تنشُد رضوان الله؛ فإن ذلك لا ينتهي بنا إلى التمايز الذي تتطلبه في فلسفة التعليم، من حيث

(١) الصحيح أن يقال "لحساب قوى أخرى".

(٢) نحو تربية إسلاميّة، الدكتور حسن شرقاوي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٨٣م.

(٣) التعليم في الإسلام: ماضيه وحاضره، الدكتور محمد سلام مذكور، المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي،

مكة، ١٩٨٣م.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق.

هي نظراً في الأصول الأولى للتعليم خالصة، قبل النظر فيما سيكون بعد من تشعب وتفرع وتداخل، وهي المهمة التي تنكبها الباحثون إلا قليلاً منهم، على عظيم قدرها، فيما أعتقد، وجيل شأنا، ووضوح أمرها في ديننا الحنيف!

إنّ مما لا ريب فيه أنّ باستطاعة أحدنا القول، وهو مطمئن إلى أنّ ما يقوله موضع اتفاق جمهرة من الباحثين، إنّ المحور النظري الكبير للتربية الإسلامية هو «بناء الشخصية - شخصية الفرد والمجتمع - على أصول من القيم الإسلامية»^(١)، وإنّ من أسباب ذلك ومقوماته تحقيق «صورة المعلم النموذجي والمتعلم النموذجي، والمنهاج النموذجي»^(٢). كما أنّ مما يُلاقي الرضى والقبول أن يقدم الباحث خلاصات تعليمية من برامج الشيوخ ورسائلهم وفهارسهم، ناهيك بما تغري به هذه البرامج والفهارس من ألوان المقارنة بين ما كان أجدادنا ينهضون به من واجبات العلم أو يحققونه من شروط العالم والمتعلم، وبين ما نحن فيه من مدايرة يملؤها التنفج والغرور، لمثل هذه الشروط، مع عجز واضح عن متابعة شروط ومقتضيات البحث العلمي الحديث.

بيد أن بُغيتنا لا تقع عند هذه الأبواب، ولا في هذه التقاليد والآداب. فنحن ما نزال نرامق بأبصارنا هدفنا الأول الذي أشرنا إليه ابتداءً، وهو المبادئ والأصول الإسلامية التي يقوم التعليم عليها، وهو ما يزال يُزاورُ عنّا ذات اليمين وذات الشمال، في سُحبٍ تراكم وتنجاب، فهل إلى وضوح من سبيل؟!

إنّه لحريٌّ بنا البدء بأول ما نزل من القرآن الكريم، وهو قوله تعالى من سورة العلق.. بسم الله الرحمن الرحيم: «اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم».. صدق الله العظيم.

إنّنا هنا أمام أول وحي في الإسلام، وهو أولّ تعليم أيضاً، وإن هذه السورة الافتتاحية كما يقول صاحبُ الظلال «تبدأ باسم الله، وتوجّه الرسول، صلى الله عليه وسلم، أول ما توجهه، في أول لحظة من لحظات اتصاله بالملأ الأعلى، وفي أول خطوة من خطواته في طريق الدعوة التي اختير لها، توجهه إلى أن يقرأ باسم الله (اقرأ باسم ربك)، وتبدأ من صفات الرب بالصفة التي بها الخلق والبدء: «الذي خلق»، ثم تخصصُ خلق الإنسان ومبدأه: (خلق الإنسان من

(١) النموذج الإسلامي للتربية، الدكتور إحسان عباس، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، الجزء الرابع من مشروع التربية العربية، ١٩٩٠م، ص (١٥٥).

(٢) المرجع السابق.

عَلَقَ).. من تلك النقطة الدموية الجامدة العالقة بالرحم.. من ذلك المنشأ الصغير الساذج التكوين. فتدُلُّ على كَرَم الخالق فوق ما تدلُّ على قدرته، فمن كرمه رُفِعَ هذا العلق إلى درجة الإنسان الذي يَعْلَمُ فيتعلَّم: (اقرأ وربُّك الأكرم، الذي علَّم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم)، وإنَّها لنقلة بعيدة جداً بين المنشأ والمصير. ولكنَّ الله قادرٌ، ولكنَّ الله كريمٌ. ومن ثمَّ كانت هذه النقلة التي تُدير الرؤوس.

وإلى جانب هذه الحقيقة -يقولُ صاحبُ الضلال- «تبرزُ حقيقة التعليم. تعليم الربِّ للإنسان «بالقلم»، لأنَّ القلمَ كان وما يزال أوسعَ وأعمقَ أدوات التعليم أثراً في حياة الإنسان. ولم تكن هذه الحقيقة إذ ذاك بهذا الوضوح الذي نلمسه الآن ونعرفه في حياة البشرية، ولكنَّ الله -سبحانه- كان يعلم قيمة القلم، فيشيرُ إليه هذه الإشارة في أوَّل لحظةٍ من لحظات الرسالة الأخيرة للبشرية وفي أول سورة من سور القرآن الكريم. هذا مع أن الرسول الذي جاء بها لم يكن كاتباً بالقلم، وما كان ليُبرزَ هذه الحقيقة منذُ اللحظة الأولى، لو كان هو الذي يقول هذا القرآن، لولا أنَّه الوحي ولولا أنَّها الرسالة»^(١).

ثم ينتهي سيد قطب، في تفسيره لسورة العلق إلى أنَّها تؤكد أن مصدر التعليم هو الله جلَّ وعلا: «منه يستمد الإنسان كل علم. وإنَّ كلَّ ما يَعْلَمُ الإنسان وكلَّ ما يُفتح له من أسرار هذا الوجود وأسرار هذه الحياة ومن أسرار نفسه، فهو من هناك، من ذلك المصدر الواحد الذي ليس هناك سواه»^(٢).

ولقد يزودنا فهمُ مادة (ق) (ر) (أ) وتصريفاتها، ووجوه ما يُقصدُ بها، بِجُملةٍ من المعاني تتجاوزُ التلاوة والترتيل إلى معنى الجمع والاستقراء من جهة، وإلى معنى نظم الأفكار لتكون نسقاً نسيقاً ووعياً شاملاً عميقاً من جهة ثانية، ثمَّ إلى معنى الفهم والمدارسة من جهة ثالثة^(٣).

ولئن كان هذا هو التعليم الأوَّل في الإسلام فإنَّ ثمة تعليمًا سابقاً عرفته الإنسانية لأوَّل خلقها، وشهدهه الملائكة الأعلى من الملائكة المقربين، يوم أن علَّم الله آدم الأسماء كلها (ثمَّ

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، الجزء السادس، ص (٢٩٢٨)، طبعة دار الشروق (د.ت).

(٢) المرجع السابق، ص (٢٩٢٩).

(٣) جاء في "المفردات في غريب القرآن" للراغب الأصفهاني (ص ٤٠٢) طبعة دار المعرفة بيروت (د.ت): "القراءة هي ضمُّ الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في التزليل". ولا يمنع ذلك، في اعتقادنا، من أن تكون هي ضمُّ المعاني والأفكار بعضها إلى بعض في نسق معرّف. ومن يتأمل الحقل الدلالي لمادة (ق) (ر) (أ) ثم يعود ليقرا العلق في ضوء من ذلك، فقد يوافقنا الرأي في ذلك.

عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنباهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون..^(١).

يقول الزمخشري: «الأسماء كلها أي أسماء المسميات، فحذف المضاف إليه لكونه معلوماً مدلولاً عليه بذكر الأسماء، لأن الاسم لا بُدَّ له من مسمّى»^(٢).

ثم يقول، بعد: «فإن قلت ما معنى تعليمه أسماء المسميات؟ قلت: أراه الأجناس التي خلقها، وعلمه أن هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا، وعلمه أحوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدينيّة»^(٣).

ونستخلص من ذلك أن التعليم الذي تلقاه آدم من ربه كان متعلقاً بشرطين أوليين ضروريين للمعرفة الإنسانيّة: أولهما أعيان الموجودات أو الواقع الموضوعي للكائنات، سواء أكان ذلك بالقوة (أو على سبيل الإمكان) أم بالفعل (أو بما هي واقع متحقق). وثانيهما ألوان العلاقات التي يمكن للوعي الذاتي للإنسان إدراكها بين هذه الموجودات، ووجهات تعلق بعضها ببعض.

إن الله سبحانه وتعالى قد أودع هذا الكائن البشري، وهو يسلمه مقاليد الخلافة «سرّ القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات. سرّ القدرة على تسمية الأشخاص والأشياء المحسوسة. وهي قدرة ذات قيمة كبرى في حياة الإنسان على الأرض، ندرك قيمتها حين نتصور الصعوبة الكبرى لو لم يوهب الإنسان القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات، والمشقة في التفاهم والتعامل حين يحتاج كل فردٍ لكي يتفاهم مع الآخرين على شيء أن يستحضر هذا الشيء بذاته أمامهم ليتفاهموا بشأنه»^(٤).

وكما أن الوعي الإنساني لا يقوم بغير هذه المنظومات اللغويّة والأنساق الدلالية التي ما كان لها أن تستوي في الأذهان لولا ما أوتيّه الإنسان من أمانة العقل الذي يملك أن يسمي

(١) البقرة: ٣٠ - ٢٢.

(٢) الكشف للزمخشري، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٧٢م، ص (٢٧٢).

(٣) الكشف للزمخشري، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٧٢م، ص (٢٧٢).

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، طبعة دار الشروق (د.ت)، ص (٥٧).

الأشياء وأن يضبطها بالوعي الشامل المحيط؛ فإن بقاء النوع الإنساني رهين بتعهّد آثار هذه المنحة الربانيّة ومعطياتها، وباستمرارها، وتحدرها، جيلاً إثر جيل، بالتعليم، الذي يُصبح فعلاً وجوداً فعلياً معرفياً حسب، ويمدّ معنى «تعليم الأسماء» على البشريّة كلّها، في أجيالها كافةً، من لدن آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

يقول مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي) في (الفوز الأصغر)، فيما ينقل زكي مبارك رحمه الله^(١): «إن الله تعالى لم يخلق الإنسان خلق من يعيش وحده ويتم له البقاء بنفسه كما خلق كثير من الوحش والبهائم والطير وحيوان الماء. لأن كل واحد من تلك الخلق مكتفياً بنفسه غير محتاج في بقائه إلى غيره. بل قد أزيحت علته في جميع ما تتم به حياته خلقاً وإلهاماً. أما الخلق فلائه مكتسب بما يوافقه من وبر وصوف وشعر وريش وما أشبه ذلك، وذو آلة يتناول بها حاجته: إن كان لاقط حبّ فمناقره، وإن كان أكل عشب فمشفر وأسنان موافقة للقطع والقلع، وإن كان سبعاً أو أكل لحم فأنياب أو مخالب أو مناسر.. وأما الإلهام فلائه يتناول من الأغذية ما يوافقه ويتجنب ما يضره، وينتقل من مصيفه إلى مشتاه ويُعدّ مصالحه لها من القوت ولكن بغير تعليم ولا تدبير بل بالإلهام المولود معه - فكل واحد منها مكتفٍ بذاته في حياته التي قدّرت له. وأما الإنسان فإنه خلق عارياً غير مهتد لشيء من مصالحه إلا بالمعانة والتعليم. ولا يكفيه القليل من معاونين حتى يكونوا عدّة كثيرة وجماعة وافرة. وإذا كان هذا على هذا، وكان سبيل الإنسان في حياته وحسن عيشته على خلاف الحيوان كله قيل إنه مدني بالطبع: أي محتاج إلى ضروب المعاونات التي تتم بالمدينة واجتماع الناس. وهذا الاجتماع للتعاون وهو التمدّن، سواء كان الناس وبرا ومدراً أو على رأس جبل».

وهكذا فإنّ ممّا نخلص إليه أنّ التعليم ضروريّ للإنسان، لا في تحصيل ماهيته ومعناه من حيث هو خليفة في الأرض حسب، ولكن لضمان بقائه أيضاً وحسن عيشته.

ولقد يقودنا هذا إلى مسألة اللدني والكسبي من المعارف، وإلى ثنائية النقل والعقل، وإلى إشكالية التوقيف والاصطلاح، ويقفنا متدبرين أمام قوله تعالى: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) (٢)، وقوله تعالى:

(١) النشر الفني في القرن الرابع، الدكتور زكي مبارك، دار الجيل، بيروت (د.ت)، ص (١٨٩-١٩٠).

(٢) الأعراف: ١٧٣.

(ولا تقف ما ليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد كلٌ أولئك كان عنه مسؤولاً)^(١).

كما قد يقودنا إلى البحث في المسائل الأساسية التي تتناولها نظرية المعرفة مثل «أصل المعرفة البشرية ومصدرها، وطبيعة المعرفة البشرية، وصدق المعرفة وكيف تتميز المعرفة الصادقة من المعرفة الكاذبة، وحدود المعرفة البشرية»^(٢).

على أن ممّا قد نقطعُ به أنّ التعليمَ في الإسلامَ تعليمان: إلهيٌّ مُنزَلٌ أو إلهاميٌّ لا فضلَ فيه للإنسانِ إلّا بما فضّله به الله، وآخرٌ كَسْبِيٌّ هَيءٌ له الإنسانُ، وأمکن له تحصيله.

وإنّ لنا أن نقف مع النبي الكريم إبراهيم في تفكيره في ظواهر الكون أو في ملكوت السماوات والأرض: (فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي. فلما أفل قال لا أحب الآفلين. فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي. فلما أفل قال لئن لم يهني ربي لأكوتن من القوم الضالين، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إنني بريء مما تشركون. إنني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين)^(٣).

ثمّ نقفُ ثانيةً مع النبي الكريم موسى في نشدانه العلم على يدي العبد الصالح حين طلب إليه أن يُعلّمهُ ممّا علّم رُشداً^(٤) لنعلّم أن الوحي أو التعليم الإلهي هو المرجع الأعلى للمعرفة البشرية، وأن الإيمان هو غاية العلم، والهدى هو غاية التفكير. ثمّ لندرك أن «النظر» حين يكون سليماً غير ملتبسٍ بظلم، لا بُدّ أن ينتهي بصاحبه إلى الإيمان البصير بالعليّ القدير.

ولعل ممّا يؤكّد هذا كلّ ما كان من تعويل على «النظر» بصفة كونه أصل الأصول عند الكلامين المسلمين، وخاصّة المعتزلة الذين جعلوا النظر نظرين: أحدهما في أمور الدنيا كالنظر في العلاجات والتجارات و[سائر حاجات الاجتماع الإنساني] - وإلى مثل هذا ذهب مسكويه ثمّ ابن خلدون^(٥) من بعده-، والثاني هو النظر في أمور الدين، وهو نظران عندهم أيضاً: أحدهما في الشبّه لتحلّ، والثاني هو النظر في الأدلّة لئيوصل بها إلى المعرفة.. وهو المقصود عندهم.

(١) الإسراء: ٣٦.

(٢) الموسوعة الفلسفية العربية، منشورات معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٦م، المجلد الأول، ص (٦٦٠).

(٣) الأنعام: ٧٦ - ٧٨.

(٤) الكهف: ٦٠ - ٨٢.

(٥) أنظر "فصل في العقل التجريبي وكيفية حدوثه" من مقدمة ابن خلدون، طبعة دار الشعب المصرية (د.ت)،

ص (٢٩٣).

إن البحث في «التعليم» وفلسفته لا يكونُ بمبعدة عن البحث في العلم وفلسفته، لما بينهما من مطابقة قد تصل أحياناً إلى درجة التماهي. وإنَّ على رأس غايات التعليم أن يُعَلِّمَ (النظر) أو التفكير الحرَّ في الوقائع والظواهر.

يذهب القاضي عبد الجبار إمامٌ معتزلة القرن الرابع (ت ٤١٥هـ) في «شرح الأصول الخمسة» إلى أنَّ النَّظَرَ أو الفكر «هو المعنى الذي يوجب كون المرء متفكراً» وأن «الواحد منَّا يجدُ هذه الصفة من نفسه، ويفصلُ بين أن يكون متفكراً أو بين أن لا يكون متفكراً. وأجلى الأمور ما يجده الإنسان من نفسه»^(١)، وهو مبدأ الوضوح الذي نجده عند ديكارت في كتابه «مقال في المنهج». كما يذهب في بيان حقيقة المعرفة ومعناها إلى أنها «ما يقتضي سكون النفس وثلج الصدر وطمأنينة القلب»^(٢)، وهو مبدأ اليقين عند ديكارت أيضاً.

وإنَّ هذا التعويل على (الصفة التي يجدها الواحد منا في نفسه) في بناء المعرفة لأمرٌ عظيمٌ الأهمية في تاريخ الفكر الإنساني، لما يؤكده من أن الفطرة الإنسانية هي الأصلُ في طلب العلم أو في التعلم، وأنَّ علينا أن نزيل عنها ما ران عليها من صداد وظلمات، وأن نُجلبها لمهمتها الكبرى، ونبعثها من مرقدِها، لتبشر (النظر) بقوة، ثم لتمضي به إلى مداه الممكن في شتى الآفاق والبيادين.

وكما كان سيدنا إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه، ينتقل، لدى نظره في السماء والتماسه سبب أول وراء الأسباب، ولربَّ خالق وراء الأرباب، من الكوكب، إلى القمر، إلى الشمس، ثم يترك الظواهر الكونية - بما هي معطيات حسية يواجهها الوعي - إلى الأفق الأعلى وراء ذلك، أو إلى «الذي فَطَرَ السماوات والأرض»؛ فقد كان «النظر» عند القاضي عبد الجبار ينتقل بين «هذه الحوادث من الأجسام وغيرها، ويرى جواز التغيُّر عليها، فيعرف أنها محدثة، ثم ينظر في حدوثها فيحصل له العلم بأنَّ لها محدثاً» إلى أن ينظر آخر المطاف في أنه لو كان مع الخالق المحدث للحوادث «ثانٍ لتمانعا، وهذا يؤدي إلى الضعف الذي لا يجوز إلا على الأجسام؛ فيحصل له العلم بأنه واحد لا ثاني له يشاركه في القَدَمِ والإلهية، فيكون قد حصل له العلم بكمال التوحيد»^(٣).

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار، تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٦٥م، ص (٦٤).

(٢) المصدر السابق، ص (٦٥).

(٣) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار، تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٦٥، ص (٦٥).

ولا ينبغي لنا تجاوز هذه النقطة من بحثنا دون الوقوف على ما كان بينه الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد في كتابه «تصورات إسلامية في التعليم الجامعي والبحث العلمي» من أن العِلْمَ، كما فهمه العقل المسلم كان عِلْمًا جامعيًا غير مقتصر على جانب بعينه من علوم الدين أو الدنيا، وأن «العالم والمتعلم» المذكورين في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: «الناس عالمٌ ومتعلمٌ ولا خير فيما بعد ذلك» يشملان، إلى جانب المفسّر والمحدّث والفقهاء وسواهم من علماء الدين، كلاً من الفلكي والطبيب والمهندس وعالم الكيمياء، وسائر المشتغلين بعلوم الطبيعة على اختلافها.

إنه يذهب أولاً إلى: «أن المسلمين كافةً مأمورون بطلب العلم بجميع ميادينه وأنواعه، وإن عليهم أن يواصلوا التعلم، وإلا كانوا لا خير فيهم، لأنهم [سيكونون مندرجين كما في حديث أبي الدرداء] «فيما بعد ذلك». أي من الجهلاء الذين يظنون على جهلهم».

ثم يقف بنا وقفة المتدبر في هذه المسألة قائلاً:

وأوضح دليل وأنصحه على ذلك هو قوله تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) [فاطر (٢٨)]، فإن هذا القول الكريم ورد في سياق آيات الله الكونية، وقدرته على أن يخرج من الماء «الواحد» الذي يُنزله من السماء (ثمراتٍ مُختلفاً ألوانها) [فاطر (٢٧)]، وقدرته سبحانه على أن يجعل من الجبال جُدداً مُختلفاً ألوانها، فمنها البيض والحمر والسود كلون الغراب، وقدرته تعالى على أن يخلق الناس والدواب والأنعام من ألوان مختلفة كذلك، وفي كل ذلك عبرة وعظة للعلماء تجعلهم أقرب إلى معرفة الله عز وجل، وأدنى إلى خشيته. وليس في هذه الأمثلة على قدرته تعالى ما يشير إلى أن معرفتها تكون بالعلم الديني، بل لا بدّ لمعرفة على وجهها الصحيح من علوم الدنيا كالفلك والفيزياء وعلم طبقات الأرض (الجيولوجيا) وعلم الأجناس والوراثة، وغيرها. والآيتان بكاملهما هما:

(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمراتٍ مُختلفاً ألوانها ومن الجبال جُدوداً بيضاً وحُمْراً مُختلفاً ألوانها وغيابيب سود. ومن الناس والدواب والأنعام مُختلفٌ ألوانه كذلك. إنما يخشى الله من عباده العلماء. إن الله عزيز غفور) [فاطر (٢٧)، (٢٨)].

والآيتان واضحتا الدلالة، متسلسلتا السياق، لا يُفهم منهما إلا أن هذه الضروب من العلم الديني - شأنها شأن ضروب العلم الديني - هي جميعها مما أمر الله به، ومما يتعبّد بطلبه الخلق. وربما كان من الأجدر أن يكون العلم علمًا واحدًا تتداخل أنواعه، ليس فيه ديني

ودنيوي. وقد استوعب سلفنا هذا المعنى وفهموا العلم على هذا النحو، ومما يُروى مثلاً على ذلك أن عمر بن الحسام كان يقرأ كتاب المجسطي في الرياضيات والفلك لبطليموس على أستاذه عمر الأبهري، فدخل عليهما أحد الفقهاء، فسألهما عما يقرانه، فقال الأبهري: «أفسر آية من القرآن، وهي قوله تعالى: (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها) [ق (٦)] فأنا أفسر كيفية بنيناها». وقد عَقَّبَ فخر الدين الرازي في «تفسيره» على هذه الرواية -بعد أن أوردتها- بقوله: «ولقد صدق الأبهري فيما قال، فإن كلَّ من كان أكثر توغلاً في بحار مخلوقات الله تعالى كان أكثر علماً بجلال الله تعالى وعظمته»^(١).

إن مثل هذا التوجُّه في فهم آفاق التعلُّم وضروبه مُفضُّ بنا إلى التساؤل مع أستاذنا الأسد عن إمكان أن يجتمع (التعليم كُلُّه) في مؤسسة واحدة. وهو تساؤل نستذكرُ عنده رواية الأديب الألماني الكبير «هيرمان هسه» (لعبة الكريات الزجاجية) التي يتصوّر فيها مؤسسة تعليمية شاملة، تبسط ظلّها على «إقليم تربويّ» متباعد الأطراف، يدخلها الناهيون من البشر أطفالاً، ويخرجون منها شيوخاً حكماً، بعد أن يتلقوا ألوان التعليم كُلِّها، بدءاً بالرياضيات والموسيقى، وانتهاءً بالفلسفة، أو (بالنَّظَر) العميق في الكون، وفيما وراء الكون.

وليس خافياً أن (الناظر) هنا هو الإنسان من حيث هو إنسان، قبل أن يكون مُسلماً أو مسيحياً أو يهودياً أو مجوسياً أو أيّاً من أتباع سائر المِلل والأديان. فإذا زدنا على ذلك ما نعتقده نحن المسلمين من أن الوحي المنزل على رسولنا الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه هو تعليم كُلِّي شامل، إذ كل وحي تعليمٌ وليس كلُّ تعليم وحيّاً؛ فإن من تحصيل الحاصل القول بأنّ فيما جاء في قوله تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى)^(٢) توكيداً لوحدة الوحي أو التعليم الإلهي، وإشارة واضحة إلى ما يُمْكِن للمؤمنين في الأرض تحقيقه من أسباب قرباهم، ومن شروط تفاهمهم، ومن وَصَل ما انقطع من أرحامهم الأولى، حين كانوا يستشعرون أنهم لآدم، وآدم من تراب، وأن الله خلقهم من نفس واحدة، ثمَّ جَعَلَ منها زوجها، وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً.

وبعد، فلقد حاولت، في هذه المقاربة، أن أتبيّن الجانب المعرفي الخالص في فلسفة التعليم في الإسلام. وأن أشير إلى بعض العناصر التي قد تُشكّل مع غيرها نظرية الإسلام التعليمية.

(١) تصورات إسلامية في التعليم الجامعي والبحث العلمي، الدكتور ناصر الدين الأسد، منشورات روائع مجدلاوي، بيروت، ١٩٩٦م، ص (١٨ - ١٩).

(٢) الشورى: ١٣.

فإذا كانت النظرية، كما حدّتها الدكتور طه عبد الرحمن: «هي أقوال بعضها أصولٌ مسلمةٌ وبعضها فروعٌ مستنبطةٌ منها استنباطاً يجعلها جميعاً، أصولاً وفروعاً، تؤلّفُ نسقاً واحداً يُنتفعُ به في إحكام المعرفة بمجال مخصوص»^(١)، وكان ما جهدنا في تبيّنه لا يعدو بعض أصول التعليم في الإسلام، فإنّ مما لا جدال فيه أننا لم نُدرِك من غايات بحثنا إلا قليلاً، وأن مسافة الخُلفِ منفسحةً بيننا وبين ما نريد، ومظنة العجز قائمة، وعذره مبسوط.

وإنّ مما يقتضيه الضمير العلمي، في خاتمة هذه المحاولة، أن نشير إلى عشراتٍ من الكتب القيمة التي ألّفت في آداب العالم والمتعلّم، وآداب المعلمين، وفهارس الشيوخ وبرامجهم. وهي كتب تستأهل بحثاً مفرداً ضافياً. بل كتاباً في أبواب وفصول.

وقد عُنيت هذه الكتب بأمرين جامعين: أولهما بيان الجانب التربوي الأخلاقي في العملية التعليمية، وما ينبغي أن يتحلّى به معلّم العلم من قدرات ومزايا وأساليب وسجايا، وطالبه من أدب ودماثة ومن طاعة واحترام.. وثانيهما بيان سلسلة الشيوخ الذين أخذ عنهم صاحب البرنامج أو الفهرسة، وذكر أسماء الكتب التي قرأها عليهم والعلوم التي تتلمذ عليهم فيها، إضافة إلى بيان جوانب من تقاليد الدرس وأنواع الإجازات العلمية.

وإنّ من أكثر الكتب أهمية في الجانب الأخلاقي رسالة الإمام الغزالي «أيها الولد» ورسالة القاسبي، ورسالة ابن جماعة، ورسالة ابن سحنون، وكتاب المعلمين للجاحظ، وكتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ومن أكثرها أهمية في الفهرسة وسلاسل الشيوخ برنامج شيوخ الرعيني، وفهرسة ابن خير الإشيلي،... وهي كلّها كتبٌ تطلبُ الباحثين وتحفز هممهم وتتنظّر أنظارهم.

وبعد، مرّة أخرى: هذه إطلاقةٌ حسّبةٌ، ومحاولة أولى لا غير... وعلى الله قصد السبيل.

(١) مجلة أفكار، وزارة الثقافة، عمّان-الأردن، العدد ١٢٣ (كانون الثاني/ شباط) ١٩٩٦م، مقالة (كيف نجدّ الفكر الإسلامي).

تعقيب على المحاضرة السابقة للعجلوني

• د. طارق متري^(١)

ترددت، بعض الشيء، في قبول المهمة الموكلة إلي. ذلك أني لست تربوياً متخصصاً ولا دارساً جديداً لفلسفة التعليم. غير أني رضيت بالمجازفة بهذا التعليق المقتضب التزاماً بمواصلة حوارنا حول تعزيز التفاهم والتعاون في مجال التعليم الذي بدأناه في ندوة أثينا منذ أقل من عامين. لقد حاولت أن أقرأ ورقة الأستاذ إبراهيم العجلوني المثرية من منظور مزدوج. فالقراءة الأولى أشبه بالإصغاء للآخر يفسر تراثه بنفسه وهي المدخل، بل الباب الضيق أحياناً، إلى المجال الأرحب الذي يفتح أمام الحوار الحق. أما القراءة الثانية فهي أقرب لاستدعاء المسألة المتبادلة وهي في أصل المقاربة المشتركة، لا المقارنة، آخر القصد ومآل الحوار.

أول ما استوقفني تأكيد الورقة على المسألة المعرفية بحيث لا يغلق على البحث في حدود الشأن التربوي، وتتأسس النظرية المعرفية على تجاوز ثنائية العلم والعمل والتعليم والتربية. غير أن هذا التجاوز، فيما يتجنب الفصل، لا يغفل التمييز بل يتوسله طريقاً لتبديد الالتباس. ويظهر هذا التمييز، عند الأستاذ العجلوني، لدى الحديث عن الواقع الموضوعي والوعي الإنساني الذاتي الذي ينظر في ألوان العلاقات ويعيد تشكيلها. كما يصل بنا، من جهة أخرى، إلى النظر في حدود المعرفة البشرية «الكسبية»، مهما يكن من أمر تقدمها واتساع آفاقها، يبقى نطاقها مختلفاً عن نطاق المعرفة الإلهامية. غير أن هذا الاختلاف لا يقيم حاجزاً بين علوم الدين والدنيا فالعلم جامع لا يقتصر على جانب بعينه دون الآخر. ويبقى المنزل، بالمفهوم الإسلامي، حافزاً للهمم المعرفية فتسهم بدورها في تفسيره.

باختصار، نحن أمام نظرة غائبيّة وجامعة للمعرفة. ولا تنفصل إسلاميتها عن إنسانيتها لاستنادها على وحدة الوحي وعلى وحدة من هم لأدم، خلقهم الله من نفس واحدة.

(١) السكرتير التنفيذي لمكتب العلاقات بين الأديان-مجلس الكنائس العالمي - جنيف. وهو التعقيب الذي قدمه الدكتور طارق متري على بحث إبراهيم العجلوني المقدم في الحوار الإسلامي المسيحي الذي عقده المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية مع مجلس الكنائس العالمي في جنيف، في عمان أوائل القرن الجديد، تحت عنوان "فلسفة التعليم في الإسلام"، والذي يتضمنه كتاب "في مرآة الإسلام" الصادر عن مؤسسة الرسالة-بيروت ١٩٩٨م.

ليس المؤمنون، مسلمين كانوا أم غير مسلمين، غرباء عما تحتمله هذه النظرة من مطارحات وتساؤلات نابعة من تحديات العالم الحديث المتدهرن والمتعلمين، وهي تصادفنا، وإن بأقدار متفاوتة، أينما كنا. ففي العالم الحديث يحتل العلم، ومعه التكنولوجيا، موقع السيادة. ويزين للكثيرين أن لا رجوع عن عملية تاريخية استقلت فيها المعرفة الإنسانية عن البنى والرموز والدوافع وغيرها من الثوابت الدينية. إلا أن سيادة العلم باتت تشهد بحق أزمة شرعية، وأول مظاهرها تراجع فكرة الحقيقة أمام الفعالية والنزعة إلى الحرية أمام الرغبة في السلطة. وصارت التقنية، أو التقانة، محكومة بمعايير الممكن دون سواها. وما زال الكثيرون أسرى أيديولوجية علموية تكونت بظل التفاؤل بلا محدودية التقدم الذي خطا، ويخطو، بسرعة مذهلة في العصر الحديث. لقد أسلمت الطبيعة للعقل العلمي دون غيره وفي حركة فكرية جارفة انحسرت القدرة على التوحيد بين ما ينتمي إلى الطبيعة وما هو فوق الطبيعة، وتعرض العقل المذكور، فيما أراد نفسه مستقلاً وسيداً إلى التواطئ مع الموت، وأمست العدمية صنواً للعلموية.

إلا أن نفرًا قليل من أهل العلم المؤمنين أثر الخروج عن الاختيار بين التمسك بالعالم مفتاحاً تفسيريًا أوحد لفهم الواقع بكليته وبين الهروب من قبضته «العلم» المترخية نحو العدمية. لقد اكتسبوا في هذا الخروج تواضعًا إذ أيقنوا أن ما وراء ميادين التجارب والأبحاث أبعاداً يترتب على الحكمة والروحانية، بل على الحكمة الروحانية، أن تكتشفها. ولم تعد «الماورائيات» من نصيب علماء الدين والفلاسفة دون سواهم. فأهل الطبيعيات ينشغلون اليوم بها، أكثر من أي وقت مضى، ما خلا استثناءات من العصور الماضية، ومن أبرزها ما عرفناه في عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية. نحن هنا إذًا أمام حوار ممكن قد يحركه الحنين إلى ثقافة عضوية كلية تؤلف بشكل متناغم بين ما نسيميه، مع بعض التحفظ على المصطلح، الروحي والزميني. لكنه «هذا الحوار» مشدود إلى المستقبل من حيث هو تواق متجدد إلى معرفة تتولد في إنزال العقل في القلب والقلب في العقل حسبما جاء في أدبيات الآباء في الكنيسة الشرقية.

بعبارة أخرى، هناك إعادة اعتبار ممكنة للقول إن العلم قادر على التطور داخل وحدة الفكر، وفي تزامن وترابط مع الدين والفلسفة. وهذا ما يضعنا في مواجهة النظرية الوضعية القائلة بتطور الفكر الإنساني عبر ثلاث حالات متعاقبة هي الحالة اللاهوتية والحالة الماورائية والحالة الوضعية.

إن ورقة الأستاذ العجلوني، تستلهم النص القرآني وتستنتج التراث الإسلامي، لتلتقي من موقع الأمانة والأصالة، مع إعادة الاعتبار المذكور. وهي تقترح من جهتها، مفهوماً للعقل يشتمل على النظرة المعيارية، أي تلك النظرة التي تختصر الأشياء في قيمتها ومقاصدها الأخيرة. لقد جاء في لسان العرب «سمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك أي يحبسه.....». صحيح أن لفظة عقل لم ترد في القرآن الكريم، لكنها غالباً ما وردت في صيغة الفعل. وهناك آيات عديدة تربط بين العقل والهداية والمسؤولية ومنها: {وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون. ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً صم بكم عمي فهم لا يعقلون} (١).

هذا المفهوم الجامع للعقل يدعونا إلى مقارنة جديدة للفكر ترى الأجزاء من خلال الكل وتعمل على إبراز الوحدة من خلال التعدد وتعتمد إلى تصنيف المعارف لا بحسب مواضيعها أو مصادرها بل وفق بناها الداخلية. فبدلاً من تصنيف العلوم نقلية وأخرى عقلية أو علوم دين وعلوم لغة أو علوم العرب وعلوم العجم، وبدلاً من اعتبار الفلسفة والكلام، أو اللاهوت بالمصطلح المسيحي، علمين متجاورين لكنهما منفصلين، يترتب علينا أن نولي الاعتبار الأول للبنية الداخلية للمعرفة. ومن شأن ذلك أن يسمح بتجاوز عدد من الثنائيات، والتي ترى أحياناً بصورة تناقضات من منزلق الحط من قدر أحد العلوم لرفع شأن غيره. ونجد أنفسنا عندئذ أمام ألوان من المعارف تنتظم بحسب المنهج فتتكامل بدل أن تتعارض. إن المسألة أبعد من تصنيف العلوم. فالتعرف إلى مناهج المعرفة، في اتصالها وانفصالها، يضع العلوم كلها على المحك، محك الغاية الأخيرة وهي في ائتلاف الحقيقة والخير.

إن الذين ما زالوا يصرون على المفاضلة بين العلوم، أو ينزعون إليها، ليسوا قلة. وغالباً ما يقيمون، كل بحسب قناعاته الفلسفية أو الأيدولوجية، تراتبية تجعل من العلاقات بين العلوم أقرب إلى التدخل عوض التداخل والاستيعاب بدل المواءمة. غني عن القول إن القائلين بسيادة «علوم البرهان» ليسوا وحدهم في كل هذا. فبالمقابل نجد من يعترض على هذه السيادة ليقول بتفوق نوع من «علوم العرفان».

نحن نعيش في عالم يتحكم المنطق الذرائعي بالكثير فيه، إنه عالم تعمل على توحيده، بالقسر، حضارة الآلة وقيم الاستهلاك والفردية. وهو عالم يعرف إلى جانب إرادة القوة

(١) البقرة ١٧٠-١٧١.

والسلطة وبسبب منها، العدمية الكئيبة. إنها تنطوي على ما يمكن تسميته حزناً كيانياً تنطفيء فيه شجاعة الوجود ويدفع نحو الهروب إلى نشوة المخدرات وإلى تزايد مطرد للخلاعة والعنف.

في مواجهة العدمية التي تأخذ منحى عالمياً، يقوى السعي الشغوف إلى الانتماء والهوية. هناك أولاً التجذر فيما هو أصلي، أي في الكينونة، وذلك من خلال الدين والأرض واللغة والثقافة. لكن هناك أيضاً التفتيش عن ملجأ، عن الشعور بالاطمئنان توفره جماعة صغيرة دافئة أو فرقة من المخلصين. إن ما يسمى صحوة الأديان أو عودة المقدسات هو، في الحقيقة، ظاهرتان، تخص الأولى الأديان الكبرى في حركتها الداخلية وتعاملها مع تحدي الحدائث بوعودها وإخفاقاتها. أما الثانية فتخرج عن الهويات الدينية الجماعية إلى تليفيق الأفراد والشيع أو إلى جوانية وحلولية هي بمثابة علم اللامنظور.

ولا تقف خصوصية العديد من الحركات الدينية الجديدة عند حدود المضمون التلفيقي والعرفاني لتعليمها بل تظهر أيضاً في العلاقات بين القادة والأتباع أو بين الدعاة والمريدين. ذلك أن معظم هذه الحركات تتشكل حول أشخاص مواهبين يمارسون تأثيراً يتوسل، بصورة واعية أو نصف واعية، الإغراء والتسلط ونوعاً من اللعب على سحر الخوارق. في هذا السياق، تقوى روابط التلمذة على حساب الحرية ويحل الافتتان والخضوع محل التعلم.

تعود بنا هذه المعايينة إلى ما جاء عند الأستاذ العجلوني، وقد أحسن الاستعانة بالإمام الغزالي، تأكيداً على مكانة الشيخ المرشد المرابي وخصاله. ولا أخال الإسلام والمسيحية يختلفان في فهمهما للعلاقة السوية بين العالم والمتعلم. فقدوة المرشد، أو الأب الروحي كما يسميه المسيحيون الشرقيون، هي في القلب من العملية التربوية. وهي، بقدر ما تتيح اللقاء بين العلم والعمل، مؤهلة أن تسهم بقسطها في تربية لا يستقيل فيها العقل النقدي ولا يستحيل صنماً.

حول منهج الأفغاني في التعامل مع التراث^(١)

• إبراهيم العجلوني

ليس من غايات هذا البحث أن يحسم الخلاف القديم الجديد حول أفغانية جمال الدين أو إيرانيته، أو حول مبلغه من التقوى عند قوم، أو من الإلحاد عند آخرين، أو حول رتبته في السادة المجاهدين أو في محافل الماسونيين، أو حول غير ذلك من ملتبس أحواله وأقواله.. تلك أمور اشتجر فيها الخلاف، واستحّر الجدّل، ولا بُدّ لمن يطمح إلى عين اليقين فيها أن يصبر للتفصيلات الدقيقة والتحقيقات العميقة، وأن يمتلك من الزمن المديد والبصّر الحديد ما يسعفه في المراد، ويعينه على السداد.

بيد أنني لا أحبّ أن أتخذ سبيلاً إلى ما أبتغيه دون أن ألقى نظرة شافية -على الأقلّ في تقديري- على مواضع الالتباس آنفة الذكر؛ لما أعتقده من الأهمية البالغة لذلك في مستهلّ حديث، نريد أن نمضي فيه مطمئنين، عن (منهج الأفغاني في التعامل مع التراث) من جهة؛ ولما نراه، ويُجمّع عليه كثير من الدارسين من صعوبة الفصل بين المفكر والإنسان، أو بين الرجل والأسلوب، من جهة أخرى.

إننا لا نذهب في تقديس الرجل على نحو ما يذهب بعض كبار تلامذته، أمثال الشيخ محمد عبده الذي قال فيه: «فكأنه حقيقة كلبية تجلّت في كلّ ذهن بما يلائمه، أو قوّة روحية قامت لكلّ نظر بشكل يشاكله»^(٢)؛ ولكننا لا نبخسه، في الوقت نفسه، حقّه، أو نقدّره غير قدره؛ فهو عندنا، فيما نامل ونرجو، في ميزان لا يضطرب به التقديس أو يُخسرّه التبخيس... مكاناً سوى، نملك أن نرى الأشياء منه في مواضعها وأحجامها، وفي إطار شامل من مجمل الأحوال التي تعرّوها والعلاقات التي تنسّقها.

أما عن أفغانية جمال الدين، فأحسب أنه هو نفسه قد حسمها حين قال: وأي نفع لمن يذكر أنني وُلدت سنة (١٢٥٤) للهجرة وعمّرت أكثر من نصف عصر، واضطرتُّ لترك

(١) محاضرة العجلوني التي ألقاها في الحلقة الدراسية التي عقدها المجمع العالمي للفكر الإسلامي بالتعاون مع

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم حول جمال الدين الأفغاني - عمان - أيلول ١٩٩٩ م.

(٢) الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، تحقيق ودراسة د. محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات،

بيروت ج ١ ص (١٣٧).

بلادي الأفغان مضطربة تتلاعب بها الأهواء والأغراض»^(١).

وأما عن كونه من أهل السنة فدلينا الأول عليه تبيينه لشرح جلال الدين الدواني (ت ٨١٩هـ) على العقائد العُصْدية. وهي عقائد تؤكد أن الإمام بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه. ثبتت إمامته بالإجماع، ثم عمّر الفاروق رضي الله عنه، ثم عثمان ذو النورين رضي الله عنه، ثم علي المرتضى كرم الله وجهه. والأفضلية بهذا الترتيب»^(٢).

فإذا زدنا على ذلك موافقته الصريحة لكل من الإيجي والدواني على أن «النظر في معرفة الله واجب شرعاً وبه تحصل المعرفة ولا حاجة إلى المعلم»^(٣) وقوله إنه لا حاجة إلى المعلم المخصوص، وهو الإمام المعصوم، وإننا لسنا نحتاج إلى نائب عن الشرع إلا في مجرد التبليغ، ثم من الشرع نفسه يكون العلم والأخذ»^(٤)؛ فإننا نكون قد استبنا سنة جمال الدين، إلى جانب أفغانيتي التي لا نراها، من حيث هي جنسية أو قومية ذات أثر في بنيانه الفكري أو منهجه التحليلي الذي يتجاوز الأجناس والقوميات.

ثم إننا إذا قرأنا ما جاء في كتاب «خاطرات جمال الدين»^(٥) حول الخليفة العادل عمر بن الخطاب، ورأينا إلى إعجاب الأفغاني بكل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فإن آية ذرة من شك في سنته ستغدو هباءً منثوراً..

ولعل في هذا ردّاً غير مباشر على الروايات التي أشار إليها المستشرق جولدزيهر، كاتب مادة جمال الدين في دائرة المعارف الإسلامية، والتي تذهب إلى أنه انتحل الجنسية الأفغانية توسلاً إلى التخلص من الاستبداد الفارسي»^(٦).

على أن مما يجب الانتباه إليه، هنا، أن الأفغاني كان شديد النفور من قول سني وشيعي، وكان يرى أنه قد آن للمسلمين أن ينتبهوا من هذه الغفلة وأن يكونوا جميعاً، سنة وشيعة، كالبنيان المرصوص، كما أمر الله سبحانه في كتابه العزيز.

(١) قول عضد الدولة الإيجي، بعد إيراد هذا الترتيب أن ب معنى الأفضلية أنه أكثر ثواباً عند الله تبارك وتعالى، لا أنه أعلم وأشرف نسباً وما أشبه ذلك.

(٢) خاطرات جمال الدين محمد باشا المخزومي، المطبعة العلمية ليوستف صادر، بيروت، ١٩٢١، ص (٢٢).

(٣) الأعمال الكاملة، ج ١، ص (٤٩٣ - ٤٩٥).

(٤) الأعمال الكاملة، ج ١، ص (٤٤٤ - ٤٤٨).

(٥) المصدر السابق، ص (٣٠١).

(٦) خاطرات ١٩٨ / ١٩٩.

أما عن وصفه بالإلحاد، وهو ما جاء على لسان المستشرق الفرنسي أرست رينان، فهو متعلّق بمعنى الإلحاد كما استقرّ في الدائرة المفهوميّة للفلسفة الغربيّة الحديثة. وهي دائرة تكاملت في مواجهة التزمّت الكنسي في أوروبا، ولا علاقة لها بالإسلام الذي كان لمفكره وعلمائه الأثر الأكبر في خروج أوروبا من ظلمات قرونها الوسطى.

يقول رينان: وقد خُيّل إليّ من حرّية فكره، ونبالة شيمه، وصراحته، وأنا أتحدث إليه؛ أنني أرى، وجهاً لوجه، أحد من عرفتهم من القدماء، وأنني أشهد ابن سينا وابن رشد، أو أحد أولئك الملحدّين العظام الذين ظلّوا خمسة قرون يعملون على تحرير الإنسانية من الإلحاد»^(١).

إنّ الإلحاد هنا - وفي سياقٍ متّصل من مُفتّح العصور الأوروبيّة الحديثة - هو الخروج على الكنيسة وتعاليمها (لا على المسيحية الموحّدة) والاحتكام إلى العقل وموازينه في النظر؛ وذلك ما كان فيه للسنيويّة والرشدية الإسلاميّتين أبلغ الأثر وأعمقه وأوسعّه..

لقد اتّهم الإسلام من قبلُ بأنّه هرطقة عربيّة؛ فلا بأس أن يُقال في فلاسفته الكبار إنهم ملحدون عظام، إذ الإلحاد، في معناه التنويري الأوروبي، لا يعدو أن يكون رفضاً للصورة الكنسيّة لله والعالم، وهو رفض إسلامي المنهج والآفاق؛ وإن وصفته الكنيسة بالهرطقة والتمرد ومحاربة الإيمان الكهنوتي.

أما عن ماسونيّة جمال الدين، والماسونية كما هو معروفٌ واجهة كبيرة من واجهات حركة اليهوديّة العالميّة^(٢)؛ فأعتقد أن أوجز وأدق ما قيل فيها هو الذي جاء في المقالة الجامعة المانعة التي كتبها الدكتور محسن عبد المجيد، وضمّنها نتائج بحوثه المطوّلة عن الأفغاني وعلاقته بالماسونيّة، ولست أرى بأساً من إيراد خلاصة ما انتهى إليه هذا الباحث، لما أعتقده من أهميّة حسم هذه المسألة التي قد تحول بين جمهور المثقّفين المسلمين وبين أعمال جمال الدين، ولما تولّده من نفور بدئيّ - هو فرغٌ، بالضرورة، على النفور من الصهيونية - عند الأجيال الشابة من المسلمين.

يقول الدكتور محسن عبد الحميد: لقد ثبت عندي على ضوء دراستي هذه: أن الأفغاني كان يدعو في حياته إلى الأمور الآتية:

(١) الأعمال الكاملة، ج ١، ص (١٢٧).

(٢) مجلة الرسالة الإسلامية، العدد ٦٢/٦٣ حزيران تموز ١٩٧٣، ديوان الأوقاف - بغداد، ص (٢٠).

- أولها: دعوة المسلمين للعودة إلى الكتاب والسنة، ونبذ الأفكار والبدع والتعصبات الدخيلة المخالفة لهما.
- ثانيها: تحذير المسلمين من المذاهب المادية التي كان المستعمرون يحاولون التمكين لها في البلاد الإسلامية.
- ثالثها: إفهام المسلمين أن القرآن له تجربة سابقة في هداية أمم كثيرة فاقوا أمم الأرض سياسة وعلمًا وفلسفة وصناعة وتجارةً.
- رابعها: الاعتقاد بأن الطريقة الفلسفية للقرآن هي الطريقة المثلى، فهو الذي علمنا (لم) و(لماذا). ودعانا إلى التفكير، وتسخير قوة العقل.
- خامسها: تقوية الخلافة الإسلامية، والدعوة إلى الوحدة الإسلامية عن طريق الجامعة الإسلامية.
- سادسها: دعوة المسلمين إلى الأخذ بأسباب الصناعة والحضارة الآلية، وتنظيم الزراعة والتجارة، كي يتقوى كيانهم، فلا يتزعزعون أمام المستعمرين، ولا يتأخرون عن ركب الأمم الأخرى.
- سابعها: ردّ شبهات المستشرقين والمبشرين الذين كانوا يقصدون تشويه الإسلام عقيدة وشريعة وتاريخًا.
- ثامنها: تنييه المسلمين إلى المخططات الاستعمارية، والمؤامرات الغربية التي كانت تحاك لهم للسيطرة على بلادهم، والقضاء على شخصيتهم.
- تاسعها: عدم الوقوف بهذه المسائل في حدود النظريات المجردة، وإنما التبشير بها، والدعوة إليها، والجهاد الشامل في سبيلها، واعتبارها قضية الإسلام المصيرية في هذا العصر^(١).
- ثم يتساءل الباحث عن مدى توافق هذه المبادئ والأفكار مع انخراط جمال الدين في الماسونية، وينتهي، بعد البحث والتمحيص، إلى أن الأفغاني لم يكن يعلم حقائق الماسونية، ولا كان مطلعًا على بواطنها ومراميها. ثم يورد أدلة ستّة على ذلك، تثبت هنا كما وردت، لإيماننا بضرورة الاستقرار في هذه المسألة على قول فصلٍ أخير.

(١) المصدر السابق، ص(٢٢).

الأول:

دخل الأفغاني الماسونية بناءً على طلب منه بتاريخ ١٢٩٢هـ / ١٨٧٨ م) وتم قبوله فيها في نفس السنة. والجمعيات الماسونية في تاريخ دخوله فيها كانت جمعيات علنية منتشرة في جميع البلاد العثمانية، حتى في إسطنبول، وفي زمن خلافة السلطان عبد الحميد الثاني. ولم ينتبه عبد الحميد إلى خطر الماسونية إلا في سنة ١٨٨٦م، أي بعد دخول جمال الدين وخروجه منها بحوالي ثماني سنوات. فلو كانت حقيقة الماسونية معلومة، وأسرارها مذاعة في أي مكان في العالم، لبادر عبد الحميد إلى سدها والقضاء عليها قبل هذا التاريخ، خاصة وأن هذا الخليفة بإجماع مؤرخيه كان ذكياً داهية، خبيراً بأسرار الدول والجماعات، مطلعاً على المؤامرات التي كانت تدبر ضد الإسلام والمسلمين.

وعبد الحميد نفسه عندما أمر بإغلاق الماسونية، لم يفعل ذلك لأنه اطلع على نواياها الحقيقية، بل فعل ذلك في تلك السنة، لأنه شك فيها وفي نواياها فقط. ولذلك فإنه لم يلاحق أعضاءها، ولم يسقهم إلى المحاكمات، ولم يقتل منهم أحداً.

لا بل أؤكد حقيقة أخرى، وهي أن عبد الحميد إلى سنة ١٩٠٩هـ، لم يعلم عن الماسونية إلا شيئاً قليلاً، دليلي على ذلك أنه لما قام الانقلابيون من جماعة تركيا الفتاة الماسونية بانقلابهم، لم يقاومهم ولم يأمر حامية إسطنبول بقتالهم، والتاريخ يقول إن موقف عبد الحميد السلمي في ذلك اليوم هو الذي سبب نجاح الانقلاب، ولو كان عبد الحميد يعلم حقائق الماسونية كما نفهمها اليوم أو كما فهمها هو بعد خلعه في أثناء نفيه، إذن لقاومهم حتى الموت، إذ لم يكن من المعقول أن يترك عبد الحميد الخليفة الذي كان يهيمه مصير الإسلام والمسلمين - الانقلابيين أن يقوموا بهدم آخر حصن من حصون قوة الإسلام، وهو يعلم حقيقة الماسونية، وكونها واجهة من واجهات اليهودية العالمية.

الثاني:

من المعلوم عند مؤرخي حياة الأفغاني، وعند من يشيرون الشكوك حول الأفغاني لدخوله الماسونية يوماً من الأيام: أن السلطان عبد الحميد هو الذي دعاه إلى إسطنبول. وثبت أنه كان يستشيريه في كثير من قضايا الدولة الخطيرة، وأنه خطط معه للدعوة إلى الجامعة الإسلامية وقوفاً أمام خطر الاستعمار الغربي الزاحف يومئذ. وكان الأفغاني يدخل عليه في أي وقت يشاء.

وكان عبد الحميد من الحب الشديد له بحيث أعطاه مرة تقارير رجال المخابرات عن حركاته، ولقائه في إسطنبول بخديوي مصر، ثم مزقها أمامه. فلو كان السلطان يعلم أن جمال الدين قد دخل الماسونية، وهو يعرف حقائقها، لما دعاه إليه، ولما كان موقفه منه موقف الوزير المعاون. خاصة وأن عبد الحميد كان قد أغلق الجمعيات الماسونية منذ سنة ١٨٨٦ م كما مر بنا، والأفغاني استدعي إلى إسطنبول بعد هذه الفترة، وتوفي فيها سنة ١٨٩٧ م.

الثالث:

لم أقرأ في الكتب التي رجعت إليها عن كل ما يتصل بتلك الفترة أن علماء الإسلام ومفكره كانوا يعرفون عن الماسونية ما نعرفه اليوم عنها. فلم يصل إلينا كتاب أو مقال كتبه عالم أو مؤرخ أو مفكر قبل دخول الأفغاني إلى الماسونية (١٨٧٨ م) ينبه المسلمين إلى يهودية الحركة الماسونية، وأهدافها الحقيقية التي ظهرت في القرن العشرين. ولو كان موجوداً لوصلنا، لانتشار الطباعة قبل ذلك الوقت، ولعظم الحاجة إلى نقله. خاصة وأن عبد الحميد منذ توليه الخلافة كان اتجأه إلى الجامعة الإسلامية واضحاً، وكان هو نفسه كما هو ثابت عنه، من أعرف الناس بما كان يحاك ضد الإسلام وأهله. فالجو إذن كان ملائماً لإظهار كل الحقائق حول الماسونية.

الرابع:

توفي الأفغاني سنة ١٨٩٧ م. وفي هذه السنة عقد في (بازل) المؤتمر الصهيوني العالمي الأول بزعامة هرتزل، وبدأت مخططات اليهودية العالمية ابتداءً من هذا المؤتمر تجد طريقها إلى النور عن طريق الجمعيات الماسونية التي كانت توجهها الصهيونية.

فالأفغاني إذن لم يسمع قط باسم الصهيونية، ولا مخططاتها الإجرامية المخربة في العالم: أي أن الأفغاني مات ولم يعلم أن اليهودية العالمية هي التي كانت توجه حركة الماسونية في العالم. لأن الوثائق التي نشرت عن الماسونية وحقائقها والصهيونية وأهدافها كانت بعد مؤتمر (بازل).

وبعبارة أخرى: إن الأفغاني مات ولم يقرأ (بروتوكولات حكماء صهيون) ولم يعلم كذلك شيئاً عن زيارات هرتزل لاسطنبول. لأنها كانت بعد وفاته.

الخامس:

من الثابت في حياة الأفغاني أن كثيراً من العلماء في زمانه قد حاربوه محاربة شديدة، واتهموه بكثير من التهم، قبل دخوله الماسونية وبعده. ولم نجد قط أحداً منهم غيره بدخوله في الماسونية أو قال بأنه كافر أو ملحد أو مشكوك فيه من أجل دخوله في الماسونية. أو أنه أبلغ خليفة العصر بذلك سواء منهم شيخ الإسلام أو غيره ممن عادوه. وهذا دليل قوي يثبت أن أهل زمانه لم يكونوا يعرفون عن الماسونية إلا أنها جمعية اجتماعية جامعة بين أخلاط من الناس. ولو كانوا يعلمون حقيقة الماسونية، لاستعملوا دخول الأفغاني فيها سلاحاً خطيراً لمحاربتة وفضحه عند الخليفة.

السادس:

إن الأفغاني لم يكن وحده قد دخل الماسونية ثم خرج منها، بل إن كثيراً من الرجال البارزين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، في ذلك العصر قد دخلوا الماسونية، وهم لا يعلمون عنها إلا أنها جمعية إنسانية اجتماعية تدعو إلى الإخاء والسلام، وتدعو إلى القيم والمثل الفاضلة، وتقدم الخدمات الاجتماعية لليتامى والأرامل والفقراء والمساكين.

فدخول هؤلاء فيها كان من باب التعاون على البر والخير، ونشر الأخلاق الفاضلة التي يجتمع عليها أهل الأديان جميعاً. ولم ينقل إلينا أن هؤلاء العلماء والقضاة قد تعرضوا في زمانهم إلى التشنيع والنقد بسبب دخولهم في الماسونية^(١).

ذلك ما رأيتُ لزاماً عليّ الوقوف إزاءه قبيل الدخول إلى موضوعي المحدد، فهو مدخل لا بُدَّ منه، فيما أعتقد، ومُقدِّمةٌ يستبرئُ بها الباحث لضميره العلمي، ثم يدلفُ إلى صميم بحثه مُطمئنّاً، ويسيرُ رهواً في مسالكه وشعبه..

أمّا محورُ البحث وهو (منهج الأفغاني في التعامل مع التراث) فذلك ما أساورُهُ بثلاثِ مقاربات قبل اقتحامه. وهي مقاربات تتعلق، على التوالي، بمفهوم (المنهج) ثم بمفهوم (التراث) ثم بمفهوم (التعامل)؛ إذ في ضوء ذلك يمكن النفاذُ إلى غايتنا من البحث وتبيينُ ما نريدُ منه.

أمّا مفهوم (المنهج) فهو أشدُّ شيء التباساً، اليوم، في الأذهان، على الرغم مما أريق في تجليته من حبر وسودّ من صحائف، وإنّ من السذاجة أن نقفَ في شأنه عند مستوى الدلالة

(١) المصدر السابق، الصفحات من (٢٣-٢٦).

المعجمية القريبة، أو حتى عند ما قد يتفق عليه الدارسون في حقل من حقول المعرفة؛ إذ سرعان ما تتخرج الدلالات وتلتبس المعاني، ويُنقَضُ الغزلُ أنكاثًا، وتُرَدُّ أنظارٌ على أعقابها؛ فتطيبُ لبعضهم القراءة عند نقطة الصفر أو الكتابة عندها، ويستقرُّ بعضهم على أن المنهج هو اللّامنهج كما أن اللغة هي اللّالغة، عندهم، والتاريخ هو اللّاتاريخ؛ إلى آخر ما يُساق إليه الوعي المعاصر بفعل الحداثات المتتابة والفجاءات (المرسومة!) وسائر البروتوكولات التي لا نعلم من علمها شيئًا!!

من أجل ذلك كلّه نختارُ على بصيرة، فيما نأملُ، أن يستقرّ المنهج لدينا على معنى «الأُسلوب» أو على الكيفيّة التي يتعامل بها جمال الدين مع التراث.

وإن لنا في هذا الباب تساؤلاتٍ لا بُدَّ من طرحها: فهلْ ثمَّ مسافةٌ بين جمال الدين وبين التراث على نحو ما نجد بين كثير من الباحثين العرب المحدثين وبين هذا التراث؟، وإذا كانت هذه المسافة قائمةً فهلْ هي ضربٌ من المفارقة المنهجية التي تتيحُ سلكَ معطياته في كليات مفهومية أو أنظار شمولية؛ أم هي ضربٌ من القطيعة المعرفية والذوقية مع هذا التراث كما هو الأمر مع تلامذة الاستشراق وسائر المضاهئين للغرب بين ظهرانينا؟

إن الإجابة على ذلك، بوضوح، تتطلب المقارنة بين منهج أو أسلوب الأفغاني وبين منهج باحث منقطع (منبَت) مثل محمد أركون الذي يُعتبر ممثلًا للحداثة (الإسلامية!) لدى الدوائر اللاهوتية الغربية.. ولعلّ هذا، في سياق بحثنا، أن يكون.

أمّا التراث: فبأيّ معنى نريده، وعلى أي جوانبه نميلُ، وإذا حدّدنا شيئًا من ذلك؛ فهلْ نأخذُه بمعزل عن القرآن الكريم والسنة النبوية أو على مَبَعْدَةٍ منهما؛ أم صادرًا عنهما، راجعًا إليهما، مشتبكًا بهما؟

وهل هو تراثٌ مذهب بعينه أم تراثُ المذاهب كلّها؟

وهل هو تراثٌ علم بعينه أم التراث الشامل لعلوم الإسلام كافّة؟

وهل هو قوّة أو حياةٌ ما تزال تمورُ في واقعنا الإنساني المشهود؛ أم هو تركّةٌ نحملها فتنةً بعزائمنا التي ندخرها لما بين ظهرانينا وما خلفنا من تحدّيات؟

إنّ ممّا لا نعدّم له المرّوجين، والذين يتولّون كِبَرَهُ كلّ حين؛ تلك الدعوى بجعل الوحي خارج التراث، أي بعزل التراث عن مصدر حياته وقوّته، ثم نقده (وهو مجمل المعطيات

الإنسانية المستظلّة بالوحي: كتاباً وسُنّة) في ضوء رؤى إلحادية^(١) أيديولوجية! ونحن نتساءل هنا: كيف يمكن فهم القرآن والسُنّة خارج معطيات اللغة والتاريخ، وفي منأى عن علوم التفسير والحديث؟ وكيف يمكن، في مقابل ذلك، فهم نشأة علوم الإسلام، ونشأة مذاهبه المختلفة والفرق التي انشعبت في تاريخ أممه، دون الاعتراف بأثر الكتاب والسُنّة في ذلك كله؟

وإذا كنّا، إلى هذه اللحظة من زماننا، نفسرُ، بالقرآن والسُنّة، كثيراً من الحركات المعاصرة، والأحداث، والتيارات الفكرية والتغلّبات السياسيّة، ونتبين أثرهما فيها؛ فهل يجوز تنكّب ذلك حين نبحث في التراث؟!

إننا نستشفُّ من كثير من المحاولات في هذا الصدد أنّها تتجافى عن حقيقة أنّ أجيال المسلمين الأولى هي الأقدر على فهم الكتاب والسُنّة، وهي الأملك لأنقى تصوّر وأندره شائبةً لمعانيهما، وأنّها -شئنا أم أبينا- هي مرجعنا الأوّل، أو دائرتنا المركزيّة الأولى التي لا يستوي لنا أن نتعمق دلالات الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة إلاّ بعد استيقانها..

إن قراءتنا للتراث هي قراءة لوحي الله ولتمثّل الإنسان له في آن. وما دون ذلك إلاّ أضغاث أحلام وسمادير أوهام..

يبقى أمامنا مفهوم «التعامل» وهو موزّع الدلالة في اتجاهين؛ أولهما تشخيصي حيث يُصوّر التراث إنساناً نقيماً علاقة معه، وثانيهما ذرائعي تخضع فيه هذه العلاقة إلى حاجات عملية معاصرة تسوّغ الرجوع إلى التراث، وكلا الاتجاهين المتداخلين، فيما أرى، مُحفّق: مُقترباً ونتائج، وغير قادر على التماس حقائق تراثنا وجوانباته؛ على حين نقترح «التّمثّل» أسلوباً لذلك، من حيث هو استبطان معرفي وذوقي، واكتناه داخلي يملك من يقدر عليه أن يحقق ما نسّميه «الموضوعيّة الشفيقة» التي تتجاوز الأطر الخارجيّة للأشياء إلى دقائقها وتفصيلها التي لا تُسلم نفسها للنظر بادي الرأي، وإلى روحها الكامنة في الأعماق.. عصيّة هنالك إلاّ على أولئك الذين يتنوّرونها بشوق المحبين ويزدلفون إليها ازدلاف العابدين المُخلصين..

إنّ الوصف الاستشراقي لحقائق الإسلام لا يجدي في هذا المقام المعرفي الحميم. والذرائعية التي يتتهجها غير واحدٍ من فلاسفتنا المعاصرين لا تجدي.. ولا بدّ من هذه

(١) للإلحاد هنا دلالاته التي نعرفها في الدائرة المفهومية للإسلام. أي كما فهم الخياط المعتزلي الإلحاد حين كتب "الانتصار" في الرد على ابن الراوندي الملحد.

الموضوعية الشفيفة القائمة على الاستبطان والاكتناه الداخليين، وعلى شرط التقوى مُدخلاً، وعلى المحبّة سبيلاً..

نجد أنفسنا، بعد هذه المقاربات، في مواجهة مباشرة مع أسلوب جمال الدين في تمثّل التراث، وقد اتخذنا أنموذجاً على ذلك تعليقاته على العقائد العضدية ولا سيما وقفته أما حديث الفرقة الناجية. ثمّ عقبنا على ذلك بموقفه مما سبق إليه العرب والمسلمون من العلوم والفنون، ولا سيما ما كان منه في تحليل جوانب من رسالة ابن بشرون في الكيمياء.

أمّا العقائد العضدية -التي لا تزيد نصّاً على ستمئة وخمسين كلمة- فقد كتبها عضد الدين الإيجي (ت ٦٥٧ للهجرة) صاحب كتاب المواقف في علم الكلام. وهي بحسب قول جلال الدين الدواني «لم تدع قاعدة من أصول العقائد^(١) الدينية إلا وأتت عليها، ولم تترك من أمهاتها ومهماتها مسألة إلا وقد صرحت بها أو أومأت إليها»^(٢).

وقد جاء شرح الدواني لها صورة مقاربة لما وصل إليه الاعتقاد الأشعري في مستهل القرن العاشر الهجري، وبخاصّة في مباحث الذات والصفات وحدوث العالم، ولعلّ ذلك أن يكون الجانب الذي شدّ الأفغاني إليه وحفزه إلى التعليق عليه.

ولكي نتبيّن أسلوب جمال الدين في (التعامل!) مع شرح الدواني ونرى إلى كيفية نظره فيه، فهماً وتمثلاً ثمّ إضافةً، فقد رأينا إثبات مُفْتَحِ العقائد كما هو في نصّ الإيجي أولاً، ثمّ أوردنا شرح الدواني عليه، ثمّ أتبعنا ذلك بتعليقات جمال الدين التي تمثّل منهجه أو أسلوبه.

تبتدئ العقائد العضدية بالاستهلال التالي: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ستفترق أمتي ثلاثاً وسبعين فرقة كلّها في النار إلا واحدة، قيل: ومن هم؟ قال: الذين هم على ما أنا عليه وأصحابي) وهذه عقائد الفرقة الناجية وهم الأشاعرة.

ونقرأ في شرح ذلك عند جلال الدين الدواني ما يلي: «قال المصنّف رحمه الله: (قال النبي صلى الله عليه وسلم): (النبي) هو إنسان بعثه الله تعالى إلى الخلق لتبليغ ما أوحاه إليه. وعلى هذا لا يشمل من أوحى إليه ما يحتاج إليه لكماله في نفسه، من غير أن يكون مبعوثاً إلى غيره،

(١) المراد بالعقائد -عند الدواني- ما يتعلق الغرض بنفس اعتقاده؛ من غير تعلق بكيفية العمل ككونه تعالى حيّاً قادراً إلى غير ذلك من مباحث الذات والصفات. وتسمّى تلك الأحكام أصولاً وعقائد، يقابلها الأحكام المتعلقة بكيفية العمل كوجوب الصلاة والزكاة والحج والصوم. وتسمى: شرائع، وفروعاً، وأحكاماً ظاهرة. أنظر شرح العقائد / الأعمال الكاملة.

(٢) المصدر السابق، ص(٤٣٣).

كما قيل في زيد بن عمرو بن نفيل اللهم إلا أن يتكلف. والرسول قد يُستعمل مرادفًا له. وقد يُخصُّ بمن هو صاحب كتاب أو شريعة، فيكون أخصَّ من النبي، واشتقاقه من النبأ بمعنى الخبر، أو من النَّبوة بمعنى الارتفاع. أو هو منقول من النبي بمعنى الطريق. واللام فيه للعهد الخارجي. أو المُراد به الفرد الكامل، على ما ينساق إليه الذهن في المقام الخطابي.

(ستفترقُ أمتي): أي أمةُ الإجابة، وهم الذين آمنوا به صلى الله عليه وسلم، وهو الظاهر، فإنَّ أكثر ما ورد في الحديث، على هذا الأسلوب أريد به أهل القبلة. قال بعض شراح الحديث: ولو حُمِلَ على أمة الدعوى لكان له وجه، وأنت تعلمُ بعده جدًّا، فإنَّ فرق الكفر أكثر من هذا العدد بكثير.

(ثلاثًا وسبعين فرقة): السين: إمَّا للتأكيد فإنَّ ما هو متحقق الوقوع قريب، كما قيل في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى (الضحى: ٥) أو بمعناه الحقيقي، إشارة إلى أن الاختلاف متراخ عن حياته، صلى الله عليه وسلم، وما يُتوهم من أنَّه إن حُمِلَ على أصول المذاهب، فهي أقلُّ من ذلك العدد، وإن حُمِلَ على ما يشمل الفروع فهي أكثر منه؛ توهم فاسد لا مُستند له.

(كلها في النار): من حيث الاعتقاد، فلا يُردُّ أنَّه إن أريد الخلودُ فيها فهو خلاف الإجماع؛ فإنَّ المؤمنين لا يخلدون فيها. وإن أريد مجرد الدخول فهو مشترك بين الفرق. إذ ما من فرقة إلا وبعضهم عصاة. والقول بأنَّ معصية الفرقة الناجية مطلقًا مغفورة بعيدٌ جدًّا. ولا يبعد أن يكون المراد استقلالُ مكثهم في النار بالنسبة إلى سائر الفرق ترغيبًا في تصحيح العقائد.

(إلا واحدة: قيل ومن هم - أي الفرقة الناجية - قال الذين هم على ما أنا عليه وأصحابي): رواه الترمذي. والأصحابُ جمع صَحْبٍ، جمع صاحب أو جمع صَحْبٍ محفَّف صَحْبٍ بمعنى صاحب. وهو من رأى النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنًا به، سواء كان ذلك في حال البلوغ، أو قبله، أو بعده، طالَّت صحبته أو لا..^(١)

إنَّ هذا الشرح الذي لا يزيدُ على صفحة من كتاب قد ظفَرَ من جمال الدين بما يقاربُ ثماني صفحات من التعليقات التي تعكسُ أسلوبه في تمثُل حديث الفرقة الناجية وشرِّحه، حيث يمتزجُ التحليل اللغوي بالمُحاجة الكلامية بالتحقيق الدقيق للمعاني، وحيثُ يتشققُ

(١) الأعمال الكاملة، ج ١، ص (٤٣٢ - ٤٣٤).

الكلام عن مباحث عميقة تؤكد طولَ باعِ المعلقِ وشِدَّةِ مِرَاسِه لِقَضَايَا أُصُولِ الدِّينِ أَوْ عِلْمِ الكلامِ..

يبدأ جمال الدين تعليقاته بتوكيد دلالات النبوة كما أوردها الشارح، ثم يزيد على ذلك: وأقول: قد يُعرَّفُ النَّبِيُّ بِإِنْسَانٍ فُطِرَ عَلَى الْحَقِّ عِلْمًا وَعَمَلًا، أَي بِحَيْثُ لَا يَعْلَمُ إِلَّا حَقًّا وَلَا يَعْمَلُ إِلَّا حَقًّا، عَلَى مَقْتَضَى الْحِكْمَةِ، وَذَلِكَ يَكُونُ بِالْفِطْرَةِ، أَي لَا يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الْفِكْرِ وَالنَّظَرِ، وَلَكِنِ التَّعْلِيمَ الْإِلَهِيَّ. فَإِنَّ فُطْرَ أَيْضًا عَلَى دَعْوَةِ بَنِي نَوْعِهِ إِلَى مَا جُبِلَ عَلَيْهِ، فَهُوَ رَسُولٌ أَيْضًا، وَإِلَّا فَهُوَ نَبِيٌّ فَقَطْ وَلَيْسَ بِرَسُولٍ فَتَفَكَّرْ فِيهِ، فَإِنَّهُ دَقِيقٌ. ثُمَّ الْمُرَادُ بِالنَّبِيِّ فِي كَلَامِهِ مَا هُوَ الْمَعْهُودُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ نَبِيُّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ^(١).

ونحن نلمس هنا البدايات الأولى، في عصرنا الحديث، لتفسير النبوة بالملكيات والاستعدادات الإنسانية، إذ الفطرة الفائقة التي جُبل عليها النبي، والتي لا تعلم إلا حقًا ولا تعمل إلا حقًا، ليست إلا واقعة أرضية، وإن كان جمال الدين تحوُّط لها بالتعليم الإلهي الذي قد يقترب بها من الملائكية!

والذي اعتقده أن ما جاء به المعلق أقرب إلى معنى العبقرية الإنسانية، وإن اشترط خيريته اللدنية قولاً وعملاً، أو جعلها عبقرية خيرية. وهو أثر من آثار النَّظَرِ الْغَرْبِيِّ إِلَى شَخْصِيَّةِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنْ حَيْثُ هُوَ إِنْسَانٌ عَبْقَرِيٌّ وَقَائِدٌ فَدِّ وَصَانِعٌ تَارِيخٌ.

أما النبوة، فيظل أدنى مقرباً إليها الفهم الذي وافق جمال الدين الدواني عليه، حيث يعرف النبي بأنه إنسان بعثه الله تعالى إلى الخلق لتبليغ ما أوحاه الله إليه.

ومهما يكن الأمر ففي كلام الأفغاني إشارة مبكرة إلى أهمية البحث في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، وفيما تبيأ لها من كمالات إنسانية، بمعزل عن النبوة، كما كان من العقاد في كتابه «عبقرية محمد»، وهو كتاب يقدم صورةً لمحمد الإنسان، ويخاطب به غير المسلمين قبل المسلمين، والله أعلم حيث يجعل رسالته.

ثم يقوم جمال الدين، بعدئذ، بتحليل لغوي حول معاني (السين) و (سوف)، ويحاول الوصول إلى يقين في زمن افتراق الأمة متى يكون، وينتهي إلى القول: «على أنا نقول: إن

(١) المصدر السابق، ص (٢١٤).

الافتراق لم يحصل إلا بعد النبي، صلى الله عليه وسلم، وإن سُلِّمَ وقوعُ شيءٍ منه في زمنه؛ فلم يتم العدد إلا بعده بكثيرٍ من الزمن»^(١).

ثم يقف بنا أمام قول الشارح (من حيث الاعتقاد) مبيِّناً أنَّ «ما بهِ صارت الفرقةُ فرقةً، هو ما افتقرت به عن الأخرى، وليس ما تفرق به الفرقُ إلا الاعتقادات. وأمَّا الأعمالُ فتلك مما يكونُ لكل شخصٍ شيءٌ خاصٌّ به، ولا تقومُ بها الفرقةُ فرقةً»^(٢).

وما أن يستوفي جمال الدين مُدخله اللغوي في معاني الحروفِ وشرحه لما تفرق الفرقُ به حتى يستوقفنا قائلاً: «لا بُدَّ أن نتكلَّم في هذا الحديث بكلامٍ موجزٍ، فاسمع واعلم أن هذا الحديث قد أفادنا أن يكون في الأمة فرقٌ متفرقةً، وأن الناجي منهم واحدة، وقد بيَّننا النبي بأنَّها التي على ما هو عليه وأصحابه. وكون الأمة قد حصل فيها افتراق على فرقٍ شتى، تبلغ العدد المذكور أو لا تبلغه، ثابت قد وقع لا محالة. وكون الناجي منهم واحدة أيضاً حقٌّ لا كلام فيه، فإن الحقَّ واحدٌ، هو ما كان النبي عليه وأصحابه؛ فإنَّ ما خالف ما كان عليه النبي فهو ردٌّ».

أمَّا تعيين أي فرقة هي الفرقة الناجية، أي التي تكون على ما هو عليه وأصحابه فلم يتبيَّن إلى الآن، فإن كل طائفة ممن يُدَّعى لنبيِّنا بالرسالة تذهب فتجعل نفسها على ما النبي عليه وأصحابه، حتى إنَّ «مير باقر الداماد»^(٣) برهن على أن جميع الفرق المذكورة في الحديث هي فرقُ الشيعة، وأن الناجي منهم من فرقة الإمامية! وأمَّا أهل السنة والمعتزلة وغيرهم من سائر الفرق فجعلهم من أمة الدعوة، فكلُّ يدَّعي هذا الأمر وقيم على ذلك أدلَّةً^(٤).

ثم يتَّبِع جمال الدين جوانبَ من عقائد الفلاسفة والصوفيَّة والمعتزلة وأهل السنة والشيعة والمجسِّمة، بما يؤكِّد ظهوره على جليل الكلام ودقيقه، وتبجَّره في المسائل الخلافية بين الفرق، وطول اشتغاله بأصول الدين. ثم يخلص من ذلك إلى القول بأنَّ «الوقوف على حقيقة الحقِّ في ذلك يكون من فضل الله تعالى وتوفيقه، فإنَّ للنَّاظر - وهو يقصد نفسه هنا - أن يقول: يجوز أن تكون الفرقة الناجية الواقفة على ما كان عليه النبي وأصحابه قد جاءت وانقرضت، وأنَّ الباقي الآن من غير الناجية، أو أنَّ الفرق المرادة لصاحب الشريعة لم تبلغ

(١) المصدر السابق، ص (٢١٦ - ٢١٨).

(٢) المصدر السابق، ص (٢١٧ - ٢١٨).

(٣) من علماء الشيعة الإمامية المعدودين.

(٤) المصدر السابق، ص (٢١٧ - ٢١٨).

الآن العدد، وأنَّ الناجية إلى الآن ما وُجِدَتْ، وستوجد، أو أنَّ جميع هذه الفرق ناجيةٌ حيث إنَّ الكلَّ مطابق لما كان عليه النبيُّ وأصحابه من الأصول المعلومة لنا عنهم: كالألوهية والنبوة والمعاد، وما وقع فيها من الخلافِ فإنَّه لم يكن يُعلم عنهم علم اليقين، وإلاَّ لما وقع فيه اختلاف، وأنَّ بقية الفرق ستوجد من بعد، أو جَدَّ منها بعضٌ لم يُعلم، أو عُلِمَ، كمن يدعي ألوهية عليٍّ مثلاً كفرقة النصيرية.

وموجبُ هذا التردّد -الذي دفع جمال الدين إلى إيراد الاحتمالات السابقة كلها- أنه ما من فرقةٍ إلاَّ ويجدها الناظر فيها معضدةً بكتابٍ وسُنَّةٍ وإجماعٍ وما يشبه ذلك، والنصوصُ فيها متعارضة من الأطراف^(١).

ثمَّ يعلن جمال الدين سروره بما جاء في روايةٍ أخرى للحديث الشريف من قوله عليه الصلاة والسلام «إنَّ الهالك منهم واحدة ويأخذُ في بيان (مُطوّل ودقيق) لخمسَةِ من وجوه الإشكال التي يراها في تحقيق الفرقة الناجية، من جهة الاعتقاد، أولها -الذي نجتزئ به أنموذجاً عليها جميعاً» أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم لم يُطَلِّع أحداً على دقائق معارفه في مقام الألوهية وعالم الربوبية، ولا على مراتب عرفانه؛ فكيف يمكن التطلع إلى مثل هذا الأمر الخفي الذي لا يعلمه إلاَّ الله تعالى ورسوله، حيث إنَّه مما يتعلّق بالبواطن التي بيننا وبينها حجابٌ أي حجاب؟ . وإنَّما وصل إلينا من شرعه صلى الله عليه وسلم ما يُصرِّحُ بثبوت الآلهيات والنبوات والمعاد، بأقوالٍ مقدّمة تحتمل الحمل على كثير من المعاني كما حملها الناظرون كلُّهم على حَسَبِ اعتقاده، فأين السبيل؟ . فما بقي مما عليه النجاة إلا ما به الاتفاق^(٢).

وليس يخلو من الدلالة قولُ جمال الدين بعد إيراد هذا الوجه من وجوه الإشكال: «وتأمل. لعلك تقف على غير ما أقول. لكن بطريق الجدِّ والإنصاف»^(٣).

ثمَّ إنَّه، وبعد أن يَبْسُطَ، بمثل هذه الأريحية العقلية، وجوه الإشكال الأربعة الأخرى^(٤)، يستقرُّ بقارئه على منهج في النظر يذكّرنا بالقاضي عبد الجبار المعتزلي في مقدّمته لشرح

(١) المصدر السابق، ص(٢١٧-٢١٨).

(٢) الأعمال الكاملة، ج ١، ص (٢٢٠).

(٣) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٤) أنظر الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، تحقيق وتقديم الدكتور محمد عمارة، ج ١ ص(١٢٢-١٢٣) المؤسسة العربية للدراسات - بيروت.

الأصول الخمسة، أو غيره من أعلام الكلام المسلمين الذين أولوا منهج النظر اهتمامهم، فيقول: «إن الحق الذي يرشد إليه الشرع والعقل أن يذهب الناظر المتدين إلى إقامة البراهين الصحيحة على إثبات صانع واجب الوجود، ثم منه إلى إثبات النبوات، ثم يأخذ كل ما جاءت به النبوات بالتصديق والتسليم بدون فحص فيما تُكَنُّهُ الألفاظ، إلا فيما يتعلق بالأعمال، على قدر الطاقة، ثم يأخذ طريق التحقيق في تأسيس جميع عقائده بالبراهين الصحيحة، كان ما أدت إليه ما كان، لكن بغاية التحري والاجتهاد. ثم إذا ما فاء من فكره إلى ما جاء من عند ربه، فوجده بظاهره ملائماً لما حَقَّقَهُ، فليحمد الله على ذلك، وإلا فليطرق عن التأويل وليقل «آمننا به كل من عند ربنا»^(١) فإنه لا يعلم مراد الله ونبيه إلا الله ونبيه.. فعلى هذا المنوال يكون نسجه فيبوء من الله برضوان، حيث أسس عقائده على السديد من البراهين واستقبل الأخبار الإلهية بالقبول والتسليم.

وإن أراد التأويل لغرض، كدفع معاند أو إقناع جاحد، فلا بأس عليه، إذا سلم برهانه من التقليد والتشويش. وهذا هو دأب مشايخنا كالشيخ الأشعري والشيخ أبي منصور (الماتريدي) ومن مآثلهم، لا يأخذون قولاً حتى يسدّدوه ببراهينهم القوية، على حسب طاقتهم^(٢)، إلى آخر ما بسطه جمال الدين في عقائده الفرقة الناجية قبل أن يختم تعليقاته بقوله: «ولنمسك القلم، حيث إن المقصود هو الإيجاز، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب، فاسلك بنفسك طريق السداد، وانظر فيما يكون لك بعين الرشاد»^(٣).

إن أول ما نستخلصه من هذه التعليقات أن صاحبها قد حَقَّقَ في تحصيله لعلوم الإسلام ما نسّميه «واقعة الفهم» قبل أن يحقق «واقعة التأويل»، وأن شروط الاجتهاد قد تكاملت له قبل أن يبحث في كيفية استخراج الأحكام من أدلتها التفصيلية، فهو قد «تلقى علومًا جمّة برع فيها جميعاً، فمنها: العلوم العربية من نحو وصرف ومعانٍ وبيان، وكتابة، وتاريخ عام وخاص، ومنها: علوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه، وأصول فقه، وكلام، وتصوف، ومنها: علوم عقلية من منطق، وحكمة عملية: سياسية ومنزلية وتهدية، وحكمة نظرية طبيعية وإلهية، ومنها: علوم رياضية من حساب وهندسة وجبر وهيئة أفلاك، ومنها نظريات الطب والتشريح»^(٤).

(١) سورة آل عمران: (٧).

(٢) المصدر السابق، ص (٢٢٢).

(٣) المصدر السابق، ص (٢٢٢).

(٤) خاطرات، ص (٧٢).

وما جمال الدين بأسطورة معجبة أو بدعاً من الرجال في مثل تحصيله الموسوعي للمعارف والعلوم؛ ولكنّه حظيَ بأساتذة ماهرين وبأجواء علمية مواتية، كتلك التي حظي بها رجال مثل الجويني وتلميذه الغزالي وتلميذه أبي بكر بن العربي. وقد تأتي له، بسبب من ذلك أن يكون رؤية داخلية عميقة للتراث. رؤية نطمئن إلى نتائجها؛ لأنها هي وحدها القادرة على وضعنا في صميم هذا التراث: نتقري عناصره بأيدينا وأبصارنا، ونذوق كمالاته وجمالاته، ونتمثل علومه ومعانياته، لا كتلك الرؤية القاصرة الحسيرة التي نجدّها - مثلاً - عند محمد أركون، في مثل كتابه «من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي» حيث تمتزج الركة وضعف أدوات النظر بالتنفج والأدعاء على نحو لا يفسره إلاّ توفّر الحفيظة على الإسلام، وحيث يتبدى عجز الرجل في تفسير، - لا بل في فهم - آية الكلاله: «وإن كان رجل يورث كلاله أو امرأة وله أخ أو أخت، فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصي بها أو دين»^(١)؛ فيدياره باجتراح قراءة تختلف - في وهمه أو في كيده سيان - عن القراءة التي فرضها (التفسير الكلاسيكي!) أو التفسير الأرثوذكسي - وتلك ترجمته للسني - كما يقول، وأدعاء أنه يقدم قراءة طبيعية مناسبة للفطرة العربية السليمة، فتكون يورث عنده يورث ويوصى يوصى^(٢)، متابعاً في ذلك مستشرقاً مبتدئاً اسمه (دافيد. س. بورز) ومتقلداً منهجية فيلسوفين يهوديين هما لودفيج فتجنشتاين ويورين هابرماس، يوحيان إليه زخرف القول غروراً، ويستظهر بهما فيما يراه أو يريانه له من «وجوب محاكمة التفسير الديني التقليدي من يهودي ومسيحي وإسلامي»^(٣). ومهما يكن الأمر، في هذا الاستطراد، فإن بنا أن نعود إلى تعليقات الأفغاني على شرح الدواني للعقائد العضدية، وخاصة في مسألة حدوث العالم، وأن ننبّه إلى قدرته الفذة في إدارة وجوه النظر فيها، وإلى ما اشتمل عليه ذلك من فتوحات عقلية وتجليات فكرية، مكتفين بما قدمنا في مسألة الفرقة الناجية مقياساً، وبما اشتمل عليه نبراساً.

أمّا عن تمثّل جمال الدين للتراث العلمي عند المسلمين فهو أكثر ما يكون وضوحاً في دفاعه عن رسالة ابن بشرون في الكيمياء، وفي رده على ابن خلدون الذي أنكر (موافقاً في ذلك

(١) سورة النساء: (١٢).

(٢) يدعي أركون أنه لم يجد معنى واضحاً للكلاله في هذه الآية وبخاصة في تفسير الطبري. ويدعي تلميذه ومترجمه هاشم صالح أن الكلاله هي (الكنة!) على حين كان بإمكانهما الرجوع إلى تفسير الكشاف للزمخشري أو إلى مفردات الراغب الأصفهاني أو إلى تفسير متأخر كتطوير الأذهان للبروسوي، أو أن يقرأ الطبري بفهم إن استطاع.

(٣) خاطرات، ص (١٦٩).

أستاذه التلفيقي) على أحمد بن مسلمة المجريطي وعلى تلميذه ابن بشرون قولهما بصحة الكيمياء وذهب إلى استحالة صحتها، وفي توكيده أن ابن خلدون وأستاذه لم يستندا إلى علم فيما ذهبوا إليه؛ «بل جُلُّ برهان ابن خلدون وأستاذه أن رسالة ابن بشرون في الكيمياء من قبيل الألغاز ومعانيها لا تكاد تبين، مع أن الرسالة بكافة ألفاظها ومعانيها صناعية محضة وفتية صرفة. وعلم الكيمياء له اصطلاحات خاصة يفهمها من يعاني ويدرس ذلك العلم»^(١). إن جمال الدين يُدافع عن الكيمياء بصفة كونها ثمرة الحكمة والعلم معاً كما يقول المجريطي. وهو لا يكتفي برد قول ابن خلدون بأن الكيمياء «لا تتم إلا بالسحر أو بأفراد ممّا فوق الطبيعة» بل يقوم بتحليل جوانب من رسالة ابن بشرون تحليلاً علمياً منقطع النظر. يقول: «إن ابن بشرون في رسالته لأبي السّمح قد دلّ بإشارة وبتعبير خاص عن المادة التي يمكن بها العمل -وهي ما يسمونه باصطلاحهم (الحجر الفلسفي، أو المكرم، أو حجر الحكمة)- وأنصف كلّ الإنصاف بقوله: «إن معرفة المادّة وحدها لا نفي بالعرض المقصود ولا تثمر إذا لم يتمكن طالب العلم من معرفة عمادات تلك الصنعة، ومنها «التحليل والتركيب». هذه الصراحة في أساس فنّ الكيمياء وجدت مُسَطّرة في رسالة ابن بشرون العربي قبل الجيل الثالث للهجرة وبعده، وعلماء أوروبا يدعون بدون محاشاة أو مبالاة أن المعلم لافوازيه هو أول من تنبّه فأثبت التحليل والتركيب! نعم إن ابن بشرون لم يذكر بلسانه العربي لفظ «تحليل وتركيب» بل قال «الحلّ والعقد» وهو الأصحّ فنّاً وفهماً. ثم ذكر ابن بشرون بعد التحليل والتركيب، أو بعد الحلّ والعقد عماداً آخر وهو «التقليب» وفسره بقوله تقليب الشيء من جوهره إلى جوهر غيره ارتقاءً. قال «فالترابُّ يستحيل نباتاً، والنبات حيواناً، وأن أرفع مواليذ النبات أدنى طبقات الحيوان، سلسلة تنتهي عند الإنسان إذ هو آخر الاستحالات الثلاثة ونهايتها»^(٢).

ثم يمضي جمال الدين على هذا النحو من التحليل والمقارنة، ومن الوقوف عند عمادات هذا العلم أو أصوله، كالتنشيف والتنقية والتكليس، متنبهاً إلى قوله: «إن ابن خلدون لم يدع ولم يقل إنه عثر على المادّة وأتقن هذه العمادات (كما سبق القول) بحسب الأصول الفنية، وإنه جرّبها على ما يتطلبه العلم، ولم ينجح؛ ليصحّ إذ ذاك إنكاره ويكون قوله حجة على إبطالها وإخراجها من عداد الصناعات»^(٣).

(١) المصدر السابق، ص (١٧٠).

(٢) المصدر السابق، ص (١٧١).

(٣) خاطرات، ص ١٧٥.

ثم يتساءل جمال الدين في آخر مرافعته هذه عن علم الكيمياء قائلاً: «.. فيا ترى. لو أخذ ابن خلدون أو أستاذه التلفيفي كتاب الكيمياء الحديث اليوم، ورأى (ك ١ أ) وأن ذلك معناه حامض الكبريت، أو (ذي ٢ ك) أنه كبريت الزبيق. وهو لم يدرسه أو يعانى ذلك الفن أو يأخذه عن أهله بالتعلم؛ لا شك كان ينكر ذلك ويقول إنه ليس بعلم. بل أحاجي والغاز، وأضاليل بحروف مقطعة وأرقام، أو كان يقول إنها من قبيل السحر، لأنها لم تبين له واضحة، ولا لأستاذه التلفيفي كما تظهر بسائط الأمور!»^(١).

ذلكم هو الأفغاني، في عمق قراءته للتراث، وفي استبطانه حقائقه، وفي وقوفه المتدبر إزاء علومه، وفي تحوطه أن يكون مقلداً لأحد في ذلك، ثم في حجاجه عن بعض هذه العلوم حجاج العارف بها جملة وتفصيلاً، أو عمادات (أي أصولاً) وفروعاً.

إنه يحمل عقله الفذ النافذ، ويتجول في مدينة التراث ذات الأروقة، والقباب، والساحات الفساح، ويتحدث عنها حديث أبنائها الذين هم أدرى بها من غيرهم. يتحدث من داخلها.. لا على مسافة قذيفة من مدفع حاقد، ولا من زاوية مظلمة لا تتسع إلا لكيد صغير مكشوف.. وإذا كان لنا أن نخلص إلى قول جامع فيما يتعلق بأسلوب الأفغاني في تمثيل التراث فنحن نسلكه في شعب ثلاث:

أولها: أن الرجل يتحدث عن التراث حديث العارف به، المُنصف له، المستأنس به، المنتمي إليه، المدافع عنه..

ثانيها: أنه يتحدث عنه حديث المتكلم أو الأصولي الداعية، وأنه يوظف معرفته به من أجل نهضة شاملة للأمة وإصلاح حقيقي جذري فيها.

ثالثها: أنه لا ينسى أصلته الذاتية، خلال ذلك، ولا أنه ابن هذا الزمان، يعيش أحواله ومستجداته، ويقبس علومه ومعارفه، ولا سيما تلك التي سبقنا إليها، وصار لزاماً علينا تحصيلها بقوة واقتدار..

(١) خاطرات، ص ٥٧١.

تعقيب على محاضرة العجلوني السابقة

• د. عبد الجبار سعيد

أتقدم بحزب الشكر والتقدير للأستاذ إبراهيم، أود أن أؤكد إعجابي الشديد بحرصه، على تعظيم قيمة التراث الإسلامي، والمكانة المرموقة التي يحتلها التراث في فكره، وهو يعبر عن تغنيه بهذا التراث وبكل من ينتمي إليه ويحسن التعامل معه، وهذا واضح في ورقته هذه، أو في مقالاته الصحفية التي طالما تابعناها، حيث يجد القارئ -لما يكتب الأستاذ إبراهيم- نفسه متنقلاً بين أجمل الورود والخمائل، يشتم أريج لغة رصينة أدبية زاهية، تعبر بصدق عن مدى الاهتمام بالتراث ولغته.

ونحن إذ نبدي ملاحظتنا هذه بشأن محاضرة الأستاذ إبراهيم، فإننا نود أن نؤكد أنه ليس الغاية منها الانتقاص أو التقليل من شأن الورقة أو كاتبها، وإنما نأمل أن تكون جهداً مضافاً إلى جهوده، تسهم في تحسين الصورة المشوذة، والوصول إلى الغاية المقصودة.

ونظراً لعدم تقسيم المحاضرة إلى عناوين فرعية، فإنني سألجأ في استعراضي لها إلى تتبع الصفحات، والسير معها على أساس ذلك.

وأود أن أبدأ بما بدأ به الباحث، معلناً موافقتي له على كلامه فيما يتعلق بما سونوية الأفغاني وسنيته، ومحاولة الأستاذ الباحث تخريج ما وصف به الأفغاني من الإلحاد على لسان رينان، واعتباره هذا الوصف متعلقاً بمعنى الإلحاد كما استقر في الدائرة المفهومية للفلسفة الغربية. وهذا لا يمنع تحفظي على قول الأستاذ الكريم: «لقد اتهم الإسلام من قبل بأنه هرطقة عربية، فلا بأس أن يقال في فلاسفته الكبار إنهم ملحدون عظام، إذ الإلحاد في معناه التنويري الأوروبي لا يعدو أن يكون رفضاً للصورة الكنسية لله والعالم، وهو رفض إسلامي المنهج والآفاق، وإن وصفته الكنيسة بالهرطقة والتمرد ومحاربة الإيمان الكهنوتي».

ووجه تحفظي أن كل ما أشار إليه الأستاذ، أمر جرى في أوروبا ولا علاقة للإسلام به، لا في الفعل ولا رد الفعل، وليس من المناسب مقارنة ذلك بالإسلام وربطه به، لا شكلاً ولا مضموناً، والحقيقة التي نلفت النظر إليها أننا كما ننكر، سلطوية رجال الدين كما كانت عليه

في أوروبا، فإننا بنفس القدر ننكر رد الفعل بالصورة الأوروبية، وما أفرزه رد الفعل من تأليه للعلم وتقديس للمادة، وتجسيديات أفرزتها الفلسفة الوضعية، ويندرج في هذا الإطار الفكرة العلمانية وغيرها مع ملاحظة أن الباحث كان قد قال قبل فقرتين من الفقرة المذكورة ما نصه «أما عن وصفه -أي الأفغاني- بالإلحاد، وهو ما جاء على لسان المستشرق الفرنسي (آرنست رينان)، فهو متعلق بمعنى الإلحاد كما استقر في الدائرة المفهومية للفلسفة الغربية الحديثة، وهي دائرة تكاملت في مواجهة التزمت الكنسي في أوروبا، ولا علاقة لها بالإسلام الذي كان لمفكره وعلمائه الأثر الأكبر في خروج أوروبا من ظلمات قرونها الوسطى».

كما أن ثمة إطالة لا أرى مناسبتها لموضوع المحاضرة حيث استغرق البحث في هذه القضايا الثلاث (ماسونية الأفغاني، وسنيته، وإلحاده) ما يزيد على ثلث المحاضرة، اثنتي عشرة صفحة فيها منها سبع للحديث في ماسونية الأفغاني والدفاع عنه في هذا الجانب. علماً بأن مجموع صفحات المحاضرة ثلاث وثلاثون عدا الهوامش.

وأود قبل أن أدخل في مناقشة مفهوم التراث كما أورده الأستاذ إبراهيم أن أشير إلى أنه مع اتفاق مع الأستاذ إبراهيم في وصفه لـ(محمد) أركون بأنه باحث منقطع (منبت)، أظنه يعني من الثقافة الإسلامية، فإنني أود الإشارة إلى أن طرق هذا الأمر في هذا المقام، مقحم وفي غير موضعه حسب اجتهادي، رغم أنه أشار إلى أنه يورد ذلك للمقارنة بين منهج الأفغاني ومنهج أركون، وهو لم يعقلاً مثل تلك المقارنة، وإنما تكلم في موضع آخر من المحاضرة عن عجز أركون في تفسير آية الكلاله ومتابعته للمستشرقين ومنهم اليهود، وما أورده في هذا المقام لا يصلح أن يشكل منهجاً لأركون فضلاً عن أنه لا يكفي للمقارنة بين المنهجين. كما أنه غير مباشر في موضوع البحث، وإن كان يمسه من طرف جانبي.

أما التراث فقد أشار أستاذنا الكريم إلى أنه مجمل المعطيات الإنسانية المستتلة بالوحي: كتاباً وسنةً.

وقد شنع على القائلين بجعل الوحي خارج التراث، واعتبر ذلك عزلاً للتراث عن مصدر حياته وقوته، ومؤدياً إلى نقده في ضوء رؤى إلحادية (بدلالته التي نعرفها في الدائرة المفهومية للإسلام)، ويتساءل كيف يمكن فهم القرآن والسنة خارج معطيات اللغة والتاريخ وفي منأى عن علوم التفسير والحديث؟ وكيف يمكن في مقابل ذلك فهم نشأة علوم الإسلام، ونشأة

مذاهبه المختلفة، والفرق التي انشعبت في تاريخ أئمة، دون الاعتراف بأثر الكتاب والسنة في ذلك كله. وأود هنا أن أبدى الملاحظات والتساؤلات التالية:

١. إن إدخال الوحي في مفهوم التراث، أو إخراجه منه عائد إلى تحديد المفهوم، وتحديد مصدر التراث، فإذا كان التراث حصيلة جهود واجتهادات إنسانية فكيف يمكن أن نعتبر الوحي تراثاً؟ وكيف يقبل أن لا نجعله خارج التراث؟ والأستاذ إبراهيم أشار إلى اعتباره التراث معطيات إنسانية، ولا يحرس قوله هذا أن قيده بقوله «المستظلة بالوحي»؟ وإلا فماذا نسمي المعطيات الإنسانية التي حصلت في المجتمع الإسلامي ولم تكن مستظلة بالوحي، ومثال ذلك حال المسلمين عند غزو المغول والصليبيين... إلخ. ثم ما الذي ندخله في ظل الوحي وما الذي نخرجه منه؟ خاصة إذا علمنا احتمال أكثر النصوص لتعدد الاجتهادات وتباينها. فهذا مضيق للمظلة وواضع نفسه في إطارها، وآخر موسع لها باحث عن مرجع يستند إليه في تبرير اجتهاداته وإن كانت مخالفة لما ألفه الفكر الإسلامي في عصر من العصور.

٢. إن إخراج الوحي من دائرة التراث ليس بالضرورة أن يكون غرضه، إخضاع التراث لرؤى نقدية إلحادية، بل ربما العكس؛ إذ يسعى بعض من يريدون إقحام الوحي في التراث أن يخضعوه لمعايير نقد التراث ويدخلونه في دائرة القبول والرفض، وبالتالي ففي حالة كهذه يعد إخراج الوحي من دائرة التراث حماية له من تلك الرؤى النقدية.

٣. من قال إن إخراج الوحي من دائرة التراث سيجعلنا نفهمه -أي التراث- بمنأى عن القرآن والسنة؟ فنحن نعتبر ضابطاً أساساً من الضوابط التي نستند إليها فيما نأخذ وما نترك من التراث، انسجامه مع القرآن والسنة فما كان كذلك قبلناه واستندنا إليه، وما لم يكن تركناه ونبذناه.

٤. إننا نخشى إذا أقحمنا الوحي في التراث، أن يأخذ التراث قدسية الوحي، كما هو الحال لدى العديد من مفكرينا اليوم، وهذا سيؤدي إلى إسباغ حالة من الهالة والقدسية على التراث ومنتجيه، فيصبح نقد فكرة أو صاحبها، نقداً للوحي، وهذه طامة كبرى آن للعقل المسلم أن يتجاوزها ويتلافها. فالنص (الذي هو الوحي) شيء، وجهود البشر في فهمه وتفسيره، واستنباط الأحكام منه، وتنزيله منزل الواقع والتطبيق شيء آخر، فالنص -الوحي- معصوم مقدس. وليس كذلك التراث الذي هو حاصل جهد بشري قابل للصواب والخطأ.

٥. ثم إنني أتساءل ما علاقة القرآن والسنة، وما دورهما في ظهور الفرق الإسلامية كالخوارج والمعتزلة والقدرية والمرجئة... إلخ.

ثم إن الأستاذ الكرم يستشف من كثير من المحاولات في هذا الصدد (فصل الوحي عن التراث)، أنها تتجافى عن حقيقة أن أجيال المسلمين الأولى هي الأقدر على فهم الكتاب والسنة... إلخ. وأقول هنا: إن هذه الأفضلية لا تمنع من تجدد فهم النصوص، بحكم تجدد الواقع زماناً ومكاناً، وإذا أدركنا تلازم خاصية الخاتمية والخلود للرسالة، مع الصلاحية لكل زمان ومكان، أدركنا ضرورة تنوع الأفهام وتطورها تبعاً للزمان والمكان، على أن هذا لا يعني رفض ما سبقنا إليه الأوائل ونكران جهودهم بل لا خلاف بيننا في مصدرية جهودهم لجهودنا، وكونها مرجعاً نرجع إليه، ولكننا مرة أخرى نفرق بين تلك الجهود وبين الوحي، سواء على صعيد الفهم أو التطبيق، ورحم الله من قال: «كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر، يريد محمداً صلى الله عليه وسلم».

وعليه فإن قول الأستاذ إبراهيم: «إن قراءتنا للتراث هي قراءة لوحي الله، ولتمثل الإنسان له في آن، وما دون ذلك إلا أضغاث أحلام وسمادير أوهام». هذا القول برأيي لا يصح، وهو بحاجة إلى إعادة نظر، وليس مقبولاً وصف الرأي الآخر، الذي هو دون ما قال بأنه أضغاث أحلام وسمادير أوهام. ولست أدري كيف نساوي بين الوحي وتمثل الإنسان له؟.

أما في التعامل مع التراث فقد انتقد الأستاذ الكريم، اتجاهين في ذلك، أطلق على أولهما تشخيص بصور التراث إنساناً يقيم علاقة معه، وثانيهما ذرائعي تخضع فيه هذه العلاقة إلى حاجات عملية معاصرة تسوغ الرجوع إلى التراث.

ورأى أن كليهما «مخفِّقٌ مقترَبٌ ونتائج، وغير قادر على التماس حقائق تراثنا وجوانبنا».

واقترح التمثيل أسلوباً لذلك «من حيث هو استبطان معرفي وذوقي. واكتناه داخلي يملك من يقدر عليه أن يحقق ما يسميه «الموضوعية الشفيفة» التي تتجاوز الأطر الخارجية للأشياء إلى دقائقها وتفصيلها التي لا تسلم نفسها للنظر بادي الرأي، وإلى روحها الكامنة في الأعماق...».

وأحب أن أشير هنا إلى عدم وضوح هذا الأسلوب (التمثيل) في التعامل مع التراث، وإذا كان المقصود بهذا، استحضار التراث نصاً وروحاً والتفاعل معه إلى درجة معاشته وتطبيقه

كما كان عند السابقين وإحيائه فكراً وعملاً، أقول إن كان هذا هو المقصود فإنه لا بد من إبداء الملاحظات والتساؤلات التالية:

١- هل كل التراث صالح لهذا التمثيل أو حتى غيره؟

٢- لقد اعتبر الأستاذ الكريم أسلوب جمال الدين الأفغاني في التعامل مع التراث، معبراً عن هذا التمثيل الذي تحدث عنه! وأنا أعتقد أن هذا الحكم بحاجة لمراجعة لأكثر من مبرر أسوق فيما يلي بعضها:

أ- لقد تعرض الأستاذ الكريم لنموذجين فقط من إنتاج جمال الدين الأفغاني الفكري هما: بعض تعليقاته على شرح الدواني على العقائد العضدية، وموقفه من رسالة ابن بشرون في الكيمياء. وهذان النموذجان لا يكفیان - في نظري - للحكم على منهج الأفغاني وأسلوبه في التعامل مع التراث، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن ما أورده من هذين النموذجين لا ينطبق عليه أسلوب التمثيل الذي تفضل الأستاذ بالإشارة إليه، إلا إذا كانت أفهامنا عاجزة عن إدراك مضمون التمثيل الذي يريده الأستاذ الكريم. ولعل مما يؤكد ما ذهبنا إليه، ما ختم به الأستاذ بحثه حيث يقول «وإذا كان لنا أن نخلص إلى قول فيما يتعلق بأسلوب الأفغاني في تمثيل التراث، فنحن نسلكه في شعب ثلاث:

- أولها: أن الرجل يتحدث عن التراث حديث العارف به، المنصف له، المستأنس به، المنتمي إليه، المدافع عنه... إلخ.

- ثانيها: إنه يتحدث عنه حديث المتكلم أو الأصولي الداعية، وأنه يوظف معرفته به من أجل نهضة شاملة للأمة وإصلاح حقيقي جذري فيها.

- ثالثها: إنه لا ينسى أصالته الذاتية خلال ذلك ولا أنه ابن هذا الزمان، يعيش أحواله، ومستجداته ويقبس علومه ومعارفه، ولا سيما تلك التي سبقنا إليها، وصار لزاماً علينا تحصيلها بقوة واقتدار.

والحقيقة أنني حاولت أن أتوقف مراراً أمام النصوص التي استند إليها الأستاذ، ولم أجد فيها كبير دلالة على ما تفضل باستنتاجه، أما لمضمون النصوص نفسها، وإما لأن طبيعتها النظرية، المرتبطة بكلام غيره سواء الدواني أو ابن بشرون، لا تفسح مجالاً لإدراك أبعاد موقف الأفغاني من التراث كما أن النقاط المذكورة، ولو صلحت لتعبر عن موقف الأفغاني

في حدود تلك النصوص، فإنها لا ترقى لتشكيل منهجاً مطرداً ثابتاً في موقف الأفغاني من التراث.

ب. إن ثمة نصوص وآراء لجمال الدين الأفغاني سأورد بعضها بعد قليل تخالف بعضاً مما استنتجه الأستاذ ووصف به أسلوب الأفغاني في التعامل مع التراث. حيث سنرى منه رفضاً لبعض الأفكار الواردة على لسان الدواني، أو على لسان غيره مما ورد في معرض الاستدلال بالشرح. بل وتقليلاً من شأن بعض تلك الآراء أحياناً.

ج. يبدو لي أنه سيطرت على ذهن الأستاذ الباحث، كما سيطرت على أذهان الإخوة معدي الندوة، أنه لا بد لكل شخصية من منهج في التعامل مع التراث أو في غير ذلك. مما أدى إلى تضخيم بعض الملاحظات من الأفغاني ورفعها لتوضع في مستوى المنهج. والحقيقة أنه ليس بالضرورة أن يكون لكل إنسان، وإن كان علماً بارزاً كالأفغاني، منهج في كل شيء، فكما أنه بيننا هذه الأيام من يفتقدون إلى المنهج فكذا يمكن أن يكون بعض من سبقونا؛ خاصة إذا أدركنا أنه لم يصلنا من أعمال الأفغاني فيما يتعلق بالتراث -إلا القليل الذي لا يكفي للحكم عليه، أو الارتقاء به إلى مستوى المنهج- علماً بأنني قرأت كامل الأعمال الكاملة للأفغاني للدكتور محمد عمارة، وسلسلة الأعمال المجهولة للأفغاني للدكتور علي شلش، وإنما هناك ما يمكن أن أسميه ملاحظات أو توجهات لدى الأفغاني في التعامل مع التراث، سأعرض بعضها لاحقاً. وبعد هذا الإجمال في نظرة الكاتب في منهج الأفغاني في التعامل مع التراث، فإنني أود أن أقف أمام بعضاً لنصوص التي أوردها للأفغاني وموقفه (أي الباحث منها):

أولاً: ورد في تعليق الأفغاني على شرح الدواني فيما يتعلق بدلالات النبوة، ما يفهم منه أن الفرق بين النبي والرسول، أن الرسول هو الذي يدعو الناس والنبي ليس كذلك، وهذا واضح في قوله: «فإن فطر -أي النبي- أيضاً على دعوة بني نوعه، إلى ما جبل عليه -يعني من الحق والخير- فهو رسول أيضاً، وإلا فهو نبي فقط، وليس برسول فتفكر فيه فإنه دقيق».

لقد أورد المحاضر هذا النص للأفغاني، وعلق عليه بقوله: «والذي اعتقده أن ما جاء به المعلق أقرب إلى معنى العبقرية الإنسانية، وإن اشترط خيريتها اللدنية قولاً وعملاً أو جعلها عبقرية خيرية، وهو أثر من آثار النظر الغربي إلى شخصية الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم من حيث هو إنسان عبقرى وقائد فذ، وصانع تاريخ، أما النبوة فيظل أدنى مقرباً

إليها الفهم الذي وافق جمال الدين الدواني عليه، حيث يعرف النبي بأنه إنسان بعثه الله تعالى إلى الخلق لتبليغ ما أوصاه الله إليه.

وأود أن أتوقف مع هذا التعليق من الأستاذ الكريم أمام المسألتين التاليتين:

١- أنا لم ألحظ أن كلام جمال الدين الأفغاني كان قريباً إلى معنى العبقرية الذي هو من آثار النظر الغربي إلى شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، وحتى أكون دقيقاً فإن القسم الأول من كلام الأفغاني الذي علق عليه الباحث الكريم ينص على أنه «قد يعرف النبي بإنسان فطر على الحق علماً وعملاً؛ بحيث لا يعلم إلا حقاً ولا يعمل إلا حقاً على مقتضى الحكمة، وذلك يكون بالفطرة؛ أي لا يحتاج فيه إلى الفكر والنظر، ولكن التعليم الإلهي» فأين هذا المضمون من العبقرية بالنظرة الغربية.

٢- ذكر المحاضر الكريم أن الأفغاني يعرف النبي بأنه إنسان بعثه الله تعالى إلى الخلق لتبليغ ما أوحاه الله إليه، والحقيقة أن ما تضمنه النص خلاف هذا كما سبق وأشرت، بل كان النص واضحاً في أن النبي إذا دعا بني نوعه إلى ما جبل عليه فهو رسول. وإلا فهو نبي. هذا من جهه ومن جهة أخرى فإن الباحث الكريم لم يتوقف أمام هذا التعليق من الأفغاني، وكان ينبغي له ذلك. ذلك أن هذا المفهوم بحاجة إلى إعادة نظر لأننا نؤمن أن أتباع الأنبياء مكلفون بالتبليغ والدعوة إلى ما جاء به رسلهم وأنبيأؤهم، ونحن من هؤلاء المكلفين، وقصورنا في ذلك مذموم، فكيف الأنبياء!!؟

وأعتقد أن الفرق المعتبر بين النبي والرسول هو ما ذكره الأفغاني نفسه في تعليقاته في السطرين الواقعين قبل النص الذي نقله الباحث الكريم؛ حيث يقول الأفغاني: «والرسول قد يستعمل مرادفاً للمعنى الأول (النبي)، وقد يختص بمن له كتاب أنزل عليه أو شريعة؛ أي قانون ودستور أعمال وإن لم تكن كتاباً، فمن لم يكن له هذا ولا ذاك فهو نبي وليس برسول.

أما بالنسبة لحديث ستفترق أمتي... وتعليق الأفغاني عليه وكذلك الباحث الكريم، فإنني أود أن أشير إلى أن بعض العلماء يضعفون الحديث، ويضعون حوله جملة من علامات الاستفهام من جهة متنه، وإن كان آخرون يصححونه، وبغض النظر عن اجتهاد هؤلاء أو أولئك، فإنني أعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال هذا - إن قاله - إلا ليحثنا على الوحدة والاجتماع لا الفرقة والاختلاف، والحرص على النجاة من النار. ونحن بكل أسف إنما نزداد فرقة بطريقة بحثنا وفهمنا لهذا الحديث، وقد افترقنا على أكثر من ثلاث وسبعين

فرقة، ومزقنا شر ممزق، وكل منا يعتبر نفسه الناجي وغيره هالكين لا محالة، وما هذا الذي أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليه فأنا أفترض في العقل المؤمن الواعي إذا قرأ هذا الحديث أن ينصرف بالاتجاه الإيجابي فيبحث عن عوامل الوحدة والتقارب مع المسلمين ويحرص على التمسك بها، ويحرص على النجاة من النار ومما يؤدي لذلك سلامة صدره على المسلمين، وإحسان الظن بهم، وعدم إيذائهم... إلخ. لا أن ينصرف بالاتجاه السلبي، فيبحث عما يدخله في دائرة الناجين ويخرج غيره منها، فيزداد المسلمون فرقة وتشتتاً وتتفشى الخصومات والأحقاد.

ثانياً: بعد أن نقل الأستاذ إبراهيم تعليقات الأفغاني فيما يتعلق بالفرقة الناجية وما هي عليه، ونحو ذلك، وضمّن هذا محاولة للربط بينه وبين القاضي عبد الجبار المعتزلي في منهج النظر والاستدلال، نجده يقول: «إن أول ما نستخلصه من هذه التعليقات أن صاحبها قد حقق في تحصيله لعلوم الإسلام ما نسميه «واقعة الفهم» قيل أن يحقق «واقعة التأويل»، وأن شروط الاجتهاد قد تكاملت له قبل أن يبحث في كيفية استخراج الأحكام من أدلتها التفصيلية.

وأنا إذ أقدر للباحث الكريم، ثناءه على الأفغاني الذي يستحق منا الكثير، فإنني لا أجد فيما ذكر من نصوص ما يدل على ما ذهب إليه، فأين هي الأحكام المستخرجة من أدلتها التفصيلية، وأين التفريق بين واقعة الفهم وبين التأويل فيما أورد الباحث من النصوص. خاصة أن الباحث استند إليها في استنتاجه، ولا يعفيه برأيي أنه أعقب هذا الاستنتاج بنص منقول من خاطرات جمال الدين للمخزومي أشار فيها إلى مدى ما حصله الأفغاني من العلوم والفنون.

وسأكتفي بهذا القدر من الاستعراض للنصوص لأنقل إلى بعض الملاحظات حول توجهات الأفغاني في التعامل مع التراث، مستنداً إلى جملة من أقواله وتعليقاته على شرح الدواني؛ لأنها الإنتاج الأوسع والمباشر في التعامل مع التراث من أعمال الأفغاني مع تأكدي على أنني مقتنع بأن ما توفر من نتاج الأفغاني، لا يعد كافياً لتشكيل نظرية حول منهجه في التعامل مع التراث وإنما تصلح لأن تكون مجرد مؤشرات أو توجهات كما أسلفت وسأتوقف أمام المؤشرات التالية:

١. لقد تعامل الأفغاني مع التراث برؤية شمولية واسعة ومحيطية؛ حيث نراه في مواطن عديدة من تعليقاته على شرح الدواني يحرص على عرض آراء مختلف الفرق في المسألة محل

البحث والنقاش، سواء كانوا متصوفة أو معتزلة أو سنة أو شيعة، بل والمجسّمة أيضاً، وتارة الأشاعرة، والمتكلمين، والفلاسفة، والحكماء، وقول ابن تيمية والغزالي والشيخ الأشعري وإمام الحرمين وابن فورك... إلخ. وقد تكرر هذا في مواطن عديدة لا مجال لحصرها في الجزء الأول من الأعمال الكاملة نذكر منها ما ورد في الصفحات ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢٤٢، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠٢، ٤٠٧... إلخ.

٢. وقد كان يعمد إلى المقارنة بين العديد من الآراء في المسألة الواحدة فيحاول أحياناً أن يوفق ويلم شتات الأقوال في المسألة، وفي كثير من الأحيان يلجأ إلى الترجيح واستناداً إلى الدليل ويذكر رأيه ويشير إليه بقوله وأقول أو حاصل الجواب، أو قلت، أو وفيه نظر أي النص الذي يورده) وهذا واضح في مواطن عديدة تغني كثيرها في تعليقاته عن حصرها.

٣. ومما يرتبط بالمؤشر السابق، ما دل على استقلالية الأفغاني في رأيه وموقفه من التراث، فهو يقبل رأياً ويرفض آخر، ويحدد محل النزاع ويعمل على حله خارج إطار ما أورد من التراث، وهذا أيضاً واضح في مواضع عديدة، بل كان يرد بعض الآراء في أحيان عديدة مقلداً من شأنها منتقداً له بصورة ربما تكون قاسية أحياناً ومن ذلك مثلاً:

أ- قال الأفغاني تعقيباً على قول الدوّاني الشارح: «كما أن من يغرس غرساً لأجل الثمرة يعلم ترتب المنافع الأخر على ذلك الغرس كالاستظلال به... إلخ»^(١). يقول الأفغاني: «هذا تمثيل بارد، فإنه قد مثل برجل خسيس الطبع، دنيء الهمة قد قصر كما له على بعض ما يترتب على فعله وهو غافل عن الباقي... إلخ»^(٢).

ب. قال الأفغاني وهو يعلق على مختلف الآراء فيما يتعلق بسمع الله وبصره: فدقق الفكر ولا تلتفت لما هوس به الجهلة في هذا المقام من التمشدق بالأوضاع اللغوية والمقالات غير البرهانية^(٣).

ج. وقال في إحدى تعقيباته على كلام الشارح فيما يتعلق بإرادة الله تعالى: «ولا يخفى ما على هذا اللازم من التشويش، فلا تلتفت لما هوس به بعضهم في هذا المقام إظهاراً لكلمة النفاق»^(٤).

(١) الأعمال الكاملة، ١ / ٤٧٤.

(٢) المصدر السابق، ١ / ٤٠٦.

(٣) السابق، ١ / ٢٨٩.

(٤) السابق، ١ / ٢٨٥.

د. بعد تعليقه على قول الشارح: «كما لا يتعلق التكفير بمن يقول برجوع السمع والبصر إلى العلم... إلخ»^(١). يقول الأفغاني «والحق أن هذا البحث بتمامه مما لا ينبغي للمؤمن أن يخوض فيه، ويكفيه أن يوقن بأن الله لا يخفى عليه خافية، ودليله أنه خلق الكليات والجزئيات بإرادته، على حسب علمه فكيف يفوت علمه شيء منها، أما كيفية العلم فهي من الغيب الذي استأثر به، ويستحيل على عقولنا أن تصل إليه»^(٢)، وغير ذلك الكثير.

٤. والأفغاني يرى توافق العقل والنقل وتأزرهما فهو يقول: «فالصواب في اليقين بأمثال هذه المسائل الاعتماد على قرائن البراهين العقلية والمقدمات الصحيحة، فيكون النقل شاهداً على المطلوب مؤيداً بدليل العقل، ويتم بذلك التشريع الكامل»^(٣).

٥. وهو يؤكد حاجة الإصلاح إلى الاستناد للتراث وإعمال الفكر من قبل أهل الفكر والنظر حيث يقول: «وحاصل الجواب أن الآيات والأحاديث الدالة على وجوب الفكر والنظر لا تكاد تحصى، ومن المعلوم أن الفكر إنما هو على الوجه الأصوب، فيجب أن يقام لهذا الأمر من يقوم به على وجه الإتقان والتفصيل، وأخذ ذلك منه لا للتقليد بل للتسهيل... وحاصل الكلام أن الجواب العيني هو اليقين، من أي طريق أخذ، وقد كان ذلك حاصلًا في زمن النبي وأصحابه، وإنما احتيج إلى طريق التفصيل بعد ذلك، لردع المعاندين مخافة على عقول القاصرين، ومثل هذا يجب كفاية، خصوصاً في زماننا هذا الذي قد قام فيه القسيسون على ساق، وأخذوا يدعون الناس إلى التنصر في الأسواق وأخذت كلمة الكفر في الطغيان، ووهت من كلمة الحق أركان، والناس عن هذا غافلون، فإننا لله وإنا إليه راجعون فنسأل الله تعالى أن يؤيد هذا الدين بروح المعرفة، وأن يقطع دابر أرباب الجهالة والسفه»^(٤).

٦. والأفغاني يرفع في تعامله مع التراث ونقده له، من شأن الاعتماد على الدليل، ويؤكد على الابتعاد عن التشنيع على الآخر واتهامه وهو يقول: «ولولا أنني لا أسوغ لأحد أن يتكلم في مقام البرهان باسم الكفر والردة، لحكمت على مثل هذا القائل بهما (أي الكفر والردة)،

(١) السابق، ١/٤٥٦.

(٢) السابق، ١/٣٤٣.

(٣) السابق، ١/٣٠٨.

(٤) السابق، ١/٢٨٩-٢٩٠.

ونحن وإن لم يكن من ديدنا التشنيع على طائفة من الطوائف؛ لأن العمدة على البرهان فهذا الرجل المجيب قد سلك غير مسلك البرهان، فحق أن يشنع عليه حتى لا يقدر الجاهل أن يتكلم في المقامات العالية بدون برهان^(١).

٧. ولعل مجمل ما سبق يؤكد على أن ما وردنا عن السابقين ليس بمقدس، وإنما هو محل نقد ورفض إن اقتضى الأمر ذلك، فهذا هو يعقب على قول بعض المحدثين «بقدم العالم بالجنس - أي أنه لا يزال فرداً من أفراد العالم موجوداً، وما من جزء من الزمان إلا وقد كان فيه حادث إلى غير النهاية كما أنهم قد رأوا فيها ما يدل على ذلك. يقول: «وبه قال ابن تيمية، على ما نقل عنه الشارح، وذلك أن ابن تيمية كان من الحنابلة الآخذين بظاهر الآيات والأحاديث، القائلين بأن الله استوى على العرش، جلوساً، فلما أورد عليهم أنه يلزم أن يكون العرش أزلياً لما أن الله أزلي، فمكانه أزلي، وأزلية العرش خلاف مذهبه، قال: إنه قديم بالنوع، أي أن الله لا يزال يُعدم عرشاً، ويحدث آخر من الأزل إلى الأبد، حتى يكون له الاستواء أزلاً وأبداً»، «فسبحان الله، ما أجهل الإنسان وما أشنع ما يرضى لنفسه، ولست أعرف هل قال ابن تيمية بشيء من ذلك على التحقيق، وكثير من نقل عنه ما لم يقله»^(٢).

فالرأي ليس بمقدس وقد يرفضه الأفغاني بغض النظر عن قائله ولا يمنع هذا من احترام صاحبه، خاصة إذا كان مثل ابن تيمية، وجزء من ذلك استغراب أن يصدر مثل ذلك الرأي عنه.

٨. وأود أن أختتم بكلام الأفغاني ومحاولته لصياغة معالم النجاة، والخروج من الخلاف الدائر بين أهل الفرق وأيها الناجية، حيث يقول: «والحق الذي يرشد إليه الشرع والعقل: أن يذهب الناظر المتدين إلى إقامة البراهين الصحيحة على إثبات صانع واجب الوجود، ثم منه إلى إثبات النبوات، ثم يأخذ كل ما جاءت به النبوات بالتصديق والتسليم بدون فحص فيما تكنه الألفاظ، إلا فيما يتعلق بالأعمال على قدر الطاقة، ثم يأخذ طريق التحقيق في تأسيس جميع عقائده بالبراهين الصحيحة، كأن ما أدت إليه ما كان، لكن بغاية التحري والاجتهاد، ثم إذا فاء من فكره إلى ما جاء من عنده، فوجده بظاهره ملائماً لما حققه، فليحمد الله على ذلك، وإلا فليطرق عن التأويل، ويقول: آما به كل من عند

(١) السابق، ١/٢١٩.

(٢) السابق، ١/٢٤٢.

ربنا، فإنه لا يعلم مراد الله ونبيه إلا الله ونبيه، فعلى هذا المنوال يكون نسجه، فيبوء من الله برضوان، حيث أسس عقائده على السديد من البراهين، واستقبل الأخبار الإلهية بالقبول والتسليم وتناولها بقلب سليم. وإن أراد التأويل لغرض، كدفع معاند، أو إقناع جاحد فلا بأس عليه، إذا سلم برهانه من التقليد والتشويش،... ولا بد في كمال النجاة ونيل السعادة الأبدية من أن ينضم إلى ذلك، التحلي عن الرذائل، والتحلي بالأخلاق الكاملة والأعمال الفاضلة، ومن تلك الأخلاق والأعمال تكميل قوة النظر وارتكاب طريق العدل في كل شيء...»^(١).

وبعد فإنني أؤكد ما بدأت به من أن كل ما أبدت من ملاحظات ووجهات نظر، لا تقلل من شأن البحث الذي تعقبته، ولا من شأن الباحث، وجهوده المميزة. وما ملاحظاتي إلا اجتهادات أرجو أن أكون مصيباً فيها لتسهم في تدعيم بحث الأستاذ إبراهيم وتُقويه.

(١) السابق، ٢٢١/١-٢٢٢.

مع كتاب

«معالم الأدب الإسلامي»^(١)

• إبراهيم العجلوني

«هذا كتاب استقصيت مفرداته المنهجية كما يقول المفكر العربي المعروف الدكتور عماد الدين خليل - من أجل أن تغطي جل قضايا الأدب الإسلامي في رؤيته المعاصرة: نشأة وتعريفها مصطلحا وخصائص ومذاهب وفنوناً..».

وهو يقع في تمهيد وخمسة فصول أرادها مؤلفه الصديق الدكتور عمر الساريسي أن يتبين للناس «بصورة جلية، ماهية الأدب الإسلامي وأبعاده وأهدافه».

وقد اشتمل التمهيد على مقدمة في الصلة بين الفن والعقيدة، وفي موقف الإسلام من الأدب بوجه عام ومن الشعر بوجه خاص، وفي مدى الحاجة إلى الأدب الإسلامي وضرورة التعرف إليه.

أما فصل الكتاب الأول فقد حاول تقديم تعريف واضح للأدب الإسلامي، وتوضيح مراحل نشأته، وعرض الأشكاليات المختلفة حول مصطلحه.

ونجد في الفصل الثاني محاولة لرصد خصائص الأدب الإسلامي التي تميزه عن سائر ألوان الأدب الملتزم.

كما نجد في الفصل الثالث عرضاً لقضايا الأدب الإسلامي، بدءاً بوضوح مصطلحه وانتهاء بموقفه من الحداثة.

أما الفصل الرابع ففيه عرض مقتضب للمذاهب الأدبية الغربية ولموقف الأدب الإسلامي منها، على حين تناول الفصل الأخير فنون الأدب الإسلامي في عصرنا الحاضر، من شعر وقصة ورواية ومسرحية وأدب أطفال.

وقد حرص الدكتور الساريسي على أن يتبع موضوعات كتابه بأنشطة تطبيقية، وبمراجع إضافية يقترحها للمستزيدين من طلبته، وبأنموذجات لما يراه متفقاً مع الأدب الإسلامي أو مخالف له.

(١) جريدة الرأي، ٢٤-٢-٢٠٠٤م.

وإذا كانت هذه نظرة طائفة في برنامج الكتاب فإن بنا حاجة الى الوقوف قليلا عند عدد من النقاط الجوهرية المتعلقة بمسألة الأدب الاسلامي، كان قد أثارها هذا الكتاب المتميز نوجزها على النحو التالي:

أولا: إذا كان الادب الاسلامي هو «التعبير الناشيء عن امتلاء النفس بالمشاعر الإسلامية» كما هو تعريفه عند «سيد قطب» رحمه الله، أو كان هو «التعبير الجمالي عن الكون والحياة والانسان، من خلال تصور الاسلام لهذا الوجود» كما هو عند «محمد قطب»؛ أو هو «تعبير فني مؤثر، نابع من ذات مؤمنة، مترجم عن الحياة والانسان والكون، وفق الاسس العقائدية للمسلم، وباعث للمتعة والمنفعة، ومحرك للوجدان والفكر، ومحفز لاتخاذ موقف والقيام بنشاط ما» كما يفهمه الروائي نجيب الكيلاني، أو هو كل ترجمة أدبية عن الفطرة الإنسانية السليمة والعقل الانساني السليم، حتى وإن كان

صاحبها غير مسلم كما يرى كاتب هذه السطور؛ فإن من المقطوع به أن المصطلح الدال على هذا الأدب متأخر قرونا عن تحققه واقعا ملموسا يقرأ، ويتذوق، ويفعل فعله في الأنفس والعقول.

ثانيا: إن التعريف الذي اعتمده رابطة الأدب الاسلامي العالمية منذ انشائها - وهو أن الأدب الاسلامي «تعبير عن تجربة شعورية، بصورة موحية تنطلق تصوراتها وافكارها من التصور الاسلامي للإنسان والكون والحياة» - وإن كان مستمدا من التعريفات السابقة؛ إلا أنه لا يعتبر «نصا» يحظر الاختلاف حول دلالاته؛ فهو قابل للتعديل والتوسعة والتأويل.

ثالثا: لما كانت هذه التعريفات كلها أشارت الى «التصور الاسلامي للإنسان والكون والحياة» فإن من المنطقي الوقوف مليا أمام كتابي سيد قطب في هذا الباب، وهما: «خصائص التصور الاسلامي» و«مقومات التصور الاسلامي»، وكم ينكب عنهما الدارسون.

رابعا: نحن لا نعدم في الآداب العالمية ما يوافق رؤيتنا الاسلامية جزئيا أو كليا فكيف يكون موقفنا النقدي إزاءه؟

ومهما يكن أمر هذه الملاحظات، فإنها دليل آخر على أهمية كتاب الاستاذ الدكتور عمر الساريسي: «معالم الأدب الاسلامي» وعلى أنه كتاب ريادي على الرغم من طابعه التعليمي. وعلى أنه وإن كان يقدم إجابات إلا أنه يفجر في الوقت نفسه تساؤلات بقدرها أو أكثر. وتلك لا ريب ميزة الكتاب الناجح المفيد.

الرد على مقالة ابراهيم العجلوني السابقة

في صحيفة الرأي الصادرة في ٢٤-٢-٢٠٠٤

أدب الفكرة^(١)

د. عمر الساريسي

كتب الصديق الاستاذ ابراهيم العجلوني، في صحيفة «الرأي» الصادرة في ٢٤ / ٢ / ٢٠٠٤، كلمة طيبة حول كتابي الأخير «معالم الأدب الاسلامي».

وأقول «طيبة» لأنها تركت في نفسي أثرا طيبا، يفوق الأثر الذي اعتادت أن تتركه في كلماته الأخرى، في صحيفة «الرأي» أو في غيرها، وذلك ان كلمته هذه قد كتبت، فيما أرى، بقدر متميز من الموضوعية والحيادية، على الرغم من حميمية العلاقة التي تربط بيننا، وهذه اشارة خير تحمل على الرضى، وإن كانت نادرة في أيامنا المعاصره.

فقد استطاع ان يقدم للكتاب عرضا متميزا، يجمع بين الايجاز والدقة، بين الاختصار والأمانة، وظل محافظا في هذا العرض على السمات العلمي في حديثه عن الكتاب وعن موضوعاته، وعن الكاتب وعن جهوده في تنظيم المادة العلمية وتبويبها وإخراجها للناس، وهو في هذا الاسلوب، الواثق من نفسه، يستطيع ان يذب عن نفسه، وعمما يمكن ان يوجه له من نقد، وعن مدى تجاوز التقديم العلمي بقدر ما يمكن أن تؤثر فيه الذاتية في العلاقات الشخصية.

هذا هو الجزء الاول من كلمة الاستاذ ابراهيم العجلوني حول كتابي «معالم الأدب الاسلامي» وهو جزء العرض والتعريف والتقديم للناس، أما الجزء الآخر والأخير فهو إبداء بعض الملاحظات على مادة هذا الكتاب. ويعلم الله تعالى أنني، ايضا لم أتضايق من هذه الملاحظات على الاطلاق ولكنني هنا، أحاول أن أبحث عن السبب، في هذا الرضى، دون ان ادعي تحديده، فهل هو في لغة التهذيب في الحوار الذي صيغ به؟ أم هو في سُمُو صوت العقل الذي كان يجار به؟ أم هو في النية الحسنة التي كانت وراء إملائته؟

(١) جريدة الرأي ٢١-٣-٢٠٠٤م.

ربما كان الجواب في أحد هذه الممكّنات او فيها مجتمعة او كان في غيرها، لا أحدد ولا أدقق، ولكنني ترجمت مشاعري تجاهها بنوع من الصدق والحيادية أيضا، ولعل هذا يعني، فقد تحس بموقف معين إزاء كلمة تقرأها او قصيدة تسمعها او لوحة فنية تراها دون ان تستطيع ان تبرر موقفك هذا منها.

وأنا، هنا، بهذه الكلمات، لا أجامل أبا سلطان من أجل ان لا استفزه فأحملة على الرد علي، كلا والله، مع أنه محاور عنيد في الذب عن الحق والحقيقة، بعيد الغور في معرفة مرامي العبارات والجمل، واسع الثقافة والمحفوظ في آماد الفكر الفلسفي في بلاد الغرب والشرق، وفي دنيا الفلسفة الاسلامية، النابعة من كتاب الله العزيز ومن سنة نبيه المطهرة، والدليل على هذا كله أنني سأحاول ان ارد على

ملاحظاته على كتابي، فإن أفلحت فالحمد لله وإن فشلت فالاعتذار لله.

ففي الملاحظة الاولى يذكر الاستاذ ابراهيم ان مصطلح «الأدب الاسلامي» متأخر قرونا عن تحققه واقعا ملموسا يقرأ ويتذوق ويفعل فعله في الأنفس والعقول، أي ان ادب الدعوة الاسلامية هذا الذي اصطلحتم على تسميته بالادب الاسلامي، قد وجد منذ عهد رسول الدعوة الاسلامية، محمد عليه السلام قبل خمسة عشر قرنا فكيف يتأخر الاسم عن المسمى، هذه القرون كلها؟

إن هذا التأخر، في إطلاق المصطلح على المسمى الموجود ومنذ زمن بعيد، لا يضير هذا المسمى بحال من الاحوال، إذ يكفي ان يكون موجودا، وهو الأساس. والتسمية تتبع ويعرف الجميع ان صفة «الاسلامي» قد أطلقها اولا الاستاذ احمد حسن الزيات، رحمه الله، في كتابه «تاريخ الأدب العربي» وهو يريد ان يشمل العهد الاموي مع عهد الرسول عليه السلام، والخلفاء الراشدين ثم فعل مثله الاستاذ شوقي ضيف مد الله في عمره، في كتابه «العصر الاسلامي» غير ان ما ينبغي ان يضاف هنا ان ما نسميه اليوم «الادب الاسلامي» ليس الذي يعني أدب الفترة، المحددة بزمان معين، بل إنه أدب الفكرة، التي تنهياً فتوجد بين الناس في كل زمان ومكان.

أما ما أعان على ظهوره في هذا العصر فهو فيما أحسب الحاجة للعودة للهويات الجماعية للامم، فمنذ قرون قريبة احس الناس بحاجتهم الماسة للعودة للقوميات المحلية، كما حدث في ايطاليا وفي ألمانيا، وفي غيرهما من بلاد الشرق والغرب.

ثم كان عهد الايديولوجيات والأصول والمرتكزات الفكرية الاساسية، وكل ذلك في سبيل البقاء في وجه تحديات عصر الآلة وخطورته على الذات البشرية، وعلى أية حال فإنني قد أرى ان هذا التأخر في إطلاق المصطلح لا ينقص من قدره ولا يضره كما تقدم .

اما الملاحظة الثانية من ملاحظات الاستاذ ابراهيم العجلوني على الكتاب فهو ان التعريف الذي ارتضته رابطة الادب الاسلامي العالمية للأدب الاسلامي لا يعتبر نصا يحظر الاختلاف على دلالته.. إنه قابل للتعديل والتوسعة والتأويل.

ان التعريف الذي يشير اليه الاستاذ هو «التعبير الجميل الموحى عن الأفكار والموضوعات والاشياء بما يتفق والتصور الاسلامي عن الكون والانسان والحياة».

وبوجه عام فإن اي تعريف بشري لأي شيء من الاشياء لا يمكن ان يظل على إطلاقه على مر العصور، وذلك بسبب بعدم طاقة البشر على الكمال، فقد قيل لنبي الله موسى في القرآن الكريم «وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا» وقد تردد في الناس قولة للعماد الكاتب الأصبهاني انه قد يغير في كتاب وضعه، كل يوم وقيل مثلها على لسان معجمي انكليزي مشهور، كما تردد في الناس قالة قالها الشافعي، او غيره، من أنه لا أحد لا يقال له قد يؤخذ من كلامك او يرد الا صاحب ذاك القبر ويعني به رسول الله عليه السلام، فيما اتى به عن ربه من قرآن كريم وحديث قدسي وحديث صحيح.

ولعل الدليل المائل على هذا الأمر ما ذكره الاستاذ من تعريفات أخرى لسيد قطب ولنجيب الكيلاني، رحمهما الله، أولا ومن التعريف الذي أتى به هو ثانيا.

أما الملاحظة الثالثة التي تدور حول ضرورة اضافة فصل لشرح خصائص التصور الاسلامي للكون والانسان والحياة، كما أورده سيد قطب في كتابه عن الخصائص والمقومات لهذا التصور، بسبب اعتماد تعريف الادب الاسلامي على هذا التصور، فهي ملاحظة لا تدفع، وهذا التصور جزء هام من البنية الاساسية لموضوع الكتاب.

اما ما تضمنته الملاحظة الاخيرة من التساؤل عن «الموقف مما يوافق رؤيتنا الاسلامية جزئيا او كليا من الاداب العالمية» وفي هذا الصدد يذكر الاستاذ ابراهيم، ويذكر الدارسون، ان الاستاذ محمد قطب في كتابه «منهج الفن الاسلامي» قد اورد نصاً للشاعر الهندي الشهير طاغور ونصا مسرحيا لأحد الادباء الغربيين، ثم ذكر انهما يتفقان ومنظور الادب الاسلامي.

وربما يكون من المناسب ان نورد التعريف الذي يراه الاستاذ ابراهيم للأدب الاسلامي، أقول ربما يكون من المناسب ان نورده للقارئ الكريم، لارتباطه، فيما ارى، بالملاحظة الاخيرة هذه، أنه يرى أنه كل ترجمة ادبية عن الفطرة الانسانية السليمة والعقل الانساني السليم، حتى وإن كان صاحبها غير مسلم.

إن هذا التفكير يدل على ان الاسلام هو دين الفطرة، ودين العقل الانساني السليم، واذا اتفق معنا في القول مؤلف غير مسلم فإنه يكون قد عاد لفطرته الاولى قبل الإفساد، فمن غير المستبعد ان يقول مسلم وغير مسلم كلاما متقاربا في منظر جميل من مناظر الطبيعة، او في وصف مخلوق بشري متفق على جماله، أو في موقف إنساني نبيل، او خلق رفيع من المثل والقيم الحميدة.

إن مثل هذا الكلام الجميل لا يختلف على إمكانيته اثنان، ويبقى السؤال عن الغاية التي كانت وراء هذا الأدب الجميل من الجهتين، فهي التي يمكن ان تضع فارقا بين هذين اللونين من الأعمال الادبية، فرب واصف للجبل يريد من وصفه ان يبرز قدرة الله تعالى كما تبدو في مخلوقاته، كما فعل ابن خفاجة الاندلسي، ورب واصف للجبل ولا يريد من وصفه الا ترجمة صفات القوة والثبات والصمود في وجه الزمن.

أما ما يوافق رؤيتنا الاسلامية المنطلقة من التصور الاسلامي للخالق والمخلوقات فهو ليس مخالفا لنا.

وأخيرا، وليس أخرا كما يقولون، إذ ليس بيننا الا التواصل ودوام الاتصال ما دمننا، أخي الحبيب، أخيرا أختم بما بدأت به كلمتك الطيبة، مما استلته من مقدمة الأخ الاستاذ الدكتور عماد الدين خليل، في الكتاب الذي استقصيت مفرداته المنهجية ليكون كتابا تعليميا في الجامعات العربية والاسلامية.

غيرة محمودة

• إبراهيم العجلوني

٢١-١١-٢٠٠٢

يحق للقارئ المتميز محمد بديع عبد الدايم من معان أن يعتب لتأخر ردي على تعقيبه على مقالة لي

نشرت في هذه الزاوية يوم السبت الموافق ١١ / ٢ تحت عنوان «وأردت صمتي»، ذلك أنني حرت كيف يكون هذا الرد وأنا أوافقته تماما على ما جاء في رسالته الكريمة من تداخل أعجاز الابيات فيما تمثلت به من شعر أبي العلاء المعري في المقالة.

وإذ أشكر للأخ الكريم محمد غيرته على الادب، وعلى كاتب هذه السطور في آن، فانني أدعو الله أن يهيء له العمل في الصحافة، ليعلم أضعاف هذا الذي استثاره من تداخل أبيات كان لا يَعد في الاحتمال أنها من أخطاء الكمبيوتر (وكم له من أخطاء)، لا من عماية الكاتب نفسه، وإن كان لا ينجو أحد من ذلك ابدا..

تحية للأخ الكريم محمد بديع عبد الدايم من معان الحبيبة. وهذه رسالته، التي أمل ان يستمتع بها قراء الرأي كما استمتعت بها.. والسلام:

تعقيب.. لا يجوز الصمت فيه

محمد بديع عبد الدايم

الأديب الكبير ابراهيم.. كاتب واديب مقروء من قبل كثير من عشاق اللغة العربية.. اللغة الغريبة.. والحزينة هذه الأيام.. والتي فقدنا اعتزازنا بها وفقدنا الاعتماد بتراتها العظيم.

في جريدة الرأي الغراء الصادرة يوم السبت الموافق ١١ / ٢ وفي مقالة للأديب العجلوني (وأردت صمتي).. استشهد الأديب الكبير بثلاثة ابيات من شعر ابي العلاء المعري لكي يبدي ما في نفسه من ألم وحسرة على ما وصلت اليه لغتنا العربية من غربة في نفوس أبنائها.

لا أدري كيف استقام المعنى مع الأستاذ العجلوني في البيتين الأخيرين من القصيدة وهو
قد ادخل عجز البيت الثالث على عجز البيت الثاني. والثاني على الثالث وحتى يستقيم معنى
البيتين فالأصح ان يقرأ كالتالي حتى يستقيم المعنى.

وماذا يبتغي الجلساء مني

ارادوا منطقي وارادت صمتي

ويوجد بيننا مدقصي

فأمّوا سمتهم وأمّمت سمتي

ما كان لي ان اتجرأ على كتابة هذا التعقيب على مقالة لكاتب كبير كالأستاذ العجلوني..
ولا مجاراة الكاتب في غزارة انتاجه وفكره الادبي الذي لا حد له.. غير ان غيرة القارىء على
لغته الجميلة الاصيلة وتعلقه بها والغيرة عليها دعنتني الى كتابة هذا التعقيب.

من قبيل التأكد على ما ذكرت رجعت الى لزوميات المعري فوجدتها كما ذكرت اعلاه
وحتى يتأكد استاذنا الكبير من ذلك ايضا فأرجو الرجوع الى مجلة الاداب اللبنانية العدد
الحادي عشر لعام ١٩٥٦ وهي مدونة في محاضرة عميد الادب العربي الدكتور طه حسين
في محاضراته القيمة التي القاها في مؤتمر المجمع العلمي للغة العربية الذي عقد في بلودان
عام ١٩٥٦.

للكاتب الكبير والأديب المميز استاذنا العجلوني كل تقدير ومحبة.

المقابلات

بين يدي هذه «المقابلات»

يشتمل هذا الباب من الكتاب على ست مقابلات صحفية في الطبعة الأولى منه، أضيفت إليها في هذه الطبعة المزيدة أربع عشرة مقابلة تم إجراؤها مع العجلوني في أوقات متفاوتة، وقام بها الأساتذة: رانية الجعبري من جريدة «العرب اليوم» الأردنية وسليم النجار من جريدة «الهلal» الأردنية، والدكتور ضرار بني ياسين من جريدة «الرأي» الأردنية، ومازن حجازي من مجلة «المجلة» اللندنية، ومحمد شلال الحناحنة (كتاب الأدب الإسلامي: «حوارات»)، ويحيى القيسي من مجلة «عمّان» الأردنية، والمحرر الثقافي لمجلة «الفجر الاقتصادي» الأردنية، وعزمي خميس مندوب مجلة «اليمامة» السعودية، ووفاء مطالقة مندوبة جريدة «الشام» ومحمد سلام جميعان من جريدة «العهد»، ومحمد مشاركة من جريدة «الرأي» والدكتور محمد عطيات لصحيفة «الرأي» أيضاً، ومريم العموري من جريدة «السييل»، ووليد حسني من جريدة «المجد»، ودعد الناصر من جريدة «السييل»، ومحمد سناجلة لجريدة «الرأي»، وفاطمة الهندي من جريدة «العرب اليوم»، وسامي النصار من جريدة «الزمان» وشيرين القطاونة من جريدة «العرب اليوم» أيضاً، ومنتصر حمادة من جريدة «القدس العربي».

ولقد تكون هذه المقابلات مرآة صادقة لطبيعة الهموم المؤرقة ثقافياً وإعلامياً في مدى زمني يتجاوز ربع القرن، مع ملاحظة أن من أجروا هذه المقابلات مثقفون وإعلاميون متميزون، وأن حصيلتها المعرفية وأبعادها السياسية والثقافية مما لا غنى عنه لمن يريد دراسة أعمال العجلوني نفسه أو معرفة رؤاه السياسية والاجتماعية والفكرية خلالها.

إبراهيم العجلوني

يفتح النار على الحداثة المقلّدة^(١)

• الحداثة القائمة لا تمتلك ماهية واضحة

• الرافي أول مجددي الأدب

اجرى الحوار: دعد الناصر

في هذا الحديث يكشف الناقد والكاتب الاستاذ ابراهيم العجلوني خبايا مشروع «الحداثة المقلّدة» والانزلاقات المستوردة التي الحقت تشويهاً كبيراً في مفاهيمنا الادبية وفكرية وساهمت في تزييف حركة الأبداع العربي.

* تستمد المصطلحات الأدبية معانيها من اللغة، فهل ترون في الحداثة معنى الانقلاب على القديم من المذاهب والحركات؟

- الدلالة اللغوية لمشتقات مادة «ح.د.ث» تحتمل دائرتين من المعاني اولاهما تتسع لحداثة السن، وأول الامر، والجدّة، وثانيتها تشتمل على حدثان الدهر ونوبه وما هو احدوثة فيه يعتبر بها المعثرون، واعتقد ان معنى الدهشة جامع بين الدائرتين، اذ للحديث دهشته وللحوادث دهشتها.

اما «الحداثة» باعتبارها مصطلحاً نقدياً او حركة ادبية، فقد تذهب مذهب الانقلاب على القديم كما تقولون او تكون اكثر رشداً فتشتمل على القديم وتتجاوزّه، والمسألة مرهونة بالقدرة والاستطاعة لا بالدعاوي والتنفجات.

* اختلف النقاد في منشأ الحداثة، فمن راء انها تقترن بالشعر الحر الى آخر يجدها متمثلة في كل خروج عن اطار اللغة التقليدي الى ثالث يربطها بالاصالة والابداع بغض الطرف عن زمنه، ما رأيكم؟!

- انا مع الرأي الثالث الذي يربطها بالاصالة والابداع بغض النظر عن عامل الزمن، ومن هذه الزاوية ارى شعر طرفة بن العبد اكثر حداثة واصالة ممّا يسمى بقصيدة النثر التي تبدو أصحابها أحياناً اكثر تخلفاً من الكهنة البائدين في اسجاعهم.

(١) جريدة السبيل الاسبوعية، العدد (١٥٧) ١١/٢٦-١٢/٢٦-١٩٩٦م

* هل تعدون الحداثة على طرف النقيض من التراث، وان التراث مرحلة سابقة حداً للحداثة؟
- الحداثة، كي تمتلك ذاتها ومسوّغاتها، ينبغي ان تشمل على التراث، ولا حداثة بغير تراث.
اما «الموضة» فشيء اخر، وهي اقرب الى «العلكة» لها حلاوة آنية، ثم تُلفظ ولا تلتقط بعدئذ ابدأً.

* اذا اخذنا الحداثة على جانب الرؤية الابداعية الابتكارية، هل نستطيع ان نضم علماء البلاغة كالجرجاني الى الحداثويين؟!

- السؤال المعقول هو: هل يقبل الجرجاني بذلك، وهل يتنازل من سمته المرموق ليدخل في هذه الطمطممانية النقدية والفوضى الدلالية؟! ان اكثر دعاة الحداثة ينهقون بما لا يسمعون، ويخوضون فيما لا يعرفون، واين من هذا الجرجاني واضرابه؟

* يرى البعض كادونيس ان لا حداثة عربية، وذلك لطبيعة منشأ الداعة الغربية، وان الذي بين ايدينا إنما هو احد تيارى تقليد القديم او تقليد الاخر الغربي، ما رأيكم؟

- لقد كفت منذ زمن عن النظر بجدية الى ادونيس واعتقد ان زمن الانبهار به وبأمثاله قد ولى، وحسبُه الان ان يُنظر للادب العبري، وان يخوض في الحداثة الاسرائيلية، اما انه لا حداثة عربية، ففي ضوء تهافت دعاة الحداثة وذهولهم فان من علائم العافية ان لا تكون هناك حداثة عربية، وان يكون ثمة قدرة كامنة على التجديد لا يملكها الا الاصلاء وحدهم وتتجافى عن الزعانف والمقلدين.

* هل ترون العلاقة وثيقة بين الحداثة وبين التناكر لقواعد اللغة واسسها من اطار ومعنى؟

- هذه الحداثة التي ارادوها، اللغة فيها «بَعْدِيَّة» كما يقول ادونيس «لا قبلية» ومشكلة ادونيس هنا انه ينقل مصطلحا فلسفياً مستعملاً في نظرية المعرفة ليحشره حشراً في مجال الادب والنقد والبلاغة، فالقضية البعدية في الاستمولوجيا هي التي لا نرى صدقها او كذبها «تواؤمها مع نفسها او تناقضها مع مسلماتها» في ذاتها بل نحتكم في تقرير ذلك الى الواقع، فهي تقال اولاً ثم ننظر «بعد ذلك» هل هي مطابقة للواقع ام لا، وهكذا فهي «بَعْدِيَّة» وشتان بين هذا وبين اللغو الادونيسي عن «اللغة البعدية» ان اللغة اصطلاح وتواضع وتاريخ دلالة، كما ان التجديد او الابتكار محمول على تمكن المبدع من هذه اللغة ومعرفته لاسرارها وتجلياتها وامكاناتها.

* هل تمتد آثارُ غربة الحداثة لتتاجات أدبائنا بحيث لا نجد الا التتاجات الهشة؟

- هذا ما نرى الشواهد عليه حيثما ذهبنا، لكنه زبدٌ سيذهب جفاءً من قريب.

* تكثر الاشياء التي تتماشى وقاعدة: سلاح ذو حدين، فهل الحداثة سلاح ذو حدين؟

- ليست هناك ما هيه واضحة للحداثة التي نرى، وحين تمتلك مثل هذه الماهية يمكن النظر فيما اذا كانت تطوي على معنى «السلاح ذي الحدين» ام لا.

* يظل النقاد وقوفاً على اشكالية اتصال الادب بجمهور الناس، اين تقف الحداثة من الجمهور؟

- اذا اتفقنا على ضرورة أن يكون للحداثة مفهوم واضح لا التباس فيه - وتحول دون هذه الحوائل - فان من تحصيل الحاصل ان تكون «ما صدقات» هذا المفهوم او تعيّناته وتمثلاته واضحة ايضاً، لكن واقع الحال لا ينبىء بذلك، ومن هنا فان هناك هوةً لا تعبر بين معظم المتسبين الى الحداثة وبين الجمهور او المتلقين، لكن هذه الهوة قائمة ابتداءً بين الحداثيين انفسهم وبين التجديد الاصيل، او الاصالاة المتجددة، وليست ناتجة عن عمق في الرؤية او تمييز في الاداء اللغوي، كما هو الامر عند ابي تمام او المتنبي او ابي العلاء قديماً، او كما هو الامر عن الرافيعي وعلي محمود طه ومحمود حسن اسماعيل وأضربهم حديثاً.

* هل نفهم لغة الحداثة على انها لغة التحرر التام، يقول ادونيس: هكذا يحاول الشاعر العربي الجديد ان يخلص الشعر من المنطق والتعليم والسرد.

- ادونيس ليس مرجعاً عندي، وهو نفسه في افتقار واضح الى المرجعية، والتحرر التام كذبة ناقصة لانها كذبة مكشوفة.

* هل لكم باعطائنا امثلة على رموز الحداثة.. ادباً وادباء؟

- اذا كانت الحداثة هي التجديد الواعي، فان اول مجددي الادب العربي هو مصطفى صادق الرافعي، يتلوه علي محمود طه ومحمود حسن اسماعيل ومن نهج نهجهم، وحين يصدر كتابي عن «الرافيعي امام العربية في الازمنة الحديثة» سابست الحديث في هذه المسألة، والتجديد الواعي ذو عناصر وشروط موضوعية كثيرة، لن نعدم في جيلنا اليوم من يحاول امتلاكها.

* ما موقف الادب الاسلامي من الحداثة؟

- الادب الاسلامي مصطلح جديد لم يرسخ بعد، والرؤية الاسلامية للادب لم تتضح معالمها الا قليلاً، لكن اكبر ضامن لجدة النظر وعمق التأمل وصفاء التعبير هو «القرآن الكريم» الذي يشتمل على مواجهة كونية جمالية كبرى ويستنهض في الوعي المسلم مواجهة موازية، هي اساس التجديد في ملتي واعتقادي. ونحن مع القرآن الكريم، وفي ظلاله، في شأن جديد، ودنيا جديدة، وكون مدهش نراه، - دائماً وابدأً- للمرة الأولى.

الإعلام هو أكثر الفعاليات

تزويراً للحقائق وتضليلاً للناس^(١)

أجرت المقابلة: رانية الجعبري

* بداية يحق لنا ان نسأل ما الذي ولد لديك القناعة بأنه في الغالب ماتكون الشهاد الأكاديمية: والمعرفة متناقضتين؟

- السبب يعود إلى أن الشكلائية غلبت على حياتنا بحيث أصبحت القاعدة تنص على أنه لا ضرورة في أن تكون مثقفا على الحقيقة مادمت قد نجحت في الظهور بمظهر المثقف.. ولا ضير أن تكون قليل المعارف نزرها إذا ما أفلحت بإقناع الآخرين بأنك من أهل المعرفة.

* هل لنا أن نتعرف على مواهب دعمت العجلوني في مسيرته العلمية؟

- لا يمكنني أن أسميها مواهب.. فأنا أعتقد أن الفعل الرئيسي لي قي الحياة هو القراءة أو قراءة الظواهر الاجتماعية أو قراءة الاشخاص والكتب قراءة متأمله متدبرة أطمح من خلالها إلى تشكيل رؤية جامعة أرتاح إليها أنا قبل أن أبثها إلى الآخرين.

* ماالسبب الذي يدفع محب المعرفة بالتوجه إلى الصحافة؟

- قي الاعلام اغراء للمرء في بدايات حياته.. وفي الاعلام أسباب لسأم المرء وضجره إذا استوى على سوقه ونضج، فالاعلام جاذب وطارد بهذا المعنى.. والاعلام وعلى عكس ما يظن كثير من الناس هو اكثر الفعاليات تزويراً للحقائق وتضليلاً للناس.

* لماذا هذه النظرة للاعلام؟

- لأن الناس لا تباشر السياسة بما هي فعل أخلاقي ولكن تباشرها بما هي خدعة للآخرين.. والسياسة التي كانت فرعا من فروع الفلسفة عند أرسطو.. وجزءا من العبادة كما في الاسلام أصبحت اليوم زندقة وتهريجا.

* على الرغم من هذه النظرة للإعلام دعنا أستاذي نبدأ بشيء من التفصيل عن مسيرتك الاعلامية.. ولنتحدث بداية عن مجلة المواقف.

(١) جريدة العرب اليوم ٢٠٠٧/٧/٢م.

- هي تجربة عشتها مع نفر من المثقفين الأردنيين وقد سميت المجلة «مواقف» انطلاقاً من معنى يتسع لمواقف الإيجي في علم الكلام والذي يمثل أعلى درجات العقلانية في تاريخنا.. ومواقف النَّفري الصوفي التي تمثل تصعيداً لوتائر الوجدانية، فكأنني رأيت أن سبل الاصلاح لا بد أن تشمل على المنحيين العقلي والوجداني على؛ أن الرياح لم تجر بما تشتهي السفن إذ توقفت المواقف بعد سنتين من صدورها وكان ذلك عام ١٩٨٩م.. ولقد بقيت أعالج أوضاعي المضطربة جراءها زمناً طويلاً.

* إلى ماذا تعزو سبب توقفها؟

- السبب يعود إلى أن المعرفة والثقافة كانتا هاجسنا فلم ننتبه إلى المادة.. فالعدد الثاني والذي كان منذوراً لقراءة شمولية في الفكر الصهيوني المعاصر لم نبع منه سوى سبع وخمسين نسخة مما اضطرنا إلى التوقف في النهاية.. ونحن بالقطع لم نلق أي تشجيع من الجهات الثقافية والرسمية.. فلا توجد سياسة في مؤسسات الدولة تساعد صاحب المشروع الثقافي على النجاح.. كما اننا رفضنا مساعدات لوج لنا بها البعض لأنها كانت ستستلب وعينا استلاباً.

* وقبل تجربة «المواقف».. كانت هنالك تجربة مع مجلة أفكار الصادرة عن وزارة الثقافة الاردنية؟

- نعم.. ولقد حاولت أن أنحو بأفكار منحي فكرياً خالصاً لتكون اسماً على مسمى وأزعم أنني نجحت نجاحاً نسبياً في ذلك ودليلي العدد الثاني والأربعون والعدد الخاص لاعادة بناء الفكر القومي فهما أنموذجان على ذلك.

* وأثناء حديثنا عن الاعلام لا يمكننا أن نغفل تجربتك الاداعية؟

- تجربة الاذاعة تجربة مميزة وعزيزة على قلبي.. فلقد كنت مراقباً للنصوص الأدبية ونصوص البرامج ثم توليت رئاسة قسم البرامج الثقافية واستطعت بحمد الله أن أغلب في هذه البرامج جانب الفكر والفلسفة والنقد فمثلاً من البرامج التي كانت تذاع أوائل الثمانينيات برنامج محاورات الحكماء الذي كان يعده د. سحبان خليفات وبرنامج مدن عربية والذي كان يعده الاستاذ الراحل د. نقولا زيادة.. وعلى هذا الغرار كنت قد اقترحت على مدير الاذاعة آنذاك الاستاذ نصوح المجالي أن نقدم برامج حوارية وسجالية مع ممثلي الاتجاهات الفكرية في البلاد بيد ان مدير الاذاعة آنذاك اهتمني بالحماسة الزائدة..

وفي الاذاعة تعلمت كيف أحاطب الناس بلغة يفهمونها. دون ان أنال من الأطاريح المضمونية التي تحملها اللغة وهذا ما أفدت منه في الكتابة الصحافية.

* الكثير يجد أن للاذاعة سحرا لا يمكن أن يجعل من التقدم العلمي الحالي مهددا لها مارأيك بذلك؟

- أنا اريد أن أخص بالذكر الاذاعة الأردنية.. فيمكن القول أن اذاعة عمان كانت هي الجامعة الوطنية قبل قيام الجامعات، والمؤسسة الأم التي سبقت المؤسسات وماتزال آثار النشأة الأولى قائمة فيها بعكس التلفزيون الاردني الذي لا عمق في برامجيه.

* والآن وصلنا إلى كتابة المقال.. فهل لنا أن نتحدث عن معطيات تلك التجربة؟

- كتبت إلى هذه اللحظة خلال الخمسة عشر عاما الاخيرة ما يقارب الأربعة آلاف مقال وقد ضمنت هذه المقالات ألوانا من الرؤى والأطاريح الفكرية والتحليلات السياسية وجهدت في أن أكون في ذلك صادقا مع نفسي ومع المعطى الموضوعي للأحداث التي كنت أتناولها.. وأنا من الذين يزعمون أنهم يكتبون قليلا ويقرأون كثيرا فوراء كتابة هذه المقالات قراءات مضمينة تتجاوز بالضرورة آلاف الصفحات.. لكن ما الذي خرجت به بعد كل هذا الصمود على تخوم الوعي؟.. الحقيقة أن بي رغبة في السفر ولو إلى المريخ وفي قطع العلائق كلها وانتظار أن ياتيني اليقين وكفى.

* بالاضافة إلى حبك للقراءة فلقد اشرت أنك تقرأ الاشخاص والاحداث.. كيف ساعدتك الصحافة في متابعة هذا النوع من القراءة؟

- يستطيع المرء أن يخلص إلى جانب من الحقيقة من خلال عشر روايات كاذبة وأنا أتعامل مع السيل المتدفق من الصحف ومع الضجيج المتفاقم للفضائيات ومحطات الاذاعة بهذه الرؤية.

* من الملاحظ في كتاباتك أن أفكارك قريبة من التيار الاسلامي.

- لا.. هي قريبة من الاسلام فقط.. لكنني أود أن أشير هنا أنني لست حزيبا ولا أو من بالتحزب لأنه في ضوء الشروط الموضوعيه القائمة هو استنساخ فكري وانصواء قد يكون الفرد أثناءه ذاهلا وقد يكون واعيا لكنه مكبل.. وفي كلتا الحالتين هو لا يسمن ولا يعنى.. ومن ير غير ذلك عليه أن يثبت ما يراه..

الكاتب إبراهيم العجلوني: من يتاجر بالانسان ويبيع الاطفال والنساء لا يقنعني برهافة حسه

رامبو تاجر عبيد وشخصية ملتوية غير أخلاقية

أجرى الحوار: سامي ناجي / محمد النصّار

يمتلك الأديب إبراهيم العجلوني وعيا مغايرا باتجاهين ازاء الوعي السائد، الاول ذلك الذي يجدف داخل المساحة الفكرانية الغربية، والثاني الاصولي التقليدي، وحين يرسم "العجلوني" خارطته الفكرانية داخل منظومات الاجناس الادبية (الشعر، القصة، النقد، المفاهيم الفلسفية) فهو يرسم افقا لتأسيسات معرفية عربية تعي قواها القومية الكامنة في تأصيل الفهم، تأصيل الوعي المعرفي "المتطور" باستناداته الموروثة الاخلاقية، وهو اذ يحجر في خارطة التأصيل لم ينقطع عن رؤية المشهد المعرفي والمعاصر والتنقيب داخل قنواته كي يؤشر ضيق الفضاء الادراكي المتبلور في أشكالية قصور الفهم ومن خلال هذا الحوار نستكته استراتيجيات المعرفة لدى إبراهيم العجلوني التي تتسم بخصائص الوعي المغاير والخصب في أن واحد.

* من موقعك كمسؤول عن تحرير الصفحات الثقافية لجريدة "الرأي" ما مدى دعم هذه الصفحات للثقافة الأدبية بكافة الاسكال وعلى كل الاصعدة، ولابد من الاشارة الى تميز الاسماء والموضوعات المنشورة، هل تستطيع الصحف الثقافية ترسيخ وعي وثقافة ادبية؟

- اعتقد انه من الظلم لي شخصا ان احسب على الموقع.. اي موقع كان وأنا لا احسب إلاّ على جملة الكتب التي اخرجتها وجملة الأطروحات التي حفلت هذه الكتب بها. فموقعي كمحرر ثقافي هو موقع أتت به الأحوال والظروف. اما الموقع الذي ارى نفسي فيه فهو موقع الكاتب صاحب الهموم الثقال وصاحب الرسالة التي يقدم عمره من اجلها اما وقد سألتني عن "الرأي الثقافي" وهو ملحق اسبوعي تستعمل عليه جريدة "الرأي" فاعتقد انني لم افلح في اخراج صفحات ثقافية تغير الواقع الثقافي في البلاد او تكون ذات اثر في دفعه الى الامام. بل انني اخفق احيانا كثيرة في ان اقدم مرآة صادقة لطبيعة هذا الواقع الثقافي

ولما يتفاعل فيه من قوى وحيوات وظواهر. المكسب الوحيد الذي أمتلك الحديث عنه (وهو مكسب على وجه السلب لا الايجاب) هو انني انجو بالرأي الثقافي من الايدلوجي والشللي وان كنت لم استطيع النجاة من سائر المواضيع والمجاملات... ولا بد لي ان اضيف هنا أنني لو أردت اخراج ملحق ثقافي "معياري" وبما ينبغي ان تكون عليه الامور لتأدى بي ذلك الى اخراج اربع صفحات ثقافية كل ستة اشهر لا كل اسبوع كما هو الحال الآن.

* انا من المتابعين لعمودك الصحفي الاسبوعي في "الرأي الثقافي" وقد طرحت عدة اشكالات داخل معطيات الجغرافية الثقافية ويغلب على هذا العمود سمة التوغل الحاد الممحاك ازاء واقع المعطى الثقافي ومناخاته.. الى أي مدى يستطيع هذا العمود تصحيح مسارات الخلل داخل الفعل الثقافي السائد.

- أميل الى اعتبار ما كتبه في الزاوية الاسبوعية من الملحق الثقافي لونا من النظر النقدي الطائر الذي يكتفي بالاشارة والتلويح والرمز الذي يلامس اطراف الموضوعات احيانا او يقدم رؤوس المسائل توطئة لحوار من درجة ماء، او توثيبا للنقاد والادباء، ولا ازمع انني يمكنني في مثل هذه المقالة ان ابسط قضايا نقدية على نحو مستغرق او على نحو موضوعي يركن اليه.. انها نفاثات وانطباعات وتلويحات لا غير لكنها في الوقت نفسه قد تكون نذرا او بشائر وذلك حسبي منها.

* انت من المتمسكين بالمرجعية العربية للنقد ومن المعارضين لاستخدام المصطلح النقدي الغربي مؤكدا على امتلاك الموروث النقدي العربي مساحة ثرة لم تكتشف ويمكن لها ان تكون بديلاً نوعياً عن المنظومات والمناهج النقدية ذات المرجعية الغربية، الا تعتقد ان المصاهرة بين المناهج العربية والغربية ستخدم التحولات النوعية لأغراض التأسيس النقدي الحديث.

- هذا سؤال متعدد الجوانب متشعب في كل اتجاه وهو اقرب الى ان يكون مدخلا لكتاب ضخم في مسألة الاصاله والمعاصرة وفي مسألة التأثيل والتجديد وفي مسائل اخرى متفرعة عن ذلك والذي يمكن قوله دون تردد في هذا المجال ان مشكلتنا مع تراثنا من جهة ومع معطيات الاخرين من جهة اخرى هي وعلى وجه التحديد الفهم اولا والفهم ثانيا والفهم ثالثا.

ان من يلوكون الفاظا عن الحداثة ولا يمتلكون (على مستوى الوعي والتمثل) اللحظات المؤسسة للحداثة الاوروبية او الغربية المعاصرة، بمعنى انهم لا يتمثلون (ديكارت، سبينوزا، هيغل كانت) والفلاسفة الموسوعيين وفلاسفة التنوير، هؤلاء ما هم في معنى الحداثة لا من قريب ولا بعيد، وفي مقابل ذلك فأن من يتحدثون عن التراث والتأصيل وهوية الامة ولا يتمثلون (القاضي عبد الجبار المعتزلي والامام الجويني والباقلاني والجرجاني) نزولا في التاريخ الى (الرازي والطوسي والصنعاني) فانهم ايضا لا يحومون في حمى معنى مفهوم او قول راجح يمكن لأحدنا ان يجادلهم حوله، اذن يمكن لقضية النقد الادبي ان تنزل في المساحة المظلمة بين دعوى امتلاك الحداثة ودعوى امتلاك التراث وكلتاهما بغير ما اسس وعلى رمل هار او في ارض وعساء، لكن مما اعتقده ايضا ان المنجز النقدي الغربي المعاصر ولاسيما في مواجهة النصوص الأدبية او النصوص باطلاق هو دون المنجز العربي بمراحل. ومشكلتنا في تقييم هذا المنجز الغربي اننا لا نفهمه فهما صائبا او مقاربا او اننا في شأنه في امر مريب وفي غمة مستحكمة لا نكاد نتبين منه ولا سباب عدة الا ما تقدمه الينا ترجمات من الدرجة الثالثة ومحاولات مخففة باستيعاب هذا المترجم ولموضعه في سياق نهوضنا المعاصر، نعود اذن لاقرار الواقعة الشرسة التي بدأ الحديث بتوكيدها وهي ان مشكلتنا في كل حال هي مشكلة الفهم.

* جاء في إحدى مقالاتك ضمن الزاوية الاسبوعية للرأي الثقافي قول (يتهافت بعض منا فيعمد الى شذرات لمطلق خواجا مثل تاجر العبيد "رامبو" فيقيم دروشة كلامية ويطلق اصواتا ويصطنع احوالا ومقامات ثم يخرج على الناس باعمال غير صالحة الا من حيث هي دلائل على استلاب البصيرة وموت الذائقة وغباء الفؤاد) وهذا يؤكد اعتراضك على من ذهب الى ان الشاعر الفرنسي "رامبو" قد فتح افقا للرؤية الشعرية على مستوى الشعر الفرنسي وعموم الشعر في العالم.

- واضح ان السؤال منصب مباشرة على الشاعر الفرنسي "رامبو" هذا الشاعر الذي قرأت شيئا قليلا من مترجم شعره وقرأت فصولا نقدية عنه مملوءة تقديسا وانبهارا واكاد القول انطباعا أعمى، وهو امر دفعني الى قراءة سيرة حياته لعلي أضيء من خلال هذه القراءة بعض هذه النصوص المترجمة فافهمها على نحو وأخر، ولقد خلصت من مجمل هذه التجربة الى ان هذا الانسان قد ابتلته اقداره منذ يفاعته حتى اُحترم بمشاكل وامراض

وبمعاناة قاسية على مستويات حياته كافة ومما انتبهت اليه وهو امر لا املك ان اغض الطرف عنه انه كان شاذاً جنسياً؛ ولعل واحدة من أهم قصائده وهي اشراقات كتبت بعد ليلة ماجنة حافلة بالشذوذ في (كومونة باريس) وان مغامراته قد انتهت به الى ان يكون تاجراً للعبيد وتاجراً للمخدرات بين عدن والحبشة. اي باختصار انني كنت على المستوى الانساني امام (أفاق) وامام شخصية ملتوية غير اخلاقية، لان من يتاجر بالانسان ويبيع الاطفال والنساء لا يمكن ان يقنعني برهافة حسة الانساني ولا يمكن ان اتخذه اماما لا في الشعر ولا في اي ضرب من ضروب الفنون. قد يقول قائل ما نحن في هذا كله ولكننا امام عبقرية شعرية ولا ينبغي ان نصب لها الموازين الاخلاقية. فاقول: هذا كلام قد يكون مقبولاً ولكن شريطة ان تقنعني ايها المعترض بانك قرأته بالفرنسية وتاملت جمال اللغة عنده وعرفت اي مدى في التجديد قد حقق فيها، وتوافرت لك الذائقة اللغوية في لغة الفرنسيين على نحو امكنك من ان تكون ظاهراً على جمالياتها وعلى ضروب بلاغتها، اما وقد علمنا ان معظم من ينعق بما لا يسمع في هذا الباب هم ممن ليسوا على ثقة من عربيتهم ولا نقول من الفرنسية. فقد لزمنا ان نحث عن تفسير آخر عن هذا الانبهار بتاجر العبيد "رامبو" ولست اخرج بالامر عن هذا الانبهار وهذه المضاهاة الحضارية التي نقلد فيها الآخرين تقليد القروود ونلغي عقولنا واذواقنا واسباب احترامنا لانفسنا.

* فتح الشاعر "ادونيس" طرقاً نحو النصوص الصوفية للحلاج والنفري وغيرهم وقد شكلت مساحة في منظومات خطابه الشعري ورؤاه، هل من رأي في هذا الشاعر الذي اختلف فيه العصر بين معجب ومتعجب وبين معترض ونابذ لكل آفاقه.

- أعتقد أن "أدونيس" خرافة أدبية معاصره شأنه في ذلك شأن "محمود درويش" ذلك انهما يمثلان حقيقة متواضعة اتخذت سمتاً متعاضماً لاسباب متظاهرة شأن كل خرافة ولا يعني كلامي هذا انهما شاعران غير كبيرين، فهما بلا ريب شاعران كبيران ولكن نزع الخرافة عنهما امر علمي ونقدي وينبغي ان نمثلك الجرأة على ذلك. فعلى سبيل المثال، أنا من الذين يرون انه لا صوفية على الحقيقة في زماننا هذا ما لم تتصل باسباب من الكتاب والسنة والمقامات والاحوال والتجارب التي عاشها اعلام الصوفية الذين نعرفهم جيداً، وليس يزعم زاعم ان من يستعير من مصطلح الصوفية الفاظاً ويوظفها في ما يكتب على شيء من ذلك.

الصوفية في اعتقادي هي درجة متقدمة في الإسلام وهي مرتبة الاحسان التي تحدث عنها الرسول الكريم محمد (ص) ولا يقدر على تحصيل هذه المرتبة الا من يعيش حقائق الاسلام الايمان والاحسان، اما ان ينفلت احدهم من خمارة فيتواجد ويشق ثيابه ويقول انا صوفي بحجة ان ثمة الفاظ اخذها من كتب الصوفية تدور على لسانه او في اشعاره فتلك حجة داحضة.

أنني أروؤُ بلا ريب تجربة "ادونيس" وتجربة "درويش" ولكنني اذهب الى ان قيمة ادونيس الحقيقية هي في اشكالاته التي يطرحها لا في انجازاته. وحين تذهب السكره مع تراخي الايام وتأتي الفكرة ويكون لنا ان نموضع ادونيس في سياق تطورنا الادبي فان مما اجزم به ان كثيرا من الهالة المعقودة حوله سوف تذهب ادراج الرياح، مشكلتنا ان نقدنا الادبي المعاصر ضعيف مرتعش يعيش في غبار الايديولوجيا او في السمادير التي تصنعها وتروجها وسائل الاعلام والدوائر الخاصة والمحافل المظلمة، وحين يصحو النقد من كبوته ويمتلك عافيته فان كثيرا من الاحجام المتفاخرة سترتد الى متواضع حقائقها، والزمن كفيل بتفكيك الخرافات قديمة ومستجدة.

* لماذا احزان مسيحية!! كتابك؟

- احزان مسيحية كتيب صغير يشتمل على اربعة فصول من السيرة الذهنية والوجدانية لصاحبه وهو في جملته مرآة قد لا تكون واضحة لتمازج الوعي بالاحساس الشقي بهذا العالم وقد يكون في بعض جوانبه صرخة احتجاج ضد الشقاء الانساني، ومن هنا جاءت تسميته، ولقد قدمت له بقول للامام علي كرم الله وجهه مفاده انه يقرض الدنيا قرضا على منهاج المسيح، ومن يتأمل القرآن يجد أن بإمكاننا استخلاص (انجيل قرآني) منه اذا صح التعبير فضلا عن ان كتب الادب العربي حافلة باقوال لسيدنا المسيح، اذا تفرغ لها الباحثون امكنهم ان يعيدوا بناء الانجيل بنصوص عربية عالية المستوى على عكس الطبقات الشعبية السائدة اليوم، وعلى اية حال هذا اطناب في غير موضعه؛ لكن احزان مسيحية يبقى عملا قريبا الى النفس وان كان لا بد من استكمالها ذات يوم.

*اي من الأشكال الادبية تميل اليه، ولا سيما انك ولجت العشر والقصة والمقالة والنقد والتأسيسات الفكرانية ذات المعطى الفلسفي؟

- لا يضبط هذه المسألة ضابط فهي مرهونة بالحال التي انا فيها وفي ما يختلف عليّ من الوان التجارب والعلاقات والافكار والانفعالات وانا اميل الى رؤية الاجناس الادبية بصفتها درجات مختلفة على محور واحد وليس يمنع من ان يكون احدنا شاعرا وقاصا ومفكرا في آن واحد. واكون صادقا اذا قلت ان ثمة ضربا من التعبير اتبينه ولا اكاد احدد ملامحه سوف استقر عليه ولو بعد حين، ماذا اسميه هل يمكن ادراجه في سياق ما اعتدناه او هو شيء مختلف. هذا ما لا أجزم به الآن ولكن ثمة رغبة عميقة في اجتراح شيء غير معهود، ولكن على ان يكون متصلا بالجذور الحية لأدب العربية.

*** أعتبر نفسي وريثاً شرعياً لكل الثقافات البشرية**
*** لا يمكن لأحد أن ينزل لقبه مع دفتر الشيكات**
*** الوزارة ليست مكسباً ولا هي مرتبة**
معرفية وأخلاقية تتشوق النفس إليها^(١)

أجرى الحوار: سليم النجار

أن تجرى الهلال لقاء مع احد الروافد الثقافية في الاردن، كإبراهيم العجلوني، دليل ساطع على الخير والرشاد اللذين اودعهما الله في هذه الامه باقيان ما بقيت الحياة الانسانية على هذا الكوكب، وقادران باستمرار على بعث شروق الامل، والتجدد والحياة رغم كل الغيوم والعنمات، قادران على تحويل الاقوال افعالا، وعلى اعطاء العقل والثقافة والفكر واللغة المكانة اللائقة في حياة الانسان، لأن ما هية هذا الكائن وخصوصيته لا تتحققان إلا بحضور هذه الاقانيم الاربعة في حياته وحضارته.

ابراهيم العجلوني المفكر والفيلسوف يأخذك إلى صومعته المعرفية، حيث لا تجد الا انسانا يعرف ماذا يريد؟ ويعرف لماذا يكتب؟! وقبل هذا وذاك لا تستطيع الا ان تحبه انسانا وفيلسوبا وشاعرا وقاصلا لإوجاع الانسان... يثير اسئلة الوجود، ويخرج منها بحب الناسك، ويدفعك لأفق وفضاء لما يحب ان يكون الانسان.

* كم مره باع ابراهيم العجلوني مكتبته الخاصة في حياته، وماذا يعني بيع المكتبة للكاتب؟! - لقد اضطررت الى بيع جانب من مكتبتي، بسبب ظروف قاهرة، ولكن الذي بعته منها، يسهل تعويضه، وقد كان ذلك، حين اوقفت إصدار مجلة المواقف بعد سنتين من الفعل الثقافي الجاد، حيث تراكمت على ديون لا قبل لي بسدادها، وبعث سيارتي ورهنت بيت والدي رحمه الله وبعث ما يقارب الالف دينار من مكتبتي وانا لا القى اللوم على احد في هذه الواقعة ولكنني ألقيه على نفسي فأنا رجل فوضوي في اموري المالية ولو كنت احترزت وإعتدلت لما كانت هذه المشكلة اساسا.

(١) صحيفة الهلال: ٧-١٣/٦/٢٠٠٧م.

* ثلاثة اشياء غامضة في حياة ابراهيم العجلوني بحاجة لجلاء أولاً: المرأة كيف يحبها وكيف تعيش فيه، ثانياً: المال كيف لمفكر ان يعيش بين الغنى والفقر، ثالثاً: سلفية التفكير إذ لم يقارب ابراهيم العجلوني الحداثة وبقي سلفياً ؟

- سأبدأ الاجابة على الشق الثالث من السؤال وهو المتعلق بمقاربة الحداثة، ذلك أن كثيراً من الناس يعتقدون بسبب من لغتي واسلوبتي انني لا اعرف الى الفكر الحديث سييلاً ، وهذا امر لا يزعجني فأنا اختار اسلوبتي ولغتي إختياراً قصدياً وكأنني اعلن بذلك إنتمائي صريحاً الى امتي العربية الاسلامية وإستمساكي بهويتي الحضارية واعتصامي باصولي الفكرية والفلسفية ، أما دعوى مدابرة الحداثة ، فأرد عليها بأنني في زعمي واحد من قلة قليلة في العالم العربي قرأت كثيراً ممّا ترجم للعربية، لهيغل وكانت وهيرمان هسه وفتجتشتين وغيرهم من مفكري الغرب، ولا احسب ان من يقرأ هؤلاء قد ضرب على نفسه بالاسوار واغلق على وعيه الابواب.

ولكن الاشكالية انما تكمن في ان طائفة مما يقرأون ويكتبون في وطننا العربي، قد انبهرت بالغرب، واصبحت تلهث وراءه وتقلده، ونسيت اصالتها، ونسيت ان لها حقاً في تدبر الامور، على معنى المبادأة والمبادرة، لأن ذلك وحده هو مسوّغُ احترامها لذاتها، اما عن كوني سلفياً فذلك ما احاوله دائماً لا في مستوى الثقافة العربية وحدها، ولكن على المستوى الانساني العام، فأنا اعتبر نفسي وريثاً شرعياً لكل الثقافات البشرية، واعتبر ان كل نبضة فكر في تاريخ الهند او الصين او اليونان هي جزء من هذا الميراث الانساني، الذي وكلت نفسي بفهمه واستعباه وذلك انسجاماً مع معنى ان اكون بصفتي عربياً مسلماً شاهداً على الناس.

أما عن المرأة، فهي امي واختي وابنتي وزوجتي، وخالتي وعمتي، وكل هذه ظلال اتفياً بها، ولا احسب انها مشمولة بأي قدر من الغموض، اما بالنسبة للمال، فأنا اؤمن ان عقل المرء محسوب عليه من رزقه، ولا بأس مع وجود هذا العقل، ومع غناء الجانب المعرفي، ووفرة الهواجس العقلية من الفقر المادي وفي النهاية لا يمكن لأحد ان ينزل في قبره مع دفتر الشيكات.

* ابراهيم العجلوني اقترب من السلطة ذات ضحى بأكثر من اللازم، حتى ظن الناس، انه قاب قوسين او ادنى من الوزارة، لماذا لم يصبح العجلوني وزيراً؟

- اسمح لي ابتداء ان اقول ان الوزارة ليست مكسبا، ولا هي مرتبة معرفية و اخلاقية، تتشوق النفس اليها، وكذلك المناصب جميعا، ولقد عرض علي ان اكون امينا عاما لوزارة الثقافة، قبل اكثر من عشر سنوات فاعتذرت، وان مما اعتدته ان اكف عن الاختلاف الى اى من الاصدقاء اذا اصبح وزيرا، وانا من المؤمنين (مثلا) بأن الصديق د. خالد الكركي، لم يظفر في حياته بلقب اعظم من لقب استاذ الأدب في الجامعة، والمثقف الحق يعنى بالثواب لا بالمتغيرات، والمثقف الحق ايضا وزير دائم وضعته في موقعه كفاياته ومعارفه.

* في كل حواضر بلاد الشام من ينسب الى المكان، لا يكون قبليا او يمت بصلة الى قبيلة واضحة التفاصيل والتعصب ماذا يعني ان يكون المفكر ابراهيم عجلونيا؟

- انا في الحقيقة لست من عجلون، وان كنت اتشرف بالانتساب اليها، وقد جاءني هذا الانتساب متحدرا من جد جدي، او من جدي الاكبر الشيخ ابراهيم العجلوني، الذي كان في الازهر الشريف قبل ما يقارب من مئتي عام، وسئل هنالك من اين انت يا شامي، فقال انا من منطقة عجلون، وقد سمي العجلوني لذلك، وانتقلت التسمية الى ابنائه واحفاده، وكثير ممن يحملون هذا الاسم يضيفون نسبا اخر كأن يكون مثلا العجلوني الدمشقي، او العجلوني المقدسي، وانا في كل حال، احب ان انسب الى القدس، او الخليل وان اللفظ انفاسي الاخيرة في واحد من حرميهما، فذلك هو الانتماء الحقيقي لي بصفتي عربيا مسلما.

* في كل كتبك، تخبىء مئة قصة، ما هي بعض القصص التي تخبىء وراء ابي سلطان، هو اعتراف في البداوة، شهوة كامنة للتسلط والسلطة، ام انه يدفن سرا لا يحب البوح به او سلطان المرأة عليك؟

- هذا سؤال صعب، ولكن يمكن القول، ان لجوء الكاتب الى اخفاء مقاصده عن التناول القريب، او عن القارىء الذي لا يريد ان يتعب نفسه، محمول على اختلاف مستويات الخطاب، قبل ان يكون محمولا على التقية او الرهبة، او التلبيس لمجرد التلبيس، وفي مذكراتي التي سأبدأ كتابتها قريبا، والتي ستكون في تقديري في ثلاثة اجزاء، سابسط كثيرا

من المجمعات التي وردت في كتبي المتعددة، ولن يكون هناك شيء غامض، او حكاية قد تم التحفظ عليها، او سر من اسرار هذه التجربة المرة التي قطعتها.

* ابراهيم العجلوني، تزاملت مع الاستاذ الدكتور خالد الكركي، في مواقع ثقافية، ما هو حجم سرورك، من ترفيع الاستاذ الدكتور خالد الكركي ليصبح رئيسا للأردنية.

- أنا ممن يقيمون خالد الكركي تقييماً إيجابياً، قد اختلفت انا واياه لاختلاف ذوقنا الادبي، او منهجنا الفكري، ولكني لا اخالفه ابدا في اشواق النهضة، وهو اجسها، التي تملأ عليه المكان، أخالفه في قضايا ادبية، او قضايا نقدية، او في بعض الوان التقييم، ولكنني في كل حال اراه، حالة محمودة من ثورة الوجدان، والضبط الاخلاقي العالي، وهو بالقطع استاذ ادب لا يشق له غبار، وحبذا لو يستمر استاذا للادب ولا ينقطع عن ذلك بحال من الاحوال.

الأديب إبراهيم العجلوني لـ "العرب اليوم"

لدينا كتاب أكثر من الصين وشعراء أكثر من القارة الهندية

واقعنا الثقافي والسياسي متخبط وقد يفضي بنا إلى مأس كثيرة^(١)

أجرى الحوار: شيرين القطاونة

إبراهيم العجلوني أديب وكاتب وصحافي، التصقت حروفه بنبض الموروث المسكون فيه، كان لوجع الكلمة فضاء رحب في مجمل طروحاته الادبية، وقد تأثر بالمدرسة التراثية التي أحياها الأديب الرافعي، ولد العجلوني بمدينة الصريح شمال الاردن، نشر اهم مؤلفاته (أحزان مسيحية) التي تعتبر بمثابة سيرة شخصية أدبية، ورغم أن الأديب العجلوني عند جمهرة النقاد أديب إسلامي لكنه موسوعي الفكرة تجول في ثقافات الشعوب وأديانها، له عدد كبير من المؤلفات اهمها: تقاسيم على الجراح، نظرات في الواقع الثقافي الأردني، حينما نلتقي، مسلمات في ضوء التحقق، في الفلسفة والخطاب القرآني، في الفكر القومي، فصول في الفكر العربي، الرافضون، مواقف وخطابات، نحو حوار معقول مع الامريكان، والوعي المتمرد.

«العرب اليوم» حاورته حول حركة النقد، التراث، وحركة الترجمة فكان هذا اللقاء.

* هل هناك حركة نقدية نشطة وجادة في الأردن..؟

-أعتقد ان حاجتنا الرئيسية والماسة في الأردن وفي الاقطار العربية، هي إلى حركة نقدية جادة وصارمة ذات موازين موضوعية دقيقة، لتخرج بنا من هذا العماء المفهومي الذي نعيشه على مستوى الفكر ومستوى الادب والابداع، ولما كانت مثل هذه الحركة مغيبة فان واقعنا الثقافي والسياسي متخبط على نحو مشهود وعلى نحو قد يفضي بنا إلى مأس كثيرة، فالمسألة ليست مسألة نقد أدبي خاص أو نقد ادبي منعزل عن فعاليات الحياة، ولكن المسألة مسألة حياة برمتها، حياة كاملة تفتقر إلى موازين النقد في كل مجال من مجالات الحياة.

(١) جريدة العرب اليوم ٢٤-٨-٢٠٠٨

* كيف تصف علاقتك بالتراث؟

- أنا منحاز إلى التراث انحيازي إلى الحياة نفسها، فالحياة لا تأتي من فراغ، الوجود كله مجموعة حيوات يتصل بعضها ببعض، منذ آدم إلى اليوم، كل حياة او هي امتداد لسابقتها بطريقة أو بأخرى، وبالتالي فحديث التراث هو حديث الحياة نفسها، التراث ليس تركة ثقيلة نرميها عن كواهلنا بل هو قوة محرّكة لنا، وهو عالم شاسع ذو وجوه متعددة، تراثنا العربي على وجه التحديد تراث أشبه ما يكون بقارة مفقودة فيها من العلوم والمعارف ما نجعله نحن وما لا يعمله الغربيون، إنا من الذين يرون ان في تراثنا الأدبي والاصولي نظرية نقدية مُعبّرة وان هذه النظرية أصبحت معلما من معالم هذه الحضارة، إلا أن كثيراً من النقاد يقولون لا نظريات نقدية لنا نحن كعرب وذلك انهم يلتزمون النظرية النقدية في مباحث البلاغة مثلاً، وهذه المباحث لا تفي بشروط هذه النظرية، النظرية النقدية، العربية مثلاً موجودة في مباحث الاصول لا في مباحث البلاغيين، فبقصور من نظرنا الى التراث تختلط الامور لدينا وتضيع هذه الصورة الزاهية العظيمة لهذه المدينة العربية الإسلامية التي لم نستطيع أن نتبين قليلاً من معالمها، هي غارقة في ضباب التاريخ ونحن لم نستطع بعد ان نرى هذه المدينة باكملها، فهي قارة مفقودة خسرتها نحن كما خسرها العالم، ذلك أن كثيراً من علوم العرب والمسلمين لم يطلع عليها العالم بعد وخصوصاً العلوم المتعلقة بالانسان لا بالاشياء والادوات، والغرب له قصب السبق في ذلك، استطاع أن يصل الى هذا التقدم العلمي، الذي سخره في خدمة مآربه الخاصة، وفي خدمة الاستعمار، وخدمة هذه العولمة المتوحشة التي تسيطر على العالم الان، وخدمة اللبرالية المتوحشة التي يخرب لها كثير من جبابرة العرب.

انا لا أوظف مخزون التراث لانه ليس مجرد شيء اوظفه، انا اتماهى مع هذا التراث وأعيشه كما انني أعيش ما استحضره من لحظات قادمة حين انظر إلى الزمن بصفة كونه بؤرة يلتقي فيها الحاضر والماضي واستطيع أن أضم الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل وإن انطلق كقوة في هذا الكون، وبالتالي الماضي ليس تركة ثقيلة ولا هو شيء اوظفه او أستعيره أو عبادة البسه، لأن الماضي هو جزء من تكويني.

* أنت قارئ ومتابع للحركة الادبية كيف تنظر لمستوى الحركة الادبية في الاردن، مع وجود الكم الهائل ممن ادرجوا تحت مظلة الادباء والكتاب؟

- سؤالك هذا يذكرني بقول للفيلسوف الالماني فيشته في كتابه المعروف: «نداءات إلى الأمة الألمانية» إن من عجب العجب ان كل ذي فم وشفنتين يريد ان يكون فيلسوفاً» فالحقيقة نحن في بلادنا لدينا كتاب أكثر من الصين، ولدينا شعراء أكثر من القارة الهندية، وهذا أمر يندرج في إطار مقولة احمد شوقي رحمة الله حينما قال: «حين يكثر الشعر يقل الشعراء والعكس صحيح حين يكثر الشعراء يقل الشعر، ولقد اشتغلت في العمل الثقافي، سواء حين كنت رئيس تحرير لمجلة أفكار او حين أصدرت مجلتي «المواقف»، أو حين كنت مديرا لتحرير مجلة الرائد العربي أو في موقعي في صحيفة الرأي وفي مواقع اخرى، حيثما كنت انتبهت إلى قضية وجود أقلام شابة ما تزال أقلاما شابة منذ خمسين عاما، أي ان هذا الرجل الذي كان واعداء قبل خمسين عاما بقي يراوح مكانه ولم يتطور، هناك أسباب كثيرة تحجز المبدع او تحول بينه وبين استكمال مسيرته، فهو في المحصلة سيقنع بما لديه ولن يشعر بقلق المسافات في مشيته وبالتالي نحن كما قلت امامنا مجموعات كبيرة من الاقلام الشابة وان كانوا هرمين وفي أواخر اعمارهم، والانسان حين يقرأ تراث الأغرقي، بصفته تراثا خاصا له وتراث الفرس والهند والتراث الافريقي وتراث كل الامم بما هو تراث خاص له، هذا البعد ينقصنا حقيقة لاننا من باب أولى لم نلتفت إلى تراثنا الخاص لنقرأه أقصد أن كثيرا منا لا يعلم من علم النقد الادبي عند العرب شيئا إلا ما يسمعه من الاكاديميين في الجامعات وهو غير كافٍ، كثير منا لا يعلم ما انجزه علم الكلام، او الفلسفة أو التصوف أو أصول الفقه. ونحن لسنا بحاجة إلى رقابات كثيرة، الرقابة لا تسمن ولا تغني من جوع، الرقابة فعل الضعيف، واقصد الرقابة السياسية، لكن نحن بحاجة إلى متابعة نقدية يقوم بها نقاد اصلاء متمكنون لهم أدواتهم النقدية المرهفة ولهم اطلاعهم على مناهج النقد الغربي والعربي وعلى علوم البلاغة العربية وعلى أصول الفقه في التاريخ العربي، وانا اعتقد ان أسباب تخلفنا الثقافي هي هذه المؤسسات. في الثلاثينات كانت لدينا نجوم أديب عباسي وإبراهيم طوقان وعيسى الناعوري وعبدالحليم عباس وحسني فريز واسحق موسى وخليل السكاكيني وعرار ولم تكن لدينا مؤسسات فأصبحت في بدايات القرن الجديد لدينا مؤسسات كثيرة ولا نجوم لدينا إلا ما ندر فالمسألة غير متعلقة بهذه المؤسسات التي تقبل في عضويتها كل الناس، حتى كاتب الاستدعاءات مع احترامي لكاتب الاستعاءات الذي أعتقد أنه قد يكون مؤهلا أكثر ممن تقبلهم مؤسساتنا الثقافية..

* ماهو تقييمك لحركة الترجمة وهل انت مع ترجمة الادب العربي إلى اللغات الاخرى؟

- هناك مقولة معروفة تقول «الترجمة خيانة» ولكنها ليست صحيحة بالاطلاق فقد تكون الترجمة غاية في الامانة، المشكلة مشكلة الاقتدار، في كتابه تأويل مشكل القرآن يقول ابن قتيبة: إن ترجمة القرآن إلى اللغات الاخرى صعبة لان العربية تفي بمطالب اللغات الاخرى ولكن اللغات الاخرى لا تفي بطالب العربية فإذا كنت تقصين ترجمة العربية إلى اللغات الاخرى فهذا أمر لا يتوافر إلا للشخص الذي يتقن اللغة التي يترجم إليها اتقانا كبيرا كما يتقن العربية باقتدار، وهذا أمر جاز في بعض الموضوعات مثلا في الفلسفة قد تصح الترجمة، في القصة في الرواية قد تصح في الشعر هي صعبة جدا لا تبلغ دقة العربية في التعبير عن القضايا الجزئية والفرعية في قضايا الفكر والمنطق والقضايا التي تتعلق بالتصورات والمفاهيم، اللغة العربية بلغت أشواطا بحيث نستطيع أن نقول ان العالم الان في اوائل هذا القرن لم يطلع بعد على الانجاز العربي في هذه الأبواب. ورغم كثرة المدارس الغربية في التحليل ولكن العربية هذه القارة المفقودة لم تكتشف بعد. أما ترجمة الأدب العربي للغات الاخرى وان فقد هذا الأدب كثيرا من رونقه الا انها في ما يمكن تحصيله ولكن ما الفائدة ما الذي نرجوه من ترجمة أدبنا للأخرين، العرب حين ترجموا تراث الأغريق سابقا وتراث الفرس والامم الاخرى لم يجدوا حاجة لترجمة أدبهم للأخرين وكان عندهم اعتقاد إن ثقافات العالم ستصب كلها في البحر العربي، وحتى بعض فلاسفة أوروبا كانوا يقولون إذا لم تتقن العربية فلن تصبح فيلسوفا، نحن بحاجة لان نتمكن من عربيتنا، انا بحاجة إلى أن أترجم العربية إلى العربية. كثير من هذا الذي ينشر الان لا صلة له حقيقية ووثيقة بالعربية في صورتها المعيارية أو صورتها التي ينبغي أن تكون عليها، نحن بحاجة إلى ترجمة بعض ما يكتب العرب إلى العربية مثل حاجتنا إلى ترجمة ما نكتبه من أدب يصور واقعا إلى اللغات الاخرى مثل حاجتنا إلى ترجمة منجزات الامم الاخرى إلى لغتنا وهذا جهاد في سبيل الله أن نترجم الفكر الغربي، إلى هذه اللحظة للأسف لم نترجم الفكر الغربي، إلى هذه اللحظة للأسف لم نترجم اعمال رجال التنوير الغربيين مثلا الفيلسوف الالماني هيغل له ٦٠ مجلدا هي أعماله الكاملة لم يترجم منها إلى العربية إلا ما يقارب ١٠ مجلدات، كل الفلاسفة الغربيين الكبار لم يترجم لهم إلى العربية بعد بالشكل المطلوب وهذا قصور بينما رأى أسلافنا ضرورة ترجمة كل ما وجدوه وكانوا يحتالون على بعض حكام بيزنطة للذهاب إلى

الاماكن الاثرية لاستخراج الكتب من بين يدي التراب ونبض الغبار والتراب عنها ثم ترجمتها إلى اللسان العربي المبين، نحن غير مسكونين بهذا الهم المؤرق وهذا خطر علينا وعلى ثقافتنا.

* هل تعتقد أن الصحافة تسهلك كأديب وكاتب؟

- أنا في الدرجة الأولى قارئ وقد دعوت مره إلى قيام ما يسمى ب اتحاد القراء العرب، وهو اتحاد له شرط واحد هو أن يقرأ العضو فيه كل أسبوع كتابا ويقدم تلخيصا وافيا عنه فقط لا غير لان الكتاب كثيرون ولكن القراء قلة في عالمنا العربي، وعلى هامش هذه القراءة اليومية التي قد تصل إلى ١٥٠ أو أكثر من الصفحات وهذا أمر يرهق بصري كثيرا الان في مثل هذا العمر حيث اشارف الستين. لكن انا مصر على هذا المنهج واعتبر ما كتبه هو أمر على هامش هذا المنجز اليومي في القراءة وما كتبه لا يشكل لي إرهاقا على الإطلاق، لان الذي كتبه انا في عشر دقائق أكتبه مضافا إليه عمري السابق وكل ما قرأته وبالتالي فهو لا يشكل جهدا فيه عناء أو إرهاق، والمشكلة ليست في أن نكتب وإنما أن تكون لنا المساحة التي نريد في الكتابة وهذان أمران متعذران على الأقل في حدود تجربتي الخاصة.

* ماذا ترى في المستقبل القريب؟

- أنا ازداد غربة يوما بعد يوم في بلدي، وأتمنى أن يتاح لي يوما ان أهاجر إلى المدينة المنورة وأجاور الرسول علي الصلاة والسلام، هذا أحد طموحاتي، هذا على المستوى الشخصي وعلى المستوى الوطني أنا آمل للعقل أن يتبوأ مكانه الحق في بلادنا؛ أقول هذا وأنا أستذكر كتاباً لي بعنوان «دفاعا عن العقل» ودفاعا عن العقل وليس عن الجهالة وليس عن الحمافة، وليس عن ضيق الافق، فإذا تم ذلك أكون من السعداء وعلى المستوى القومي والعربي الاسلامي أنا مستبشر كثيرا حيث العروبة مناخ ثقافي يشترك فيه العربي، والايрани والافغاني والباكستاني والافريقي وحتى الاوروبي وان المستقبل للعربية. كيف نقول ألان عن الفرنكفورية.. اعتقد أن العربية أكثر انتشارا وابعد مدا وأعمق أثراً في العالم.

باحث متنوع همه الأساس أن يفوز بمصالحة حقيقية مع نفسه

العجلوني: حلم لنا أن تغدو عمان عاصمة للثقافة العربية^(١)

أجرى الحوار: د. ضرار بني ياسين

اشتباكك في حوار مع ابراهيم العجلولي يعني تورطك في امتحان فضيلة الاصغاء لديك. فتذعن لتسريح عنان افكاره على سجيتها، ليبهرك ادواؤه اللغوي مثلما تبهرك رؤاه وحقوله المعرفية الرحبة الغنية. يجرك الى التراث بعقل متفلت من الاسيجة. ويحاورك معه وفيه يوجد صوفي، وعشق تأبدي دونما نزعة خطابية او تبجيلية تتفياً ذاتها. ولكنه في حمأة ولوغه التراثي هذا يفجؤك بمعاصرته وطزاجة مرادته الحية للواقع، وقدرته على فهم فلسفة المعيش من حياتنا.

مسغبة العيش اورثته غنى معرفيا، وهو قلما يتساكن مع الاشياء حوله، بيد ان همه الاساس ان يفوز بمصالحة حقيقية مع نفسه قبل كل شيء، حتى يتسنى له ان يتصالح مع هذا العالم من حوله.

وكان صدر للعجلوني الذي يعد الآن كتابا طموحا عن «مناهج النظر في الاسلام» مؤلفات عديدة ابرزها:

تقاسيم على الجراح (شعر) بيروت ١٩٧٣ نظرات في الواقع الثقافي الاردني (دراسات) عمان ١٩٧٩، وحينما تلتقي، شعر (مشارك) حلب ١٩٨٠، مسلمات في ضوء التحقق (دراسات) رابطة الكتاب الاردنيين، عمان ١٩٨٤، في الفلسفة والخطاب القرآني (دراسات) وزارة الثقافة، عمان ١٩٨٤، في الفكر القومي (دراسات) وزارة الثقافة، عمان ١٩٨٥، الوجوه (رواية وقصص) دار الكرمل، عمان ١٩٨٦، فصول في الفكر العربي (دراسات) دار الكرمل، عمان ١٩٨٧، الرفضون (مواقف وخطابات) دار النسر، عمان ١٩٨٨، نحن وثقافة المستقبل (دراسات) وزارة الثقافة، عمان ١٩٨٩، يوميات عراقية (مقالات) دار الكرمل، عمان ١٩٩٠، طائر المستحيل (شعر) دار قدسية، اربد ١٩٩٢، هموم اردنية (مقالات) مؤسسة رم للنشر، عمان ١٩٩١، في المسألة الديمقراطية (دراسة) مؤسسة رم للنشر، عمان

(١) جريدة الرأي ٢٥-١-٢٠٠٢م.

١٩٩١، نحو حوار معقول مع السادة الاميركان (دراسة) مؤسسة رم للنشر، عمان ١٩٩١
دفاعا عن العقل (دراسات) مؤسسة رم للنشر، عمان ١٩٩٢، فسيفاء اردنية (شعر مترجم) د.
ديتر جلادة، عمان ١٩٩٣، الوعي المتمرد (دراسات) مطابع الايمان، عمان ١٩٩٤، أحزان
مسيحية (سيرة ذهنية وجدانية) دار أزمته، عمان ١٩٩٥، بالاضافة الى كتاب (الشذرات)
بجزئيه.

ومع كل ذلك يرى العجلوي نفسه اليوم محصنا ضد الاستلابات العقلية المستشرية،
والتي لا يراها الا تنوعات ايديولوجية.

* كيف تقدم نفسك الى القراء بايجاز؟

- أنا معني بتقديم نفسي الى نفسي أولا، وبان اظفر بمصالحة مع ذاتي، ومن أجل ذلك
فان الصورة التي قد ترضيني عن نفسي غير متوافرة الان. وان من سلواي وعزائي أنني
ماض الى تشكيلها بكل الوسائل المتاحة، وان الهاجس المعرفي لدي قائم ومتوتر، ولا
يسمح لي بهدأة في اية لحظة من ليل او نهار، فاذا امكن لي ان اتصالح مع نفسي وان احقق
صورتي العليا التي اريد فاني حينئذ في حل من رضى الاخرين او سخطهم. ولست كاتباً
جماهيرياً، ولا أحب ان اكون، بل لا اعول على الجماهير في ليل او كثير.

* انت الكاتب والباحث والأديب والمشتغل بالصحافة، صاحب النزعة الشمولية في المعرفة.
كيف تجد ذاتك المتذرية وانت في دائرة هذا التنوع او التعدد الثقافي؟.. هل تكتشف في هذا
التنوع القوة لامتلاك القدرة على رؤية الاشياء وفهمها بشكل واضح وصحيح؟. ام انك
تشعر بشيء من فقدان الحماسة والصبر على الاستراتيجيات المعرفية المتخصصة.

- إذا كان المقصود الحصول على الذات المتذرية بحسب نص السؤال، فأنا اعتقد ان واقعة
التذرية نفسها سوف تحول دون أي وصول في هذا الباب. ولكن اذا كان المقصود هو،
تحقق الماهية بعد اضطراب وجودي متعدد المناحي والمكابدات فإن مما أجزم به ان
أوان مثل هذا الوصول لم يأت بعد. وان مما احمد الله عليه انني ما ازال في حَمَارَةِ القِيظ
من تأجح التساؤلات، وانني اباشر يومي دائماً بجملته لاسئلة التي انام على وعودها،
وأُنني ما ازال في الوقدة الاولى لاندفاعاتي المعرفية على الرغم من الهموم الفواحح التي
تكتنفني من الجهات الأربع.

* يتهمك بعض من الذين يختلفون معك او يتفقون، بأنك لا تمكنهم من تحديد هويتك الفكرية. ولا اقول انهم يعنون انك متلون بالمعنى السلبي لتداعيات هذا اللفظ، ولكنني اقصد انك لا تقدم نفسك للقارى وانت تشهر في وجهه هويتك المتناغمة على نحو صريح، فيما يحار الكثيرون في تصنيفك كعروبي او اسلامي منفتح او متشردق باسار الوطنية، هل تكشف لنا عن جغرافية الهوية وربما الايديولوجية التي تقف عليها وتحكم هندستك المعرفية؟

- ربما كان اجلب لرضى الاخرين ان اقول انني «إنسان» هكذا باطلاق، وانني كوني النزعة وانني مطلق من اسار الايديولوجيا او ناج من حبالها، ولكن هذا كله لا يعدو ان يكون تطويحا للمسألة في الفراغ، وانا افضل دون ذلك او وراء ذلك ان شئت ان اعلن عن نفسي بصفة كوني «مشروع مسلم» او بصفتي طامحا الى ان اكون مسلما صادق الاسلام، عميقه، خالصه. واذا كان في هذا تحديد للهوية فنعمما هو تحديدا، ذلك ان لكل ثقافة اطاللتها على المطلق في الوقت الذي ارتسم فيه الاسلام افقا بهيا شاسعا يستشرف الخلق جميعا منه ذلك المطلق. وانا لا احب ان البس على نفسي ولا على الاخرين. فانا في واقع الحال لست مستكملا لشروط الاسلام ولا محيطا بابعاده كلها. ولكن ذلك هو طموحي البعيد، وهو وجدي الخاص، وهو رجائي الذي أضرع به إلى الله سبحانه وتعالى.

* ابراهيم العجلوني مثقف «باحث عن المنهج»، قول سمعته من الكثيرين، واعتقد انه لا يزعجك هذا الرأي. هل صحيح انك لم تعثر على المنهج حتى الان بعد كل هذه التجارب الغنية في حياتك؟

- لعل هذا السؤال يوافق لدي حالة من الترقب والتربص امتدت منذ سنوات قليلة، هي سنوات الاعداد الاول لكتابي الذي ارجو ان اوفق الى انجازه وهو «مناهج النظر في الاسلام» وهذا يعني ان مسألة المنهج هي بحثي الدائم بعد ان يئست من تنفجات الايديولوجيا، ومن طرقها المستباحة، ومن معالمها التي توشك ان تكون محوا، والتي اضلت جيلا كثيرا وعقولا لا تعد ولا تحصى. على أنني في الوقت نفسه مطمئن الى ان مناهج النظر في الاسلام قد عولجت وتم تناولها على نحو لا مثيل له، لا في الحضارات القديمة ولا في الحضارات القائمة، وان شيوخوا وكلاميينا قد بلغوا في ذلك ما تلتوي الرقاب دون ان تبلغ اقله وادناه.

ولدى المقارنة الاولية بين معطيات التحليل لدى علم مثل: لودفيج فتنجشتاين صاحب «الرسالة المنطقية الفلسفية» وصاحب «الابحاث الفلسفية» والذي تأثر بجانب من فلسفته زكي نجيب محمود ولا سيما في كتابه «خرافة الميتافيزيقا» فاننا نجد ان هذه المعطيات لا تعدو كونها مخاريق بأيدي لاعبين، اذا ما قورنت بتلك الانظار العميقة التي نجدها لدى القاضي عبد الجابر مثلاً، او لدى ابن الوزير اليماني او لدى الجويني، وانا على أية حال اذا ما كنت معنيا بالمنهج فانا معني بالضرورة بسبل الوصول الى الحقيقة، وبما يمكنني من ان اكون ادنى مقرباً منها، وذلكم هو شغلي الشاغل قبل ان يكون سمة ثابتة عندي.

* كنت قبل أقل من عقدين صاحب مجلة فكرية ثقافية متخصصة هي مجلة «المواقف». وانا هنا لا اعتزم ان انكأُ فيك جراحاً مادية واخرى معنوية ما تزال تتوعكها الى الان. ولكن المشروع حبط أو أخط. ربما لانك افطرت في تفاؤلك بخصوص «الغنى الثقافي» الذي ندعيه في ساحتنا.

وهذا العام اعتمدت اليونسكو عمان لتكون عاصمة للثقافة العربية. هل انت متفائل ام متشائم بخصوص هذه المغامرة الثقافية الوطنية؟ وهل تغير الكثير عندنا خلا العقدين الماضيين؟.

- كانت تجربة «المواقف» تجربة مرة، خلصت منها الى يقين بان العمل الثقافي الجاد في بلادنا لا يمكن ان يقوم على ساق الا اذا كان ثمة رفق مرفود له أو استظهر صاحبه بعدة وعتاد وهذا ما لم أفصح فيه.

اما عن واقعنا الثقافي في الاردن وهل يمكن ان يكون مؤهلاً لانجاز حلم العاصمة الثقافية فانا لست متفائلاً ولا متشائماً ولكنني اصدر عن الواقع الموضوعي نفسه، فأقول ان المسألة لا تعدو كونها مكرمة لليونسكو او مناسبة لتحسين ادائنا الثقافي، لونا من التحسين، اما ان تغدو عاصمتنا الحبيبة عاصمة للثقافة العربية على الحقيقة فتلك سمادير احلام لا غير ما لم تتوافر الشروط الموضوعية الكافية لذلك. وهي شروط قد تتوافر في القاهرة وبيروت والرباط ولكنها لا تتوافر الآن في عمان. اقول هذا مع ايماني بوحدة الثقافة العربية وبأن أية مدينة عربية تنجح في تحقيق هذا الحلم هي بالضرورة عاصمتي الثقافية.

* من يعرفك جيداً يدرك كم هو القلق ضجيج ملازم لتوتراتك ومحطات الرحلة التي قضيت حتى الان. هل القلق الذي تعانيه قلق وجودي؟ ام قلق معرفي؟ ام هو قلق وطني؟ هل

تشعر انك متوتر روحيًا؟ محمد اركون مثلاً يؤكد بان توتره الروحي هو الاساس في حياته المعرفية وتجاربه الفكرية، بهذا المعنى يكون التوتر الروحي عامل بناء وليس عامل هدم.

- الذي لا ريب فيه انني قلق، لكن قلقي معيشي بالدرجة الاولى لا ميتافيزيقي، وانا قد اكون في شك من نفسي ومن قدراتي ومن امكان ان احقق الانسان الذي اريد، ولكنني في اشد اليقين بالله ورسوله والكتاب الذي أنزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل. ولكن لا يذهبن الظن باحد انك اذا استيقنت بالله فقد سددت على تفسك كل باب للقلق، ولعلي لا آتي بجديد ان انا قلت ان المؤمنين اكثر الناس قلقا، ذلك انهم ينظرون وهم يحققون ذواتهم الى الخلق والخالق معا، ويتوقون ان يُخسِرَهم التقويم عند الله وعند الناس. ثم هم قبل ذلك وبعده قد نصبوا لائقهم الموازين يحتكمون اليها ليل نهار ويظلمون في مكابدة مستمرة وحذر بالغ من ان يسقطوا في عين انفسهم ومن ان تتأدى بهم تجاربهم الى انفصال الذات عن الذات، او الى تمزق الذات في الذات، وتلك هي، اذن، الغربة عن النفس وعن المجتمع وعن الكون وعن الله سبحانه وساء ذلك سبيلا.

ان روحي في غير قلقي، اذني قلق في مسألة الايمان، اما أن اكون اهلا لهذه الامانة فيها هنا القلق الحقيقي الذي نسأل الله الخروج منه.

* في بيان نشره على الملأ في مطلع القرن الماضي. اعلن الناقد والشاعر الانجليزي الاميركي توماس ايليوت أنه: ملكي في السياسة، كاثوليكي في الدين، كلاسيكي في الادب. اذا سمحت لنا ان نصنع قياس التماثل معك، اين يجد ابراهيم العجلوني نفسه مع هذا الثلاث: الوطنية السياسية، الادب وانت اديب بطبيعة الحال، وفي الاسلام كدين ومعطى حضاري انساني؟

- لو كان في الاسلام كنيسة لامكن هذا القياس، ولجاز، ولكن الانسان في الاسلام على تمام الاتصال بربه دون كنيسة. شأنه في ذلك شأن سيدنا المسيح نفسه قبل ان تكون هناك كنائس على الاطلاق. ولقد سبق وقلت انني اطمح الى ان اكون مسلما قبل ان ألحد في قبري، وهذا جانب من الجواب.

أما في السياسة فانا فيما ازعم رجل اصلاح وليس يعنيني الاطار العام الذي ينتظم هذه الدولة او تلك، سواء اكانت ملكية دستورية ام جمهورية دستورية ام جمهورية ثورية، انما الذي يعنيني ان اكون قادرا على الصمود في مواجهة ما ارى من ادواء المجتمع الذي

اعيش، وان املك صبرا وجلدا في محاصرة هذه الادواء والامراض وفي الانتصار عليها مع جملة المصلحين الاخرين في بلادي. وأنا من هذه الزاوية على ثغرة ولا ينبغي ان يؤتى من قبلي. ولو اننا جميعا صمدنا في مواقعنا واعتبرنا انفسنا على ثغرة فان كثيرا من هذا الفساد المتبرج الذي يكتفنا سوف يصبح هباء منثورا. واقول هنا لو ان أهل الحق والخير تظاهروا وشد بعضهم ازر بعض. لما وصلنا الى ما وصلنا اليه في جميع مستويات وتجليات وجودنا المعاصر.

* في الساحة الثقافية اليوم: هناك المثقفون المأزومون، وهنا ادعياء الثقافة، وهناك السلطات الثقافية، وهناك الصالونات الثقافية التي تمارس السياسة اكثر من ممارستها الثقافية، وهناك الذين يتنافزون بين الخنادق الثقافية، وهناك الذين يغازلون كل ألوان الطيف.

اغلب هؤلاء يلعنون الاشياء التي يدعون انهم يكرهونها في النهار، ويبيتون معها في فراش واحد في الليل، كيف تتحرك وسط هذه الحقول من الالغام الثقافية؟

- دعني اولا اؤمّن على ما تقول لان الاعتراف بالاخفاق قد يكون سببا في ان نبدأ من جديد على اسس مختلفة، وعلى قواعد صحيحة. هذا الزبد المتلاطم مما يؤلمك ويؤلمني هو زيد ذاهب جفاء ان لم يكن اليوم فغدا، ولن يصح في اخر المطاف الا الصحيح. وانا في كثير من كتبي رصدت هذه الظواهر التي تكلمت عنها ونسبتها في الجملة الى «طبائع الاستبداد» التي تهيمن على حياتنا. فهي كلها اعمال للعبودية واخلاق لها وتجليات. وما من شك في ان الاحرار منا يتنكبون هذه الاعمال ويحاولون على تفاوت في النجاح والاخفاق شق طرق ومناهج مختلفة للنظر والعمل.

ولا يغرنك تقلب الذين فسدوا في البلاد فانهم في المحصلة الى بوار، ومع شقشقات الفجر ستختفي كثير من اشباح الظلام، ولئن بدا هذا الكلام شاعريا فان له مساقط واقعية نملك انا وانت التذليل عليها، كما نملك ان نميز بين الغث والسمين، وبين الفصيح والمتفاح، وبين الفيلسوف ومدعي الفلسفة، وعليه فقس.

* يقول الغزالي في كتابه (احياء علوم الدين). «لا غنى بالعقل عن السماع، ولا غنى بالسماع عن العقل، فالداعي الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل، والمكتفي بمجرد العقل عن انوار القرآن والسنة مغرور».

كيف تفتح على هذا القول في منهجك الفكري؟ وانا اعرف انك تفهم معنى ان اخصك بهذا السؤال. فانت اليوم ممارس عنيد للقراءات التراثية التي تنتصب فيها مرجعيتك؟

- قد لا افاجئك اذا قلت لك انني ارجح رؤية ابي سليمان المنطقي السجستاني في مسألة العقل والنقل على رؤية الامام الغزالي التي وردت في سؤالك الكريم.

فابو سليمان يرى ان في النقل عقلا كثيرا، وانه لا مسوغ لهذه الثنائية التي تفترض اساسا ان النقل مضاد او مناقض للعقل، وقد تكون هذه الثنائية المرفوضة لدي موضع بحث في الايام القادمة، واني لأرى ان النقل او الوحي او السماع هو في كثير من جوانبه عقل، فوق العقل، ومنطق وراء المنطق، وانه هو الهدى الذي يضبط حركة العقل ويحول دون ان يضل او ان يشقى. ذلك ان شقاء الوعي بعيدا عن الهدي الالهي شقاء بعيد وضلال مبین، وان لك ولي ولكل ذي عقل ان يذهب في استعمال عقله الى منتهاه وقصاراه، وان يضمن انه في كل ذلك انما يصعد في عروج يلتقي فيه بما تنزل من القرآن الكريم. ولقد التفت الكلاميون الاسلاميون الى هذه القضية فجاء النظر عندهم في سياق متدرج من الحوادث الى رب الحوادث، وهو السياق نفسه الذي تدرج فيه الوعي او انتقل فيه السؤال الميتافيزيقي من الكوكب الى القمر الى الشمس ثم الى «الذي فطر السموات والارض» عند سيدنا ابراهيم عليه السلام.

وإذا كان بعض الدارسين قد انتبه الى الآيات الكريمة المتعلقة بنظرية المعرفة مثل الدكتور علي عبد العظيم، اول من ألف كتابا بعنوان «نظرية المعرفة في القرآن الكريم» في مطلع السبعينيات، ومثل الدكتور راجح الكردي، ومثل العلامة محمد باقر الصدر وغيرهم كثير. فان هذا المبحث ما يزال ميدانا للعقول وما يزال بإمكاننا ان نقول ان القرآن الكريم على وجه التحديد من سائر الكتب المنزلة هو كتاب مفجر لطاقت العقول، سابق لها في مجالات النظر، دافع لها الى هذه المجالات، وهو وحده الذي نقرأ فيه كثيرا من مثل قوله تعالى: «قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق». وهو وحده الذي تذهب اليه طالبا سكينه الروح، فاذا هو يؤجج فيك العقل ويوثب الذهن، ويقودك الى آفاق المعرفة لكأنه يؤكد يقينا بان اعمال العقل هي اعمال الروح، وان تجليات العقل هي تجليات روحية في الدرجة الاولى.

* استكمالا للسؤال السابق. دعنا ندخل معك الى الحداثة في المجال العربي الاسلامي: اشكالية ومبتغى، والتي منحناها جل افكارنا وابتلينا بنواتجها ومفاعيلها الاستعمارية والاستشراقية، ولم تمنحنا نفسها، وما زلنا نحلم باللحظة التاريخية التي تمكننا من ان نصيب منها وطرا. وقد مضى قرن ونصف القرن على مشاريع التنوير عربيا واسلاميا، وما زلنا ايضا حتى الان نعين الاسئلة الحداثية والتنويرية ذاتها، على فرط من التساوق الزمني، ولكننا نجد «الحصاد المر» كيفما ذهبنا. كيف تفهم هذه الوضعية المزمنة؟

- مشكلتنا هي اننا باشرنا مشروع نهضتنا في الازمنة الحديثة بما اسميه «المضاهاة» للآخر، والقياس على تجربته، والعمل بأدواته، واستعارة أنظاره، والتحلي بقيمه واخلاقه، اي ان المضاهاة كانت تستغرقنا في كل كبيرة وصغيرة، بل ان النخب التي سُمح لها ان تكون ذات نفوذ في حياتنا، او التي اصطنعت اصطناعا وأرسلت ارسالا في مهماتها قد حرفت مسار النهوض على نحو ما عاد فيه مجال لغير الحبوط والنكوص والتقهقر، ولو ان نهضتنا كانت نهضة ذاتية على نحو ما بين ذلك الراحل الكبير الاستاذ محمود محمد شاكر في كتابه «رسالة في الطريق الى ثقافتنا» لاختلفت بنا السبل، ولما كنا في مثل ما نحن فيه من تلدد وحيرة وابلاس.

إنّ سؤال الحداثة لا يفترض بالضرورة جوابا واحدا، ومن يقرأ كتاب صديقنا واخينا الدكتور فهمي جدعان «الطريق الى المستقبل» يرى ما فيه من حديث الحداثات

الاسلامية المتتالية في مسار الزمن فانه يخلص الى ان الجواب الايديولوجي على سؤال الحداثة هو جواب كاريكاتيري يبعث على الضحك كما قد يبعث على البكاء ايضا. وان افضل شيء لعقلنا المعاصر هو ان يعول في الاجابة عن هذا السؤال على قدرات الامة الذاتية، وعلى ما يشتمل عليه مذخورنا الحضاري، من طاقات، ولكن بشرط وعي الآخر (المختلف)، ووعي معطياته والافادة مما يصلح لنا من هذه المعطيات.

* هناك من يؤسس لقياس التماثل في علاقة الاسلام بالحداثة، ويستحضر فكر فيلسوف قرطبة المسلم ابن رشد في ماثرته المعروفة لخلق علاقة وثيقة بين الحكمة / الفلسفة وبين الشريعة / الدين. بمعنى ان صياغاته في حل العلاقة بين الاثنتين من شأنها ان تلهمنا اليوم لحل علاقتنا المعقدة مع الحداثة. هل يمكن ان نتماثل مع ابن رشد في علاقتنا اليوم مع الحداثة؟ وهل المحاكاة قادرة على صنع تجارب وتمثلات مبدعة وحداثية؟

- دعني اقول لك ان كثيرا مما نقرأه هذه الايام عن ابن رشد ومما نشاهده من أفلام ومما يطفو على اديم الاعلام . هو كلام لا محصل له وهو قريب مما كنا نسمعه في الخمسينيات والستينيات عن ابن خلدون، ذلك ان ابن رشد وابن خلدون ما كانا يوما الا عالمين مسلمين شديدي التقوى، وانهما في «المقدمة» وفي «مناهج الادلة» لا يخرجان ي معظم ما يطرحانه عن الافاق التي احتد فيها طراد العقل المسلم، بل اكاد اقول انهما معا لا يختلفان عن الامام الغزالي نفسه في كثير مما يذهب اليه.

لقد كان ثمة بنية معرفية وافق روعي ودوائر وجدانية لم يغادرها اي من هؤلاء الاعلام وكان ثم في الوقت نفسه اجتهادات ووجهات نظر تؤكد العبقرية المميزة لكل منهم. ولا ينبغي على الرغم من اثر ابن رشد في نهضة الفكر والفلسفة في اوربا ان نضعه في تماثل مع فلاسفة التنوير في اوربا، الا اذا اردنا ان نخلط الحابل بالنابل، فلكل بيئته وظروفه، ولكل ما تحدر اليه من قيم وتصورات وافكار، ولكل وجهة هو موليتها.

ان ابن رشد الذي قدمه المخرج السينمائي المصري يوسف شاهين، لا يتجاوز كونه رجلا «له اهتمام بالفلسفة» يحب الرقص، ويحب لذائذ الحياة، او شخصية درامية مما يمكن ان يشد المشاهدين

الى مقاعدهم، وتلك صورة زائفة لعالم جليل وفيلسوف خطير. وان العجيب ان تسعين بالمائة ممن يتحدثون عن ابن رشد لا يعرفونه الا من خلال اغنية «علي صوتك بالغنا» لمحمد منير، ومن خلال دفوف العجر ورقصهم في اضواء النيران المتراقصة.

ان البعد المعرفي قد الغي لصالح التسطيح الدرامي، ولذاذات الفضول. واعتقد ان تلك امور مقصودة، وانها لا تأتي اتفقا.

* منذ مدة وأنت عاكف على قراءة الفكر الاعترالي، وانت تعلم ان خطاب الاعتزال كان يمثل الفتوحات العقلانية في التراث العربي والاسلامي. اي انه كان يمثل حداثة حقيقية في عصره، ما الذي افدته من قراءة هذا الفكر خصوصا وان الحديث يكثر عن علم الكلام الاسلامي الجديد، الذي عليه ان يواجه برؤيا وادوات معرفية جديدة قضايا المعاصرة.

- ليس المعتزلة وحدهم هم ممثلي العقل الاسلامي، وانا من الذين يذهبون الى ان الفاعلية العقلية الاسلامية التي فجرها القرآن الكريم في الامم التي حظيت بالاسلام موزعة

بالقسطاس المستقيم بين المعتزلة وسائر مدارس الفكر الاسلامي. وانا افضل ان اروح بين القمم دون ان ارى الى الوان التمذهب التي تقوم فيها، فالجويني مثلا هو اول الائمة عندي. وكتابه (الارشاد) و(الشامل)، ثم كتابه (الكافية في الجدل) هما بعد رسالة الشافعي دليلي الى الافاق التي رادها العقل المسلم، فاذا انا جئت الى الامام الغزالي والى القاضي عبد الجبار على اختلاف ما بينهما فانا في تمكين اي تمكين مما اظهرني عليه الجويني، ثم في آفاق جديدة اخرى. وهكذا الامر مع ابن رشد ومع ابن الوزير ومع الباقلاني، وغيرهم من القامات العالية في تاريخنا.

على انني لا انفك من العودة باستمرار الى القرآن الكريم نفسه، فهو محور حضارتنا وهو منبلج فجرها، وهو مبعث قواها، وهو الميزان الذي نرجع اليه كل حين.

لم يتفرد المعتزلة وحدهم بالنظر العقلي المدقق، سواء كان ذلك في دقيق الكلام ام في جليل الكلام، فقد كان للأشاعرة وللماتريدية وللزيدية ما كان للمعتزلة ان لم نقل ان بعض ائمة هذه المذاهب، قد فاق المعتزلة وأربى عليهم.

ثم إننا اذا تابعتنا اصدارات الكتب منذ منتصف القرن التاسع عشر ورأينا الى (رسالة التوحيد) لمحمد عبده، والى (الرسالة الحميدية) لحسين الجسر، ثم الى (دلائل الاعجاز) للقاسمي، والى غيرها مما جرى مجراها فاننا في مشهد من نهضة العقل المسلم الذي تتابع عطاؤه في القرن العشرين، وان اتخذ ذلك ابعادا سياسية هبطت احيانا بسويته العقلية. والحاصل ان ثمة قارة مفقودة لا نتبين الا بعضا من ملامحها، وان فقدان هذه القارة خسارة كبيرة للمسلمين وللشعوب جميعا، وان انحطاط المسلمين وهبوط مستوى انظارهم يحول بينهم وبين اكتشاف هذه القارة مرة اخرى في الوقت الذي يعجز فيه المستشرقون وتتقاصر أدواتهم دون فهم الكنوز التي تشتمل عليها هذه القارة المفقودة. وانا استذكر هنا كتاب ابي الحسن الندوي (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين)، وانطوي على حلم - بان نكون قادرين يوما على استعادة تلكم الانفاس، والاستنارة بتلكم الاقباس.

* علم الكلام الجديد لديه مهمة صعبة تتمثل باضافة «تقعيد كلامي جديد» يتجاوز التقعيد القديم، والذين يتبنون هذا التقعيد الجديد يؤكفون ان الكلاميين الجدد سيجدون انفسهم في مواجهة مخاطبين من نمط اخر. وعليهم ان يخاطبوا معاصريهم بلغاتهم وعقلياتهم،

من دون المساس باصالة الوحي . لانهم يؤمنون ان علم الكلام يحمل «هوية وسائطية» لنقل تعاليم الوحي بادوات عصرية مناسبة. وعادة ما تكون هذه الادوات من خارج الدين، ولا مفر من استخدامها. وهذا معناه استخدام علوم العصر لفهم الدين وتقديمه للاخرين. فنتائج العلوم حتى وان كانت غريبة فهي ضرورية في مهمات الكلاميين الجدد. كيف تجد هذه المسائل المطروحة؟

- علم الكلام، ولا اصفه لا بجديد ولا بقديم، استوى على سوقه في لحظة قوة تاريخية، وصحو عقلي، وصفاء روحي، وهذه شروط قد لا نملكها في هذا الاوان، وتجديد هذا العلم هو اجترار قواعد جديدة له، ودخول مضامير لم يقتحمها من قبل، وكل ذلك رهين بان نفهم علم الكلام الذي قام، وان نكون ظاهرين على مسائله، وان لا نكتفي بتلك الابحاث الاكاديمية التي تمضي بنا الى عتباته، وتقف بنا هناك.

انني حتى اكون قادرا على تجاوز «الإيجي» مثلا فان عليّ ان افهمه اولاً. وحتى يتم لي ذلك لا بد ان اتسلح بقدر كاف من المعارف والمهارات العقلية، وان تكون اللغة ومسائلها مبسطة امامي. وان يكون لي اطلاع يقربني من مسارات العلوم ومن تمايزاتها، ومن مجمل ما انتهت اليه. ناهيك بما ينبغي لي من فهم عميق للقرآن الكريم، الذي هو محور حضارتنا والاساس الذي اقيمت عليه علوم الكلام.

واذا كان الكلاميون الاسلاميون قد اشتغلوا بدقيق الكلام وفي مباحث الذرة والجزء الذي لا يتجزأ والوجود المادي بعامة الى جانب اشتغالهم بجليل الكلام المتعلق بالذات والصفات والتوحيد، فان انخراطنا في علوم العصر وفي دقائق هذه العلوم هو جزء من واجبنا لدى تجديد علم الكلام. وهو الى ذلك امتداد لنهج الكلاميين انفسهم. وان مما يدفع دماء الحياة في اوصال هذه الحضارة ان تعود امتنا الى عافيتها العقلية مرة اخرى، وان يكون لها عناية بشؤون المادة وشؤون الروح على حد سواء.

* منذ مدة تحولت الى كاتب سياسي، تنشغل في اليومي والمعيش من الاحداث السياسية والوطنية، هل هذا يعني تحولا في استراتيجية الخطاب؟.. ما الذي يجمع بين المشتغل بالكتابة السياسية وبين المشتغل بالفكر؟

- يذكرني هذا السؤال بما أثر عن الفيلسوف الألماني هيغل، حين ذهب الى ان قراءة الصحف هي صلاته اليومية، ذلك ان السياسة التي تتعلق بها حيوات الناس ومصايرهم، ليست امرا هامشيا بل هي في الصميم من تجربة الانسان ومعاناته. وانا احاول فيما اكتبه يوميا ان تكون عين لي على الحدث وعين لي على القيمة. فلا يستغرقني الحدث بحيث أزاور عن القيمة واتنكب آفاقها، ولا تستغرقني القيمة بحيث اترك الحدث متناثيا هنالك في ارض الواقع، على حين احلق بعيدا بعيدا.

انها كتابة صعبة وهي تحتاج الى كد ذهن ورشح عقل لانها لا تعول على الحدث من حيث هو ولا على القيمة من حيث هي ولكن على المزيج الصعب منهما. ولعل هذا ان يفضى بنا الي تعادلية توفيق الحكيم وإن كان بشيء من (التعديل). ذلك ان توفيق الحكيم يرى أنه لا بد ان تقوم مسافة بين رجل الفكر ورجل العمل او السياسي.

وانا اقول انه لا بد أن يشعر السياسي دائما بأن المصباح الكهربائي لرجل الفكر يطارده ليل نهار ويقض مضجعه، الا ان يكون قد قدم ما يشفع له عنده، او ألقى اليه معاذيره.

المفكر إبراهيم العجلوني لليمامة :

- الدين أعمق أثراً في النفس البشرية من الايديولوجيات
- الجابري مفكر متميز لكنه لا يملك الصواب كله
- الشعر والفكر يمثلان حساسية واحدة إزاء العالم^(١)

أجرى الحوار: عزمي خميس

في عقد الثمانينات، برز اسم الأديب إبراهيم العجلوني كواحد من المشتغلين والمنشغلين بهموم الثقافة والفكر على الساحة الأردنية. فقد انتشر على سطح الحياة الثقافية والفكرية، وغاص في أعماقها، وحلق في أجوائها، كاتباً ومحاوراً ومشاركاً في صياغة ثقافة جادة، من خلال مقالاته في الصحف والمجلات، ومن خلال مجموعة المؤلفات التي أصدرها، ومن خلال إصداره لمجلة «المواقف» الفكرية، ومن خلال إشرافه على القسم الثقافي في صحيفة الرأي اليومية.

بمناسبة صدور آخر مؤلفاته «نحن وثقافة المستقبل» التفتته «اليمامة» وكان هذا الحوار:

بطاقة هوية

* لمن لا يعرفون إبراهيم العجلوني، وخاصة خارج الأردن.. كيف تقدم نفسك؟

- ولدت عام ١٩٤٨م في الصريح، من أعمال عجلون شرقي الأردن وانتقلت مع والدي الجندي في الجيش العربي آنذاك إلى عمان عام ١٩٥١، وفيها درست، وترعرعت، وظللت إلى هذه اللحظة من عمري.

أحمل الشهادة الجامعية الاولى في الأدب العربي، ولم اجد نفسي مغرى بمتابعة الدراسة لزهدي في الشهادات، واكاد أقول في من يحملونها!

صدر لي تسعة كتب هي تقاسيم على الجراح / شعر عام ٧٢، نظرات في الواقع الثقافي الأردني عام ٧٩، وحينما نلتقي / شعر عام ٨٠، مسلمات في ضوء التحقق عام ٨٢، في

(١) مجلة اليمامة السعودية ١٨/٤/١٩٩٠م

الفلسفة والخطاب القرآني عام ٨٤، في الفكر القومي عام ٨٥، فصول في الفكر العربي عام ٨٧، الوجوه / رواية عام ٨٩ وأخيراً نحن وثقافة المستقبل.

شاعر.. ومفكر

* الذي يتابع انتاجك واهتماماتك يلاحظ أنك بدأت شاعراً وانتهيت مفكراً.. لماذا؟

- يمثل الشعر وعياً خاصاً ومختلفاً في مواجهة العالم، فهو لون من الفكر الممتزج بالعواطف والخييلة والايقاعات، وهو «موقف خاص» لا بد من أن يتسع ليكون موقفاً عاماً ورؤية فلسفية للوجود.

الشعر والفكر يمثلان حساسية واحدة بإزاء العالم، ومن ثم فلا تناقض.

* هل يمكن القول أن ما تكتبه من موضوعات، مؤسس على ركائز فكرية واضحة المعالم، ام انك ما زلت تبحث؟

- البحث عن ركائز لا أوان له، وهو مستمر ما بقي للمرء عمر يحياه، لكن ما لا املك إلا الاعتراف به، هو أنني لم انجح إلى الآن في الصدور عن رؤية اسلامية كاملة، وهذا يمثل قلقاً غالباً، وهمماً مقيماً لكنني في الطريق على أية حال.

* لكن من الواضح ان لك علاقة خاصة بالتراث الإسلامي الديني والفلسفي والتاريخي!

- أنا أرفض مفهوم «العلاقة» رفضاً تاماً، فلكي تكون لي علاقة بالقرآن الكريم مثلاً، أو بتراثي الإسلامي من بعده، ينبغي أن تكون هناك مسافة بيني وبينه، وهذا غير قائم، لأنني كلما سمعت أو قرأت قرأناً أحسست به يتنزل عليّ، وأحسست بي جزءاً من هذا الوعي المحيط بالعوالم والأشياء، وكذلك الأمر في كل معطي من معطيات الحضارة الإسلامية. السؤال عن مدى عمق هذا الاحساس وعن مده وجزره، فقد يكون للحديث مسوغ.

والتراث عموماً هو «نحن» في زمن آخر، ما يزال ممتداً فينا، من حيث كوننا باباً مشرعاً بين ماضٍ ومستقبل، او بؤرة تلتقي فيها الازمان.

تحولات شاملة

* التحولات التي يشهدها العالم الآن قلبت مفاهيم فكرية وسياسية كانت ثابتة لسنوات طويلة، ما هي سمات هذه التحولات كما تراها، وموقفنا كعرب ومسلمين منها؟

- لا يمكن استقراء سمات التحولات العالمية على وجه الاستغراق والشمول ولكن يمكن الإشارة إلى أكثر هذه السمات أهمية، وهي في اعتقادي:

أولاً: انبعث الروح القومية.

ثانياً: انتحار الايدولوجيا.

ثالثاً: يقظة الفطرة الدينية.

اما عن موقفنا من هذه التحولات، فهو موقف من يرجو خيرها ولا يأمن شرها، أي اننا نخشى من ان نكون نحن ضحايا هذه التحولات، وبخاصة ما يسمى بالوفاق الدولي.

دليلي على ذلك أن مليوني يهودي سوفيتي سيحلون في أرضنا العربية خلال السنوات القادمة، وسيكون منهم شر كثير ومخاطر، وذلك كله من نتائج الوفاق الذي استغله اليهود الصهاينة كما كانوا يستغلون من قبل الحرب الباردة بين الشرق والغرب.

ولعل في هجرة اليهود السوفييت دلالة أكيدة على أن الدين في النفس البشرية أعمق أثراً وأكثر فاعلية من الايديولوجيات، فقد نشأ هؤلاء جميعاً في أحضان آباء يسبحون بحمد ماركس ولينين صباح مساء، ودرسوا في مدارس ومعاهد وجامعات كلها مؤدلج ممرس، ثم ما هي إلا صيحة واحدة، فإذا هم ينزعون الشيوعية كما يلقي المرء قبعة عن رأسه، ويغدرون زرافات ووحدانا لدق رؤوسهم في حائط المبكى!. إن في ذلك لعبرة لأولي الأبواب.

على ان العرب إذا اتحدوا واعتصموا بحبل الله جميعاً قادرين على الوقوف في وجه ما يراد بهم، وعلى رد الكيود إلى نحر أصحابها.

* ما رأيك في أفتتان المثقفين العرب بطروحات محمد عابد الجابري حول التراث، وخاصة في كتابه «تكوين العقل العربي»؟

- الذي لا شك فيه أن محمد عابد الجابري رجل ذو جاذبية خاصة. تستلب قارئه وسامعيه، وهو مغرى ببناء الانساق الفكرية على طريقة الرياضيين الذين يفرضون الفروض ثم يبنون عليها ما يشاؤون، ويظنون في كل الأحوال منسجمين مع ما كانوا «افترضوه» ابتداءً. وقارئ كتاب تكوين العقل العربي يلمس هذه النزعة لدى الجابري على نحو لا مرية

فيه. فهو يتخذ من تقسيم لالاند للعقل بما هو فاعلية إلى قسمين، عقل مكوّن، وعقل مكوّن فالاول هو العقل من حيث هو ومن حيث طرائقه في مواجهة الظاهرات، والثاني هو العقل في التاريخ. يتخذ الجابري من هذا التقسيم مسلمة أولى، أو افتراضاً أولياً ثم يتبعه بافتراض آخر هو تجلي الفاعلية العقلية للعرب في ثلاثة أطر، أو ثلاثة نظم أو ثلاثة ألوان من الخطاب. اولها الخطاب البياني وثانيها الخطاب العرفاني، وثالثها الخطاب البرهاني، فإذا نحن سلمنا معه بهذه المقدمات، خلص بنا من بعد إلى ما يريد، وجعلنا آخر الأمر مبهورين بقدرته على بناء الانساق، وذاهلين عن أن هذه الانساق قد يعوزها أو يعوز لبناتها الاولى أن تكون مطابقة للواقع.

ومهما يكن الامر فإن الجابري مفكر متميز، يعجب الناس بتشكيلاته الفكرية وبتواؤمها مع نفسها، أو بتواؤم أواخرها مع أوائلها في نسق معجب، ولكنه في ملتي واعتقادي لا يملك الصواب كله، وإن امتلك منه شيئاً، فهو رجل ونحن رجال. وله أن يجتهد، ولنا أن نوافق، أو ان لا نوافق.

* لو أردنا إحداث نهضة شاملة للثقافة العربية، فما هي المفاهيم التي يمكن اعتمادها لهذا الغرض أكثر من غيرها؟

- في الإجابة على هذا السؤال يمكنني القول أنني لو كنت املك زماني وكنت مخولاً بشق سبيل ما أراه من رشاد عقلي ونفسي لامتي. لعمدت إلى مقدمات عدد من الكتب الامهات مثل كتاب المستصفي من علم الأصول للغزالي، والموافقات للشاطبي، وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار، والإحكام في أصول الاحكام للآمدي، ثم إلى عدد من الكتب الفكرية الغربية، من مثل مقال في المنهج لديكارت، ونقد العقل لكانط، والرسالة الفلسفية لفتجنشتاين، وخلصت من هذا كله بمنهج جامع، بعد أن اكون قد عكفت على تدبر القرآن الكريم ومعانيه، ثم اتخذت من هذا المنهج أداة وعي شامل محيط قادر على سلك معطيات الاجتماع الانساني، والعلوم بشتى مناحيها في نسق عقلي واسع مفتوح لكل اجتهاد وقابل للتوسعة بحسب تغير الأحوال.

إبراهيم العجلوني لـ "العرب اليوم"

الصمت المجاني هو سيد الموقف..

وشمة تناقضات مؤلمة تملأ المكان

الذائقة بنت العلم والنظر والحس الجمالي..

ولا وجود لذلك إلا في حالات نادرة^(١)

أجرى الحوار : فاطمة الهندي

كلما توغلنا في حقول العلم وميادين المعرفة أكثر نكتشف ان ضالة المعلومات المتوفرة لدينا تضعنا امام محاولات اخرى تتجه باتجاه حالات وعي جاء اكتشافها نتيجة فهم لمكونات الحياة وذلك من خلال التماس المباشر معها.

تواضعنا امام الحقائق المنطقية هو بداية معرفتنا بطرق تطور الفكر واخذه نهجاً نستند اليه ومنه ننطلق في محاوره الاخرين لاقامة علاقة مشتركة يقرها المنطق. في هذا الحوار يتحدث الاديب والكاتب إبراهيم العجلوني عن الاتجاهات الفكرية في الأردن، والحركة النقدية، وواقع الثقافة، انطلاقاً من رؤيته الخاصة. والعجلوني من مواليد الصريح عام ١٩٤٨، صدر له عشرون كتاباً بين شعر وقصة ودراسة، وعمل منذ ما يقارب ربع قرن في الصحافة والاعلام، ويعمل الآن محرراً ثقافياً وباحثاً في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية.

* ما هي اقرب كتبك الى نفسك، ولماذا؟

- اقربها الى نفسي «الرافضون» و «الوعي المتمرد» و «احزان مسيحية». ذلك انها جميعاً قائمة في سياق نفسي واحد هو رفض السائد المبتذل من المواضعات والاخلاق والوان التفكير.

* كيف تنظر الى واقع الثقافة في الأردن؟

- هو واقع رتيب هادئ، النبض فيه ضعيف، والجماليات رمادية كأماسي المقابر. ثمة

(١) جريدة العرب اليوم الجمعة ١٣/٢/١٩٩٨

وميض هنا، احتراق هناك، وصرخة هنالك، لكن الصمت «المجاني» او الكلام الذي لا طائل وراءه هو سيد المواقف.

* لكن هنالك جوائز ممنوحة، من الأردن، ومن الخارج، وهذا دليل عافية، ما رأيك؟

- لست اؤمن بهذه الجوائز من قريب او بعيد. فهي مكافآت تمنح لاشخاص لاسباب لا علاقة لها بكفائتهم. وان مما اعلمه ان كاتباً ركيك الاسلوب وتحفل اعماله بأخطاء لا يقع فيها تلاميذ الاعدادية قد حاز قصب السبق ونال جائزة كبرى. كما اعلم ان كاتباً افنى عمره في التفكير والكتابة يواجه هذه اللحظات مأساة جوعه وجوع اطفاله، دون ان تمتد له يدٌ بالمساعدة. تناقضات مؤلمة ولكنها تملأ المكان. وما الجوائز «الفانتازية» التي تُمنح اليوم إلا جزءاً من تخلف عريض نحن - او بعض المجدين منا - في بحبوحة من كرمه الاعمى!!

* واضح من كلامك انك تعول كثيراً على قوة الاسلوب ومتانة اللغة في الاعمال الادبية.

- أجل. هذا صحيح، وانا ارى ان علو الاسلوب وقوة النسيج اللغوي وجماله هي الشروط الموضوعية الاولى للادب. ولسنا نرى دون ذلك إلا الثرثرة التي تملأ الكتب وانهار الصحف، وإلا أحرفاً هي كالذباب اذى وصورة. فحيثما كان بيان كان ادب حقيقي. وحيثما كان أدب حقيقي كانت الحياة في أصدق صورها..

* ما رأيك في الحركة النقدية في الأردن؟

- إذا اردنا المجاملة، وهي مطلوبة للأسف، قلنا ان في بلادنا نقداً أكاديمياً محصوراً، ونقداً صحفياً مغامراً، ونقداً ايديولوجياً زائفاً. ثم سكتنا مكتفين بهذا الاجمال عن كل تفصيل. واذا نحن اردنا الحقيقة خالصة قلنا ان النقد هو فعل الذائقة، والذائقة بنت العلم والنظر والحس الجمالي، مجتمعة كاملة، وان ذلك لا وجود له إلا في حالات نادرة.

انهم يستعرضون، استعراض اللاهث العجلان، كتباً واعمالاً ادبية، ولا ينقدون. وحين ندرك النقد الحقيقي نكون قد تجاوزنا كل ما نحن فيه من اوهام وزيوف وادعاءات.. وهيئات.

* ماذا عن الاتجاهات الفكرية في الاردن؟

- هي اتجاهات ايديولوجية لا فكرية، والايديولوجيا فكر زائف. واذ كان من اصالة ذاتية عند بعضهم فهي مقهورة بنشدان اداة العيش وبأعباء الحياة، فضلاً عما يتحيّفها من نكران وعقوق وايداء.

وانا لا اؤمن بالتصنيف الساذج الذي يحصر اتجاهات الفكر في ثلاثة او اربعة، كأن يقول هذا ماركسي وهذا اسلامي وهذا قومي، وارى أن هذا تقسيم قاصر، وانه يخطئ حقيقة الاشياء، وانه لا يُرضي إلا قاصري الوعي من المقلدة.

* ماذا عن كتبك المقبلة؟

- هناك ثلاثة كتب في سبيلها الى النشر وهي:

١- في مرآة الاسلام.

٢- شخصيات وآراء.

٣- شذرات.

وهناك مسرحية «الجنرال» وستنشرها قريباً «المجلة الثقافية» للجامعة الأردنية. وهناك مشروع العمر «مناهج النظر في الاسلام» الذي سيقع في حدود الف ومئتي صفحة من القطع الكبير. اتوقع صدوره خلال السنوات الخمس المقبلة.

والى ذلك كله. فثمة مخطوطات او قصاصات اولية لكتب عن «الرافعي» و «العقاد» و «هيراقلطس الاغريقي» ثم عن «المشهد الكوني في القرآن الكريم».

وان مما اخشاه ان انقطع دون ذلك، لسبب من الاسباب في هذه الفانية او ان أحترم دونه..

* سؤال أخير.. ماذا عن الثقافة والصحافة؟

- الصحافة بين امرين، اما ان تكون مناخاً حراً ونزيهاً يتفتح فيه الابداع الحقيقي. او ان تكون سوقاً تروج فيه البهارج والزيوف والمواهب الصغيرة. وظاهر الامر يؤكد ان السائد هو ما تشيل كفته في الموازين. وعسى ان نستبدل حالياً بحال، وان لا يصح إلا الصحيح.

إبراهيم العجلوني والحداثة ذات العين الواحدة

ما بين القديم والجديد ليس صراعاً بل حوار أجيال^(١)

أجرى اللقاء: مازن حجازي

أصدر الناقد والباحث إبراهيم العجلوني أكثر من كتاب تناول فيه موضوع الحداثة، وأثار جدلاً واسعاً. لكن هذه الكتب وهذا الجدل اقتصر على الساحة الأردنية، ربما لأن العجلوني أصدر جميع كتبه عن طريق دور نشر محلية أو لأن كثيراً من كتاباته اقتصرت على الصحف والمجلات الأردنية فضلاً عن أنه يكتب مقالا فكريا يوميا.

«المجلة» التقت العجلوني لتحاوره حول موضوع الحداثة تحديداً، وحول رأيه في الصراع المحتدم منذ بداية هذا القرن بين القديم والحديث في الأدب بشكل عام والشعر بشكل خاص. وماذا حقق المنادون بالتحديث؟ وهل الحداثة هي الانقلاب على القديم وعلى التراث؟

يقول العجلوني: لا بد من الإشارة، ابتداءً إلى ان مفهوم «الصراع» موظف هنا للمصادرة على المطلوب، أو للايحاء بأن الصراع - بما هو قتال وتفان - هو الطابع الرئيسي لحوار الأجيال أو لشبكة العلاقات الحيوية بين القديم والجديد. وهذا في اعتقادي، وضع للأمور في غير مسارها الصحيح، وتنكب بها عن التحليل العلمي للظواهر.

ان الوقائع المستجدة التي ظرفها الزمان، لا بد ان تحمل معها درجات متفاوتة من تغير الأذواق والعقول. لكن ذلك لا يسوغ الانقلابية الجذرية التي ينادي بها بعض دعاة التحديث ثم ان هؤلاء لا يملكون شرعية تمثيل الحداثة، لسبب بسيط هو انهم لم يمتلكوا - لا بقوة ولا بضعف - اللحظات المؤسسة لحداثة الازمنة الحديثة. ولو كان لهم ادنى مقترب منها، لما نادوا بالانبتات او بالقطيعة المعرفية والذوقية مع تراثهم الثري الحي العفي.

ان ديكرات وكانت وهيكل على المستوى الفلسفي لا يمثلون لحظات انقطاع عن جذورهم الحضارية في بعديها الاغريقي والمسيحي في آن، كما ان عناصر الخطاب على نحو ما يقدمها ميشيل فوكو متحدرة منذ ما قبل طاليس الى آخر فلاسفة السوربون.

(١) مجلة «المجلة» / لندن.

ونحن لا نعدم دلالة في اصرار «اينشتاين» على حضور حفل افتتاح الجامعة العبرية في القدس، وفي وقوف وعيه، الذي لا يشك احد في رحابته وعمقه، عند الافق الاسرائيلي!
اما في الشعر، فينا لم يقرأ ما يكتبه ت. س. اليوت عن معنى الحداثة والتجديد، وأينا لم يقف عند قوله: «ان اكثر الشعراء قدرة على التجديد هم الذين نسمع عبر اصواتهم نبرات الاجداد».

* يقول أدونيس وهو من ابرز الداعين الى الحداثة ان الذي بين ايدينا هو احد تيارين، تقليد القديم او تقليد الآخر الغربي نافيا وجود حداثة عربية، ما رأيك بذلك؟

- يحمل قول ادونيس هذا ظلما كبيرا لأئمة التجديد في أدبنا العربي الحديث جميعا. ويغض طرفا عن انجازات رائعة ملموسة لأساتذة ومبدعين عظماء، مثل مصطفى صادق الرافعي وعلي محمود طه ومحمود حسن اسماعيل وغيرهم.

والذي أراه ان حامل راية الاصالاة والتجديد معا في الادب العربي الحديث هو الرافعي، وان ثمة تيارا، امتد منه، مشتتلا على مجمل المعطيات الذوقية التي نطلبها في ادبنا المعاصر، وان هذا التيار لم يقيض له الاستمرار بسبب من تدني المستوى الثقافي والمعرفي لجموع الأمة، وانه تراجع امام عامية الفكر والذوق او امام تغريبهما المعزز المدروس. ولنأخذ ادونيس مثلا على الحداثة التي تسير بعين واحدة ولنقارنه بالرافعي، على ما في ذلك من ظلم للثاني.

ولقد كان الرافعي بشهادة اسماعيل مظهر اكبر قارئ، عرفته المرحلة للفكر الغربي المترجم، وثبت مؤخرا انه كان يقرأ مباشرة بالفرنسية، وانه كان يوجه تلامذته الى متابعة حركة الفكر والفلسفة في اوروبا.

لكن ذلك كله لم ينتزع الرافعي من ارضه ولم يقتلعه من جذوره فكان التجديد عنده مرتبطا بالاصالة او هو معنى من معانيها.

اما ادونيس، فعلى ذكائه (المحدود) الذي لا يماري فيه احد، فقد اعوزته قدرة الرافعي وتمكنه وعبقريته اللغوية، فلجا الى تلفيق الرؤى والى التنظير دون تجذير، فكانت منه هنات وسقطات، ليس الى تلافيتها، عنده، وعند من درج في عشه سبيل.

من ذلك مفهوم (اللغة البعدية) عنده. او اللغة التي هي اساس نفسها ومنطلق ذاتها، والتي تنفجر خارج الحقول الدلالية المتواضع عليها، فقد (استعار) ادونيس هذا المفهوم من ميدان الابدستمولوجيا (نظرية المعرفة) في الفلسفة، حيث يمكن للفلاسفة ان يتحدثوا عن قضايا بدئية (بديهيات، قوانين اولى للفكر) تحمل صدقها في ذاتها ويلتمس الدليل عليها من ابنيها وانساقها الداخلية. ثم عن قضايا بعدية يحتكم فيها الى الواقع، فيصدقها او يكذبها. لقد كان انتقال مفهوم (البعدية) هذا الى حقل اللغة الشعرية سببا في الرؤية الملتوية التي طالعنا ادونيس في كتابه «زمن الشعر». وقد أقتضاه تحويرها، قليلا او كثيرا سنين كثيرة، لعله راجع نفسه فيها، فخرج بصيغة اخف وطأة في «الشعرية العربية».

ومهما يكن امره، فهو مجتهد وصاحب نظرية (مهما كان حظها من التماسك)، وان علينا ان نواجهها بنقد موضوعي نزيه، للنظر الى ما فيها من تليفق او توفيق.

*** اذا لم يكن أدونيس في رأيك رمزا للدعوة للحدثة فمن هم رموزها؟**

- رموزها في اعتقادي هم الرافعي، وعلي محمود طه، وعمر ابو ريشة والاخلط الصغير، ومحمود حسن اسماعيل وشعراء الشباب الذين يصدررون عن الجملة القرآنية، بعد ان ظلت الجملة التوراتية مهيمنة لعقود خلت.

*** اذا انت تربطها بالاصالة والابداع بغض النظر عن عوامل الزمن (يرجى ايراد مقارنتك بين طرفة بن العبد وأدونيس)؟**

- أذكر هنا بكتاب جبرا ابراهيم جبرا «شكسبير معاصرنا» لأؤكد ان اي ادب حقيقي واجه جوهر الانسان، في زمن، ما سيظل ادبا صالحا لكل العصور، فالمعاناة الوجودية الصادقة التي عاشها طرفة لا تتقدم ابدا، وهي في حضور دائم كل حين.

وليس كل الشعراء طرفة بطبيعة الحال، وليس الا اعاضمهم من يملك مواجهة العالم على نحو ما واجهه.

أما ادونيس، فنحن ملزمون بجهد كبير نبذله لكي نستخلص شعره من ركام الحذلقات الذهنية، وجوهر الشعر عنده متوار حتى عن خالصائه وأقرب الناس إليه.

الا أن «المتفلسف» في أدونيس سابق على الشاعر فيما أرى، وقد تأدى به ذلك إلى ما أسميه «المعاضلة الذوقية» فكان شعره غير سائغ بادئ الرأي غير مفهوم بعد المخض والاستبحار. وهو في كل حال يكتب لنفسه، ولا يهمله القارئون.

* شاع مؤخراً استخدام مصطلح الادب الاسلامي، فهل ترى مبرراً لاطلاق هذا المصطلح؟

- الادب الذي يصدر عن تصور اسلامي حقيقة واقعه منذ ان تمكن دين الاسلام من توكيد حضوره في التاريخ الانساني.

اما المصطلح فهو مسألة مستحدثة نجاري فيها الآخرين لما نعلمه من وجود أدب ماركسي وآخر وجودي وثالث صهيوني.. الخ. لا عبرة بالاسماء، المهم هو حقائق الاشياء.

فالأدب الذي تتجلى فيه قيم الاسلام ورؤاه موجود كما قلت أنفاً بصفة كونه واقعا تاريخيا وانسانيا. بيد ان إحياءه اليوم بقوة، مهمه متعددة الجوانب، علينا انجازها بأداء متميز يتواءم وأهميتها الكبرى.

* تحدثت طويلاً عن ادونيس لكن ما هو رأيك في الشعراء المحدثين العرب بشكل عام كمحمود درويش ونزار قباني وعبد الوهاب البياتي واحمد عبد المعطي حجازي والشعر الحر او المثنور عموماً؟

- محمود درويش: شاعر قضية، حملته كثيراً وحملها قليلاً، وقد بدأ متتلماً على نزار قباني وأدونيس، وانتهى معلق البصر بجائزة نوبل كما هو الأمر مع أدونيس.

- نزار قباني: مطرب مفرط الاناقة، وبائع كلمات.

- عبد الوهاب البياتي: بدأ في مدرسة علي محمود طه، وحملته الايديولوجيا بعيداً.

- احمد عبد المعطي حجازي: قد يكون من القلة التي لا تزال تقبض على جمر الشعر وفي شعره مخايل من الاصاله التي نبحت عنها، وتجديد كثير.

اما عن الشعر الحر او المثنور، فأنا أؤمن ان الشعر روح تسكن الاشياء، فان كانت هذه الروح كان معها تجلياتها المناسبة، وان عدت، لم ينفع مع عدمها كل الوان التشكيل وكل ضروب الصياغات.

المفكر الأردني إبراهيم العجلوني للعهد :

حين أسمع كلمة مثقف أسحب مسدسي^(١)

بعضهم يقول:

- لا يمكن لامة لا تستشعر معنى الوحدة أن تحقق الوحدة
- التنوير ما زال قائما لاننا في زمن متصل
- اختلاف دوافع بعض الناس للتمركس
- لا أوفر نفسي من النقد والمحاسبة
- الوظيفة رق القرن العشرين

أجرى الحوار: محمد سلامة جميعان

إبراهيم العجلوني مفكر أردني صميم العروبة والوطنية، خارج على الاستقرار الوظيفي بإرادته، ينهض بهموم وطنية كثيرة ويتمرد على واقعه ونفسه بانافة، وصراعه الفكري مع الآخر يمتد وينحسر تبعا للحدة التي يواجهها خصومه في الرأي، ومن زاوية «افق» في الزميلة الرأي يطل على قرائه بعد أن اطل عليهم عبر سبعة عشر مؤلفا في ميادين الفكر والادب، هو مثل الدنيا لا يستقر في مكان او على حال، وكنا مضطرين لنصب كمين مدته أسبوع حتى تمكنا من الايقاع به في هذا الحوار.

* سؤال: سبق ان اقترحتم في كتاباتكم تصورا لفعل ثقافي مستمر خارج على الديمقراطية الثقافية ثم من بعد طالبتهم بالغاء بعض الوزارات ومن ضمنها الثقافة اضيء لنا هذه المسألة؟

- جواب: في ثقافتنا الشعبية هناك فارق كبير بين السخرة والعمل الذي تبادر اليه من نفسك فالسخرة معناها ان تستنهض في داخلك كل القوى من أجل القيام بعمل بسيط ولا تكاد تقوم به ولكن حين تنطلق الى العمل بمبادرة ذاتية واقتناع تستطيع ان تنجز شيئا، واعتقد ان الذين في مؤسسات الثقافة يعملون بالسخرة وليس انطلاقا من قناعات ذاتية، انهم موظفون ونعتقد ان الوظيفة العامة في بلادنا تتطلب مؤهلات على رأسها السكون

(١) جريدة العهد ٢٣/٤/١٩٩٤

والموات، فالعقاد كان يقول الوظيفة رق القرن العشرين. انا لا استطيع أن اتصور موظفا يمكن أن يقيم حياة ثقافية ولو كان عبقريا لان مؤهلاته الذاتية ستخفقها المواصفات السائدة في العمل الوظيفي، لذلك اعتقد ان الشروط الموضوعية للنهضة الثقافية في البلاد غير مرتبطة بالعمل الوظيفي أو الوزارات أو المؤسسات بل اذهب الى اكثر من ذلك فأقول ان اغلاق وزارة الثقافة ضرورة وطنية من أجل قيام نهضة للثقافة الوطنية. وأنا أميل الى ان التفكير الحكومي غالبا هو تفكير على طريقة غوبلز الذي قال «حين اسمع كلمة مثقف اسحب مسدسي».

* العهد: الخريطة الحزبية في الأردن واسعة، أين تضعون مشروع «الحركة الوطنية الذي تنهضون الان بانشائه؟

- العجلوني: لا يوجد عندي مشروع حزبي، وفي اللحظة التي ستصبح فيه الحركة الوطنية حزبا انا شخصا ساخرج منها نحن قائمون بامر سميناه الحركة الوطنية الاردنية وهي حركة قائمة على مؤسسات في أرض الواقع.

* العهد: النظام العربي منذ الحرب العالمية الثانية حتى الان يشكل تجسيدا مكثفا للانظمة القطرية العربية مما شجع على بروز اتجاهات سياسية احباطية تقول بعجز العرب عن بناء وحدتهم القومية. الى أي مدى يمكن ان تستمر هذه الحالة؟

- العجلوني: أعتقد ان مفهوم النظام العالمي الجديد وهو اوسع بطبيعة الحال من النظام العربي سواء اكان جديدا ام مهترئا، هذا المفهوم هو من باب المجاز ولا يرد على وجه الحقيقة، لأن العالم لم يتغير من أسس العلاقات فيه اي شيء ويبقى هو العالم نفسه الذي كان قبل مئة عام قائما على وجود الثنائيات الشرسية بين شرق وغرب، قوي وضعيف وسواء اتخذت هذه الثنائيات الشرسية شكل عصبية الامم، هيئة الامم، أو أي شكل عالمي جديد او مستحدث فهذه أطر تختلف على جوهر واحد.

النظام العربي هو ايضا وهم من الاوهام لا يوجد شيء اسمه نظام عربي توجد اقطار عربية صاغ الاستعمار حيثيات وجودها ثم ترك لها فرص النمو والتفاقم موضوعيا وقطريا، فاذا كنا سنسمي هذا كُله النظام العربي فهو من باب تسمية الاشياء باضدادها، فالتفكك والتمزق العربي لا يشكل نظاما عربيا، فاذا كان لانفراط العقد نظام فهذا هو نظام الانفراط.

* العهد: اذن مقولة عجز العرب عن بناء الوحدة صحيحة الى حد ما؟

- العجلوني: الحديث عن الوحدة العربية قد يجرني الى مسألة قد تكون فلسفية: هل يمكن لمن لا يستشعر معنى الوحدة ان يحقق الوحدة، هل يمكن لأقطار لا تصدر عن معايير مشرقة ومقاييس وأسس موحدّة أن نبعث عن اطار يوحدنا، اذا كان لنا ان نبعث في اساسيات الوحدة العربية فنحن بالضرورة سنبحث في الاسلام، في العروبة، وقضايا لها جذور تاريخية بعيدة، وهذا الامر يقودنا الى فكرة مؤداها ان الواقع العربي حاليا لا توجد فيه مؤشرات لا للوحدة ولا للتعاون في أدنى صورته بل ان المؤشرات كلها تؤدي بنا الى اليأس الكامل من إمكان تحقيق الوحدة العربية بل وراء ذلك نلمس ان هناك من اصحاب الاقلام من ينادي بالقطرية. فلا أستطيع أن امضي مع حلم الوحدة العربية الا بطريقة واحدة. ان تؤكد لي امريكا واسرائيل انهما تريدان تحقيق الوحدة العربية على نحو يخدمها ساعتئذ اقتنع.

* العهد: بعد مضي ما يزيد عن سنتين على انفجار الحدث الخليجي «الازمة-الحرب» نساءل عما اذا كان المثقف العربي قد تمكن من ان يتخذ موقفا ويلعب دورا مسؤولا بعد الذي حدث؟

- العجلوني: المواجهة التي تمت في الخليج العربي بين العراق وبين النظام العالمي الجديد هذه المواجهة أعتقد انها مواجهة صورية وليست مواجهة حقيقية «متكافئة» ربما كانت القيادة العراقية والاوزاع في العراق توحى بان العراقيين يخوضون مواجهة حقيقية وربما كان هذا سيكون صحيحا لو أن العراق لم يتعرض للخيانة وجملة من الانهيارات ولخيانة الحليف والقريب والصديق.. ثم لو كان العراق متمكنا من معطيات العلم الحديث فيما يخص قواته المسلحة وكان الاعلام عنده بمستوى الحقيقة التي لديه.

كتابي يوميات عراقية مثال على الحالة التي اعترتنا جميعا ازاء هذا الاصطفاف العالمي الذي تمثلت فيه كل قوى الاستعمار القديم والحديث والصليبية وما الى ذلك وإزاء «الاصطفاف» العربي، فالعراق ومن معه من العرب كانوا في أقصى الاضطراب ونحن لم نكن نملك سوى الوقوف مع العراق في وجداننا كما تعلم ان الخط الصاعد لمنحنى النفس العربية كان باتجاه ان يقف مع العراق وكان يصعب جدا ان نقف وقفات تأملية ناقدة للوضع العراقي او الوضع العربي او للقدرات في كلا الجانبين، جميعنا كنا مسكونين

بقضايا النضال العربي والجهاد من لدن صدر الاسلام حتى هذه اللحظة وبالتالي كان هناك منحى نفسي صاعد لم نملك الا ان نقف على متنه والذي حدث هو انهيار هذه التصورات ووقوعنا جميعا على أرض الواقع الشرس المحدد المضغوط الذي يعرفه اعداؤنا اكثر منا، فحرب الخليج لم تفلح في ان تكون أساسا أو منعطفا في تاريخنا الحديث أو في فكرنا العربي المعاصر. بالعكس نحن منينا بالخسران واحتسبناه عند الله ثم وضعناه في اطار جملة الاحباطات السابقة من محمد علي الى عبد الناصر وهكذا. وهذا الاحباط الغرب ماهر في صنعه على وتيرة واحدة بين حين وحين فكلما نشأت امكانية النهوض لدى الامة فالغرب معني منذ نابليون حتى هذه اللحظة بأن يجعل المد النفسي والشعوري الصاعد قائما ثم يهوي به وبنا. فتموت الفكرة وتموت ارادة النهوض. لم نواجه حرب الخليج بانعطافة فكرية او بأي انعكاس حقيقي على مستوى النهوض الفكري او مجرد التفكير به.

* العهد: نلاحظ تراجع النهج التنويري الاصلاحى وميله تدريجيا للعودة الى السلفية المنغلقة ضد ثقافة العصر وصولا الى بروز تيارات دينية معاصرة متممة تتبنى العنف منهجا لفرص تصوراتها وقناعاتها هل يمكن أن تعود لنا الحالة التنويرية كالتى دعا اليها الكواكبي وامين الريحاني وساطع الحصري؟

- العجلوني: هذا سؤال معقد، والاجابة ستكون أكثر تعقيدا ولا أقصد انه معقد من حيث بنية السؤال نفسه بل من حيث تغطيته لمساحة واسعة جدا من الأشخاص والوقائع والاحداث فهو سؤال مركب ولا بد أن تكون الاجابة عليه ايضا مركبة.

أعتقد أن حرب الخليج لم تشكل انعطافة في الفكر، على الاطلاق، فنحن في نفس مواقفنا السابقة التى كانت قبل حرب الخليج.

اما قضية أن التنوير كان قائما ثم اصابه الانحسار فهي قضية يجب أن نقف عندها جيدا لاننا نعيش في زمن متصل واحد منذ الكواكبي والافغانى الى هذه اللحظة، لم نحقق أية قفزة نوعية لا في مستوى التفكير ولا مناهجة منذ الطهطاوي الى هذه اللحظة، بالعكس انني ارى ان رفاة الطهطاوي اكثر تقدما وعمقا من مفكري هذه الايام سواء اختلفت مع الطهطاوي أو اتفقت. وانا ارى أن محمد عبده وحسين الجسر الذي عاصره في لبنان ما يزالان أكثر وعيا من كثير من المتفلسفين والمفكرين والكتاب في هذه الأيام. فالتنوير ما

زال قائماً لاننا في زمن واحد متصل، لكن المشكلة من يستمع الى داعي التنوير هذا هو السؤال؟ فللتنوير دعاة كثر واعدائه كثر كذلك ويملكون الوسائل والامكانيات والدعاية الاعلامية ولهم الدعم من الشرق والغرب ومن النظام العالمي الجديد. فالتنوير القائم بلا ظهير ولا نصير في حين التجهيل والتعتيم له مطلق الدعم في عالمنا العربي.

ما يقال عن وجود تزلزل ديني وانغلاق يتطلب منا الوقوف مدققين ازاء هذه المقولة لان قضية التزمتم لا اتصور انسانا في العالم له فكر وله معتقد ولا يدافع عنه كما يقول روجيه غاردي في كتابه الاصوليات المعاصرة، هناك أصوليات كثيرة في هذا العالم أصوليات علموية، ستالينية، ماركسية، فاتيكانية.. الخ.

وهناك أصوليات عرقية وهناك ايضا أصولية اسلامية لكن ما هي الصفات التي سادت في وعي الناس عنها، انها السمات والصفات التي يريدها الغرب.

الاصولي على الحقيقة هو الذي يعني بأصول الفقه أو النحو أو الدين وهذه ابحاث يحتاج الانسان الى سلخ اعمار حتى يستطيع ان يقف على قدم ثابتة إزاءها. كيف لنا اذن ان نصف الاصولي بالمتشنج والمتطرف، اذا كان الاصولي هو رجل قد سلخ عمره في الدرس والتحصيل إنه صاحب منهج التفكير رجل ذو هدوء فكري لا يخلص الى احكامه بتعجل ولا يكون نزقات فالامام الغزالي أصولي ابن تيمية، الشافعي، واذا ذهب في ميادين أخرى ستجد مثل سبويه وأبي عمر بن العلاء فهؤلاء كانوا يتعهدون العودة بالأشياء إلى أصولها فكيف امكن بكيمياء الرعب أو التضليل اما شئت من كيميائيات معاصرة حرف هذه المعاني عن حقيقتها وجعله فقط لقباً لرجل قصير الثوب كثر اللحية يمسك قبلة يريد أن يقتل بها أطفالاً او يهاجم بها مركبة سياحية. هذه صورة مفبركة للأصولي فبركتها وسائل الاعلام الصهيونية الامريكية فالاصولي امر مختلف جدا.

* العهد: هل يجوز اعتبار الفكر الديني التنويري خارج الفكر القومي بدعوى ان بعض تياراته تميل لرؤية فوق قومية وهل يجوز طرد تيار الماركسي من ملكوت الفكر القومي بدعوى انه يميل نحو الأمميّة المجردة؟

- العجلوني: الفكر القومي بعامة في العالم العربي اذا بحث عن أسس فلسفية له او اراد ان يتحول من نظرات قومية الى نظرية فهو ملزم بأن يكون فكراً اسلامياً، فالاسلام هو نظرية الفكر القومي على الحقيقة. والفكر القومي بين أمرين انا ان يتمركز او ان يسلم. وفي

الحالة الأخيرة يجد نفسه وهو اذا تمركز ذاب في أمميّة حاملة وفقد روحه، كذلك الفكر الماركسي نفسه هل له شرعية البقاء في الملكوت القومي أم لا. انا أعتقد ان من يقرأ الفكر الماركسي جيدا يعرف بالغ خطر النظر الماركسي على القوميات فالماركسية لا تعترف بالقوميات ولا تعترف بالأديان أو التمايزات العرقية والدولة الوطنية، الماركسية ترى وحدة الطبقة العاملة في العالم او تزعم ذلك في مواجهة الرأسمالية.

فالماركسية جاءت كعلم وليس كدين، فهي بحسب زعمها علم اعم قوانين ارتقاء المجتمعات او الوجود. ومعنى هذا البحث في القوانين المطردة «أو التي يُظنُّ أنها كذلك» في الحياة الانسانية وفي العالم الموضوعي. وترى الماركسية ان القوانين التي تضعها هي، هي قوانين علمية صارمة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، غير أنه لما جاءتنا اجابات العلم وقالت انه لا حتمية في العلم على كل مستوى التجليات المادية وجاءتنا اجابة التاريخ ايضا بأنه لا حتمية في التاريخ ولا حتمية لصراع الطبقات بدأت هذه الحتميات تتساقط، الحقيقة انني لا اريد ان ادخل في نقد للماركسية فهي تجربة الان امام الباحثين وهي تجربة تستفيد منها البشرية وانا احترم دوافع بعض الناس للتمركز وان كنت ارى كثيرا من الناس المتمركسين دخلوا هذا الاطار لاسباب طائفية وبسبب من حالات شعورية لديهم لا من اقتناعات عقلية. يبقى القول ان التنوير الاسلامي ما زال هو الحل الامثل لقضايانا. ولا خلاف على الاطلاق بين العروبة وبين الاسلام.

* العهد: التيارات التوفيقية حاولت تهريب الحداثة من وراء ظهر الثقافة السائدة دون خوض معركة التحديث الفكري والسياسي كيف تنظرون الى الحداثة؟

-العجلوني: الحداثة في أي جانب؟

* العهد: الحداثة في جانب الأدب والفن.

-العجلوني: الحداثة في الجانب العلمي مثلا هي حداثة لا خلاف عليها ونحن بحاجة دائما الى أحدث نظرية تفسر الوقائع، لانها تكون قد تجاوزت نظريات أخرى. لا مشاحة ولا جدال في ان العلم دائما ينشد الحداثة ويتطلبها وهو قائم بها فلا صراع حول هذه القضية واذا اردنا ان نمتلك اسباب الحياة فينبغي ان نكون حداثيين علميين.

أما الحداثة في الأدب فنحن نرى ان الحداثة لها ظاهر وباطن، مثلا صادق مصطفى الرافي

رجل في ظاهر امره اصولي تراثي صاحب جملة قرآنية، وصاحب بيان هو امتداد لاعلام البيان العربي أمثال ابن قتيبة والجاحظ وأضرابهما، ولكن الرافعي ايضا مجدد، ففي الوقت الذي كان فيه طه حسين مثلاً يترجم قصصاً من الفرنسية او اللغات الغربية كان الرافعي ينشيء قصصاً؛ ومن يقرأ كتاب المساكين ووحى القلم يجد أن الرافعي على كلاسكيتته كان رجلاً مبدعاً مجدداً ومن يقرأ رسائل الاحزان، والسحاب الاحمر، وأوراق الورد، وحديث القمر، يرى طبيعة التجديد لديه على مستوى العبارة اللغوية والاستعارة والبحث عن المعاني الجديدة، وبهذا كله نستطيع ان نقول ان الرافعي مجدد وحدائي. الحداثة ليست شكلاً خارجياً، فالحداثة حداثة المضمون، والجوهرية في المضامين، والتعامل مع الاشياء بصفة كونها جواهر لكن لها تجليات مختلفة في كل زمان. فالكاتب الذي يستطيع ان ينفذ ببصيرته الى حقائق الوجود الانساني ويتعامل معها ويقبض عليها لا بأس بأن تتجلى هذه لديه بأية صيغة من الصيغ التي يراها فالعبرة بالمضمون نفسه لا بالشكل.

كل شكل كان حديثاً في إبانة وزمانه ثم غداً قديماً ولكن هل يمكن لنا ان نأتي الى المضامين التي امتلكها امرؤ القيس او قدمها الينا ونقول ان هذه المضامين قد اصبحت مهترئة. الأشكال تهترئ والمضامين تبقى على جدتها، وبالتالي فالحداثة قضية مضمونية.

*** العهد: كثير من المجالات الثقافية والمتخصصة حلت عليها لعنة الوأد، مجلتكم الفكرية المتخصصة بأي ذنب وئدت؟**

- العجلوني: مجلة المواقف هي تجربة محدودة عمرها ستتان صدر منها ثمانية اعداد فقط واشتملت هذه الاعداد على محاور فكرية ومحاورات وروعي فيها ان تأخذ الجانب الفكري الفلسفي وان تتجافى عن القضايا الابداعية بعض الشيء ولو اننا اضطررنا في العددين الاخيرين الى ان نوشي الاعداد بشيء من الابداع، كنت اريد لهذه المجلة لو أن الله اطال في عمرها ان تكون مجلة حوار وسجال لكل اصحاب الفكر في البلاد على اختلاف منازلهم ومشاربه وكنت أمني النفس بان لا تواجه المجلة ما واجهته من احباطات فالرياح تجري بما لا تشتهي السفن، وحسبي من هذه المجلة انها اثقلت كاهلي بالديون او انها «خربت بيتي» ولكنني لن اتوب واحسب انني في اول فرصة سانحة سأحاول ان اصدر مجلة اخرى خالصة للبيان العربي.

* العهد: ابراهيم العجلوني هل هو متمرد على نفسه أم على واقعه؟

- العجلوني: النفس جزء من الواقع، حين يتمرد الانسان على نفسه فبالضرورة أنه سيتمرد على واقعه. اذا كنت انا لا اوفر نفسي من النقد ومن المحاسبة وفي حرب دائمة مع نفسي وفي صراع مع الكائنات التي في داخلي فلا أعتقد أن في كل واحداً منا ضداً بل هناك قبيلة من الاضداد والمتحاربين وفيه مناطق معتمة وفيه قارات مظلمة وفيه بحار ومحيطات وكل انواع الغيلان والملائكة. فاذا كان الانسان في حرب مع نفسه هذه فانه بالضرورة سيكون في حرب مع الواقع، فالحرب قائمة مع النفس ومع الواقع واعتقد ان هذه الحرب ضرورية لانها صفة جوهرية للانسان فالله قد اقسم بالنفس اللوامة وهي النفس التي ينقض بعضها بعضا ولا تفضي أوئلهما إلى أواخرها.

ملف الرواية الاردنية « ١٣ »

إبراهيم العجلوني :

الفكر هو أعلى تجليات الحياة ومهمة الروائي ان يقدمه حياً نابضاً^(١)

أجرى الحوار: محمد سناجله

ينحاز إبراهيم العجلوني وقد صدر له عشرون كتابا الى الفلسفة والفكر، ويعلن بعد ثلاثة دواوين شعرية، ورواية، ومسرحية، ان قيمة ذلك كله مرهونة بما يشتمل عليه من وعي قبل اي شيء آخر .

* هنالك اكثر من شكل ابداعي عند ابراهيم العجلوني، فهناك ابراهيم الشاعر والمفكر والروائي والقاص، اي هذه الاشكال هي الاقرب اليك؟

- بدأت شاعرا وقاصا ثم توجهت الى الدراسات الفكرية والفلسفية، ثم توفرت اخيرا على النظر ومناهجه وعلى الحكمة واسبابها.

على انني اؤمن ان الفكر والادب مشتبان وان كل فاعلية ابداعية، مهما بدت مختلفة، ترتد في آخر الامر الى وحدة حميمة داخل الذات مع سائر اشكال الابداع وتجلياته.

* «الوجوه» كانت هي الرواية الاولى والوحيدة لديك لماذا لم تتكرر هذه التجربة؟

- لنقل انني غير مغرم، لاكثر من سبب بكتابه الرواية وان كنت اؤمن بالنفس بتوافر دواعي كتابتها ذات يوم.

* يبدو الهاجس الفكري الفلسفي طاغيا في الوجوه وهذا انزياح لابراهيم المفكر على ابراهيم الروائي، هل تعتقد ان الرواية قادرة على حمل هكذا هم؟ واذا كان كذلك فهل تعتقد ان الرواية قادرة على الاحتفاظ بصدقها الموضوعي الموحى بهم الحياة؟

- الفكر هو اعلى تجليات الحياة، ومهمة الروائي، فيما اعتقد ان يقدمه حيا نابضا من خلال شخصياته.

(١) جريدة الرأي ٢/١٠/١٩٩٧

من هنا فالانحياز للفكر هو انحياز للحياة نفسها، في حال وعيها لذاتها، ولست ارى في ذلك ما يخالف الصدق الموضوعي.

وإذا شئت امثلة فهناك «الاحوة كارامازوف» لدستوفيسكي و «تاييس» لاناتول فرانس و «لعبة الكريات الزجاجية» لهيرمان هسه، فقل لي اين وقفت الفلسفة فيها دون الصدق الموحى بهم الحياة؟

* باستثناء الشخصية الرئيسية التي تبدو مكتملة في بنائها الفني، فان بقية الشخصيات في الرواية وحسب تعبير احد النقاد كانت شخصيات تجريدية وغير نامية، او مجرد رموز لافكار في ذهن الكاتب!!

- «الشخصية» هي قوام العمل الروائي، واذا ظفرت برضاك عن شخصية واحدة في «الوجوه» فانا زعيم بانها مقبولة او مشتملة على ما يسوغها فنيا.

اما عن الشخصيات التي تقول انا تجريدية وغير نامية فانا معك الى حد معقول في انها غير مكتملة الابعاد، ولكن لذلك في واقع الامر اسبابه الموضوعية الكافية.

* في «الوجوه» قدمت المرأة بصورة مهزوزة وسلبية فهي الالعبان والخبيثة المتلونة بالف لون ولون وهذه صورة محكومة بنظرة مسبقة وغير واقعية، الا تعتقد بوجود صور اخرى للمرأة كان من الممكن التركيز عليها او تقديمها بشكل اكثر واقعية؟

- لم تكن «سنا» في الرواية مهزوزة... ولم تكن ورود - على ما في حياتها من مأس - غير حقيقة. والافعى في الرواية هي الدنيا التي نبلوها وقد قال فيها ابو العلاء.

على أمٍ دفرٍ غضبهُ اللهُ إنَّها

لأجدرُ أنشى أن تخونَ وأن تُخني

وإني لاومن، بل واعلم علم اليقين، ان ثمة صوراً للمرأة - وللرجل ايضاً - لا يضبطها الحصر.

ولكن فارقا واضحا لا بد ان نتبينه بين الواقع والرمز في سياق هذه الرواية / المحاولة وكل رواية اخرى.

* امتازت «الوجوه» بمتانة اللغة وقوتها، وكأني بك تحاول ايصال رسالة ما، ما هي هذه

الرسالة؟ وما رأيك بالطروحات الاخرى التي تقول ان الرواية انعكاس لواقع اجتماعي، وبالتالي فان اللغة يجب ان تكون بسيطة وقريبة من اللغة المتداولة «العامية»؟

- انا من المنادين بامتلاك هذا الزمان، وكل زمان، بلسان عربي مبين.

وإذا كان لي امل، على المستوى الشخصي، فهو ان اكون قادرا يوما على اصدار مجلة تعني بالبيان العربي، وتكون قنطرة بين اجيالنا الجديدة وكنوزنا التراثية العظيمة التي حسر الوعي الانساني عنها منذ اواخر القرن الرابع الهجري.

اما عن العامية فلست نصيرا لها واعتقد انها منقصة فنية وضعف أداء ينبغي تلافيهما.

وليس يحول التمكن اللغوي دون انعكاس الواقع بحال. ولكنه بعض ضمان هذا الانعكاس عند كل اديب يحترم نفسه وقراءه.

* كيف ترى الى حاضر ومستقبل الرواية الاردنية، وما رأيك بالمشهد الثقافي الاردني بشكل عام؟

- لست بحيث اتكلم عن مستقبل الرواية.. فانا منقطع عنها هذه الايام.

اما المشهد الثقافي الاردني فقد جعله المترسمون وفلول الايديولوجيين مشهدا كئيباً بائساً...

مع الأديب

إبراهيم العجلوني^(١)

• محمد شلال الحناحنة

الأديب الإسلامي: إبراهيم العجلوني له عشرات المؤلفات نثراً وشعراً، وهو عضو الهيئة الإدارية في رابطة الأدب الإسلامي العالمية، يملك حسّاً نقدياً لكثير من جوانب الحياة، ويعبر عن ذلك من خلال زاويته اليومية «أفق» في صحيفة الرأي الأردنية، التقيناه أخيراً، فأفضى لنا ببعض آرائه في كيفية النهوض بأدبنا الإسلامي، وأهمية الخطاب القرآني في فكر الأديب المسلم، وأسلوبه وغيرها من المحاور والآفاق..

* دعنا نبدأ من سيرتك الذاتية، وخبراتك الأدبية والعملية، هل تقطف لنا بعضاً من تلك الهموم الشاهقة الجميلة؟

- بدأت الكتابة في السادسة عشرة من عمري، وكنت أراها والقراءة - أفقا أخلص إليه من أيام عصيات، ولعلها أن تكون كذلك إلى هذه اللحظة من الزمان.

ولقد أمكن لي، مع تراخي الأيام، أن أعيش تجارب مختلفات، وأن أبلو ألواناً من العلاقات الإنسانية المضطربة، فأرهدف ذلك حسي، وأشعل عقلي، وجعلني مثل شجرة معراة في وجه ريح عاصف.

على أن عملي في الصحافة والثقافة أفاداني كثيراً في تكوين ملكة احتمال الأذى، ورؤية جانيه، ولاسيما عملي في رئاسة تحرير مجلة افكار، ورئاسة تحرير مجلة المواقف، وإدارة تحرير مجلة الرائد العربي، زيادة على قيامي بمهمة المحرر الثقافي في جريدة الرأي أكثر من عشر سنوات، و ممارستي للكتابة اليومية فيها.

* لك رؤية جليلة عميقة في النهوض بأدبنا الإسلامي، ألا تستعرض لنا أهم العوامل في معالجة هذه المسألة؟

(١) محمد شلال الحناحنة، الأدب الإسلامي، تجلياته - واقعيته - آفاقه (حوارات)، هبة النيل العربية للنشر والتوزيع، سلسلة أصوات معاصرة الأدبية ١٢٤، القاهرة ٢٠٠٤م.

- ليس الأدب الإسلامي وليد العقدين الأخيرين من الزمن، ولا النقد الإسلامي، وإلا فماذا عن رسالة «منطق الطير» وماذا عن «حي بن يقظان»، وماذا عن الكثير من تراثنا الأدبي؟! ماذا عن آلاف الأنموذجات الأدبية العالية، نثراً وشعراً، التي صدرت عن فهم إسلامي شامل للحياة، وللوجود؟!!

لقد كان الأدب الإسلامي حاضراً منذ «كان» الإنسان المسلم الذي يملك أن يعبر عن نفسه.

على أن استنهاض همم المبدعين المسلمين في الأزمنة الحديثة، أمر من الأهمية بمكان، قام بذلك الرافعي في زمانه، وقام به سيد قطب -رحمهما الله- ويحاوله عشرات النقاد المعاصرين، والأمل أن يحالف ذلك كله النجاح بإذن الله.

* يظل الخطاب القرآني من أعظم المؤثرات في فكر الأديب المسلم، وأسلوبه، ما رأيك بهذا الطرح؟

- هذا طرح صائب، فالقرآن الكريم محور حياة المسلم، وأفقه الأعلى، والجملة القرآنية معيارٌ لا ينبغي أن نزاور عنه، وميزان لا يجب أن نخسره.

* قيل: «إن هم الصحافة اليومي قد شدَّ إبراهيم العجلوني عن ألق الأدب ونبض جماله» ما ردك على ذلك؟!!

- قد يكون هذا صحيحاً بنسبة، وجائزاً بنسبة لكني لا أعول على الصحافة كثيراً، ولعل قارئ كتبي أن يميل عن هذا الرأي قليلاً.

* ديوانك «طائر المستحيل» يعبر عن لواعج ذاتية وغربة خاصة في الأصيل، هل توافقتني على هذا القول؟

- تمام الموافقة. وثم قصيدة سميتها «الغريب» تترجم عن ذلك، ونحن -على أية حال- غرباء حتى نردّ إلى أصولنا الأولى، وحتى تجد أرواحنا مطمئناً الأخير.

* كتابك «الشذرات» أثار الكثير من الزوابع في أفق ثقافتنا المحلية. ما أسباب ذلك؟

- هذا كتاب يقع في ثلاثة أجزاء، وألف وعشرين صفحة من القطع الكبير، أغلبه في السياسة، وفي مقاومة التطبيع مع اليهود، وفي نقد الواقع الفكري، والاجتماعي، والسياسي، ولست أحسب كتاباً على هذا النحو من المصادمة، إلا وهو موضع نقدٍ ومثارُ نقاشٍ.

على أنني، على الرغم من ذلك، لم ألمس تجاوباً - كما ينبغي - مع هذا الكتاب، ولا مع غيره مما ألفتُ؛ ولعل سبب ذلك أن هذا الجيل من أمتنا غير معني بقضايا التفكير.

إبراهيم العجلوني

محاوَر أردني... مسكون بقلق المعرفة... هاجسه البحث عن الحقيقة

• رحلة العمر عبثية.. ولولا الكتاب لما كانت تطاق أبدا!

• الشعر الحر مستبعد لاكثر من عُرْف.. والابداع فعل حرية لا

يستطيعه إلا الأحرار^(١)

إعداد: الدكتور محمد عطيات

إبراهيم العجلوني يأخذك في تواضعه وابتسامته العفوية وموسوعيته، محاوَر أدبي من صنف متقدم، مسكون بقلق المعرفة وهاجس البحث عن الحقيقة، مفتوح النواذ لرياح العالم، ولكن يتعذر عليها تحريكه من مكانه يسوق حججه المطعمة بالادب والمنطق معا، وباسلوب عفوي مقنع وباهر، يعتقد ان الكتاب وعاء المعرفة الاول. كثير الانتاج، كتب في اجناس ادبية كالقصة والشعر والمقالة والبحث الأدبي والفكري، يغوص في التراث العربي ويرجع بالصيد النادر الوفير، وييمّم شطر ادب الغرب وفلسفته فيطلعنا على كل جديد ومثير ومفيد.

* يا أبا سلطان هل انت متصالح مع الواقع الحالي؟

- أنا في بعدي الذاتي ممزق جدا لأسباب تتعلق بطبيعتي المثالية، وفي بعدي الاجتماعي ممزق، وذلك لاسباب تتعلق بالصورة التي احب ان يكون مجتمعي عليها، وفي البعد الكوني اجد لونا من الانسجام، وفي البعد الالهي اركن الى تقدير الله والى هيمنته الكلية على الوجود، وهذا البعد الالهي في تكويني يفترض مواقف ومجاهدات ومكابدات تساعد ايضا في توكيد الواقع الممزق الذي أعيشه، فلدي ايمان قلق لا هدوء فيه وهو ملء بالتساؤلات عن هذا العالم وصورته المعيارية.

* كيف ترغب ان تودع هذا العالم؟

- أرغب رغبة عميقة في أن اغادر العالم بصمت وهدوء ولكن بشئ من الرضا عن النفس،

(١) جريدة الرأي ١٦/٨/١٩٩٥

وهذا ما لم احققه حتى الآن، والموت لا يخيفني، ولكن يخيفني الاذلال وسوء العاقبة،
وان اترك، ابنائي لعالم اكثر قسوة مما يحتمله الوعي والوجدان معا.

* ما المشروع الذي تود ان تنجزه قبل ان تصفي اشياءك مع الحياة؟

- الأمر الوحيد الذي اتمنى ان احققه قبل ان يكتب الله لي الموت هو ان ترقى ارادتي
وعزيمتي الاخلاقية الى مستوى ايماني العقلي، وان تتسع رحمة الله لي، وان لا اكون في
موقف صعب أمام الله.

- لا آسف على أي فرصة ضاعت، لانني اؤمن ان انكسارات الروح هي انتصارات لها.

* هل انت متفائل بمستقبل الوحدة عربيا او اسلاميا؟

- نعم اذا استطاع جيلنا ان يحقق وحدة الذوق والعقل والمفهوم بين ارجاء العالم العربي
والاسلامي وذلك انجاز كبير. اما الوحدة السياسية فذلك ما ينبغي ان يصنعه السياسيون
لنا.

* ما الامنية التي تؤرقك الان؟

- أن احفظ القرآن غيبا وان افهمه جيدا.

* صنفت نفسك، أأنت شاعر ام روائي ام كاتب مقالة ام مفكر ادبي أم باحث؟

- انا اصنف نفسي كاتب مقالة في الدرجة الاولى، اما هل ترقى هذه المقالة الى ان تكون
ادبية معترفا بها ام لا، فذلك ما لا اجزم به، واتركه للاخرين؟

* كيف تنظم قراءتك، هل تستخدم التوثيق لأراء الاخرين؟

- قراءاتي غير منتظمة وهي اقرب الى معنى «المقاولة» فحين أحب كاتبا اقرأه كله، وابحث
عن كل شيء صدر له، وتهمني تفاصيل التفاصيل. وقراءاتي بهذا المعنى انفعالية، وليست
عقلية باردة، وانا بطريقة او اخرى نتيجة لقراءاتي لا نتيجة لتجاربي، اقرأ يوميا من «١٠٠ -
١٥٠ صفحة» واستمع ساعات للقرآن الكريم، ومن هنا بقيت عينا صامدتين واقراً نحو
ست ساعات يوميا.

* الاستشهادات في مقالاتك هل هي من خبايا الذاكرة او من مصادر توثيقية ترجع اليها عند
الحاجة؟

- هذا الامر تحكمه طبيعة القراءة فأنا اقرأ ما يهمني في هذه الحالة، أو تلك، وقد اكون مضطرا لتسجيل اقوال بعينها لاسلكها من بعد، في حجاج فكري قادم، مما ياتي بالضرورة في سياق تطوري الذاتي مفكرا او كاتباً. وفي اثناء قراءتي اليومية اضع اقواسا حول نصوص بعينها فانا املأ الكتب بالاشارات والتعليقات التي لا بد أن اعود اليها واحتقبها في صراعي الفكري، وكل الكتب التي قرأتها مهمشة ومحاصرة بالتعليقات.

* من انت، أين ولدت ومتى؟ أين درست وتعلمت أبجدية اللغة والمعرفة. من أي معهد أو جامعة تخرجت؟

- انا انسان شقي، بالعالم الموضوعي اولا، وبواقعي الذاتي ثانيا. وقد اتفق ان ولدت في بلدة الصريح عام «١٩٤٨» ثم «نزحت» الى عمان بعد سنتين او ثلاث وظللت فيها الى هذه اللحظة، ولقد انهيت بعض تعليمي الثانوي. وهو تعليم لا قيمة «عندي» له على الاطلاق. في مدارس عمان، ثم ظللت ثماني سنين متتالية اقرأ وقرأ وراقب الدنيا والناس، حتى اتيح لي ان اذهب الى بيروت عام ١٩٧٢ حيث درست اللغة والادب في جامعة بيروت العربية حتى عام «١٩٧٦» الذي عدت فيه وعملت سكرتير تحرير لمجلة افكار، ثم استأنفت مسيرة اخرى في المعرفة والحياة على حد سواء.

* بمن تأثرت من الادباء والكتاب العرب او الأردنيين؟ ما مصادر تكوينك الادبي؟

- تأثرت بأساتذتي الكبار «اولئك آبائي فجتني بمثلهم»: العقاد، وطه حسين، والرافعي والمازني، واحمد امين، واحمد شوقي، وعلي محمود طه، ومحمود حسن اسماعيل وتوفيق الحكيم.. وكانت كتاباتهم هي مصادر تكويني الاولى، وعلى «قنطرتهم» مضيت الى تراثنا العربي العظيم، والى التراث المترجم للغرب القديم والمعاصر. ولقد ضعفت مرة فبدا لي ان استكمل الدراسة العليا في الفلسفة، ثم صحوت من قريب وجعلت شعار ابي العلاء المعري شعاري، حيث يقول: منذ عرفت الكتب لم اطلب العلم على احد من الرجال...

* ذكرياتك الاولى ايام الطفولة والمدرسة والشباب. هل من ملامح لها، وهل يحضرك شيء منها؟

- لم أحمل من ذكريات المدرسة الا معنى الخوف والعبودية، والا النفور من العصا، ان تهوى علي او على غيري. كان هناك قناة تعليمية وكانت العصي منتزعة من جهنم بكل

تاكيد. كنا نُحشى معلومات ولا نأخذ علما واساس اكثر صداقتي في الدراسة هو وحدة المعاناة، اما الشباب فقد ذهب بمخاوف الطولة الى مستوى اكثر اتساعا. في حجم الوطن بل في حجم العالم.. ذلك ما اراده بوضوح اليوم وان كنت من قبل اتجاهله والفق دونه صورة مثالية وهمية..

* هل انت راض عن رحلة العمر؟

- ولا بأي معنى، فهي رحلة عبثية من اولها الا اخرها، ولولا الكتب لما كانت تطاق ابدا.

* المؤلفات التي قدمتها مطبوعة او محفوظة ماهي؟ بأي مؤلف تعترز؟

- لي تسعة عشر اصدارا: ٣ مجموعات شعرية، ورواية قصيرة، وخواطر مترجمة ثم اربعة عشر اصدارا فكريا..

هذه الاصدارات كلها اعتبرها تمارين على الكتابة، ومحاولات دونها، وان كنت احب منها «الرفضون» و «الوعي المتمرد» و «نحو حوار معقول مع السادة الامريكان» و «احزان مسيحية» ويمكن الاشارة هنا الى ان هناك ثلاثة كتب تترجم الى الفارسية هي:

١. في الفكر القومي.

٢. في الفلسفة والخطاب القرآني.

٣. دفاعا عن العقل.

* لو عدت شابا هل تخط طريقك كما خطت؟ هل انت راض عن اختيارك لمهنتك؟

- لو عدت شابا، لحزمت حقائبي، وذهبت اطوف في الارض. اما مهنتي فهي حرفة من ادركته اذلته، وبخاصة حين يكون الوعي سببا للبلاء ومراقبة للشقاء...

* ماذا تتذكر من مواقف ايجابية او صعبة سلبية في رحلة العمر؟

- اتذكر رغبتني العميقة في الاستشهاد ابان حرب الخليج، واحساسني الغامر بالاذلال في خاتمته... كما اتذكر اياما قضيتها، خلالها، في غرفة مجاورة لغرفة مدير الاذاعة، اكتب خواطر واشعارا عن الأردن والعروبة والاسلام، تبث مباشرة وهي ممثلة صمودا وتحفيزا، وانا منكسر تماما..

* ما الذي اعجبك في الوطن العربي وترغب ان يكون في بلدك الاردن؟

- الوطن العربي كله نسيح واحد ممتد، ويصح فيه قول ابي العلاء:

مَا خَصَّ مِصْرًا وَبَاءَ وَحَدَّهَا

بَلْ كَائِنٌ فِي كُلِّ أَرْضٍ وَبَاءَ

* ذكرياتك في مدينة اردنية! مواقف تتذكرها وما تزال في اعماقك؟

- اكثر الذكريات وضوحا ما جاءك من اواخر طفولتك او بواكير صباك والمدن في ذلك كالأشخاص تماما. تظل بارزة الملامح على الرغم من تراخي السنين، واكاد هنا استحضر «أم قيس» عام ١٩٥٧ وارى نفسي مع غروب يوم عاصف، التي نظرة حزينة على البلدة التي تداخلت دورها ببقايا العصور، وامضي مع هبوط الظلام ميمما وجهي شطر بلدة «المنصورة» على طريق اربد.

كنت وحيدا، في التاسعة من عمري، وكلما هبت الريح او عوى ذئب في غابات البلوط اعترتني رجفة، وخلت ان للظلام رؤوسا مسننة تنشب في ملابسي وتدمي جسدي الغض. وكنت ابكي، واقول: يارب، وفجأة سمعت صوتا أجش يقول «ح..ح» فصرت اصرخ: يا عمي يا عمي، ثم ما لبثت ان ادركت رجلا يسوق حمارا، فقال بعد أن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم.

- منين انت يا ولد؟

- فعلا البكاء مني، وقلت له: أنا ابراهيم..

هذه ذكرى من «أم قيس» ١٩٥٧ ولست احسبني اقل خوفا اليوم مما كنت عليه آنذاك، وان اختلفت الدواعي والاسباب..

* من اصداقائك الاحياء الذين تعزز بهم، وتتواصل بهم هذه الايام؟

- أنهم الاحبة الذين أقول فيهم:

لي صحبة مثل النجوم اذا

جن الظلام تجمعوا حولي

واذكر منهم الاساتذة مرفق الرهايفة وراتب الظاهر، وممدوح أبو دلهوم وفايز محمود
ومحمد احمد عواد ومصطفى الفواخيري وفؤاد الخلفات، والدكتور سمير قطامي،
والشاعر علي البتيري، والدكتور سحبان خليفات وعبد اللطيف الجيوسي وسامي جودة
والدكتور حسن حماد والزميل رمضان رواشدة، والزميل سمير الحيارى والدكتور محمد
عطيات وغيرهم كثير، ثم إن كل من يدخل دائرة معرفتي فهو مؤهل لان يكون صديقي
كذلك، وكل من صادفته في بواكير الشباب ظل صديقاً لي الى هذه اللحظة.

اما الاصدقاء الراحلون فاذكر منهم الاستاذ حسني فريز والاستاذ عيسى الناعوري،
والاستاذ محمد الخشمان رحمهم الله جميعاً.

* بمن أعجب من الكتاب والشعراء والأردنيين الأحياء أو الذين رحلوا؟

- يعجبني وليد سيف ومحمود الريماوي ومؤنس الرزاز وفايز محمود وعبدالله الشحام
من الشباب، والدكتور ناصر الدين الاسد والاستاذ روكس العزيزي والدكتور محمود
السمرة والدكتور احسان عباس، وخالد الساكت من الشيوخ واحب من الراحلين حسني
فريز وعيسى الناعوري وعبدالحليم عباس.

* طرائف من الحياة ترغب في قولها خلال مسيرة العمر أو مرت بك؟

- هي طرفة رواها الداوي لي. اذ كنت طفلاً في الثالثة حين تهت، وحملتني قدماي من جبل
الهاشمي الشمالي الى المحطة ونمت ليلة - هائلة بالطبع - في «مخفر جميل الصالح» ثم
وضعت صبيحة اليوم التالي في «سلة عتال» يسوقه شرطي الى مخفر المدينة...

وموضع الطرفة ان والديّ كانا يصعدان درج منكو، وقد قلبا الدنيا علي واوشكا ان ييئسا
فما هي الا ان لمحتني امي رحمها الل حتى صاحت.

- يا ميمتي.. هاظا ابني..

ثم هجمت فانزعنتني من سلة العتال، والدموع تملأ وجهها الكريم..

السؤال الذي يحيرني الآن: ماذا لو ظللت في السلة؟!

* هل كرمت في حياتك تكريماً مادياً او معنوياً. ومتى واين وكيف؟

- ربما اكون كرمت حقاً، ولكن ذلك كان من ابناء شعبي، ومن قرائي الذين احترمهم واجهد
لاكون في مستوى يليق بهم. وانا في تكريم دائم من اولئك الذين يهاتفونني..

* ما الذي يعجبك من الجيل الحاضر؟ ومن تعتقد انه تحلى بالحكمة السياسية او الوطنية
الاصيلة؟

- لا الجيل الحاضر، في اعتقادي ولا الجيل الماضي اتيح لهما ان يتحليا بحكمة سياسية او
غير سياسية، واعتقد ان طبائع الاستبداد التي تنخر وعينا العربي وراء ذلك، الا ان هناك
ميزة لجيلنا لم يتمتع بها الجيل السابق وهي الدونكيشوتية السياسية ممزوجة بالسطحية
الفكرية.. ودعك من الاستثناءات فهي لا تلغي من الواقع شيئاً..

* ماذا تقرأ هذه الايام؟ ومن يعجبك من الكتاب العالميين؟

- اقرأ «البرهان في علوم القرآن للزركشي» وهو كتاب جامع ومفيد وان كان ينقصه عمق
التحليل كما نجد عن الباقلاني من القدماء او عند الرافعي من المحدثين.

ويعجبني اول ما يعجبني من الكتاب العالميين الكاتب الروسي دستوفسكي اذ هو
«الروائي» باطلاق فيما ارى ورائعته الاخوة كارامازوف هي «الرواية» باطلاق ايضا، ثم
يليه الكاتب الالماني هيومان هسّة صاحب «لعبة الكريات الزجاجية» ثم يليهما «كانت»
الفيلسوف الالماني. و «نيتشه» الالماني ايضا..

* ما رأيك في أدب الشباب، والشعر الحر كيف تراه؟

- لا اعتقد ان هناك ادبا للشباب مقابلا لادب الشيوخ، فالادب اما ان يكون او لا يكون. وانا
اعرف شيوخا مايزالون «اقلاما شابة» واعرف شبابا ناضجين.

اما الشعر «الحر!» فهو اليوم مستعبد لاكثر من عُرف ومكبّل باكثر من قيد، بل أكاد اجزم
ان ازمته اكبر كثيرا مما يقولونه عن ازمة شعر البحور. وسر ذلك كله ان الابداع. على
الحقيقة. فعل حرية ولا يستطيعه الا الاحرار..

* كلمة تقدمها للجيل الحاضر؟

- اقرأوا يا جماعة. من أجل حاضركم ومستقبلكم من أجل احترامكم ولا أنفسكم، من أجل
ان تنالوا شرف التواصل الحضاري مع امة العرب التي كانت، ومع سائر الامم الحية
قديما وحديثاً.. اقرأوا يا ناس..

* الحكمة التي خرجت بها في عمرك، و خلاصة تجربتك؟

- هي حكمة موجزة نادى بها سقراط الاغريقي، «اعرف نفسك» وهي مطلب صعب لا يستطيعه الا الصادقون..

* حكمة او آية قرآنية او بيت شعر يحضرك وتمثل به دائما؟

- يحضرنى قوله تعالى من سورة ابراهيم «يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ» صدق الله العظيم.

* ماذا تتمنى ان يتحقق لك؟

- اتمنى ان يجنبني الله ذل الدين وقهر الرجال. وان يتاح لي من العزلة والفراغ ما أنجز به كتاباً عن «المشهد الكوني في القرآن الكريم» على النحو الذي ارجوه له ثم ان ارى امتي حرة بين الامم..

* المؤتمرات والندوات والمحاضرات التي شاركت فيها باعتزاز؟

- شاركت، بالحضور او بالاسهام الفكري في مؤتمرات وندوات ومحاضرات لا تتجاوز في عددها اصابع اليدين ولست اؤمن بالمؤتمرات سبيلا للتطور الفكري، فاكثرها حافل بالمحاكات اللفظية والتشادق والتعالم، كما ان السياسة تفسدها جميعا، الا ما ندر..

* ما الوظائف التي شغلتها في حياتك؟ وما رأيك في الوظيفة بوجه عام؟

- عملت رئيساً للقسم الثقافي في الإذاعة، وموظف مبيعات في شركة طيران، وموظفاً في الجامعة الأردنية، وفي مجمع اللغة العربية الاردني، ومستشارا في وزارة التعليم العالي..

كما عملت رئيس تحرير لمجلة «افكار» ورئيس تحرير لمجلة «المواقف» ومدير تحرير لمجلة «الرائد العربي»، ومديرا «لمديرية الشؤون الثقافية» في وزارة الثقافة ومشرفا ثقافيا فيها..

وعملي الدائم هو في جريدة الرأي، حيث اكتب الآن عمودا يوميا، كما انني اعمل مسؤولا اعلاميا في الجامعة الاردنية ايضا..

وانا اعتقد ان «الوظيفة هي رق القرن العشرين» كما كان يقول عباس محمود العقاد. وهي فنانة متطورة على اكثر من معنى..

* نص ادبي «شعر او مقالة» ترغب في ان يقرأه الناس؟

- أرغب الى الناس في قراءة «وحي القلم» للرافعي و «المختارات للبشري» و «ترجمان الاشواق لمحبي الدين بن عربي»..

* اي حديث يمر في خلدك وترغب في أن يعرفه القارئ؟

- هو قول رسولنا المصطفى صلى الله عليه وسلم «لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» صدق رسول الله.

العجلوني :

التسلح بالتاريخ يمد المثقف بمصادر القوة^(١)

أجرى الحوار: محمد مشاركة

ما العمل؟ سؤال يلح اليوم على كافة المشتغلين بالهم الثقافي المحلي والعربي والانساني، بعد توقيع المعاهدة الاردنية الاسرائيلية، وما تفرضه من استحقاقات في الميادين الثقافية والقانونية وغيرها اضافة الى طرح فكرة السوق الشرق اوسطي، والعولمة الاقتصادية والثقافية والاعلامية، وآثار ذلك على الثقافات الوطنية والقومية.

ما العمل؟ في ضوء كل هذه المتغيرات المتسارعة والمذهلة والتي تجاوزت كل التوقعات والحسابات المجردة كيف يفكر المثقف الأردني، وماذا أعد لمواجهة الظروف الجديدة، في زمن لم يعد مقبولا فيه، اختصار الرد على مجموعة من المسلمات والمبادئ والثوابت او الشعارات، او اعادة انتاج الاليات والافكار القديمة التي قادت الى الهزائم المتتالية والى انكسار المشروع النهوضي العربي.

وفي مثل حالتنا المحلية، طغى الخطاب الاعلامي السياسي التحريضي على كل شيء بصورة تذكرنا بلغة وأساليب المراحل الماضية، دون ان يفسح الفضاء قليلا لصوت اخر، هو صوت العقل والعقلانية، صوت الثقافة والمثقف.

في الأسبوع الماضي، تحدث الروائي مؤنس الرزاز حول نكوص المشروع النهضوي العربي، الذي كان نتاج عقلية رعوية زراعية، ودعا الى تبني مناهج العقل النقدي العلمي التعددي، التي تحتضن العناصر الايجابية في مجموع المرجعيات الفكرية والثقافية، فيما كان يوصف دائما بالتلفيقية أو التوفيقية، الناتجة عن عجز معرفي وفكري، هذا الاتهام الذي كان يصدر عادة عن اصحاب الايديولوجيات الكلية الشمولية المانعة الجازمة.

وأصر الرزاز على فكرة ان يفرض المثقف العربي طوق العزلة على الثقافة والمثقف

(١) جريدة الرأي ١٨/١١/١٩٩٤

الاسرائيلي، الى ان يتم التخلي عن العنصرية المتجلية في الصهيونية، على ان ذلك هو الطريق الوحيد لاجتثاث التفاعل والفرز داخل المجتمع الاسرائيلي.

ويمكنني القول ان وجهة نظر الرزاز تمثل قطاعا واسعا من المثقفين العلمانيين «القوميين والماركسيين» الذين لا يجدون جدوى من الحوار مع الطرف الاخر، تماما، كما فعل المثقف الاوروبي تجاه الثقافة والمثقف النازي.

اليوم نلتقي اديبا مثقفا واسلاميا مستنيرا هو إبراهيم العجلوني، الذي قدم العديد من المساهمات الجريئة في ميدان تجديد الفكر الاسلامي، وكان هذا الحوار.

• الحرية والعدالة وحدهما تمكّنان العربي من الصمود

• المثقف الاسرائيلي لا يسمع الا صوته وصداه

* ماذا أعد المثقف الأردني لمواجهة المرحلة المقبلة؟

- اعتقد أن مشكلتنا الحقيقية كامنة في أن اسرائيل اليوم هي في لحظتها التاريخية القوية، واننا عربا ومسلمين في أضعف لحظة تاريخية يمكن تصورهما، من هنا يمكن القول ان دور المثقف العربيّ الأردني هو محاولة استنهاض المعطيات النفسية والعقلية التي حفل بها تاريخنا الحضاري في لحظاته القوية، بمعنى اخر، لا يمكن مواجهة الاسرائيليين ثقافيا، بمرجعيتنا الثقافية التي هي عالية على الغرب. ومن الواضح انه لكي يكون الرد حقيقيا وفاعلا فلا بد ان يكون المثقف مسلحا بذاكرته الحضارية وارادته الصادقة الممثلة لكل الحضور العربي الإسلامي عبر التاريخ. ان التسلح بالتاريخ يمد المثقف بكل مصادر القوة، ولعل هذا ما يخشاه الاسرائيليون بالضبط فهم يريدون لنا ان نفصل عن عمقنا وصيرورتنا التاريخية.

ولكن يجب الاعتراف، بأنه وكما كان هناك طبقات للشعراء على نحو ما قدمهم ابن سلام الجمحي فان هناك ايضا طبقات للمثقفين، فالمثقفون الأردنيون ليوا نسيجا واحدا في تعاطيهم مع المرحلة الاسرائيلية، فهناك الاكاديميون، وهناك مثقفو المقاهي، وهناك مثقفو الحوزات الايديولوجية، ومثقفو الدوائر الرسمية، وهناك المثقفون الاحرار الذين لا يقبلون هيمنة ولا يدخلون في صف أو حزب، وهؤلاء وحدهم برأيي الذين يمكنهم مواجهة المرحلة.

* أي مرجعية فكرية وثقافية يقترح هؤلاء المثقفون الاحرار؟

- مثل هؤلاء لا بد وان ينطلقوا من مرجعية ثقافية اسلامية مستنيرة ورغبة وارادة قومية لتحديث المجتمع والثقافة. مرجعية تستمد قوتها من كل بؤر الضوء الايجابية في الفكر العربي والاسلامي، واستغرب كيف لا نتعلم من غيرنا، حيث قامت النهضة الأوروبية الحديثة على إعادة دراسة كل التاريخ والتراث الاغريقي، وباعتقادي ان بإمكان المثقف العربي النهوضي، ان يعود الى التاريخ الفلسفي العربي الاسلامي بهدف أستخلاص الشكل المنطقي لوقائع التراث، في صورة قوانين ونظريات وافكار تخدم عالمنا المعاصر، وتحفظ شخصية وتاريخ وهوية هذه الامة.

إن الفكر الإسلامي ينبغي ان يقدم للعالم باعتباره البديل الإنساني للفلسفة الغربية والمادية المعاصرة والتي اثبتت عجزا مستمرا في تقديم اجوبة على اسئلة الحياة المعاصرة، لا بل كانت مسؤولة عن جرائم كبرى ارتكبت بحق الانسانية.

* المعاهدة الأردنية الاسرائيلية اصبحت قانونا يعلو على القانون الخاص، وسيكون المثقف الأردني في مواجهة، ضغوطات مستمرة من اجل التطبيع الثقافي والفني، هل نحن مستعدون بعبارة أخرى هل نحن محصنون في مواجهة استحقاقات المرحلة؟

- القرار السياسي شيء والقرار الثقافي شيء اخر، والمعاهدة ليست ملزمة للمثقفين الاحرار والمستقلين في هذه البلاد، ولا أدري ما الذي يعطي المعاهدة مع اسرائيل صفة الاستعجال والالزام، فلدينا اتفاقيات ثقافية ومعاهدات مع العديد من الدول الشقيقة والصديقة، لم نعطيها صفة الاستعجال كما يطالبنا البعض حاليا مع اسرائيل. تنفيذ الاتفاقات الثقافية مع بلدان مثل ايران او تركيا او باكستان، بما يعني ذلك من مراكز بحث وترجمة ادب، وتبادل ثقافي، اهم بكثير من التسريع بالتطبيع مع اسرائيل. واضيف ان تعلم العبرية ضروري مثلا، لكنني ارى انه مفتعل، فلماذا لم نتوجه لدراسة اللغة التركية التي بها يوجد أهم المخطوطات العربية والاسلامية أو لماذا لم تترجم مئات الروايات الايرانية الهامة. ان التوجه الى هذا العمق، يعطينا الامل بأننا جزء من ثقافة لها معطياتها المعاصرة.

وفي هذا السياق يهمني أن اؤكد، اننا لن نعدم فيمن نعترضهم من محاورين لنا من الاسرائيليين، من هم اعمق فهما من جمهرة مثقفينا لتراثنا الاسلامي، ولن نعدم اساتذة في الجامعة العبرية، يملكون ان يديروا رؤوسنا بجديتهم وعمق فهمهم لأصول الفقه

الاسلامي والشعر العربي، وللمدارس الكلامية الإسلامية، انهم يهيئون انفسهم منذ عقود لهذه الايام، في حين اكتفى غالبية مثقفينا بالترجمات السقيمة واستنساخ الفكر.

إن مشكلتنا ابعده من قضية معاهدة السلام. ان جوهرها هو ضياع الذات وعناصر قوتها، هم يريدوننا أن نفتح على الاخر، ولكنني اتساءل، هل يمكن أن يكون ثمة انفتاح ولا ذات هناك لكي تنتفح.

أنا اعتقد ان الاسرائيليين لن يبتعثوا من بينهم محاورا حقيقيا لنا، وانما سيبحثون مسوقين لا غير، والمسوق غير المحاور، لقد عاش اليهود بيننا سنوات طويلة وكان لهم حقوق المواطنة وحرية الاعتقاد والعمل، ولم نعدم صداقات عميقة مع بعضهم... هذا شيء، وأن يأتي اليهودي اليوم في سياق استلابي استعلائي شيء اخر، واعتقد أن الاسرائيلي لا يريد حوارا ثقافيا فعليا، فهو في لحظته القوية المُسكرة لا يريد ان يسمع سوى صوته وصداه في أن.

وكما قلت، هم يريدون تسويق بضائعهم الاخرى، الاقتصادية والنفسية والسياسية، يريدون تحقيق اسرائيل الكبرى، التي لم يقيموها بقوة العسكر، والان يحاولون ذلك بالفنادق والمشاريع المشتركة وبقوة الدعاية والاعلام.

وشخصيا لا أخاف من محاوره المثقف اليهودي، ولا استشعر النقص امامه، فكما يقول استاذنا الدكتور احسان عباس، يمكن تصنيف احد اهم المفكرين اليهود وهو موسى بن ميمون كمثقف من الدرجة الرابعة مقارنة بالمفكرين العرب والمسلمين، وتاريخي كمسلم وعربي لا يشفع لي شعور القومية، ولا تاريخ اسرائيل المعاصر يشفع لها شعور القوة.

* هناك متغيرات هائلة على الصعيد العالمي، وهناك فكرة النظام الشرق اوسطي، مع ما يترتب على ذلك من تأثيرات على مستقبل الثقافة الوطنية والقومية، كيف تنظرون الى هذه المتغيرات؟

- للأسف، نحن نساق للحتميات الاسرائيلية سوقا دون ان يكون هناك دوافع ومسوغات موضوعية، فلماذا نحصر انفسنا بالبديل الاسرائيلي فقط مثل فكرة الشرق اوسطية، هناك احتمالات كثيرة وبديلة للخروج من المأزق الذي يصورون لنا صعوبة ان نخرج منه.

حكوماتنا الضعيفة، وانتهاكات حقوق الانسان وغياب العدالة وهشاشة الوعي والإرادة،
كل ذلك أدى إلى لحظة الاستسلام والضعف التي تمر بها الامة.
الحرية والعدالة وحدهما تمكّنان العربي من الصمود والفعل والتفاعل، مشكلة كل
تاريخنا المعاصر انه تاريخ هدر للحريات، فالعبيد لا يصنعون أوطاناً.

• هل هناك أدب اسلامي؟!

• لا يوجد حداثة عربية خارج الاسلام

• الغياب والتغيب حالة واقعة في الأدب الإسلامي

• الأعمال الجوهرية هي المعاصرة، والزائفة خردوات آنية^(١)

أعداد: مريم العموري

مداخلات استجوابية في قضية هامة

يواجهنا باستمرار مصطلح «الأدب الإسلامي» ويُسلّم به كتعريف ذهني غير أن ثمة ازمة قائمة في تعريف الأدب الإسلامي وعناصره وفلسفته، وبالتالي ينسحب ذلك على سؤال جدلي قائم «هل هناك أدب إسلامي» للوقوف على محطات نوعية وفلسفية في قضية الأدب الاسلامي طرحنا الموضوع على عدد من المهتمين كمداخلات استجوابية في قضية مطروحة، وفي هذا السياق كان لنا هذا اللقاء مع الكاتب المعروف إبراهيم العجلوني.

* ماذا عن مفهوم الأدب الإسلامي؟

- مصطلح الأدب الإسلامي هو مصطلح حديث النشأة، ربما لم يستعمل بهذه الصيغة الا في العشرين او الثلاثين سنة الاخيرة، على الرغم من وجود أدب اسلامي منذ مطلع الإسلام نقرأه ويمكن أن نسميه أدباً اسلامياً، أي الأدب الذي يصدر عن روح اسلامية وعن تصور اسلامي للحياة والوجود والطبيعة والموقف الانساني للوجود ويمكن الخلوص من هذه الحقيقة الى ان الادب الاسلامي حقيقة واقعة وحقيقة تاريخية ولكن مصطلح الأدب الاسلامي حديث معاصر.

أنا أعتقد ان الذين يتحدثون عن الأدب الاسلامي لا يملكون ان يقدموا الينا تحديدا ما يعنونه بالأدب الإسلامي، وغالباً ما نجد أن الأدب الإسلامي عندهم هو الأدب الذي يكتبه مسلمون وبهذا أعتقد اننا لا نحصل شيئاً من المعنى الذي نطمح اليه، لقد كان هنالك محاولات كثيرة لتعريف الأدب الإسلامي او الفن الإسلامي او ما شئت من هذه

(١) جريدة السبيل ١٧-٢٣/١٠/١٩٩٥

المصطلحات اذكر مثلاً كتاباً للدكتور عماد الدين خليل وكتاباً لمحمد قطب «في منهج الفن الإسلامي» ومقالات كثيرة لبعض النقاد والمحدثين ولكن الى الان انا شخصياً غير مقتنع بان هنالك مقرباً حقيقياً، وارى ان موضوع الادب الاسلامي لا يزال بحاجة الى بحث فلسفي عميق، يضع القواعد ويضع التصورات والمفاهيم ويحاول بناء نظرية أدبية منطلقة من القرآن الكريم، ومن الحديث النبوي، ومجمل عطاءات الابداع في تاريخنا العربي الاسلامي.

* هل هناك أدب إسلامي بتصوركم؟

- في الحقيقة ان كلامي هنا هو في الجانب النقدي، في جانب تنظير الأدب الإسلامي، أي في الجانب الذي يكفل فيه الحديث عن الأدب الإسلامي والنقد الإسلامي والجماليات الإسلامية، وهنالك كتاب للاستاذ نجيب الكيلاني، «الإسلامية في ادب نجيب محفوظ» اذن هناك مقتربات نقدية ناقشها الان ولا اناقش طبيعة الادب نفسه او فحواه او حقيقة وجوده، ونحن اتفقنا ابتداءً على ان الأدب الإسلامي امر قائم منذ وجود الاسلام حتى اليوم ولكننا اختلفنا حول مصدره ارجو ان لا يدور خلافنا حول الادب الاسلامي لان حقيقة الادب الاسلامي اكبر واعظم من ان نغض الطرف عنها او نشكك بها.

* ميزان الأدب الإسلامي

- أنا احاول ما امكنني ان انظر الى قضية الادب الاسلامي من خلال كاتبين عظيمين، الكاتب الاول هو مصطفى صادق الرافعي والكاتب الثاني هو سيد قطب، الرافعي انشأ لنا ادباً اعتمد الجملة القرآنية واعتمد التصور القرآني واعتمد ما يمكن ان يملأ النفس بأدب الاسلام وروح الاسلام ثم بعد هذا واجه واقعه وامكن له ان يقدم الينا انموذجات عالية جداً من الادب الرفيع، والجانب الاخر بعد هذا الجانب البياني، جانب التصور الفلسفي الذي يمكن ان نكون ظاهرين عليه لدى قراءتنا لكتابي سيد قطب - رحمه الله - «خصائص التصور الاسلامي» «ومقومات التصور الإسلامي» لأنه في هذين الكتابين يضع لنا قواعد التصور الإسلامي وهذه القواعد اذا انطلق منها الكاتب او الاديب، وأشرب قلبه اياها امكن له ان يواجه العالم بحساسية الاسلام، ولا أقصد من الحساسية معناها السائد المبتذل حالياً، إنما أقصد الرؤية الإسلامية الرحبية للوجود ولمكانة الانسان في هذا

الوجود واستخلافه فيه، هذه الرؤية اذا امتزجت بالقدرة البيانية التي لدى الرافعي امكن لنا ان نقف على ما نريده بالأدب الإسلامي لكن هنالك أدب يكتبه مسلمون وهنالك قصائد يكتبها مسلمون وهي قصائد درجت على اعتماد الاساليب القائمة حالياً، انا لا اعتبرها ادباً اسلامياً، يمكن للانسان منا ان يقرأ رواية عالمية مثلاً لنقل الاخوة كاراموزف لدستويفسكي.. هذه الرواية بطريقة او باخرى هي رواية اسلامية لماذا لأن فيها واقعية في تناول النفس البشرية اللوامة، النفس التي تواجه طريق الخير والشر النفس التي هداها الله النجدين فاضطربت بينهما، والنفس التي تصارع الشر في داخلها وتسمو الى الخير من خلال شخصيات موجودة في هذه الرواية بعضها يطرح الخلاص الديني، خلاص الايمان بالله وان كان المقرب هو المسيحية والارثوذكسية وليس الاسلام ولكن المعنى العام ان هذه الرواية تؤرخ صورة من الحياة فيها اناس مضطربون اناس يعانون ازمة عقلية وازمة روحية ويبحثون عن طريق الخلاص وقد يكون هذا السبيل على طريقتهم خلاصاً مسيحياً ولكن قد يكون عند الكاتب المسلم خلاصاً اسلامياً. المقصود هو ان الأدب حين يتناول الانسان بواقعه ثم يتناوله بأشواقه الروحية يصير بحق أدباً دينياً ثم يتفرد الأدب الإسلامي برويته الأكثر سعة للأشياء وبروحه الواقعية للانسان وكونه من مادة وروح، فاذا انطلقنا من ظلال اسماء الله الحسنی باعتبارها قيماً هادية نستطيع ان ننظر الى الوجود نظرة جمالية، ان نجعل من حياتنا انطلاقاً وشوقاً دائماً لتحصيل معنى هذه الحياة، وهنالك مقتربات كثيرة ولكن من الذي يقول ان كتاب «نهج البلاغة» في كثير من نواحيه لا يقدم ادباً اسلامياً، من يقول ان الحديث النبوي الشريف اذا قرأناه قراءة اسلوبية بلاغية لا يتبين لنا انه الذروة في الأدب الإسلامي، من الذي يقول ان الادب العذري لا يغطي جانباً مهماً جداً في الأدب الإسلامي ولا يقدم لنا انموذجاً من النفس البشرية وقد رققها الاسلام، وجعلها سامية ونأى بها عن ادران الجسد وهمزات الشياطين، الحقيقية ان القضية ابعد ن ان يحكم فيها او ان يُحكى بها من قريب لانها قضية كبيرة وقضية بحاجة الى ان يتنادى إلى دراستها الباحثون والنقاد وان يخرجوا من هذه التقليدية السائدة.

* موقف الأدب الإسلامي من المدارس المعاصرة وتحديداً... الحداثة

- الأدب فن يصدر عن وعي حقيقي لاركان وقواعد الاسلام ومن يتمثل كتاب الله في بيانه وفي جملة خطابه المعرفي وفي جملة مواجهته العقلية يملك ان يقول انه لا حداثة خارج

الإسلام فالقرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان ويملك طابع الحداثة لكل امر من امورنا.

* الإلتزام في الأدب:

- المسلم ملتزم بأصول عقيدته، وهي أصول تُمدّه بتصور شامل للكون والحياة والاجتماع الانساني، ويكون ذلك في اطره العريضة لا تفصيلاته الدقيقة، أي ان للكاتب حرية في اختيار الجنس الأدبي الذي يريد والأفاق التي يوجّه نظره إليها، والاسلوب الذي يختار، واللغة التي يريد، ثم إن له في تلك الاطر المتباعدة ان يكون صاحب رؤية خاصة به، بل لا بد له ان يكون صاحب رؤية خاصة به وصاحب حساسية خاصة بازاء الاشياء لان ذلك هو سبيل ثراء الوعي والوجدان، فالنمطية مرفوضة هنا، والدخول في الصفوف مرفوض ايضاً، الا ان يكون ذلك في القضايا الكبرى التي تقتضي مثل هذا الدخول، وهو سيكون في هذه الحالة دخولاً متميزاً بكل معنى.

فاذا كان هناك «صلاة جماعة» فان هناك سُناً تؤدي بشكل منفرد، ونوافل، واجتهادات، وسبقاً روحياً مفتوح الافاق.

الألتزام عندي يعني هذا كله.. ويتطلب هذا كله كاملاً غير منقوص.

* التراث والمعاصرة:

- ثنائية مفتعلة، فالمعاصرة «الجوهريّة» في أي زمن هي معاصرة لكل الازمنة معاً، المسألة مسألة جوهر وعرض، الجوهر دائمة الحضور والاعراض زائلة.

كل عمل ادبي اصيل وجوهري هو عمل معاصر لنا، وكل عمل زائف فهو منطقي لتوه، وهو خردوات أنية، قد ينتفع بها بعض الصغار الى حين ثم يلقونها حين يكبرون...

اما التراث فهو الجذور العريضة الذي تستند إليها أريكة الحضارة وهو الذي يدفع الحياة الى الاوراق المتراقصة على عين الشمس واذا حذفنا التراث - وهذا مستحيل - حذفنا الذات المبدعة نفسها، فغدت ورقة يابسة في مهب الريح.

* صحافة «الأدب الإسلامي» ومؤسساته

- أعتقد ان «الصحافة الاسلامية» في غالبيتها، ليست في مستوى المهمات التي ينبغي ان تتصدى لها، فهي قائمة عموماً على ما يكتبه المسلمون باعتباره ادباً اسلامياً، وهذا مقياس غير دقيق، ولا بد من التماس مقياس اخر لاسلامية الادب والفن، واقترح هنا ان يُصار الى عقد مؤتمر نقدي لبحث هذه المسألة.

ثم ان من يتصدون للادب الاسلامي ينقصهم في اعتقادي البعد الفلسفي للمسألة وهي ثغرة لا بد من الاعتراف بها أولاً ثم العمل على تلافيتها.

* سبب غياب الأدب الإسلامي عن الساحة الثقافية.

-الغياب والتغيب هنا سواء.. الا ان اموالاً كثيرة تسفح لاصدار كتب ومطبوعات ذات طابع اسلامي، تعطي احساساً غير حقيقي بأن كل شيء في طريقه المرسوم، وان ليس في الامكان ابداع مما كان.

فالعملة الرديئة بحسب قوانين السوق الحالية تطرد العملة الحسنة، والازدحام بطبيعته طارد للمواهب المفردة المتميزة.

في الثلاثينيات كان لدينا الرافي والعقاد وعلى احمد باكثير واحمد شوقي ومحمد سعيد العريان، وحافظ ابراهيم وعبدالعزیز البشري «فمن لدينا اليوم؟!»

وعلى اية حال، فالحضور لا يكون بامر رسمي والغياب لا يكون كذلك ايضاً، فمتى كانت لدينا العبقريات الفردية التي تصدر عن قواعد الاعتقاد الاسلامي، كان لنا الحضور الذي نريد.

واحسب ان غياب هؤلاء هو السبب الرئيسي في غياب الادب الاسلامي عن الساحة الثقافية.

* لماذا لا يوجد الان ادباء كبار كالرافي والعقاد وشوقي؟

-وجود الاديب الكبير، مرهون بوجود الارادة القوية والهاجس المعرفي الاصيل، ناهيك بما هنالك من اسباب خاصة دافعة يتفق وجودها.

والارادة القوية «وهي اخلاقية بالضرورة» والهاجس المعرفي الاصيل «وهو اخلاقي ايضاً» لا يكونان في غيبة القيم واضطراب الموازين.

فالارض التي انبتت اولئك لم تعد هي هي .. لقد افسدت الكيماويات المجلوبة تربتها،
فكأنها صعيد زلق، أو صفوانٌ صُلْدٌ.

لكن ثمة مناخات لم تُلوث بعد، والامل معقود عليها.

ومن المنتظر في ضوء انتباه العرب والمسلمين الى انفسهم، والى كنوزهم المعرفية
والذوقية، التي نأمل أن لا تلهيهم التجارة عنها، ان تشمخ المواهب، وتستوي على
سوقها، وتكون زينة للناظرين.

المفكر والأديب الأردني إبراهيم العجلوني:

• غالباً ما ينظر الغرب للأخر على أنه خطر ينبغي تصفيته^(١)

أجرى الحوار: منتصر حمادة:

لم تنتظر زيارة يومية «الرأي» الأردنية حتى نطلب لقاء الكاتب والمفكر إبراهيم العجلوني، صاحب العمود اليومي في اليومية الأكثر انتشاراً هناك، وإنما التقيناه على هامش أشغال دورة تدريبية تميزت بمشاركة العديد من الإعلاميين العرب والمسلمين القادمين من شتى أقطار العالم، فكانت أغلب مداخلته تنم على عمق في التحليل، وكانت بالتالي الفرصة مواتية لإجراء هذا الحوار مع قلم سبق أن شغل منصب رئيس تحرير مجلة «أفكار» الأردنية. ومستشاراً في وزارة التعليم العالي، كما سبق له أن أصدر مجلة «المواقف»، وعمل مسؤولاً ثقافياً في «الرأي» (ما بين ١٩٨٤ و ١٩٩٤). له سبعة وعشرون كتاباً، نذكر منها على وجه الخصوص: «في الفلسفة والخطاب القرآني»، «فصول في الفكر العربي»، «مسلمات في ضوء التحقق»، «الوعي المتمرد»، «اللا حوار مع السادة الأمريكيين»، «في الفكر القومي»، ومؤلفات أخرى عديدة تتفرع على الفكر والشعر والرواية.. وهو عاكف الآن على تحرير مبحث «مناهج النظر في الإسلام» الذي من المنتظر أن يصدر في ثلاثة أجزاء.

* لننتقل من أوضاع الساحة العربية والدولية المتشابكة إلى حد اختلاط الأوراق على الكل.

كيف تقيمون طبيعة العلاقة القائمة بيننا وبين الغرب؟ وهل يصح الحديث فعلاً عن صراع قائم، سواء اتخذ طابعاً حضارياً أو دينياً أو حتى هوياتياً؟

-أعتقد أننا لسنا في حالة صراع بالمعنى الدقيق لهذا اللفظ، فالصراع يقتضي وجود طرفين، كل منهما في حالة تدافع مع الآخر وجذب ورفض، أي أنه ثمة منازلة قائمة بين الطرفين.

العالم الإسلامي مستعمر للغرب منذ أكثر من مئتي عام، حتى لا يظن بأنه حوار بين الغرب والشرق أو بين الشمال والجنوب، هو حوار غير متكافئ الطرفين بين الغرب وصنائه، سواء كانوا في الجنوب أو في الشرق. الغرب يحاور ظلاله الشائثة في بلادنا ولا

(١) جريدة القدس العربي

يحاورنا على الحقيقة.

أيضا لا يوجد صراع على اعتبار أننا قوم مستعمرون. وإذا كنا سننخدع بوجود دول مستقلة، فهذه دعوة عريضة في الواقع، لأننا غير مستقلين، ما دام الأستعمار قد خرج من الشباك ليدخل من الباب العريض.

• غياب الممثلين الحقيقيين للحوار

* هل يصح القول ان طبيعة «الحوار» القائم اليوم، كونه يتم بين الغرب السياسي والشرق السياسي، أي أننا نشهد غيابا للمثلين الحقيقيين للغرب والشرق على حد سواء؟

- هو حوار قائم بين الغرب السياسي والشرق السياسي الذي تمت صناعته على يد الغرب، وليس مع الممثلين الحقيقيين لهذه الامة.

أما فيما يتعلق بهذا الأستعمار، فنحن قوم مستعمرون وندافع عن البقية الباقية من امتنا.

* لنبق إذن مع الحوار الحقيقي والمفروض أن يجمع بين الممثلين الحقيقيين للغرب والشرق. ما الذي يمكن أن يمكن أن يقدمه الإسلام اليوم للغرب؟

- كما قدم الإسلام للغرب في اول نهضته في القرن الثالث عشر، موازين التفكير والاستنارة الفكرية وقيم التسامح والمنهج العلمي، يستطيع الإسلام أن يقدم مرة أخرى قيم التسامح والاستنارة من خلال اعتبار الآخر توسعة على الروح، وليس حالة مضادة تقتضي التصفية.

الغرب ينظر للآخر على أنه خطر ينبغي تصفيته. وللأسف اليوم، يتم تمرير صورة للإسلام على عكس ما هي قائمة، فالإسلام دائما اعطى دروسا للآخر على أنه امتداد له، وكان دوما مثل «البوصلة الروحية»، كما حصل مع توسعة المسجد الحرام على أساس أنها توسعة للروح، وهذا يدخل في نطاق أن الغرب أخ لنا لم يهتد بعد، وأخ مطلوب أن نفتح عليه.

* ألا ترون ان مسلم اليوم يعيش ازمة مفاهيمية كبيرة سببها تشتت التعاطي مع النص الديني بالصيغة المأزقية القائمة بين جماعات «الإسلام الحركي» و «الإسلام الرسمي» إن صحت هذه التسميات؟

- في الحقيقة الإسلام أكبر من الأحزاب وأكبر من الحوزات ومن المذاهب، ولقد سبق لأستاذنا مصطفى الشكعة منذ أربعين عاماً أن أكد على هذا الطرح في كتابه «إسلام بلا مذاهب».

فالإسلام أكبر من كل هذا لأنه أصلاً كان أسبق وأبعد غوراً.

لنتأمل حقبة الرسول عليه الصلاة والسلام وهو النموذج الأعلى للمسلم، أيام مجتمع المدينة فهو نموذج المدينة الفاضلة، حيث لم تكن هناك هذه الأحزاب الإسلامية ولا هذه الإيديولوجيات القائمة حالياً، ومعها هذه المذاهب.

ولكن، في المقابل، يجب ألا ننظّم هذه الأحزاب، لأنها ردة فعل طبيعية على هذا الكيد الذي يكاد به العالم الإسلامي وعلى تفريط السياسيين المسلمين.

مشكلتنا اليوم في العالم الإسلامي منذ مئتي عام وأكثر هي مشكلة السياسيين المسلمين لانهم لا يمثلون التمثيل الحقيقي شعوبهم.

*** تقصدون غياب الشرعية؟**

- هناك غياب التمثيل الشرعي لهذه الأمة، واعتقد ان الكثير من السياسيين في العالم الإسلامي عينهم على الغرب وليس على الإسلام.

نحن بقدر ما ننتقد هذا التزمّت المذهبي القائم لدى بعض الجماعات، ينبغي أيضاً ان ننظر إليهم في شروطهم الموضوعية، لانهم قوم مضطرون إلى اللجوء لمثل هذه الممارسات.

• «أطلانتيس إسلامية» مفقودة

*** هناك بعض الأطروحات تذهب إلى الحديث عن حركات إسلامية بزغت نتيجة «صدمة الحداثة» أو كرد فعل على الحداثة حسب تعبير البعض الآخر؟**

- بحكم ما جاء في كتابنا، أي القرآن الكريم، نجد أننا أمة مأمورة بأن تكون أمة دعوة في هذا العالم (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف). فالقضية إذن ليست في الظروف التي تقف وراء مشروعية قيام الجماعات الإسلامية، بقدر ما تعكس ضرورة عودة الإسلام ليكون المتحكّم في شؤوننا.

ثم إن الإسلام دين عالمي، وحاجة البشرية إليه أضعاف حاجتنا نحن المسلمين، وهنا أستحضر كتاب أبو الحسن الندوي: «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟»، فالعالم بالفعل خسر خسارة كبرى، وما يعقد الأمور أكثر، ذلك التعصب الديني الاعمى لدى الأمريكيين ولدى كثير من الدوائر في الغرب، حيث يحول ذلك بينهم وبين فهم المنجز العلمي المنطقي والتحليلي للإسلام.

*** التعصب الديني في الغرب انتج أيضا التعب الديني في الشرق، أليس كذلك؟**

- نعم. ثمة قارة إسلامية مفقودة أو «اطلانتيس إسلامية» مفقودة، على الحدود الفاصلة بين أصول الدين أو علم الكلام وأصول الفقه، حيث المنطق الإسلامي لم يتم يتجاوزه إلى هذه اللحظة، في قدراته التحليلية في مواجهة العالم ومواجهة النصوص. فضلاً عنه أنه من حيث المبدأ يبقى قادراً على تجاوز الكثير من الإشكالات المطروحة في الغرب.

أين فينتغشتاين ومور وآير وجماعات التحليليين المنطقيين في أقصى تجلياتهم من الإمام الجويني ومن الغزالي ومن الباقلاني في قدراتهم التحليلية، ومن ابن الوزير اليماني وغيرهم كثير.

تعصب الغرب يحول بينه وبين فهم وإدراك مفاهيم القارة المفقودة، وأيضا تخلفنا نحن العرب يحول بيننا وبين فهم أو القدرة على اكتشاف هذه القارة. فلو كان العالم في غير هذا العدا والصرع لأمكن أن نلتفت جميعاً غربيين وشرقيين إلى فضل هذه الحضارة على الإنسانية، ولأمكن ان تعيش البشرية في ظلال المعاني القرآنية، ولأمكن لنا أن ننوّر أسماء الله الحسنى أو نرى إلى تمثلاتها في واقع البشر.

• الخسران المبين ليس على العرب وحدهم، ولكن على كل الإنسانية.

*** للفيلسوف المغربي طه عبدالرحمن أطروحة نعتبرها قيمة في هذا الصدد، مفادها اننا نعيش في ما يصفه بـ «الزمن الأخلاقي الإسلامي» (نسبةً إلى المسلمين بالطبع وليس الإسلاميين)، وهذا يحتم علينا تحمل كامل مسؤولياتنا الأخلاقية تجاه ما يحدث في العالم بأسره.**

كيف تقيمون هذه الأطروحة؟

- ما يذهب إليه أستاذنا وأخونا الكبير الدكتور طه عبدالرحمن، وهو صاحب مدرسة فريدة، ورائد من رواد الفكر الإسلامي حتى في القرن القادم فيما أعتقد، يصدر من مشكاة واحدة،

مع القول النبوي الشريف: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». لم يقل الرسول عليه الصلاة والسلام أنه بعث ليتمم الأنساق الفلسفية ولا الأنساق المعرفية ولا النظريات العلمية، لأن هذه مسؤولية معلقة في طوق البشر وفي تراكم الخبرات التي نحصلها، ولكنه جاء للمهمة الصعبة التي تبقى في حاجة إلى مكابدات روحية ومكابدات في واقع الحياة، وهذه مهمة الأخلاق.

اعتقد ان الجبهة الأخلاقية الإسلامية تبقى جبهة عالمية، فحيثما كان الرجل ذا خلق وذا قيم وذا مبادئ تتجاوز هذا الواقع المنتكس، فهو أيضا في صف المسلمين، على اعتبار أن المسلمين لا يخوضون الحرب الخاصة بهم، إنها حرب روحية إن صح التعبير، فهي ليست حربا بالسلح، وإنما حرب قيمة.

* ما الذي يحول دون أن يفرز العقل العربي والإسلامي المعاصر أمثال الجويني والغزالي وابن عربي على سبيل المثال لا الحصر؟

- علينا ان نتذكر ان عملية التثقيف في العصر الإسلامي كانت قائمة على الهاجس المعرفي الداخلي المنطلق أيضا من التعاليم القرآنية. هناك تعاليم قرآنية خاصة بالمعرفة.

الهاجس المعرفي في الإسلام يبقى هاجسا داخليا وذاتيا ومؤسسا إذن بهذه التعاليم الواضحة، أي منذ ان نزل قوله عز وجل: «اقرأ»، إلى «قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق»، او «كيف كانت عاقبة الذين من قبلكم». نحن مدفوعون إلى كل ألوان النظر بدافع التعاليم القرآنية.

* أين مكمن الخلل إذن؟

- المشكل اليوم أن الهاجس المعرفي انقده في هذه الأمة، وأصبح هاجسا يحقق المرء المسلم من خلاله نفسه، أو يحقق ذاته بالمصطلح النفسي، ولذلك لما أقيمت المدرسة النظامية، أقام بعض علماء وطلبة المسلمين في شرق دولة خراسان جنازة للعلم، باعتبار أن العلم الذي كان هاجسا ذاتيا أصبحت الدولة مشرفة عليه.

أعتقد انه كان مفروضا أن يبقى العلم من مهمات الجماعة المسلمة وليس من مهام الدولة، فهذه الاخيرة قد تكون عاملا مشجعا، ولكن الدور الرئيسي منوط بالجماعة المسلمة، حيث تفتح المدراس وتأتي بالشيوخ والطلبة والمريدين، بدليل أننا كنا نشهد

الترحال بين بلد وآخر على الأقدام فقط من أجل الالتحاق بحلقة دراسية خاصة بأصول الفقه أو أصول التفسير.. الخ.

لقد فقدنا هذا الهاجس المعرفي، وأصبح العلم عندنا عبارة عن مناهج مدرسية تضطر إليها، ولا تكتب بأصالة، بمعنى ان كثيرا منها يملأ علينا إملاء، ولا تساير هذا الركب العلمي.

• صورة الإسلام قبل وبعد الثلاثاء الأسود

* كيف تقيمون صورة الإسلام اليوم في الغرب عموما بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، خاصة وانها أصلا لم تكن سوية من قبل بصدد تراكم مقدمات شتى؟

- كان للإسلام في الغرب حضور عظيم في القرن السابع عشر، وكانت النخب الغربية وخاصة النخب الألمانية، تقدر الإسلام تقديرا كبيرا، وذلك منذ «ديكارت» الذي كان يحتفي بالغزالي احتفاءً خاصا، إلى «كانت» الذي جعل من عبارة «بسم الله الرحمن الرحيم»، وباحرفها العربية، غرة رسالته للدكتوراه، إلى «جوته» الذي رثى شهداء بدر في «الديوان الشرقي للشاعر الغربي».

لقد قامت في وعي النخب الأوروبية، ولا سيما الألمانية، صورة مشرقة للإسلام، قبل قدوم الاستشراق الذي شوه هذه الصورة، ودخلت الرغبة في امتلاك الشرق والسيطرة عليه قبل الحروب الصليبية، في تشويه صورة الإسلام الذي جاءهم مع الرشدية في مرحلة سابقة، حيث لم يشفع حديث شبنجلو عن «المطلق العربي» ولا حديث نيتشه عن الإسلام - الذي سحقت مدنيته في الاندلس والمغرب بغاء ووحشية - ولا رؤية توينبي للإسلام.

أعتقد ان الإسلام مقبل في الغرب على حضور حقيقي وأتوقع أن تتوجه النخب الغربية إلى تبني فهم موضوعي لهذا الدين، وسيكون آنذاك دين الغرب، او دين اوروبا وامريكا وذلك مع بدايات القرن الثاني والعشرين، وهذه نبوءة.

وأعتقد أيضا أنه واجب علينا بسبب هذا التصور او التنبؤ الذي يقوم على أسس واقعية، أن نقوم بدورنا أيضا، بأن نكون مسلمين على الحقيقة وليس مسلمين مزيفين.

* هل يصح الحديث عن فكر او عقل خاص بتداعيات الثلاثاء الأسود، سواء تعلق الامر بالعقل الغربي أو «الشرقي»؟

- سبق لي أن أشرت في كتاب «اللا حوار مع السادة الأمريكان»، إلى أننا في حاجة صارخة إلى نقد العقل العقل السياسي الغربي، لا «العقل المجرد» وحده على طريقة كانت.

وأشرت أيضا إلى انه في حال فتح باب هذا النقد، فإننا نحن العرب اولى الناس بتحقيقه، وأكثر الناس فائدة وعائدة من ذلك، لما نحن مبتلون به من خزعات هذا العقل وتحكماته، ولما تجره علينا سفاهته من ويلات.

* لكن، ثمة فوارق جوهرية قائمة بين العقلانية التنويرية الغربية كما تشيرون إليها في نفس المؤلف وبين العقل السياسي الفاعل اليوم، لنقل بتعبير أفصح، انه ثمة فوارق جوهرية بين العقل السياسي الغربي والعقل الثقافي هناك، بمعنى ان ما يصدر عن الإدارة الامريكية، بصفتها إحدى أبرز تجليات العقل السياسي يبقى مختلفا عما تسطره العديد من الأقلام الثقافية المسؤولة، من قبيل تشومسكي او هيرمان مثلا؟

- كلام صحيح، ومع ذلك، يبقى العقل السياسي الغربي مبسوطا أمامنا، لا تخفى منه خافية في مجمل أفعاله وتجلياته، إنه عقل مسطح، وأقرب تشبيه له في فعله ورد فعله هو المبارزة التي تقوم بين رجلين غاضبين، يحرص كل منهما على المسارعة بإرداء صاحبه قتيلا قبل ان يكون هو نفسه القتيل. إنهما لا يبحثان في الأسباب ولا في العواقب ولا في ما بين الأسباب والعواقب من شؤون وشجون، ولا ينظران في احتمال ولا مأل، بل يدوران دورانا مجنوننا حول فكرة القتل: قتل الآخر، فردا أو جماعة او حضارة، وتلك هي المقولة الوحيدة في ذلك العقل المسطح.

الكاتب الأردني إبراهيم العجلوني

• التصوف انخراط في ايقاع الحياة^(١)

حوار: وفاء مطالقة

إبراهيم العجلوني كاتب أردني معروف. نشر نصوصه الاولى في مجلتي «الاديب» و «الآداب» واصدر ديوانا شعريا ورواية وسبعة كتب في النقد والفكر. «الشام» التقت في عمان وحوارته حول تجربته في الكتابة وقضايا وهموم الحركة الأدبية في الأردن

* ما هي الدوافع الكامنة وراء المسحة الصوفية والوطنية التي تسود كتاباتك؟ هل هي ناتجة عن البيئة التي عشت فيها أم عن تأثرك ببعض مفكري العرب والمسلمين ممن تغلب عليهم المسحة الصوفية؟

- نشأت في بيئة قروية متدينة، وفيما اذكر كان جدي شيخ كتاب القرية في «الصريح» وهي بلدة تمتاز الى هذه اللحظة بنزعة اهلها الدينية المغرقة. بيئتي دينية تكثر فيها التواشيح والاستماع الى القرآن الكريم الموجود والى الاشعار خاصة اشعار عمر بن الفارض واشعار البوصيري وشعر المتصوفة. وصادف ايضا ان والدي كان يكتب الشعر النبطي ويتقن العزف على آلة الربابة ويكتب أحيانا الشعر الفصيح، وصادف أيضا أن عمي كان عازفاً على العود فنشأت في بيئة دينية الايقاع الموسيقي لا ينتهي في جنباتها فعلقنت نفسي بالاوزان والالحان والشعر بوجه عام وما أن بدأت في مرحلة المراهقة حتى بدأ ذلك الأحساس الخاص ازاء العالم يغمرنى. وهنا بدأت الكتابة فكانها لون من محاولة اعادة التوازن مع الحياة الخاصة، إنَّ البيئة شحنتني بأفكار وأشواق روحية كثيرة. واذكر أنني بدأت أكتب الشعر كمحاولات بسيطة وانا في الثالثة عشرة من عمري. لكن هذه الامور لم تستو ناضجة الا فيما بعد حين نشرت مجلة «الأديب» البيروتية اول قصيدة لي بعد أن راستلتها أعواما طويلة وكانت بعنوان «أن الاوان» وهي قصيدة وطنية تتكلم عن فلسطين وتحريرها. بعد ذلك تعلق قلبي بالكتب تعلقا شديدا واخذت أتردد باستمرار على مكتبة أمانة عمان للمطالعة.

(١) جريدة «الشام» ٢٤/١٠/١٩٩٠

* وكيف كانت العائلة تنظر الى هذا الوضع؟

- واجه والدي هذه الحالة المستعصية لابنه بروح حضارية فقد قال لي اذا كنت تريد ان تصبح «عقادا» اخر فلتكن. وبعد سبع سنوات تشكلت فيها ادبيا فعلا، واصبحت انشر في مجلات عربية مثل «الاداب» البيروتية و «الادباء العرب» القاهرية وفي «العربي» الكويتية وفي ملحق «الهلال» الادبي في مصر و «الثقافة العربية» الليبية وعدد اخر من المجلات والملاحق الأدبية العربية. وانا أعتبر هذه المرحلة هي مرحلة فقدان التوازن الاجتماعي، لكن في محاولة لايجاد التوازن المعرفي اذا صح التعبير. ثم مضيت في الحياة اقرأ كثيراً واكتب قليلاً. وتتابعت الاصدارات الى هذه اللحظة حيث أصدرت عشرة كتب منها ديوان شعر ورواية «الوجوه» وسبعة كتب فكرية. واول كتاب لي أسمه «تقاسيم على الجراح» نشر في بيروت عام ١٩٧٢ عن دار عويدات. وأنا أعتبر أن اي ديوان او كتاب أول لشاعر اذا كان صادقا سيكون هو ديوانه الاخير. بمعنى انه مهما حاول بعدئذ أن يتعمق في مشاعره سوف يعود دائما ال نفس الدفقة الروحية والنفسية التي كان قد توصل اليها في كتابه الاول. اذكر كيف تقدمت بديواني الاول الى دار عويدات للنشر في بيروت. كنت ذاهبا الى السنة الاولى في جامعة بيروت العربية لدراسة الادب العربي، وكنت احمل دفترتي المليء بالشعار الخاصة بي، وذهبت الى دار النشر لاحضار بعض النسخ من ديوان الشاعر المرحوم علي فوده وهو فلسطيني أردني وكان طلب مني ان آتية ببعض النسخ من هذا الديوان. وصادف ان قرأت بعض أشعاري المكتوبة في دفتر خاص للدكتور احمد عويدات، وكان بعضها منشورا في «الاداب» البيروتية. طلب مني أن ينشر لي مجموعة شعرية لكوني أكتب في مجلة «الاداب» فعبرت عن ارتياحي للموضوع. وبعد أن أجمع المسؤولون في دار النشر على ان هذا ديوان ينبغي ان يطبع في دار عويدات طبع هناك الا انه لم يلق اصداء في الأردن. واعتقد ان السبب كان وجود الشلية الادبية التي كانت مسيطرة في تلك المرحلة. يحمل هذا الكتاب مكانة خاصة في نفسي كونه الاول لي، وأحب الكثير من قصائد هذا الكتاب الذي يسكنه الهم الوجودي بالدرجة الاولى. كنت مغرما بأبي العلاء المعري، وعلي محمود طه وأحمد شوقي، وبالتالي لم اجد نفسي منسجما مع الروح العامة في تلك المرحلة. وكان انسجامي مع نفسي ومع قلق الوجود وقد تكون تجربة الموت أخذت الجزء الاكبر مع هذا الكتاب.

* تجربة الموت؟ ما الذي دفعك الى ذلك؟

- الإنسان حين تكون الحياة في داخله متوفرة وفي أقصى درجات حضورها وتجليها لا بد ان يشعر ايضا بوطأة الموت، لانه لا يشعر بمعنى الموت فعلا الا من ادراك معنى الحياة، ففي تلك السن كنت منطويا على طاقة حيوية استطيع القول ان بقاياها ما زالت معي، وأن لها حضورا متسائلا. هذه التساؤلات الوجودية وجدت بعض الاجابات عليها فيما كتبه أبو العلاء المعري في اللزوميات وسقط الزند. كانت تجربتي الذاتية الاولى في هذا الديوان الذي خرج من مشكاة الروح خاصة ولم يخرج من خلال اخرين او تأثرات باخرين.

* هذا يدفعنا الى السؤال عمن تأثرت من المفكرين والادباء العرب؟

- تأثرت بابي العلاء المعري والمنتبي وجبران خليل جبران وأحمد أمين وأحمد حسن الزيات ومصطفى صادق الرافعي والعقاد وطه حسين. واتذكر هنا أنني في عام ١٩٦٨ انشأت مع مجموعة من رفاقي رابطة اطلقنا عليها أسم «رابطة عشاق المعرفة»، وتعاهدنا مع أنفسنا على ان يقرأ كل واحد منا كتابا كل اسبوع، ويقدم تقريرا عنه في ندوة جامعة، ويدور هناك حوار مشترك بيننا جميعا. ولكن هذه الرابطة لم يتح لها المجال لان تستمر، ولكنها كانت تعكس مدى شوقنا للذهاب بالقضية المعرفية إلى أبعد حد. في هذه المرحلة كنا قد اتقنا احتذاء الاساليب في الكتابة. مثلا يسأل احدنا من منكم يكتب مقاله على طريقة طه حسين او الرافعي، واذكر انني كنت قد كتبت كتيباً صغيراً اسميته «عبقرية فلان» تحدثت فيه عن أحد أصدقائنا واتخذت فيه اسلوب العقاد من حيث مفتاح الشخصية وعناصرها.

* وماذا عن الادباء الغربيين؟

- قرأت مترجمات لديكارت «تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الاولى» و «مقال في المنهج» وتأثرت به كثيرا. وقرأت «لسينوزا» رسالة اللاهوت والسياسة و «بيرغوسون» «منبعا الاخلاق والدين» و «الطاقة الحيوية» وما ترجم «لبيرتراند رسل» ووجدت أن أكثر الفلاسفة الغربيين القريبين الى قلبي هو «نيكولاي برديائيف» الفيلسوف الروسي الذي كان يرى أن الروح هي التي تقود مسيرة التقدم، وأن المادة لا بد ان ترجع بالانسان للوراء و يرى أن الفلسفة المادية ومنها الماركسية فلسفة رجعية بهذا المعنى. ولا بد من القول بانني اميل دائما الى قراءة الامور من منابعها، فمثلاً وجدت نفسي في فترة من الزمن مغرماً بقراءة ما كتب «هيغل» فاتيت بالكتب التي ترجمت لهيغل نفسه وهي قليلة عموماً ولا

سيما بعض كتاباته عن فلسفة الحق وبعض كتاباته عن فلسفة التاريخ، اما ما كتب عنه من الكتب فهي كثيرة ولا تسمن ولا تغني من جوع. يجب أن يواجه الانسان المفكر نفسه، فحين تقرأ مقالا في المنهج ديكرت وجمهورية افلاطون وتدير المتوحد لابن باجة أو أي كتاب فلسفي اخر سواء كان عربيا أو مترجما فهذه القراءة المباشرة بدون وسطاء هي التي تساهم في التكوين النفسي والروحي للإنسان. وأنا اجمالا احتكم الى التجربة الذاتية في الحياة.

*** هل لك أن تعطينا مثلا على ذلك؟**

- لي كتاب أسمه «مسلمات في ضوء التحقيق» عمدت فيه الى مجموعة من المسلمات التي سادت واقعا الثقافي والنقدي دون أن يفكر أحد في هذه المسلمات فمرت علينا وكاننا صم عمي بكم حيث أخذنا هذه المسلمات واستعملناها كجزء من جهازنا المفهومي، واعتبرناها اداة معرفة دون ان تملك شرف ان تكون اداة معرفة فمثلا عقدة اوديب اتى بها فرويد ليفسر بها بعض الظواهر الاجتماعية والحياتية، وهي قائمة على أسطورة، وكان سؤالي البسيط كيف لاسطورة ان تكون مستندا لنظرية علمية؟ اسميتها «عقد الثقافة الهيئية»، أن مثقفينا عموما وبعض كبار نقادنا يعتمدون على هذه العقد مثل عقدة اوديب وعقدة الكترا واورست، ويفسرون الادب بها لقد وجدت انه لا بد ان يقف الانسان في وجه المسلمات سواء كانت فلسفية أو نقدية او ادبية.

*** وماذا عن المسحة الصوفية في كتاباتك، من أين اتت؟**

-التصوف درجات كما الاخلاق درجات، وبعض الناس يجدون أن التصوف عندهم ضرورة لانه لا يستطيع أن يقتحم الحياة فيلجأ الى اقصر السبل، ويحاول ان يحقق امجاد الروح، واعتقد ان هذا التصوف مبتذل وليس حقيقيا لان التصوف الحقيقي هو ان يمتلك الانسان اداة الحياة والقدرة على تملك الحياة واقتحامها، ثم يخلص بعد ذلك الى تصور شامل للوجود والحياة والانسان. فاذا نظرنا الى التصوف بهذا المعنى اي الانتقال من خلال التجربة الى معان شاملة، تنتظم كل المسيرة الانسانية بكل أشكالها واديانها وقيمها هناك مستويات للتصوف ودرجات للتصوف.

أنا من الذين يعتقدون أن شجرة لا تضرب جذورها بعيدا وعميقا في الارض لا تستطيع بعدئذ أن ترتفع باغصانها لتراقص وجه الشمس، وبالتالي فان قضية الايغال في التراث

لا تعني التوغل في الماضي فالتراث ليس تركة ورثناها ونريد ان نفتسمها لانه جزء منا فتراثي هو انا. الماضي ليس موجودا هنا، والحاضر بعيد عنه، والمستقبل سيأتي اعتقد ان هذه النظرة الثابتة للزمن نظرة عفى عليها الزمن، واعتقد أن الزمن باب مشروع نقف فيه ويخرقه تيار الماضي واشواق المستقبل. اذا اضعنا حلقة من سلسلة الزمان سقط الزمان كله فلا بد ان نباشر لحظتنا الحاضرة بامتلاك حقيقي كامل لها. وأنا عندما اذهب الى التراث أجد نفسي فيه، واجد كل المقومات فيه للمضي الى المستقبل، ومخطيء جدا من يعتقد أن المستقبل بعيد عن الماضي البعيد.

* كيف ترى الحركة الأدبية في الأردن؟

- تمر الحركة الادبية في الأردن الان بحالة صحو سره هو التحدي الخطير الذي تواجهه الامة، ويبدو لي ان الحركة الوجدانية للانسان العربي مرتبطة بمعنى التحدي والحصار الذي يواجهه هذا الانسان دائما، فحيثما وجد الحصار والتحدي لهذه الامة نجد ان روحها تستنهض ويتوثق وجدانها، وتبدأ تعطي عطاء جيدا على مستوى التعبير الشعري على مستوى التجديد، واذا جئنا الى التطور الفكري في حياتنا في الاردن وجدنا ان هذا التطور الى حد بعيد يحيا في ظل التطور الفكري في العالم العربي، فهناك كتابات أصيلة في الفكر، ولكنها قليلة جدا. وعلى مستوى القصة والرواية لدينا قصاصون ومحاولات روائية واذا لم يكن لدينا روائيون كبار فذلك لان الرواية بنت المدينة وتعقيدات المدينة، ونحن في الأردن تعتبر مدننا تجمعات قروية. ولم تتكون لدينا برجوازيات عريضة تملك وقتها ولديها الإقبال على مثل القراءات المسهبة الطويلة. ان الذين يكتبون الرواية في الاردن استطاعوا ان يعكسوا على الأقل القلق الذي يحياه الانسان في هذه المنطقة، واعتقد ان الحركة الادبية في الأردن بخير، لقد كان الأردن مهياً لان تتطور فيه الآداب، ولكن لم يتح له المجال لتكوين الشباب تكوينا ادبيا على نار هادئة لانه ما لبثت فترة تأسيس الامارة الاردنية ان تبدأ حتى اصبنا بنكسة ٤٨ التي قضت على كل حركة أدبية، لانها ذهبت تلهث وراء الاحداث لمعرفة ماذا يجري على الأرض من وقائع سياسية، فكان ما كان من نزع الكتابة سواء في النقد او الشعر او القصة، ولكن كما قلت انا متفائل جدا بالحركة الادبية في الأردن.

* الشللية التي سيطرت على الملاحق الادبية في الصحف هي داء يشكو منه معظم الكتاب
كيف تفسر هذه الظاهرة؟

- كنت اعاني من هذا الظلم منذ عشر سنوات، وكان عليّ في مواجهة ذلك أن أنشر كتاباتي خارج الأردن، فقد كنت أرسل القصيدة الى الصحيفة الأردنية وافاجأ بانه لم تتم الموافقة على نشرها. ارسلها الى الصحف العربية فتتشر كل محرر ثقافي سيقم بحكم الضعف الانساني معجبا بحاشية من الناس يمدحونه، وهؤلاء يعجبهم ان المحرر متساهل مع موادهم وهذا ادى الى مشاكل كبيرة وضعف عام في حياتنا الادبية. اعتقد ان مسؤولية المحرر الثقافي مسؤولية خطيرة جدا، وينبغي ان لا يتدخل احد في عمل المحرر الثقافي، وان يكون حرا من اي ضغوط اجتماعية او سياسية وقد بدأت تغيب هذه الظاهرة من واقعنا الثقافي وخاصة في الصحافة الادبية، وتزول هذه الشللية بسبب تطور الوعي وتراخي قبضة الايديولوجيا عن الصحف.

* وماذا عن الخلافات بين النقاد والكتاب

- هذه الخلافات لا تتركز على معرفة او نقد أو ثقافة، وانما على اساس شخصي او حزبي سياسي حيث يوجه النقد للشخص حسب اتجاهه السياسي واكثر الاعمال النقدية التي تصدر في الأردن واقع تحت مأساتين الاولى الكتاب الصحفيون الذين يكتبون كتابة سريعة بدون رجوع الى مفهوم حقيقي للنقد او الى اتجاه متماسك والثانية النقد الاكاديمي الذي يعول على شرح النص او على كشف الجوانب النحوية والبلاغية فيه بالدرجة الاولى وانا لم أر في الأردن ناقدا استطاع ان يستوعب تطورات المدارس النقدية المختلفة، ولكنني اتفاءل خيرا بالناقد الأردني أبراهيم خليل شريطة أن ينجو من الروح الاكاديمية السائدة.

إبراهيم العجلوني ل المجد :

• مشروع السلام اسم آخر لاسرائيل الكبرى

• أزمنا هي ازمة اخلاقية وليست ثقافية

• لن يكون نتيا هو أقل دموية من بيريز⁽¹⁾

حوار: وليد حسني

إبراهيم العجلوني، ضمير مثقف... هذا الوصف ليس من قبيل المبالغة والتعجب، بقدر ما هو حقيقة احسستها منذ سنوات وانا اقرأ له، وعندما قابلته اخيراً ولأول مرة أيضاً لاجراء هذا الحوار كان لا بد لي من مضاعفة احترامي له.

رحلته المكلفة بعشرين كتابا لم تعطه غير ما اعطت الكثيرين من مثقفي الامة ومفكريها، وهذا حال من يكون قلبه مسكونا بحب امته، واكبار ماضيها، ولكنه يبقى ضمن السابحين ضد تيار الشرنقة، وهذه واحدة تؤاخذة عليها دساتير الشرق، وأفئدة الاقلمة. «المجد» التقتة وكان هذا الحوار:

* كثير من المثقفين والدارسين العرب يردون ترددي حال أمتنا الى اننا - كامة- نعيش أزمة ثقافية، ما هي ملامح هذه الأزمة، وسبل الخروج منها؟

- قد لا اوافقك الرأي في أنّ ازمنا هي ازمة ثقافية بالدرجة الأولى، ولكنني اعتقد ان ازمنا هي ازمة اخلاقية قبل ان تكون ثقافية، فنحن كامة، في حال صحوتها كامة، وفي حال استرداد عافيتها العقلية، والروحية، قادرة ان هي امتلكت اخلاقها، وارادتها، على ان تعود مرة اخرى الى التاريخ الانساني، امة رائدة وقائدة، وصاحبة رسالة.

يقول غوستاف لوبون في كتابه «سر تطور الامم» ان الارادة والاخلاق هما اساس تقدم الامم، ورسولنا الكريم قال قبل أربعة عشر قرناً: انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق، ولم يقل بعثت لاتمم الانساق الفلسفية، او لابني كوادر الدول والحكومات، واذا كانت ثمة ازمة ثقافية فهي من اعراض المرض، وليست المرض نفسه.

(1) جريدة المجد 1/7/1996

* في حديثنا عن العروبة والاسلام ثمة نقاط تثار بين الحين والاخر عن طبيعة تلك العلاقة ومحتواها، الغرب من جهته قطع شوطا كبيرا في التشكيك فيهما وضربهما، وما زالت بعض الحركات السلفية تحاول تقزيم العروبة كمظهر قومي الى جانب الاسلام «الاممي» فهل ترى هناك من صيغة توفيقية بينهما؟

- أنا افرق تفرقة حاسمة بين القومية العربية، والعروبة، وقد بينت هذا على وجه التفصيل في كتابي «الوعي المتمرد»، فالقومية العربية نتاج تأثرنا بالفكر الغربي، ولا سيما التجارب القومية الحادة في المانيا، وايطاليا، اما العروبة، فهي مناخ ثقافي انعقد حول القرآن الكريم، وحول العلوم والعارف التي نشأت في ظلاله، من هنا، انا مؤمن «بالعروبة» كمناخ حضاري انساني رحيب، يتسع لكل الامم والشعوب التي اظلمها الاسلام، واتخذت القرآن كتابا لها، ومن هذه الزاوية ارى ان ابن قتيبة الفارسي، والغزالي الفارسي، وابن سينا الفارسي، والفارابي التركي داخلون في دائرة العروبة، كما ان الافا من المسلمين بل مئات الالاف منهم من حملة القرآن وحفظته، ومن المستمسكين بالاداب العربية في ايران والهند وسائر اقطار الارض اراهم «عروبيين».

ويمكن القول في هذا السياق انني لا استطيع اخراج هؤلاء من دائرة العروبة، لاستبقي بها «شارل مالك» الذي يدعوننا لعدم الخروج من حذاء ارسطو على حد قوله.

* هل تحولت مواجعتنا للغرب وريبتة اسرائيل من تحد عسكري الى تحد حضاري؟

- نتفق على اننا لم نكن يوما في حالة تحد حقيقي لاعدائنا، ولنتفق ايضا على ان واقع الامة العربية منذ مطلع القرن التاسع عشر الى هذه اللحظة واقع تمت صياغته، وصناعته، وفبركته بايد غربية، اي ان الغرب حين يريد محاورتنا فهو انما يحاور اناسا صنع هو وحده واقعهم، فهو يحاور نفسه على الحقيقة. ولكنني اقول في ضوء ذلك ان العرب غير جادين في قضية التحدي هذه، على الرغم من وجود العناصر الكفيلة بقيام التحدي وعلى كل المستويات.

* اعتقد ان مصطلحي الثقافي والسياسي ما هما الا لعبة لغوية فالى اين سيقودنا استمرار الفصل والتفريق بينهما؟

- السياسة مستويات، هناك المستوى المباشر الفج، وهناك مستويات اخرى تتفاوت عمقا،

واتساعاً، وانا اعتقد ان الثقافة هي واحدة من هذه المستويات العميقة والتي تذهب بعيداً عن النظر للوهلة الاولى، فكل مثقف سياسي، وليس كل سياسي مثقفاً ولو كان ثمة توازن في حياتنا بين رجل النظر، ورجل العمل كما نادى توفيق الحكيم في كتابه «التعادلية» لتتكبت الامة كثيرا من هزائمها، واحوالها الصعبة.

* قطع مشروع «الشرق اوسطية» شوطاً كبيراً في التقدم لصالح اسرائيل، فما هو مستقبل هذا المشروع، ومستقبل الشرق الاوسط ايضاً؟

- ان مشروع الشرق اوسطية الذي يواجهنا هذه الايام هو نفسه مشروع نابليون بونابرت الذي عرضه على اليهود في رسالته الشهيرة لهم قبل مئتي عام على وجه التقريب، وانا اميل الى ضرورة ان نسمي الاشياء باسمائها، واخشى ان يكون الشرق الاوسط الجديد مجرد اسم اخر لاسرائيل الكبرى، ولا اتصور ان أمتنا وهي على ما هي عليه من فرقة وتمزق وذهول عن الذات قادرة على ان تكون صاحبة الكلمة العليا في اي تشكيل للمنطقة وتحت اي مسمى.

* في ظل عملية السلام، هل تعتقد ان الدور القومي سيأخذ بعبء النضالي الواسع الى جانب الدور الديني ممثلاً في الحركات الاسلامية الجهادية، وكيف ترى طبيعة هذا الدور ومدى نجاحه؟

- اعتقد ان الدور الديني مغيب في صراعنا مع العدو الصهيوني، والذي نراه نحن من حالات استشهادية وبطولات لا يعدو كونه مؤشراً على عمق المقاومة الروحية في تكوين الامة، ولو اتيح لنا ان نصدر عن ايماننا، وعن تكويننا الراسخ صدورا جماعياً لُحلت كل قضايا الصراع في زمن قياسي، وحتى في الجانب القومي، وعلى اي وجه فهمناه، فسيبقى الاسلام هو محرك الازدادة على نحو ما كان في حرب تشرين حين خاطب كل الزعماء العرب شعوبهم بقولهم يا مجاهدي الاسلام، يا احفاد صلاح الدين، يا احفاد خالد.. الخ ويمكن القول ان العربي لدى مواجهته للموت لا بد ان يكون مؤمناً، ولا بد ان تسكنه عقيدة الاستشهاد.

* الهجمة الشرسة على الاسلام، وادانة العمليات الجهادية بعض استحقاقات السلام، فكيف ترى الدور الاقليمي العربي في التجارب مع مقررات القمم العديدة لضرب الاستشهاديين واجتثاثهم؟.

- انا اعتقد ان ممثلي الغرب واسرائيل الذين شاركوا في مثل هذه المؤتمرات وعلى مستوى القمة في اغلب الاحيان يعلمون قبل غيرهم ان الوان المجاهدة الشعبية، والكفاح المسلح للاستقلال والتحرير ابعدا ما تكون عن الارهاب، واقرب الى ان تكون حقوقاً مشروعة للشعوب، من هذا الباب فأنتني اؤمن ان المستشهادين في فلسطين، وفي جنوب لبنان هم شهداء مقاومة بالدرجة الاولى، ومتى ما انسحبت اسرائيل من كل فلسطين، ومن جنوب لبنان والجولان فان لنا ان نبحت بعد ذلك في مسألة الارهاب، والارهابيين، وعلى اية حال فان اي ارهابي مهما بلغ في العنف والقسوة فلن يبلغ الدرجة التي بلغها شيمعون بيرس حين شرد نصف مليون عربي في لبنان وحين ادار «بروحه الرقيقة» جملة من المذابح التي يندى لها جبين الانسانية.

* بعد الاحداث والتطورات الاخيرة التي شهدتها اسرائيل والمنطقة عقب فوز نتياهو، وما تمخض عن ذلك من احاديث وتغيرات في المواقف، كيف تنظر للمنطقة في ظل الليكودي القادم من جديد؟

- المسافة التي بيننا وبين نتياهو، هي المسافة نفسها التي بيننا وبين بيرس.

وإذا كان بيرس قد اختتم حكمه بتشريد نصف مليون لبناني، وقتل المئات من الابرياء المسالمين، فان مما يؤكده حدسي ان نتياهو سوف يفتح ايامه باعمال لا تقل عن ذلك ايذاء للعرب والمسلمين.

لقد اثبت بيرس انه ليس اقل «مرجلة» من المتطرفين اليهود، وانه اكثر رغبة منهم في رؤية الدم العربي المسفوك، ولن يكون نتياهو «في ملتي واعتقادي» في مسيرته العملية اقل دموية من بيرس الذي منحه الغرب «الحر» جائزة للسلام، وسيكون من شأنه ما «يقنع» الدوائر المسؤولة عن منح مثل تلك الجائزة بصرها له من قريب جزاء على بلائه الحسن في تحقيق السلام النفسي المنشود لجنود يهوه الغاضبين.

ولئن كان مطلوباً من العرب ان يفهموا بيرس على الطريقة الأمريكية، فان عليهم - حتى لا يحسبوا في معسكر اعداء السلام - ان يفهموا نتياهو، وما سيكون منه اراضاءً لناخبيه على الطريقة نفسها، وسيظل مطلوباً ان ننظر الى الدموع في عيني الصياد، لا الى ما تصنعه يده.

* كيف تنظر الى «الصحة الإسلامية» وما هي معاييرها ومستقبلها ايضاً؟

- انا اعتقد ان الصحة اذا قصد بها صحة العقل، واستعادة الذاكرة، وامتلاك ادوات الوعي فانه لا صحة هناك ولا ما يحزنون، اما اذا قصد بها توافر المشاعر، وغلبة العواطف وهذا المناخ العام الذي يمكن ان تشير ظواهره الى رغبة الناس في العودة الى دينهم فانا ارى ان هناك صحة حقيقية في هذا الجانب، لكني اعتقد ان الصحة على الحقيقة هي الاولى لا الثانية، ومتى امكن لهذه الجموع «الصاحية» ان تصحو على معاني القرآن الكريم، وعلى مكتسبات الحضارة الاسلامية، وعلى مناهج الفكر وطرائقه فانها حينئذ تكون قد استكملت معنى الصحة التي نريد.

* في الحديث عن علاقتنا بالتراث ناخذ في التفاصيل الكثيرة المشبعة بالنظريات، عن التراث والمعاصرة، فهل انت مع «تريث» العصر، أم مع عصرنة التراث؟

- أكون منافقاً اذا قلت لك انني اقبل هذه الصيغة، رغم ان السؤال متداول، وفي اوساط اكااديمية كثيرة، والذي اراه في هذا الباب ان الزمن اذا اخذناه انات متقطعة، واجزاء وتفاريق وحقباً صار لزاماً ان نقع في قطيعة «ابستمولوجية» معرفية وحيوية مع كل ما هو خارج اللحظة التي نحن فيها الان، وفي ضوء مثل هذه النظرة التجزيئية يمكن نفي الماضي والمستقبل معاً، ويمكن التنكر في الوقت نفسه للحظة السابقة لهذه اللحظة التي نعيشها، وهذا يعني ان ينكر احدنا نفسه في كل حين، والاولى بنا ان نفلسف الزمان على نحو اخر بحيث نقرب من حقيقته فنذكر ان الماضي، والحاضر، والمستقبل، تدخل جميعها في تيار واحد، وهذا يعني ان اللحظة الحاضرة هي بؤرة تتكور فيها الأبد والأزال معاً، واذا كان من نتيجة لهذا كله في سياق الاجابة على السؤال السابق فهي ان من يفقد أصالته، وذاكرته، وتاريخه، لن يمتلك حاضره، وسيأتيه المستقبل وهو كالعرجون القديم شيء لا قيمة له على الاطلاق.

* من خلال ما نعيشه من واقعا وعلى كافة الاصعدة وعلى مختلف المستويات، هل ترى ثمة مستقبلاً للمثقف العربي في ظل عملية السلام، وهل سيولد عندنا في المستقبل ادب نسميه ادب السلام؟

- لتتفق ابتداءً على ما يسمى باستحقاقات السلام، فهي صورة من صور القوة والغلبة، وقد تجلى ذلك على شكل مقايضة مكشوفة بين القو والضعيف.

للسياسيين ان يتأولوا الاشياء كما يشاؤون، ولكننا نحن بصفتنا اصحاب كلمة وفكر غير ملزمين بتأويل السياسي، بل نحن مدعون الى ان نصارح امتنا، ولا نكتمها الشهادة ابدًا، وأي مثقف يغض طرفًا عن هذا فهو آثم قلبه، وخَرَبُ ضميره، وملعون في هذه الدنيا والاخرة.

* يعزف الان على لحن «عمان عاصمة للثقافة العربية» هل تعتقد اننا في «عمان» يمكننا ان نكون عاصمة للثقافة في ظل تردي مناهج وسياسات التعليم والثقيف عندنا؟

- الذي ينبغي ان لا نماري فيه، وان يكون موضع اتفاقنا ان القاهرة، والقاهرة وحدها هي عاصمة الثقافة العربية، ولقد يسرنا بطبيعة الحال ان تكون عمان قادرة على ان تحذو حذو القاهرة، وان تتأثر بها، لكن هذا لا يخولنا حق الادعاء بما لا نجد شواهد حقيقية عليه.

لقد تطور الاردن على المستوى الثقافي تطوراً ملموساً لكننا في اقصى درجات هذا التطور نظل تلاميذة لأساتذتنا المصريين، وسيظل العقاد، وطه حسين، والرافعي، وزكي مبارك، وأحمد امين.. وغيرهم من مؤسسي نهضة الفكر والادب في مصر، مؤسسين ايضاً لنهضة الفكر والادب لا في الاردن وحده، ولكن في جميع اقطار العروبة والاسلام.

وليس هذا غريباً فنحن وعلى الرغم من هذه الفسيفساء السياسية ما نزال نسيجاً اجتماعياً وثقافياً موحداً، وان كان كثير ممن عميت قلوبهم وبصائرهم لا يرونه، ولا يحبون ان يروه.

* المثقف العربي مغيب قسراً عن مراكز القيادة والتوجيه فكيف ترى دوره ومستقبله في الخروج من خط الصمت والانطواء؟

- تغيب المثقف عن بنية الدولة الحديثة في العالم العربي حدث بفعل فاعل، وبسابق اصرار وتصميم، والمقصود منه ان يغيب الوعي، وان تضطرب الخُطى، وان تحقق الائتمارات ما تبغيه من تفتيت واضطراب وهوان، ومن تهيئة لوقائع هذا الزمان الذي نعيش فيه.

• عندي قلق دائم أن أموت دون أن أكون قد تمثّلت

كل جماليات ومعارف ثقافة أمتنا الهائلة..!!^(١)

أجرى اللقاء: يحيى القيسي

ينتمي الأديب إبراهيم العجلوني إلى ذلك الصنف من الكتاب الشموليين ومتعددي الاهتمامات فهو شاعر وقاص وروائي ومسرحي وباحث وصحفي لا يكاد يستقر على جنس أدبي محدد أو أسلوب واحد، وهو من الذين يؤمنون بضرورة التأسيس الثقافي الذي يفيد حاضرنا ومستقبلنا اعتمادا على المنجز العربي الإسلامي في ذلك ومخزون الثقافة الهائلة التي تركها لنا أجدادنا ولا نكاد نتمثلها.

أصدر العجلوني نحو ٢٦ كتابا متنوعا في الفكر والإبداع عبر ثلاثين سنة متواصلة منذ ديوانه الأول «تقاسيم على الجراح» ١٩٧٣ وحتى كتابه الأخير «الشذرات» في ثلاثة أجزاء. وقد عمل أيضا في أكثر من ثماني وظائف حكومية أو خاصة ومنها: رئيس تحرير مجلة أفكار، ومدير تحرير الرائد العربي وصاحب ورئيس تحرير مجلة المواقف ومستشار في وزارة التعليم العالي وباحث غير متفرغ في مؤسسة آل البيت ومحرر ثقافي في جريدة الرأي وغيرها. حول تجربته الإبداعية والفكرية والعلمية كان هذا اللقاء:

* من الملاحظ أنك تكتب الشعر والرواية والقصة القصيرة والمسرحية وتكتب أيضا المقال الفكري والسياسي إضافة إلى جهودك البحثية والصحافية.. برأيك كيف يمكن لكل هذه التركيبية المتشعبة أن تنسجم في شخص واحد، ثم لماذا تضحى بالإبداع الأدبي لحساب حقول أخرى غير إبداعية..؟؟

- المبدع أو الكاتب في تصوري هو ابن الحياة، والحياة لا تعرف حصرا ولا تقنينا ولا تعرف مساقات مرسومة، وإنما تذهب هكذا بسجيتها، وإذا كان المرء إبنًا للحياة فالذي أعتقه أن ثمة رفضا داخليا لديه لكل ماهو تقنين ومأسسة ولو كان هذا الأمر في الجانب الثقافي، بمعنى أنه ينبغي على الكاتب مثلا أن يكتب في هذا الجانب الأدبي ولا يغادره وأن يحصر إبداعه فيه، وهذا التقنين مرفوض أيضا، وأنا حينما بدأت شاعرا لم أكن على مبعده من

(١) مجلة عمّان الثقافية العدد ٦٥ - تشرين ثاني ٢٠٠٠م.

القصة فأكثر قراءاتي في فترة الشباب الأولى كانت للقصص والروايات ثم انتبعت مبكرا إلى قضايا الفكر وسحرتني العقاد في كتاباته ثم قرأت توفيق الحكيم كاملا وقرأت أحمد أمين والرافعي وكان كل منهم يجذبني بطريقة ما، وقد كنت قابلا للأسر آنذاك لطبيعة سني، حتى إذا اشتد عودي بعد الثلاثين بدأت أفق من هؤلاء الذي شدهم بهم للوهلة الأولى ومما كتبوا وقفة مختلفة أحاول فيها فك أسري منهم واتخاذ مسار خاص بي، بطبيعة الحال فقد جربت الشعر والقصة والمقالة والكتابة النقدية والكتابة الفكرية ولكن لم أستقر على شيء من ذلك حتى هذه اللحظة، وكنت في كل حين صادقا مع دوافعي أي إذا اقتضى الأمر أن أكتب شعرا كتبتة، أو أن أكون ناثرا كنت أو ناقدا وهكذا، ولكن أيضا بسبب من اضطراب المرء في حياته اليومية وعدم استقراره وخاصة في القضايا المادية فهو لا يملك وقته أيضا، وأقصد هنا أنه لو أتيح لي وكثير من أبناء جيلي فرصة أن نعكف على فن واحد بعينه وأن نذهب به إلى آخر الشوط في تمثله وتطوير أدواته لكان الأمر اليوم مختلفا، لكننا في هذه الحياة نحسو حسو الطائر، ونلهث راكضين في مسارها ولا يتاح لنا أن نلقي بأنفسنا في ظل شيء ما أو نميل إلى جدار ما، فالحياة كلها لهاث وتعب وسعي وراء الرزق لستر الحال، وهذا يحول بينك وبين الكتابة المتأنية ولكنه بالنسبة لي لا يحول بيني وبين القراءة، وأنا أستطيع أن أقول لك بأن عملي الرئيسي الآن هو القراءة أما الكتابة فهي تأتي هكذا تحصيل حاصل أو أمرا جانبيا، ولكن عبر تراكم معطيات التجربة وعلى مدى عقود من السنين أصبح الإنسان يميل إلى الجانب الفلسفي أو التأملي في الحياة فكتابي (الشذرات) الذي صدر في ثلاثة أجزاء ويبلغ ألفا وعشرين صفحة كنت قد كتبتة وأنا في هذا اللهاث، ولكني كنت صادقا مع نفسي بحيث أنني حينما أقف وألتقط أنفاسي وأكتب شذرة من الشذرات أو واحداً من بحوثه أو من مقالاته كنت أخلص لهذه اللحظة وكنت أقيد نفسي بشروط كثيرة على رأسها أن لا أستلب لأي عقل آخر في الكون ولا لأي ذوق آخر ولا لأي نزعة أيديولوجية أو دينية بل أكون صادقا مع نفسي في تلك اللحظة ومن هنا فوجئت بتشعبات هذا الكتاب الذي تناول قضايا الوطن والديموقراطية والفكر والإبداع وغيرها. ولكن في إطار هذين الشرطين أي الصدق مع الذات وعدم الاستلاب.

لقد أثمرت هذه التجربة أيضا ثلاثة دواوين شعر، وأثمرت مسرحيه ورواية قصيرة ومجموعة، من القصص وما لا يقل عن عشرين كتاب في قضايا الفكر ولكن هذه الكتب

كما قلت لك كتبها وأنا في هذا اللهاث، ولم تتح لي الحياة فرصة أن استأني لأكتب ما أريد.

من أجل ذلك أعول على مشروعني القادم وهو كتاب «مناهج النظر في الإسلام» والذي أتصور أن يصدر في ثلاثة اجزاء كبار، وأدعو الله أن يتيح لي من اجتماع الهمة والفرصة ما يجعلني قادرا على إنجازها بعد أن سلخت من عمري كل هذه السنوات وأنا أركض لاهثا في شعات الحياة دون أن أستقر أو أجد مظلة أوي إليها.

* لكن هذا التشعب موجود أيضا ضمن الجنس الأدبي الواحد عندك فأنت كتبت القصيدة العمودية وقصيدة التفعيلة والرباعيات فما الذي تريده من كل هذه الأشكال...؟؟

- قد لا أكون مفاجئا لنفسي ولا للآخرين حينما أقول بأنني لست شاعرا بمعنى أنني لا أضع الشعر كمهمة رئيسية لي في الحياة، فإذا جاءني الشعر أو استدعيت له لسبب ملح استدعيتة وإذا لم يكن ذلك تركته فأنا غير خاضع لهاجس طالما ضغط على بعض الكتاب، وهذا الهاجس أن يرى أحدهم نفسه شاعرا وأن كل شيء في حياته يدور حول هذا المحور، وأنا في رأيي أن هذا الأمر فيه افتعال كبير أي أنك لا تضع لنفسك مهمة إلا كتابة الشعر فالإنسان في كثير من أموره مضطر لأن يكون مفكرا، وأن يكون رجلا عمليا. وثمة حقائق روحية ونفسية لدى الإنسان وبخاصة في علاقاته الحميمة لا يمكن أن يترجمها شعرا، ثمة مواقف لا تتطلب الشعر وثمة حالات نستدرج الشعر فيها استدراجا ونغويه ولا يغويننا.

أنا أعتقد أن الشعر فن خطير جدا وأن الذين يقتحمونه دون عدة ودون استعداد هم واهمون أي أنهم يظنون بأنهم شعراء والشعر بمبعدة منهم، الشعر لغة فوق اللغة و مجلى لعبقرية اللغة نفسها. وبالتالي فإنه إذا لم يكن المرء قادرا على الإتيان بهذا كله مجتمعا ومحترقا بنار واحدة فينبغي عليه أن لا يكتب الشعر.

أنا لست واقعا تحت هذا الإلحاح على الإطلاق ومن هنا تبدو المفارقة أنني اكتب شعرا كلاسيكيا. أي أن بعض المعاني وبعض أنواع التفكير التي يكون طابعها فلسفيا وتأمليا قد لا يصلح معها إلا هذا الشعر العمودي. والحالة هي التي تفرض الشكل دون التقيد بقيود كلاسيكية فطالما أن الشعر هو الشعور فهو يأتيك حدوسا قافزة وموجات ولا يأتي متسقا ففي قصيدة لي بعنوان «تسيحة» لا تتجاوز أربعة أبيات حرصت في كل بيت على إيجاد حرف السين لبيان أن التسيحة مستمرة وكأنك حين تقرأها تستمع على هينمات

المسبحين في المساجد وفي قصيدة اخرى أهديتها إلى أستاذنا الدكتور ناصر الدين الأسد ألزمت نفسي قافيةً مزدوجة في كل بيت وهذا الإلزام انعكاس لإحساسي واعتقادي بما تلزمه لنا الحياة من قواف، إذا صح التعبير...

* ولكن ما هو الدافع الأساسي لديك الذي يقود خطاك في هذه الحياة باتجاه عمل معين دون غيره، ونحو جنس أدبي دون آخر...؟؟

- ثمة قاعدة عريضة أعتقد أنها هي التي تحفزني في هذه الحياة والهاجس الرئيسي فيها هو عنصر الحرية وأنا تحت هذا الهاجس مستعد للتمرد على المؤسسة أو أي شيء يشبهها، وعلى أي معنى من المعاني التي تعمل على تقنين الحياة وضبطها وهناك هاجس آخر هو هاجس المعرفة الذي حينما يقترن بهاجس الحرية يصبح امرًا ثقيلًا على النفس مع أنه يعطيها معناها، ولكنك تكابد في هذا المجتمع وتحثك بالناس ولا بد أن تتواءم معهم في لحظة التقاطع وأن يفهموك لئلا يفهم وأن يكون هناك خطاب مشترك معهم.

لقد جعلني هاجس الحرية أميل إلى مسلك في الحياة شبيه بمسلك العقاد رحمه الله والذي اعتبره أبًا روحيا لي. وهو يرى أن الإنسان إذا فقد حريته فقد كل شيء وأنه لا يعود قادرا على الإبداع، وأنا أميل انسياقا مع هذه النظرة (العقادية) إلى أن سبب مواتنا الحضاري هو أننا أمة مستعبدة وغير حرة وطبائع الاستبداد التي تكلم عنها عبد الرحمن الكواكبي ما تزال هي المهمة على حياتنا فنحن اليوم أمة فيها ذلة وقد فقدنا ذاكرتنا ولحظات الاتصال بمعنى العزة التي طالبنا بها الله تعالى {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين}!!..

لا أريد أن أذهب أكثر من ذلك ولكنني أعتقد كما قلت سابقا بأن هاجس الحرية هو الذي يضبط الكثير من خطاي في هذه الحياة..

* ثمة من يعزو إلى شخصيتك القلقة كل هذه التبدلات، فأنت مارست أكثر من وظيفة واستقلت منها أو أقلت، وتكاد لا تستقر في عمل واحد فما مدى دقة هذه التهمة ولم كل هذه التبدلات...؟؟

- أنا أحب إذا عملت عملا أن أتقنه، وأن اذهب به إلى الغاية المثلى من التطبيق العملي الذي ينسجم مع رؤيتي، ومع ما ينبغي له أن يكون، ولكن واقعنا الوظيفي في الأردن والعالم العربي - إذا كنا صرحاء في ذلك - يرفض الإنسان الجاد، المثالي وصاحب القيم، واي

مصلحة في العالم العربي يدخلها رجل جاد فإنه سوف يكون موضع عداء من زملائه والعاملين فيها لأنه يكشف طبيعة التهافت والفساد السائدين، وأنا لم أترك أي وظيفة بأمرى أو إرادتي، أما إذا وضعت في ظروف طارئة وكانت هذه الظروف تلقي علي تحدياً فأنا أختار الاستقالة مع حفظ كرامتي.

بيد أنّ الكلام غير دقيق في أنني أتقلب في الوظائف بسببي، والدليل على ذلك أنني ظللت في جريدة الرأي سنوات طويلة مسؤولاً ثقافياً، وأيضاً هذه هي السنة الخامسة لي في مؤسسة آل البيت باحثاً غير متفرغ، وأنا أصلاً لا أعتقد أنه مطلوب من الكاتب أن يكون موظفاً. فالعقاد يقول بأن الوظيفة هي رق القرن العشرين، ولكن المجتمعات الحية تجنب مثقفها و مبدعيها الكثير من العنت، بمعنى أنه إذا سلخ المثقف في تحصيل أداة المعرفة ومضى دأباً في ذلك، ودخل عقده السادس على نحو ما هو حاصل معي فهذا يعني أنه لا يمكن أن يعيد الكرة مرة أخرى ليسيّر مسارا آخر. ولقد أحصيت الساعات التي قضيتها قارئاً كاتباً في حياتي ووجدت أنه إن مددناها مداً مستمراً بلغت ما يوازي من ثلاثة عشر إلى خمسة عشر عاماً متصلة، ولو أنني على سبيل المثال جلست أبيع «الفلافل» خمسة عشر عاماً لبنيت عمارات واصبح لي أرصدة في البنوك، ولكنني لم اشتغل إلا بتكوين أدوات المعرفة وذهبت مع هذا الهاجس إلى اقصى حد، النتيجة الآن أنني قد أكون مضطراً أن اقايض كل ما أنجزت معرفياً بقليل من القوت و هذا أمر مؤلم..!!

المجتمعات الحية تُجنب مبدعيها هذا المصير، والذي يقلقني أكثر بعد الانسجام مع هاجس المعرفة والحرية أنني أستشعر قصورا هائلاً في نفسي وفي جيلي عن أن نستيقن وأن نتمثل منجزات حضارتنا العربية والإسلامية..!!

نحن اصحاب ثقافة هائلة ومذهلة وكأنها مدينة غارقة في الضباب لا نكاد نتبين منها إلا قبابها وبعض أسوارها وشوارعها.. ولكننا لا نتبين هذه المدينة على الإطلاق بشكل شامل. نحن مطلوب منا أن نتمثل هذه المدينة العريقة ذات الساحات وما قد يكون في مكتباتها من المعطيات التي لا نجدتها في أي مكان آخر، وقد تكون سابقة على كثير مما يطرح الآن على أنه حداثة وما بعد الحداثة!

نحن أمة ذات ثقافة ناجزة ولكننا لا نتمثلها وعندي قلق دائم أن أموت ولا أكون قد تمثلت كل جمالياتها وكمالها، وما تحويه من معرفة، هذا إلى جانب القلق الروحي في أن يكون

المرء مريضاً عنه يوم الحساب حيث تقف كل نفس تجادل عن نفسها أمام الله سبحانه
وتعالى...!!

أنا أنظر إلى الحياة باستمرارها ولا أراها منتهية عند حد الموت على الإطلاق فالحياة لا
تنتهي بالموت ونحن ينبغي أن نتعامل مع التصور الشامل لها، ثم إن هذا التعامل إذا تم
على المستوى المعرفي والمستوى الوجودي فهو كفيلاً بأن يجعل حياتنا أجمل وأعمق
وأكثر انسجاماً مع مقتضى الكمال الإنساني.

* ثمة من يعتبرك كاتباً إسلامياً فما رأيك بمصطلح «الأدب الإسلامي» وما هي خصوصيته
التي تراها، وتميزه عن غيره وهل أنت أصلاً مع توظيف الأدب لأي غرض كان اجتماعياً
أو إصلاحياً... الخ..؟

- مصطلح «الأدب الإسلامي» مصطلح حديث ولم يبدأ الناس يتكلمون به إلا منذ عقدين
من الزمن على وجه التقريب ولكن السؤال هو عن ذلك الأدب الذي كتب منذ خمسة
عشر قرناً إلى الآن، ولم يكن يشار إليه على أنه أدب إسلامي فهل هو أدب غير ذلك،
أما بخصوص توظيف الأدب فإنه لا يمكن أن يكون شيئاً جيداً على أية حال، فالأدب
يأتي طبيعياً وحيوياً في مساره دون أي افتعال أو قسر، ومن أجل ذلك قد تجد كاتباً مثل
دوستويفسكي في روايته «الأخوة كرامازوف» يطرح رؤية إسلامية أو كاتباً مثل هيرمان
هيسه في «لعبة الكريات الزجاجية» وفي الملاحق الثلاثة التي أضافها إلى الرواية تجده في
جانب منه يتقاطع مع ما نفهمه نحن من معنى «الأدب الإسلامي».

وماذا عن الشعر الذي كتبه الشريف الرضي أو محيي الدين بن عربي أو المتصوفة والزهاد
في الإسلام، وماذا عن كثير من الأحاديث النبوية التي هي في ذروة البلاغة وبها لونٌ من
القصّ أليس كل ذلك أدباً إسلامياً...!!

إنني أعتقد أنه أيما أدب صدر عن نفس مؤمنة بالله ولها تصور لها لهذا الكون والحياة
والوجود وفيه مراعاة لوحدة الخلق ووحدة الخلق فأننا نعتقد أنه أدب إسلامي،
فالإسلام أوسع من معنى التشريع والفقه وأوسع من هذه الحدود التي تحيط بالعالم
الإسلامي لأنه دين الكون وأي مسلم حقيقي لا بد أن يصدر عن اعتقاد عميق بأن هذا
الكون مسلم وأن السماوات مسلمة وكل إنسان يولد على الفطرة يولد مسلماً، وأن رؤية
الإسلام أوسع في التصور من هذا الضيق الذي قد يذهب إليه بعضهم...!!

* لكن الأدب الإسلامي في هذا الاتجاه يفقد الإبداع عفويته وتدفعه الطبيعي عبر شروطه المسبقة كأن يكون البطل إيجابيا وفي ذلك تشابه مع الواقعية الماركسية وشروطها المجحفة بشكل أو بآخر...!!

- أنا أسميه البطل المصمت مثل دائرة مكتملة لا يأتيه القلق من بين يديه ولا من خلفه وهو منطو على كمالاته وهذا أمر مناف لطبيعة الإنسان، والله سبحانه وتعالى يقسم بالنفس اللوامة ويرى أن الإنسان في حالة ضعف وهلع دائم «خلق الإنسان هلوعا» والقلق من طبيعة هذا الإنسان حتى أن المؤمن أشد قلقا في مواجهة حوادث الوجود وتناقضاته.

ابن الجوزي مثلا ينادي بشيء يسميه «التكليف العقلي» وهو يختلف عن تكليف الجوارح، وهذا التكليف يعني أن تنظر في مشكلة الشر في هذا الوجود ونرى إلى تناقضاته، فتجد هيلمان الأشرار والواقع المزري للأخيار. وإذا أنت صبرت على هذه التناقضات وعزوتها إلى حكمة حكيم خبير قادر وقلت بأنه لا بد أن تكون هناك ظلال لهذه الصورة وحقائق لا أدركها فأنت دخلت فيما يسميه ابن الجوزي تكليف العقل وهو مواجهة نفسية لمشكلة الشر في العالم، بالحكمة، وعمق الإيمان، والاصطبار. القضية إذن أن الإيمان لا يجعل الإنسان حالة مصمته وفي حرز حريز من أي قلق. فالأدب أساسه القلق وأنت إذا لم تكن قلقا لن تكتب أدبا والثيمة الرئيسية في الإبداع هي القلق ولذلك لا أعتقد أن في الجنة شعراء لأنها عالم مثالي كامل...!!

* في كتاباتك وأحاديثك الشفوية تشير غالبا إلى ثلاثة أعلام تأثرت بهم وهم: العقاد والرافعي ودستوفسكي، فما الذي وجدته عند كل واحد من هؤلاء الأدباء من خصوصية وتميز حتى أسروك بأساليبهم وافكارهم...؟؟

- منذ وقت مبكر وبعد أن قطعت المرحلة «الجبرانية» ملت إلى الرافعي والذي أملاني إليه هو ذلك الجانب الوجداني في كتاباته مع إحساسي بأن ثمة لغة عالية ينبغي علي أن أفهمها، لقد كان له عبارة متعبة وأول ما قرأت له رسائله الوجدانية: السحاب الأحمر، وأحاديث القمر، ورسائل الأحزان، وكتاب المساكين... ولقد اسرني عند الرافعي أنني كنت أجد لذة في اقتحام عباراته وفهمها ومحاولة النسج على منوالها لذلك كان لي كتاب صغير على منوال ما كان يكتبه الرافعي واسمه «مجنون يتكلم وثلاثة آلاف مليون عاقل يفهمون» وهو من الكتب التي مزقتها فيما بعد...!!

أما العقد فقد أتته من هذا الجانب أيضا فهو كاتب صعب وعملاق وجبار القلم، لكن طموحي كان يسول لي بأنه لا أقل من أن أفهم هذا العملاق، وكنت في أول الشباب أفهم أشياء من كتاباته وتغيب عني أشياء أخرى ولكنني كنت مصرا على أن أقرأ العقد كاملا وقد فعلت ذلك عبر مكتبة أمانة العاصمة حيث تركت الدراسة عام ١٩٦٥ وبدأت القراءة على نفسي وكنت أختلف يوميا إلى مكتبة الأمانة حتى عام ١٩٧٣، وحينما ذهبت إلى بيروت في تلك الفترة لدراسة الأدب العربي في جامعة بيروت العربية قادمي حظي السعيد إلى قراءة الأعمال الكاملة لدستوفسكي من ترجمة د. سامي الدروبي حيث تركت الدراسة وظللت عاكفا على قراءتها مدة شهرين ونصف قراءة متواصلة، وكنت حينها قد اعطيت دار عويدات للنشر في بيروت ديواني الأول «تقاسيم على الجراح» لتطبعه لي...!!

الذي حدث لي بعد قراءة دستوفسكي أنني أصبحت إنساناً آخر، فلقد قفز بوعيي قفزات كبيرة جداً، وشحذ إحساسي بالكون وبالعالم بما لا يمكن أن أتصوره من أسباب الاستوفاز، فلقد تضاعف إحساسي الواعي وتضاعف فهمي لطبيعة العلاقات الإنسانية وإحساسي بشقاء الانسان...!!

هذا ما خرجت به من أحاسيس بعد القراءة الأولى وبعد أن توفرت على مثل هذه الرؤية أصبحت أنظر إلى العالم بطريقة مختلفة ولم أجد مثل هذا المستوى من النظر في العالم إلا حينما رجعت إلى قراءة تراثنا الإسلامي، والحقيقة أنه يجب علينا أن نعرف الآخر وأن نأخذ معطياته بقوة وأن نعرف أنفسنا بقوة أيضا وأعتقد أنني الآن مؤطر ضمن هذين الأمرين...!!

* ماذا عن تجربتك في إصدار مجلة «المواقف» الفكرية. ولم توفقت بعد سنتين من الصدور المتواصل وماذا حققت للحركة الثقافية من خلالها...؟؟

- مجلة المواقف كانت تجربة مرّة حيث أصدرت العدد الأول منها في شهر آب ١٩٨٧ والعدد الأخير في شهر أيلول ١٩٨٩ أي أنها ظلت تصدر بشكل دوري مرة كل ثلاثة شهور خلال السنتين المذكورتين، وقد أثبتت لي هذه التجربة أن واقعنا الثقافي لا يريد لنا أن نستضيف اللحظة النقدية التي نحن بأمس الحاجة إليها. ولقد كنت أريد من هذه المجلة أن تكون منبر حوار فكري لذا فتحتها لكل التيارات حيث كان يكتب بها الشيوعي والأخ المسلم والقومي وغيرهم. وقد تعاملت معها كأداء ثقافي ولم أتعامل معها كأداء تجاري فكان أن

وجدت نفسي بعد سنتين غارقاً في الديون حتى اضطرني الأمر إلى رهن بيت والدي وبيع سيارتي ومكتبتي، ولقد خلصت بعد كل ذلك إلى النتائج التالية: واولها أنك لا تستطيع المضي بمجلة ما إذا لم تكن هناك جهة داعمة، والجهات الداعمة لا تأتيك هكذا على ارض البراءة. ولقد رفضت مثلاً منحة مقدارها خمسة عشر ألف دينار جاءني مساعدة من إحدى المؤسسات الخاصة حينما عرفت أن هذه المؤسسة لها ارتباطات مشبوهة ولا تمنح الأموال هكذا...!!

أما إحدى الجهات الأخرى فقد أتتني قائلة ما رأيك أن تخصص إحدى أعداد المجلة للقائد فلان وسنضع في رصيد مجلتك أربعين ألف دولار فقلت لهم بأن لي قائدا واحدا هو الملك حسين (آنذاك) ولا آخذ منه نقودا...!!

إذن محاولات الاستلاب كثيرة في هذه الحياة ووراء كل منعطف من يتربص بالآخر وعلينا أن لا نضع ثمننا لرؤوسنا فكل الناس يريدونك إما ممن يضعون ثمننا لرؤوسهم أو ممن يأخذون دورهم في الصف، لذلك جاء عدم إيماني بدخول أي حزب لأنني لا أؤمن بالاصطفاف الذي يقود إلى الاستلاب فإنك إن لم تستلب وأنت في الصف فإن الذي يستلب هو الذي يدير حركة الصف هذا من جهه، ثم أن لا تضع ثمننا لرأسك فالرأس الذي لا توجد عليه لافتة تحدد ثمنه هو رأس غال وفي تلك النواصي تكون أفكار لتغيير الأمة. و أنا منسجم مع نفسي في هذه المسألة...!!

* لديك تجربة طويلة في الصحافة الثقافية لاسيما في جريدة الرأي فما الذي خرجت به بعد كل هذه التجربة وما هي انطباعاتك عن العلاقة مع الأدباء وخصوصا الجيل الجديد منهم وأيالسمات التي تميزهم...؟؟

- أخذت علاقتي بالصحافة مسارب شتى وتجليات كثيرة ففي مطلع السبعينيات كنت مسؤولاً عن الصفحة الثقافية في جريدة الحوادث الأسبوعية وفي تلك المرحلة تعرفت إلى الأستاذ محمد ناجي العميره الذي كان من أكثر شعراء الجامعة الأردنية أهمية، وكان في حمارة القيظ من ثوريته، ثم بدأت أراسل الصحافة الأردنية لأنشر قصائدي وكتاباتي، وكنت أفاجأ حين أجد القصيدة لا تنشر في الدستور مثلاً فإذا بالأداب البيروتية تنشرها، وكنت أتهم نفسي بأن هذا الذي أكتبه لا يصل إلى مستوى النشر ولكن حين أجد شخصا مثل د. سهيل ادريس ينشره أو صلاح عبدالصبور الشاعر المتميز حينما نشر لي قصيدة

«زغرودة الألم» في مجلة الأدباء العرب القاهرية عام ١٩٧١ كنت أقول إذن إنه لا بد أن هناك معايير غير موضوعية لتقييم هذا الذي ينشر، ولما أتيت لي أن أتسلم مسؤولية الرأي الثقافي مدة تزيد عن عشر سنوات فإن أول شيء قمت به هو أنني أردت أن لا أظلم أحدا من هؤلاء الذين يرسلون الرأي الثقافي، وكنت أعتقد بأنه لا بد من احترام الأديب والكاتب حتى إنني اقترحت أن لا يلجأ الكاتب إلى كتابة طلب مكافأة بل يصار إلى إعداد جدول بكل الكتابات شهريا وأن يعامل الكاتب ماليا بكل احترام ثم أنني اهتمت أيضا وبوجه خاص بالأدباء الشباب، وكنت أخصّص أعدادا للقصاص الجدد وأعدادا للشعراء وأعدادا للمرأة... الخ وأنا أستطيع اليوم أن أعدد مجموعة من الأسماء رجالاً ونساء من الذين بدأوا كتاباتهم في الرأي الثقافي!!..

ثم عملت مديرا لتحرير مجلة «الرائد العربي» التي كان يرأس تحريرها الأستاذ راضي صدوق ردّ الله غرته، ولقد حاولت أيضاً أن أسير بنفس المنهج الذي سرت به في الرأي الثقافي.

أما محصلة تجربتي الصحافية الثقافية فهي أن الجيل السابق لنا وأقصد هنا جيلا لخمسينيات والستينيات لم يعد يقرأ، ولم يكن معنيا برؤى عميقة له أو شمولية بل وقف عند حدود معينة وإن كان قد ظهر فيه أدباء متميزون، ولكننا كنا إذا أردنا أن نطلب العلم وأن نتخذ لنا أساتذة كان أحدها يذهب ليتلمذ على العقاد مباشرة مثلا أو الراجعي.. لذلك فإن جيلنا لا آباء له.

أما الجيل الذي جاء بعدنا فهو لا يريد أن يكون له آباء لا من الأردن ولا من الخارج، وهو جيل يضيق ذرعا بالقراءة أو يكتفي بهذا المترجم السريع الذي يأتي بما هو طاف على سطح الحياة الثقافية وهو لا يريد أن يؤصل لشيء، ولم أر من هذا الجيل من يقول لي أنه عاكف الآن على قراءة الراجعي أو العقاد أو هيجل بشكل شامل...!!

لقد اعتمد هذا الجيل على حساسيته واكتفى بهذه الحصيلة وبهذا المعجم اللغوي وبهذه المعارف وهي غالبا لا تتجاوز في قيمتها ما يأخذه طالب التوجيهيه، وقد اعتمدوا وراء ذلك على حساسيتهم في مواجهة العالم فأصبح الإنسان منهم يكدّ ذهنه ويعتمد رشح عقله في هذه القضية لذا أصبح التجديد عندهم ظاهريا لأنه لا يقوم على أصل بل هو قفزة في الهواء!!..

قد يكون هناك عباقرة والحساسية عندهم تحصيل أشياء كثيرة وبعضهم يذهب إلى أن هناك ما يسمى ابستمولوجيا التجربة أي الوصول إلى المعارف عبر التجربة، ولكنك حينما تمارس أجناساً أدبية أبدع فيها من قبل أناس كثر واشتغلت عليها عبقریات مذهلة فلا يجوز أن تقول: من هنا نبدأ...!!

لقد استهوت هذا الجيل ما يسميه أدونيس باللغة البعدية، أي اللغة التي تتفجر دلالاتها بعد كتابتها، بمعنى أن الشاعر لا مرجعية له إلا ذاته ولقد واءمهم مثل هذا الطرح النقدي وشكل غطاء وتسويغاً لهذا التعديل على الحساسية. ويساهم النقد الأدبي عندنا في بقاء هذا اللون من الحساسية التي تنشأ بمبعدة عن التأصيل فلقد اشتغل على المضامين ولم يشتغل على أداة التعبير ولم يكن هناك نقد تطبيقي وقد اشتغل بعض النقاد على المنجز الحالي معزولاً عن كل ما وراءه، إضافة إلى أنه لم يوصل نفسه تأصيلاً فلسفياً ليقدم رؤية عميقة وشاملة.

إبراهيم العجلوني :

• يقلقني هذا المقلب الوجودي الذي نحياه^(١)

المحرر الثقافي

للشعر الحقيقي دائما ريادة وحدثه وهو أن فقدهما فقد نفسه. لكن شريطة أن نفهم الحداثة بالكيفية لا بالامتداد الزمني. ولعلنا نرى، - من هذه الزاوية - أن مالك بن الرب التميمي أكثر حداثة وريادة من آخر شعراء أيامنا.. ولو أردت رأياً «خاصاً جداً» لي فوق هذا، فاني أرى ان نحيا الزمن الراهن بكل امتلاء، وحينها سوف نمتلك الماضي والمستقبل معا ولعلي قد ناديت بهذا في أكثر من مناسبة وكتبته في أكثر من مقالة.

* ما هي نظرتك المستقبلية للحركة الأدبية في الأردن بوجه عام والشعر بوجه خاص؟

- الأدب في الأردن بخير، وأنا متفائل بشأنه لأنه غير اقليمي أولاً، ولأنه جاد في أغلبه ثانياً.. وهناك مجموعة من النجوم تزين سماءنا الأدبية مثل محمد القيسي وعلي البتيري وعلي فوده وإبراهيم نصرالله وادوارد حداد وغيرهم، وهؤلاء يمثلون امتداداً ذهبياً لجيل الرواد من أمثال عرار وحسني فريز وإبراهيم طوقان.. لكنه امتداد فيه اختلاف نوعي يحسن بنا فهمه والتعاطف معه..

أما عن مستقبل الشعر، فهو لن يكون كما نتمناه، الا اذا عدنا الى شيء من الغنائية فيه، وهو ما ارى شعراءنا مقبلين عليه، وان التبس ذلك على نحو أو آخر بابعاد سياسية وجماعية وفلسفية.

* بماذا تنصح الحركة الأدبية الشابة في الساحة الأردنية؟

- لا أنصح الشباب الأدباء بشيء سوى أن «يكونوا صادقين مع أنفسهم» وأن لا يتعجلوا الشهرة والحصاد قبل النضج والاستعداد الكامل من القراءة والتجربة العريضة في الحياة. ولهم من بعد زمانهم يذرعونه كما يشاؤون.

* الحركة الثقافية الأردنية لم يطرأ عليها تغيير ملحوظ حيث لا يوجد مجال لظهور الحركة

الأدبية الشابة ما هو المجال الذي يمكن فيه للحركة أن تطفو على الساحة الأردنية؟

(١) مجلة الفجر الاقتصادي ١٠/٢/١٩٨٢م

- أنا لا أوافقك على ما تذهب اليه من ان ساحتنا الثقافية لا تشهد تغيرا ملحوظا، فهي في حقيقتها مضطرب فسيح وساحة قلقة تعتمل فيها اشد التغيرات. ودليلي على ذلك ما تراه حولك من تحولات فيها في الفكر والفن والأخلاق. ومن اختلاف واضح في الذوق والشعور بين جيلنا والاجيال السابقة. وهذا كله سوف يأخذ مداه، لأن من حقه أن يأخذ مداه.. وسوف تكون الحركة الأدبية خير مترجم لهذا كله وخير معبر عن هذا كله، فوق انها مساهمة وبفاعلية لا تنكر في خلقه ايضا وتوجيهه.

* الصحافة الأردنية ما مدى مساهمتها في الحركة الأدبية؟

- للصحافة دورها دون شك، وأن كانت هناك عوائق تحول دون أن تؤديه على الوجه الامثل، لكنني لا أعتقد أن الصحافة تخلق ادبا أو ادباء، ومن هنا فان على الموهبة الجادة ان تفرض نفسها على الرغم من كل العوائق وأن تشق طريقها مهما كان صعبا. واذا سدت الدروب في مكان امكن التحليق فوق غيره، ثم أن الصحافة العربية عموما والادبية منها على وجه الخصوص مفتوحة للكتاب الأردنيين، وهم يثرونها كمّا ونوعا كما نلاحظ، وهكذا فلا يأس امام الارادة، ولا ظلام مهما كان كثيفا يستطيع خنق الموهبة الحقيقية واطفاء نورها..

* لو حاولنا عقد مقارنة بين العمل الأدبي في الماضي قبل ثلاثين عامل وبينه اليوم كيف تنظر الى هذه المقارنة من منظار الحرية المسؤولة التي تسمح للكاتب والشاعر بتحقيق ما يتطلع اليه؟

- اذا كانت الحرية هي محور التقييم والمقارنة، فكلا الجيلين، بل كل اجيال الكتاب من أمة العرب من المحيط الى الخليج، خارج هذه الدائرة، وحتى لا نقع في الاطلاق غير الموضوعي فاننا نستثنى بعض الكتاب اللينانيين والمغاربة.. والمسألة في صميمها نوع من الحكم التاريخي لا يلغيه او يستأنفه الا حكم تاريخي اخر، وهذا مستحيل ما لم تكن هناك معجزة أو ما هو بسبيل ذلك، واذا كنت متشائما هنا، فحقد جيدا معي، وسوف نتفق اخر المطاف.

الرسائل

بين يدي هذه «الرسائل»

تمثل هذه الرسائل التي أمكن لي العثور عليها، بعد صدور الطبعة الأولى من كتابي هذا؛ طبيعة العلاقات الحميمة التي كانت قائمة بين العجلوني وبين عدد من رجال الفكر والسياسة والأدب في الأردن والعالم العربي.

كما أنها تعكس الهموم الثقافية التي كان يعتلج بها واقع الأمة في مدى نصف القرن الفائت، فضلاً عما نتبيته فيها من حضور فاعل لكاتبنا، تأتي هذه الرسائل دليلاً بارزاً وبرهاناً مؤكداً عليه...

رسالة خاصة إخوانية وقد تكون مع رسائل كثيرة في كتاب لي

أخي الأستاذ العجلوني

تحية وبعد،

فقد سألت عنك في العام الماضي فقبل لي: إنك في «الجامعة» واتصلت مرتين فلم أظفر بك. وقد جئت في هذا العام وبدا لي اسمك في «الرأي» في زاوية دُعيت «أفق» فسألت: أما زلت في «الجامعة» فقبل لي: إنه في المجمع الملكي لبحوث الحضارة فقلت:

لك الله وأنت ما تفتأ تتحول في هذه الأمكنة التي لا تهب الذي يُضطرّ إلى السعي إليها راحة، وقد كان لي بعض هذا الذي أنت فيه، فقد هجرت اليمن لأنني ضقت ذرعاً بما لا يمكن أن تراه أو تتصوره، وعدت إلى هذه الأرض أستأنف ما بقي من رحلة العمر.

أخي لقد ضقتنا ذرعاً بحالنا نحن العرب وتنكر بعضنا لبعض فلا أواصر موصولة، ولا رحم مبلولة، وأذكر أنني قلت منذ سنين خلت في عمّان:

إن كنتَ في بلدٍ شقيق

ورويّت من «وادي العقيق»

فلأنت أضيع من تكون

وأنتَ في البلد الشقيق

أخي أعود إليك لأقول:

قرأت «في منقطع الثرى» فكان لي أن أكتب إليك هذه الرسالة لأقول: «أين أنت مما في «الرأي» مما يُسطر فيها من مقالات ولا سيما في صفحة «آراء وتعليقات» وأصحابها من أهل الأدب الذين تلقفتهم الصحف فابتعدوا عن إنسانية الأدب»؟

قرأت في «منقطع الثرى» كلماتك فعرفت فيها صلتك بأبي حيّان، فكان هذا حافزاً إلى كتابة هذه الرسالة.

لقد كان لي مع أبي حيّان «وقفات» جعلتها كتاباً أسمته بـ «حوار مع أبي حيّان» وهو يطبع الآن في دار نشر في لندن.

أقول: لم أسعد بسعة الجاحظ وسماحته، وما لأدبه الخالد ما يغنيني عن «ضيق» أبي حيان وهو يعرك شحّ الزمان. وصاحبي أبو حيان معجب بأبي عثمان يؤثره على كتاب العربية كافة، وله فيه مصنّف خاص لم نسعد بوجوده فضاع فيما ضاع من إرثه السخي.

عُدْتُ إلى «منقطع الثرى» فوقفت على قول الشاعر:

وقد يقصر القلّ الفتى دون همّه

فكان لي أن أقول:

وفد يقصر «السّن» امرءاً دون همّه

وقد كان لولا «السّن» طلاعٌ أنجد

فإذا كنا في عصرنا هذا «قد شالت نعمتنا» فنحن إخوان رحيلٍ عاجل، فكيف حال أجيالنا غداً؟

وأذكر أنني في مجمع اللغة العربية في القاهرة في مؤتمره في العام الماضي قد كُلفتُ في حفلة الافتتاح أن ألقى كلمة الأعضاء غير المصريين من العرب وغيرهم فقلت:

إن حضورنا في مؤتمر المجمع السنوي مما نحرص عليه أشدّ الحرص، ولكنني منذ خمس سنوات آتي إلى مطار القاهرة فيرهنونني أربع ساعات ليؤذن لي بعد قرار مدير أمن المخبرات لأني أحمل جواز سفر «القرية الظالم أهلها» أي العراق. ويُحاول «المجمع» في كل سنة أن يُجنّبني هذا فلم يفلح، فكيف النجاة من هذه الشدّة؟

وقلت مخاطباً الحاضرين: إننا أشقاء عرب كان ينبغي أن يصوننا «ميثاق الجامعة العربية» ولكننا ألغينا «الميثاق» منشدين مع الشاعر القديم:

عُربُ رأيْتُ أصحَّ ميثاقٍ لهم

ألا يصحّ لديهم ميثاقُ

أمل أن تنجلي هذه الغمّة فنعود أمةً متحابين، وسلام عليك.

إبراهيم السامرائي

عمّان في ٦/٨/١٩٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الخميس ٣٠ / ١ / ١٩٩٧

أخي الأستاذ العجلوني حفظه الله

تحية طيبة وبعد،

فقد قلتُ: إن «لئن» تتطلبُ اللام، وهو لام القسم في كلام النحويين القدماء ولا أراه. وهذا هو المتبع في لغة التنزيل العزيز والحديث الشريف ولغة الشعراء المتقدمين، ولكن المحديثين ابتداءً من البحري وأبي فراس صاروا يثبتون الفاء في جواب «لئن» ويحسبونها شرطية.

قال تعالى: «لئن اتخذت إلهًا غيري لأجعلنك من المسجونين»، «لئن شكرتم لأزيدنكم». ولولا أي وجدت سماحة عربيتك وحرصك على اشراق الديباجة ما نهتكت.

أخي أهديك قصيدتي التي كان لي فيها شيء من «أوابد» العربية لقناعتي أنك تستجيد هذه السماحة. إن هذه «الأوابد» هي ما اصطاح عليها النقاد المعاصرون «الأسطورة» التي أحبوها وراحوا يتعقبون السياب وغيره من أهل النظم من اللبنانيين وغيرهم مقلدين من غير وعي ما حكى عن (ت ايس إليوت) و«أساطيره».

لقد ظن المعاصرون أن «الأسطورة» واحدة «الأساطير» التي ربما سمعوها من الآيات الكريمة في قوله سبحانه - أساطير الأولين، ولم يعرف هؤلاء المعاصرون أن «الساطير» في الآيات نزل ونيلٌ منها بالقياس إلى كلامه - سبحانه - وهي بمعنى «كتابات الأولين» لأنها جمع «اسطار وسطور» فكأنها جمع الجمع، ولكن المعاصرين أخذوا منها وهم يجهلون «الأسطورة» حملا على «الأعيب» وواحدتها ألعوبة. وكان من هذا أن ذهبوا إلى أساطير الإغريق والرومان وسائر الأمم القديمة.

أخي أحببت، أن تقف على قصيدتي هذه التي جعلت من نفسي فيها «المستعين بالله» بعيدا عما يكون من الأسماء مستفيداً من قوله تعالى: «ولا تنازوا بالألقاب».

أخي الأستاذ إبراهيم،

إن «القاب الدكتوراه» زيف وكذب، وقد سعى إليها الدارسون بكل وسيلة ولو بالشراء وقد كان هذا.

فهل تعي جامعاتنا هذه الحقيقة وتقدر أهل العلم لا الأوراق الزائفة؟
أخي: هذه القصيدة أهديتها لك وستكون مما ينشر من شعري ديواناً إن شاء الله تعالى.
ابراهيم السامرائي

(مقطع من قصيدة)^(١)

في لقاء أحد الأشقاء والعرب في بغداد
أخي في العروبة، ما بالننا
نجمم فيها ولا نعرب
مشت بالعروبة «عنقاؤها»
وقد راح يرجى لها «مغرب»
وشالت نعمتنا إننا
سُلبنا وقد ذلّ من يُسلب
وأبنا بقشف يسيرلنا
ونال إباءً فهل نغضب
«بضاعتنا» ما استطالت بنا
وجئنا «بمزجاتها» نطلب
أخي جئت أرض العراق التي
حباك بها الأهل والمرحّب
حبيت بها يوم رفّ المعين
وفيرا بما يؤكل أو يشرب

(١) في لقاء مع أخ عربيّ ذهب إلى بغداد فكان له سعة وبسطة

ورحمت وقد حزت من وفرها
وقد ذيد عن أهلها طيب
لك الطيب المستجد الذي
به ما يطيب ويستعذب
وفاتك ان الألباة الكرام
يسيغون في الخسف ما يجشِب
يرون صغاراً كزغب الحواصل
خمضُ البطون بما يعصب
فماذا تعالج أم لهم
وكيف يضيق بضيم أب
شغلت أخي بما قد قدرت
وكم يجذب المرء ما يعذب
وانك تعلم ما تبغيه
وقد رحمت في رحبه تحطب
أخي في العروبة لا تبتئس
بما راح مني ما يغضب
أعزني بعض سماح به
لعل هوى فيك قد يغلب
عسى أن تفيء لرسم عفا
فيغنى بنا موحش مجدب
فسقيا لأيامنا الذاهبات
وقد جادها وإبل صيَّبُ

أفي رحم جنداء هل يبتغى
وشيجة ودّ بها نرأب
أخي في العروبة قد أوصدت
علينا أواصر لا توهب
تداعى على أهلنا في العراق
ليوث فحفّ لهم موكب
ترامى عليهم من الأقربين
فلول تهدي لهم مسرب
أعاريب ليسوا من الأكرمين
ذنابى، وفي غدرهم أذؤب
عنوا للطغاة وصانوا العداة
وكل تقمصه أرنب
أخي في العروبة ضاق السبيل
فتاه الدليل فلا مذهب
وألوى زمان نعمنا به
فما درّ ضرع فهل يُحلب
فذا خطبنا واقشعر الزمان
وصوّح من ربعنا معشب
فهذي الديار فمن مشرق
إلى مغرب ساء ما ينسب
أنبّيك أنّا هجرنا الديار
وما كان من هجرنا مهرب

وشالت نعمتنا في البلاد
كأن لم تصل بيننا أحقب
وأنا «كتاركة بيضها»
وراحت على غيره تحذب
وسدّت علينا جهات الدنيا
وسيم المجاهد والمتعب
تثائب عنا حمي الأقربين
وضيمت حقوق فلا تحسب
أنبيك أني سلكت البعيد
من الدرب ما ان بدا منكب
فأنت شقيقي إن لم أكن
حداني لبعض العنا مطلب
كأن الشقيق صباللشفاق
ولكن يـروغُ به ثعلب
تفرّق قوم «كأيدى سبا»
وقد كان ما كان ما يلهب
فملت لعمّان مع أمة
من الحاملين لما يجلب
من العلم زادا شغلنا به
فأكرم بـزاد به نخضب
أضاقت ديار على رحبها
فأين ديار لنا أرحب؟

وشمت بصنعاء بعض الحيا
وقد غاب من نوئها كوكب
وما أنا شاد مع المحتفين بأرض
بها «يشجب أو يعرب»
وما قلت «لا بد صنعاً» وقد
تنكر كل لما يوجب
وكنت ومثلي جمع الشتات
نجيل العيون لما يكرب
فلا «الحرمان» أفاء لنا
سماحاً بذلك لنا منكب
ودع عنك نهبي «برحب الخليج»
وما كان منابه منهب
وماذا لهم؟ قد تراموا إلى
ديار بافريقيا تخب
هو السعي في «ليبيا» هل أتى
بها ما يعين وما يكسب
وهل جاد قوم بافريقيا
وهل سمحت تونس والمغرب
أضقت فضقت ديار الورى
ولسنا بما ضامننا نسلب
تعقّف قوم فما اشبهوا
لفيفا أشادوا بما أذنبوا

رفاق الأسي قد تمطى الزمان
وقد طال من طائل غيب
وجال بكرم لنا ثعلب
وضيم وهان لنا أغلب
وكم من معارف لا تستجد
وأخرى زعانف تستوهب
ورثنا زخارف من عصرنا
بها قد نجدُّ وما نلعب
رفاق الأسي هل يعود الزمان
فيشرق روض لنا أرحب
وهل نستعيد هوى قدمضى
رفاق بأفئائه شَبَّبوا
أراني بفقري قد أكتفي
بما يطمئن به منصب
تثائب عمري وأفضى إلى
عُلالة بقيامتي تُسكب
المستعين بالله

عمان في ٢٠ / ٢ / ١٩٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الأستاذ العجلوني

تحية طيبة وبعد،

فقد كان لي بأخرة أن أقرأ لك في زاويتك في «الرأي» شيئاً أحسبك فيه قد جهلت أن جمهرة القراء لا تعرف أوابدك من الكلم العتيق (أريد النفيس)، فكأنك منهم تضرب على حديد بارد. وإني لواتق أن هؤلاء ولا أستبعد الخاطبين في دنيا الأدب وما يُدعى ويوسم بـ «الثقافة»، يجهلون مثلاً «السّمادير»، ولكنك قلتها فتركتمهم في حَيْصَ بَيْصَ.

وإني لأذكرُ أني قرأت في «تذكرة السامع والمتكلم» لابن جماعة شيئاً يشبه ما أنت فيه. لقد جاء في أخبار شعبة بن الحجاج المحدث قوله: رأيت الأعمش وأنا أحدث قوماً (أراد من الموالي) فقال: ويحك، يا شعبة، تعلق اللؤلؤ أعناق الخنازير!!

ذكرت هذا وقد كان لي مثله في «الإمتاع والمؤانسة» في كلام التوحيدى واصفاً الصاحب بن عباد، فقال: وهو (أي الصاحب) في كل ذلك يتشاكى ويتهاك ويتمايل ويحاكي المومسات ويخرج في أصحاب السماجات....

أقول: لم يعرف المحققان وهما أحمد أمين وصاحبه هارون كلمة «السماجات» وقد ذهب فيها جهلاً إلى معنى ما هو سمج قبيح.

لم يعرفا أن أهل السماجات في القرن الثالث الهجري هم الممثلون الهزليون وهم يرتدون ملابسهم المبرقشة وينخفون معالم وجوههم ويرقصون وينقدون الرؤساء.

أقول: كان على المحققين أن يكونا ملمين بالتاريخ والأخبار. لقد ذكر الإمام الطبري هؤلاء في حوادث ٢٢٦ هـ، وجاء ذكرهم في مصادر أخرى.

أخي الأستاذ العجلوني: أخصك برسالتي هذه ولا أبغي أن تكون مما ينشر في «الرأي»، فالصحيفة لها سياستها فيما يصلح وما لا يصلح. مع تحيتي،

إبراهيم السامرائي

١٩٩٩ / ٨ / ٢٤

رسالة من الأستاذ إبراهيم السامرائي

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الأستاذ العجلوني

تحية طيبة وبعد،

فأرجو أن تكونوا أنتم والأسرة بخير.

أعانك الله على ما أنت فيه من متاعب هذه الدنيا. ثم ان العمل في الصحافة كأى عمل آخر في هذا العصر متعب مضمّن.

أخي الكريم: كان ان قضيت في عمّان شهرين في هذا الصيف دعوتهما رحلة العذاب.

ثم ما حديث الأهل في العراق «القرية الظالم أهلها» لدى كثيرين من إخواننا العرب، ولا أقول الأشقاء، إنه حديث طويل...

كأنما نضب معين الوفاء، لم أر من أصحابي إلا من رأيتهم في المجمع والأخ سمير قطامي، وذهب آخرون وكأنهم ممّن «شغلّتهم أحوالهم وأهلوهم».

أخي الكريم أظنّ أن القصيدتين لم تنشرا، وليس لي إلاّ السؤال.

تحيتي مع الشكر،

المخلص

إبراهيم السامرائي

صنعاء ١٩ ربيع الثاني ١٤١٢ هـ

أخي أبا سلطان

تحية وبعد،

فإني لأبغى إليك الوسيلة فقد وجدتك بعض نفر أدركوا فنّ الكلمة، وقليلٌ من هم. وإني لأخصك بأبياتي هذه وهي بعض ديوان ثالث أسميته «الغمرات».

وقد أتساءل: هل لي بأبياتي هذه بعض التواصل الذي عزّني لقاءه؟

إبراهيم السامرائي

عمان في ١٤ / ٧ / ٢٠٠٠

في دنيا هنا وهناك...

أُسَعَى وَأَنْشُدُ: «أَيْنَ ذُو سَلَمٍ»؟

فلقد جفاني مَوْطِئُ الْقَدَمِ

ومشيتُ في دنيا فما رَحُبْتُ

بِسَمَاحٍ مَا قَد رَفَّ مِنْ نَعَمِي

أبتلك لي قد كان «ذو يزن»؟

وبهذه الأردن من رَحِمِ؟

ما كان من دنيا صَلِيْتُ بِهَا

ما كان بعضُ وقودها هَمَمِي

قد ضِغْتُ ذَرَعًا لَسْتُ ذَا بَرَمِ

صَبْرًا، وهل أقوى على بَرَمِ

عَاجَلْتُ أَيَامِي فَمَا أذْنَنْتُ

أَنْ تَسْتَجِيبَ لِحَاتِمِ السَّقَمِ

أبِكَلِمَةٍ حَرَّرَى أَعَالِجُهُ

ومتى استُعينَ بِمُلْهَبِ الْكَلِمِ؟

ضَيَّعْتُ جِيرَانًا «بِذِي سَلَمٍ»

وَنَأَيْتُ عِمَا ضَاعَ مِنْ حُرْمِي

يَالَيْتَ لَوْ وَاصَلْتُ قَافِيَةً

بِحَنِينٍ مَا اسْتَبَقَيْتُ مِنْ شَمَمِ

فَعَسَى يَكُونُ بِبَعْضِ ذِي لَحْنٍ

دَرَبٍ إِلَى وَافٍ مِنْ تَأَنَسَمِ

وَكَذَاكَ مِمَّا قَدْ شَدَّوْتُ بِهِ

سِرِّ الَّذِي أَسَدَيْتُ مِنْ نَعَمِ

أَلْوِي وَعَادَ شَجَاؤُ سَاوَرِنِي

وَلَكُمْ يَهْدُ سِفَارُ ذِي ضَرَمِ

دُنْيَا حَمَلْتُ لَهَا بِتَوَطُّئَةٍ

مِنْ بَعْضِ هَيْئَتِهَا الْمَزْدَحَمِ

هِيَ غَيْرُ دُنْيَا النَّاسِ يَجْزُبُهُمْ

هَمٌّ بِمُضْطَرَبٍ وَذِي أَرَمِ

بَلْ وَيَحِ أٰخَرَى حِيَزَ نَاضِرُهَا

عَنِّي وَقَدْ رَوَيْتُهَا أَلْمِي

وَأَنَا الْمَقِيمُ عَلَى رَجَاسٍ
لَمْ أَدْرِ كَيْفَ يَنَالُ مَنْ كَرَّمِي
وَاللَّيْلُ مَمَّا لَسْتُ أَمْلِكُهُ
أَفَأَسْتَقْرُبُهُ إِلَى حُلْمٍ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الأستاذ العجلوني

أخي أكرمك الله وأنت صائم، تقبل الله منك ما تفعله وتكتبه بقبول حسن.

أما أنا فإني مريض فلي رخصة.

وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين.

أراد الحق - سبحانه - لا يطيقونه، فحذفت «لا» وهذا بعض فن القول في لغة التنزيل.

أخي قرأت قبل أيام في كلمتك في «الرأي» عبارة:

.... إلا وكان....

أقول: ما بعد «إلا» جملة الحال وليس من حقها أن تصدّر بواو الحال، ولم يتجاوز هذا إلا المتأخرون من الشعراء، فقد جاء في عينية ابن زريق البغدادي: «ما أب من سفرٍ إلا وأزعجه...»

ولنا في قوله تعالى دليل وشاهد:

«وما يأتيهم من رسولٍ إلا كانوا به يستهزئون»

أخي هذه فائدة أخص بها أخي صاحب الديباجة النظيفة في زمنٍ ساد فيه غشاء السيل.

وأرفق بهذه أبيات لك أخصك بها:

وسيظهر ديوان ثان لي في خلال أيام.

وددت والله لو رأيتك في داري وليس في المجمع الذي لا يشغلني فيه سوى كونه ملاذاً

أوي إليه.

أين المرید...؟

هل لي من شوطٍ إلى المریدِ
فأدرك البعيد موموردي
وهل إلى أثيل أكرومتی
نهاية المطاف للمعبد
إن جاء بي سبيل ما أُبتلى
به وضيم الطيف للمشهد
فإن لي بالسَّمحِ في مشهدي
روايةً تُنبئ عن سؤودي
قلتُ على الله وفيه الحمى
قصدُ سبيلٍ وبه أهتدي
بغدادُ يا قبلة خير الوری
من رُكعٍ منهم ومن سُجد
وسامرین الليل في فنهم
من كل ذي لحنٍ ومن مُسعد
يهزهم في بعض ألعانهم
صوتٌ من «الفيحاء» للمريد
مدينة السلام يا مقصد الأ
نام في تاريخها الأبعد
عمي صباحاً فالضحى نير
يُبعدنا عن ليلنا الأسود

إن ساء فينا حاضر عابس
فقد نُرجِّي فيه من فرقد
للظلِّ والنخل وذاكي الثرى
فإن دجا دربي فمن مرشدي؟
وأيمن منِّي سدرة المنتهى
وقد توارت في عثاً أريد؟
لقد عداني هرج المربد
وزُهر صيد بهم أقتدي
وفاتني أن لم أفز بالمنى
بمابه من شرف المحتد

في ٩/١١/٢٠٠٠

إبراهيم السامرائي

إخوانية.. من الشاعر الدكتور إبراهيم الكوفحي

أو كلما جئتُ «الجريدة» تائقاً
للقاءك.. أرجع دون ذلك خائباً
حتى متى الأيامُ تسعفُ... مرّةً
أن نلتقي.. والعمرُ يركض هاربا
لله (إبراهيم)!!؟ من ذي قسوةٍ
أأنا؟.. أم أنت.. أجب، أهبّ مجابوا

إبراهيم الكوفحي

١٩٩٧/٤/٢٤

رسالة من الشاعر إبراهيم نصر الله

... ويا أخي الحبيب إبراهيم العجلوني

تحية الشعر،

في زمن نؤجل فيه كل أشياءنا الجميلة كي لا تُقتل الآن... ونحاول دفعها خارج حقول
الدم هذه..

في زمن نحاول فيه ألا نؤجل روحنا

... ألا نؤجل قصيدتنا...

كم هذا صعب...

كامل محبتي لك.. ونحن نشرع شبايكنا كل صباح لتتفقد الفضاء ، ونحرق في عتبات
البيوت لنطمئن أن الأرض لم تزل هناك وفتح قلبنا لتأكد أننا لم نزل هناك

أخوك

إبراهيم نصر الله

الأستاذ القدير إبراهيم العجلوني المحترم

تحية عاطرة وشكراً على ما بلغني من أنك ترغب في أن تقدم لعودة لقمان بمقدمة منك، فإذا عزمت على ذلك أرجو أن أرى المقدمة قبل تقديم الكتاب للنشر، فقد يقع فيها ما لم يقع لي في حياتي أو ما يعلم غيري من أموري أكثر مما أعلم أو غير ما أعلم، فأحتاج في هذه الحالة إلى السؤال منك عن مصدرك فيه، وأرجو على أي حال ألا أحتاج إلى شيء من ذلك. أبعث إليك مع رسالتي هذه بنسخة من كتابي «أي الكونين هذا الكون» لنرى رأيك فيه سواء نشرت ذلك الرأي أو لم تنشره.

الأستاذ أكرم المحاسنة ، أعجبتني منه اتجاهه العلمي، وهو اتجاه العلم في هذا العصر، الهندسة الجينية التي يجري فيها اختبارات في جامعة اليرموك، وقد نرى له يوماً اكتشافاً يرفع من قيمة الجامعة، ويعتز به أهل الفكر والإبداع في الأردن على الأقل.

ودم للمخلص

أديب عباسي

الحصن - الأردن

١٩٩٠ / ٦ / ٩

رسالة من الدكتور أسعد عبد الرحمن

الأخ الأستاذ إبراهيم العجلوني المحترم

صحيفة الرأي - عمان

تحية طيبة وبعد،،،

أود أن أبعث إليك بتحياتي وشكري على عموم مقالاتك في «الرأي» التي تنم -دون شك- على فكر ثاقب وبصيرة نافذة، ومواكبة واضحة لمجريات الأمور من حولنا.

وبشكل خاص أود أن أحييك على مقالتك المعنونة «في معنى الوطن» المنشورة بصحيفة «الرأي» يوم ١/٣/١٩٩٥، التي تبرز الوجه العربي القومي لإبراهيم العجلوني.

وإلى الأمام،

د. أسعد عبد الرحمن

١٩٩٥/٣/٧

التدريسات الفلسفية في الجامعات الأردنية

عزيزي الأخ الأستاذ إبراهيم العجلوني المحترم.

تحية طيبة، وبعد،

طلعت باستحسان وارتياح ما خطه يراعكم عن «درس الفلسفة» على الصفحة الرابعة من جريدة «الرأي» الغراء في عددها الصادر يوم الاثنين ١٣ / ١٢ / ١٩٩٣.

وقد لفت نظري وأثار اهتمامي ما وجدته في مقالكم من تشخيص دقيق وتصوير شامل ونظر بعيد وموقف رصين. وأحزني أن تكون الفلسفة موضوعاً مهجوراً غائباً يتيماً في الأوساط الجامعية والمحافل الثقافية. وأسعدني أنكم قد حزتم فضل السبق وشرف الارتياح عن جدارة واستحقاق. واستميحكم عذراً أن أحيطكم علماً أنني قد كتبت مؤخراً مقالاً طويلاً دفاعاً عن الفلسفة عرضاً، بقدر ما أسعفني علمي القليل وفهمي المتعثر، بعنوان: «نقد الثقافة العربية المعاصرة: الفلسفة من التعصب إلى التعصب المضاد». وقد نشرته متفضلة ومشكورة «المجلة الثقافية» التي تصدرها الجامعة الأردنية.

ولعل أخطر ما يترتب على هذا التغييب الصارخ أو التحجيم المذهل للفلسفة في الجامعات الرسمية والأهلية على حد سواء، والذي لا أعرف سره ولا أفهم سببه، أن عواقبه الوخيمة ونتائج السيئة وأضراره الفادحة على تكوين العقل وهوض العلم وتطور المجتمع والتقدم المتوازن للإنسان، لا تبدو واضحة للعيان محسوسة بالبرهان إلا في المدى الطويل والأجل البعيد، وليس في المدى القصير والأجل القريب. وحينذاك، يكون الأوان قد فات، والوقت قد تأخر، والداء قد استفحل، والعلاج قد استعصى.

وأرجو أن تجد هذه الباقية المتواضعة والحزمة الصغيرة من الآراء والملاحظات ما توقعه من صدر رحب وأفق واسع وعقل مفتوح، يقدمها بتجرد وإخلاص محب صادق قديم وعاشق حقيقي مزمّن للحكمة والفلسفة والثقافة والمعرفة.

١ - توجد في الجامعات الأردنية مادة تسمى الفكر الإسلامي. ولكن لا توجد على الإطلاق تدريسات منهجية للمفكرين المسلمين الكبار من أمثال الماوردي والغزالي وابن

خلدون، ولا للفلاسفة الإسلاميين العظماء من أمثال الكندي والفارابي وابن رشد.

فكيف يمكن تدريس، الفكر الإسلامي دون تدريس هؤلاء المفكرين والفلاسفة؟

٢- لا توجد في الجامعات الأردنية على الإطلاق تدريسات منهجية متخصصة للفلسفة اليونانية القديمة. ولا يعلم الخريج الجامعي شيئاً مذكوراً عن هيراقليطس وبارمينادس وبروتاغوراس، ولا عن سقراط وأفلاطون وارسطو.

فهل تخلت وتنازلت الثقافة الجامعية نهائياً عن هؤلاء الفلاسفة والمفكرين والحكماء الأوائل الغابرين القدماء؟

وهل هذه هي الثقافة الجامعية الحقيقية المثلى؟

وكيف يمكن تدريس الفلسفات الحديثة والمعاصرة في معزل عن جذورها وبذورها اليونانية القديمة؟

وكيف يمكن تدريس الفلسفة الإسلامية دون الرجوع إلى الخلفيات والسوابق اليونانية التي تأثرت بها وأضافت عليها؟

أرجو من صميم قلبي أن أكون على خطأ في هذه الملاحظات. وسأكون أسعد الناس طراً إذا ثبت أنها غير صحيحة.

مع أطيب التمنيات.

المخلص

أ. د. حازم طالب مشتاق

رئيس قسم الفلسفة سابقاً

بكلية الآداب في جامعة بغداد

عمان - في ١٨ / ١٢ / ١٩٩٣

رسالة كريمة من سمو الأمير الحسن بن طلال

«بسم الله الرحمن الرحيم»

الأخ الأستاذ إبراهيم العجلوني حفظه الله

تحية المحبة، وبعد،

لقد تلقيت ببالح الشكر والتقدير إهداءكم الكريم: نسخة من كتابكم الجديد القيم «الكتايبون في ظلال الإسلام».

وهو كتابٌ بليغ تكادُ كلُّ فقرةٍ فيه تشعُّ حكمةً ونباهةً وجزالة. ولعلَّ أبلغه فصلكم المبدع «صحيفة المدينة: لحظة تأسيس»، الذي أمل أن يُترجم إلى اللغة الإنجليزية ويُنشر على أوسع نطاق.

وإذ أُهنئكم على هذا الإنجاز، فإنِّي أسألُ الموليَّ العليَّ القدير أن يكلائكم بعنايته وأن يوفقكم دوماً.

بوركتكم وعوفيتم؛ وسلمتم..

أخوكم

الحسن بن طلال

عمان في ٢١ ذو الحجة سنة ١٤٢٤ هجرية

الموافق ١٢ شباط / فبراير ٢٠٠٤ ميلادية

رسالة من الأستاذ الشاعر خالد الساكت

بسم الله الرحمن الرحيم

الصديق الرائع إبراهيم عجلوني

تحية المودة والتقدير، وبعد

فقد كان مقالك عن الهاشميين، رائعاً في صياغته وترابطه وتدقيقه، بكل المقاييس.. قرأته كما لو كان كتبه الرافعيّ والعقاد مجتمعين.. هذه القدرة الهائلة على الإمساك بزمام اللغة، تدهشني وتذهلني وتثير إعجابي.
هذه واحدة.

أما الثانية فتتعلق برسالة الكاتب المثقف، في هذه الحياة.. خاصة وأنّ المتغيرات والأحداث والمخاطر المحدقة بالأمة العربية الإسلامية، تتطلب من (مثقفنا) القيام بأعباء استثنائية.. في خطّ المواجهة مع العدو الصهيوني وأدواته من الدول الكبرى والصغرى.. إنها تتطلّب منه إحراق جميع السفن حتى الاستشهاد.

أما الثالثة، فاعترافٌ مني لك، بأنني كنتُ دائماً أعتبرك صديقاً صدوقاً، وإنساناً مترفعاً نظيفاً، ومثقفاً مرصوداً لأكبر المهمات... وبكلمة: كنتُ أعتبرك إنساناً ثميناً جداً، لا يجوز التفريط فيه، مهما كانت الظروف والأحوال..

أرجو اعتبار «غضبتي» عابرة، واعتبار مسبباتها عابرة طارئة لا تتكرر أبداً.. ولك في ختام برقيتي هذه كلّ الحب.

ملاحظة: إن الغزالي لم يجاهد في سبيل الله والأوطان الإسلامية/ كما حرّم تعليم الناشئة العلوم.

أخوك

خالد الساكت

١٩٩٢/١٠/٧

قصيدة من الأستاذ خالد الساكت

«مهداة الى الصديق إبراهيم العجلوني»

لم تكُ - سمّها خديجة -

مبهورة ولا بهيجة

حينَ رأْتَ جحافلَ الجنودِ في منامِها

يُسورونَ الوطنَا

ويدخلونَ كلَّ بيتٍ

يخرسونَ أيَّ صوتٍ

. . قدمٌ تدوسُ ارؤسًا

وقدمٌ تسوي الكفنا

لا . لم تكنْ مذعورة

. . لكنّها حينَ أفاقتْ ..

صرّختْ مقهورة

حينَ رأْتَ جداراً سامقاً رهيباً

مسلحاً،

في ساحه الفسيح، أمّة

تخني رؤوسها، كما القطيع

من بيض الشيب رموش عينه

حتى الرضيع

لا تشتري،

تبيع .

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الأستاذ إبراهيم رعاه الله.

تحية واحتراماً وبعد،

أرجو أن تكون بخير وعافية.

أترك لك ديوان «قوس قزح» في الاستعلامات راجياً أن تشرفه بتعليقاتك التي ستجعلني

أشدَّ سروراً بها من الديوان نفسه.

واقبل شكر أخيك المحب،،

خالد فوزي عبده

٢٠٠٦/٩/١٩

باسم فالق النوى ربّ المستضعفين في الأرض أهل اليراعة والقرطاس، واهب الوجد للوجدان وباعث النور في العرفان ومانح أمن الحب ونعمته لمساكين الشعراء.. الطيبين الفقراء إليه، المعوزين إلا من رمق يقيهم لفتح الرمضاء في عزّ القرّ ويحميهم من الموت الرخيص على أعتاب الرذيلة، ويحول دون وقوعهم في فخاخ التردّي والابتدال.

من المتدثر بجلباب محبتكم والمستحمّ بسيماءات فيضكم النوراني، اللائذ بحنان الباري عن مئة عبد الباري راشد بن علي بن عيسى بن أبي مريم النابلسي الحارثي.. إلى الولي الصديق صنو تشظيه وتوأم تلظيه الأخ الخصيب في الزمن الجديب إبراهيم بن خليل العجلوني الصريحي الأريب المتجلي في إشراقات روحه العامرة بالحب الكوني المنتمي لجلال الحقيقة وزبد الأكناه والقانع بنسيج شرنقته الوحداية المتسامية عن أراجيف الأصدقاء الكاذبين والرفاق المخاتلين والمريدين المزيفين الراقصين على حبال الترهات والبهتان.

أما قبل وأما بعد:

فلقد وصلتنى هديتك العظيمة كتاب (صبح الأعشى في صناعة الإنشا) بأجزائه وفهارسه، فانجست ينابيع غبطني وصهلت خيول دمي البري واغسلتُ بفرح كالبكاء، ذلك أني كنت متلهفاً صادقاً لاقتنائه، فوعدت هذه الهدية الأثمن في محاور نفسي موقع البسمة الأولى على شفة طفل يتيم فأدركت أن ثمة سانحة رائعة تلوحُ مهما قتمت البلاقع وتلبدت أحاسيس الواقع وأن هناك دائماً تلويحة حب صافٍ خالص في وقت عاهرٍ تعيث فيه خزعبلات المغرضين الأوغاد الأفاكين.

أشارك أيها المضيء فضاء غربتك الروحية التي لا يعلم أنين مكابدها إلا الغفور الودود، ذو العرش المجيد، وأقتسم معك لقمة الآه وشربة الكدر ولسعات الوجيع المتلاحقة، على أنني أتوسل إلى فراش بهائك وطبور دوحتك النفسية ألا تستسلم إلى طقوس الواقع المشاكس، وإذا دُردر الغبار في عينيك فلا تفركما فإن دموعك كفيلة بصهر الغبار وإذابته لأنها ليست دموع استكانة وخنوع بل دموع قوة خفية استودعها ربّ العزة عافيتك.. لا تحزن إن خانك الأقربون فتلك طبائع حسدهم ولا تنس ما طمأننتني به ذات مساءٍ رائع حين قلت لي

إن هزائمنا الدنيوية أمام النفعيين والملونين من أدعياء الإعزاز والود هي بلا ارتياب محض الانتصار وصرْفُ الكبرياء العلوية في خلايا أرواحنا المستعصية على كل محاولات التدجين والترويض.

وعلى عهدي بك.. أوقن بكامل اليقين أنك جبروتيُّ الروح والجسد وليس من السهل ليُّ عنقك وطئيُّ ذراعك ومحو قسمات السؤدد في ملكوتك الرحيب.

إن غربة الفنان فيك، ووحشة الطريق في قدميك، ومرارة العشير في كوخ حضورك مكابدات تقبس من عتمة دجاها شرارات ألقك وإرادة نزوعك إلى برج الحكمة ومكنون الجوهر الأصيل.

حوْمٌ كما شئتَ في مجرات جنونك العقلاني الراقي فأنت المنتصر في نهاية المطاف وحجر إبداعك لن ينطفئ ما دامت ريح روحانيتك الجليلة تهب باتجاه الحق، دعهم سادرين.. دعهم في أحاييلهم واهمين لأن الجياد الهزيلة ستكبو في منتصف الطريق وستكسبُ أنتَ قصب الرهان.

ولا بأس يا صديقي أن تأخذ من هذه الأكذوبة الجميلة جداً المسماة «دنيا» بقسط لائق من العبث البريء واللا اكتراث والتنعم الطفولي بالمسرّات المتاحة فتلك أباريز لا مناص من تبهير مائدة وجودنا بها حتى تتمكن من التهام رغيف الحياة بشهية.. لعلك تشاركني البهجة في قراءة هذين البيتين لعمر الخيام / ترجمة أحمد رامي:

غَدُّ بظهر الغيب واليوم لي

وكم يخيب الظنُّ في المُقبلِ

ولست بالغافل حتى أرى

جمال دنياي ولا أجتلي..

أه.. أخالني معك حكيمًا وأنت أمير الحكماء فالعفو العفوي يا أبا الرّهم إنني أكتب إليك وأنا أجهد نفسي في العبور من خرم الإبرة إلى رحاب الرؤيا. وتقبلُ مني هذه الرباعية:

أعبر الرؤيا وأستجلي المتأها

راجيًا من زهرة النار شذاها

أتشظى في مدارات التداعي
أحتسي الوقت انكساراً وانشداها
كلما بعثت طفولاتي لعيدٍ
طلَّ عُرسٌ باعني حزنًا وآها
يا إلهي كم من الأحزان يبقى
كي تلمَّ النفسُ أشتات رؤاها

أخوك المخلص

راشد عيسى

٢٥ شوال ١٤١١هـ..

الموافق الثامن من أيار ١٩٩١م

الأزمة في الإنسان .. لا في الأوطان

أخي العزيز الأستاذ إبراهيم العجلوني .

قرأتُك قي «غرباء».. تلك الوجدانية النازفة على صفحات «الرأي»، فما وجدت فيها عجباً ولا وقعت على غريب فالمفكر الصادق، في مهرجان الزيف والعبث والتمثيل، ليس له إلا أن يكون غريباً في الروح والقلب والفكر والمناقب، بل من الغريب أن لا يكون غريباً في طعام أهل الثرثرة والكلام ممن يزحمون الساحات صخباً ويصكون مسامع الدهر لغطاً وغلطاً وضجيجاً، هذا «شاعر» يقصم ظهر الشعر، ويهرس عصبه، ويغتال زهرته، ويلوث عبيره.. وهذا «دارس» يقضم أعناق الفكر متطاولاً ثم يخرج شاهراً سيفه جاهلاً على الناس.. وذلك متخم جيب مجذب قلب يسطو على مقاعد الناس وكرامة الناس يسوقهم سوق الغنم باسم السياسة، أو ينتصب فيهم إماماً باسم الدين وليس له نصيب من دين.

انظر حوالبك، فيمن تعرف وأعرف، ولن تقع عينك إلا على «سيرك» يغص بالمهرجين من الكذبة الكسبة الذين اتخذوا من الرذيلة طريقاً للأرب، ومن النفاق وسيلة لبلوغ الخطوة أو السطوة في الناس، كم من غبي تعرف وأعرف، صار في أهل العلم والفكر أستاذاً ومحاضراً وفيلسوفاً، وكم من فارغ امتلاً جيبه حراماً فظن أن رأسه هو الذي امتلاً، لا يفرق بين جيب وعقل، ثم انفتل في قومه زعيماً يتكلم في الشرف والمروءة والسياسة والكياسة، كأنما هو بشير الخلاص!

انظر حوالبك، فيمن تعرف وأعرف، ولسوف ترى غابة من الأقنعة الملونة كقوس قزح تختلط فيها ألوان الطيف جميعاً إلا لون الأصالة والفضيلة والطبيعة، لكن شر ما في هذا الغاب أدعياء الفكرة والكلمة والخطاب، وإنك لواجد في جمجمة الواحد منهم بوصلة ما أسرع ما تنفتل الى وجهة المنفعة والمصلحة والكسب الذليل، لا يهمها شمال أو جنوب، تستشرق بين أهل الغرب وتستغرب في أهل الشرق، لا يضيرها عند هؤلاء وأولئك إلا أن تفوز من كذاب الزخرف بعطاء جزيل.

تقول انك غريب!؟

.. وانك لغريب غربة أهل الحق والصدق الذين تكبر في وعيهم الأمانة، ويضيء في ضمائرهم نور الحقيقة، فلا يبصرون في الحياة والناس إلا المثل والأنموذج، يشيخون

عن الصغار والصغار بكبرياء الكريم الذي يأنف أن يوطيء قدميه السباخ التي تنطف عفناً وكرامة، وذلك - والله - هو ميثاقهم ووثاقهم وأنهم الأحرار الأطهار، طريق سبق اليه السلف من أهل الشجاعة والكرامة والموقف، وما همهم أن تتحرق أصابعهم بنار الحقد، أو تدمى قلوبهم بمباضع الجحود والنكران.

ولقد قيل فيما روي عن سدنة الحق من أوائل الرجال، «ان عقل المرء محسوب عليه من رزقه»، وأزيدك أن الكرامة في الرجل الشهم بين طعام الناس في الزمن اللئيم، هي الرزق الأوفى الذي يشبع ويروى حين يعز الخبز وتنشف ضروع الماء. ذلك اني لا أستطيع أن أتصور صاحب فكر بلا كرامة، أو حامل قلم بلا موقف، ولا مبدع كلمة بلا ايمان.

طوبى للغرباء ما اغتربوا من أجل شعلة النور التي تضوىء في أحنائهم، لا يتساقطون في أشداق شهوة أو نزوة أو سطوة، تساقط الهوام عل ركام الأقداء والأقذار.

طوبى لهم ما أضاءوا ظلام الأوطان بنهار عيونهم ووميض قلوبهم، واهبين دونما جزاءٍ أو شكور، باذلين من غير مثوبة، فليست الأزمة في الأوطان ولكنها في مروق الإنسان، فهنيئاً لك الغربية ما اغتربت من أجل حق أو هاجرت من أجل حقيقة.

وهنيئاً لذباب الشعر والفكر ما سقطوا عليه من حلوى مسمومة يعافها الذوق السليم الكريم.

راضي صدوق

١٩٩٠/٤/١٣

رسالة أخرى من أديبنا الراحل أبداً.. راضي صدوق

أخي الأحب الأعز الأكرم أبا سلطان..

... وسلام على إبراهيم، وانك لمن الأصفياء الأتقياء الذين ما يزال قنديلهم يضيؤ بزيت نقي خالص من زيتونة البلد.

أكتب لك من جزيرة «كاتالينا» وسط المحيط الهادئ، وأنا كالحاظر الغريب الشارد من قتام الحياة التي تعرف وأعرف.. إلى آفاق من الزرقة الصافية التي لا يدرك الغارق في أثيرها أهي تنبع من أعماق المحيط أم تنزل من أطباق السماء. الآن، في هذا الشاطئ النائي، أتذكرك أخوا أصالة ونقاء ووفاء، ما عرفت فيك إلا صدق ذوي الأمانات من فرسان الكلمة والفكرة وشجاعة أولي العزم من الرجال الذين لا يبهرهم زخرف ولا يخدعهم بهرج في حياة اليوم التي سقطت في سبختها الأكترون ولم يسلم من دنسها إلا الأقلون!.

إنني الآن على عتبات الستين، الشَّعر رماد والقلب مُرهق، وما يزال الطريق يمتد ويطول ويتسع، لكنني أقطعه كارها من دون أيما شعور بلذة المغامر أو حلم المهاجر، بعد أن تكشفت لي أسرار اللعبة السخيفة المخادعة في هذه الحياة. ومع هذا فأنا ما أزال أمني النفس بان تتاح لي فرصة للخلود إلى راحة أستطيع أن ألملم فيها أوراقتي وقصائدي ومقالاتي المبعثرة في الصحف والمجلات العربية.. من المغرب إلى الخليج.. طوال أربعين عاماً، ناهيك عن رواياتي المنشورة مسلسل في الصحف ولا أملك منها حتى نسخة واحدة!.

لا أخفيك أنني بت أتخوف أن يحين الأجل المحتوم قبل أن تتاح لي هذه الفرصة الأمنية. لكن الأمل بالله يظل كبيراً على الدوام. لا أدري ما هي أخبارك؟.. وكيف العزيز سلطان؟ لقد أتيت لي أن أحضر إلى عمان ليومين فقط عدت بعدهما إلى الرياض، وكنت أمني النفس بلقائك..

أحبيك وأسأل الله أن يحفظك ويرعاك. وتحياتي لكل أخ صادق أصيل ممن عرفتهم ممن حولك وفي جوارك.

وسلام - كرة أخرى - على إبراهيم.

أخوكم راضي صدوق

الأربعاء ١٢/٣/١٩٩٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الحبيب إبراهيم

وسلاماً على إبراهيم فيض محبة وأمنيات ودعاء.

شكراً على ما أسلفت من فضل، وما أسبغت من جديدك على قديمك. فقد تدفقت عليّ الرسائل من الشعراء -وبينها رسالة من إسلام آباد- بعد أن نشرت ندائي إلى الشعراء على صفحات «الرأي». وما سرّني أولاً أنّي عرفت أنك ما تزال في «الرأي» ثم لا علم لي بشيء بعد هذا، من أمورك مع الدنيا. فلقد انقطعت عنك مثلما انقطعت عن نفسي زمنًا حسبته قرناً أو عدّة من قرون في بعض الأحيان. ومن أسفٍ أنني انتقلت الآن إلى بيتٍ لا هاتف فيه -فهو قادمٌ في قابل الأيام- ولهذا لا أتمكن من مهاتفتك حتّى يحضر الهاتف، فيخرجني من كتبي إلى أحبّائي.

لقد وجّهت مئات الرسائل إلى إخواننا الشعراء العرب، والاتحادات الأدبية، في معظم أقطار العروبة، وشرعت الرسائل تندفق عليّ -ومعها الكتب والدواوين الشعرية- من كل مكان. لكن شيئاً واحداً لاحظته -ولعلّه ذا مغزى!- هو أن «وجهاء» الشعر و«تجاره» من أصدقائنا الذين تعرف وأعرف، لم يتفضّلوا بكتابة كلمة واحدة.. وهذا معناه أنني ساكتب عنهم وليس لديّ من معلومات إلاّ ما أدخره عنهم في الذاكرة، وأغلب الظنّ أنه لن يسرّهم كثيراً.

بعد هذا، أريد أن أسأل: كيف أحوال قلبك وجيبك؟ في الأول لا أملك لك شيئاً، ولكنني في الثاني أستطيع أن أنفخ فيه، بمشيئة الله، روحاً من حياة، ولو إلى حين!

سائلاً الله أن يحفظك ويرعاك،

مع مودتي وتحيّتي،

بأخلاص

راضي صدوق

خزائن بيروت

شعر: رزق أبو زينة

مهداة إلى الأخ «إبراهيم العجلوني»

لك هذه الزند القوية

لك شامة في خدك،

القروي.

في الوجه البسيط،

وقبله

تشتد حدتها على

طرف الشفاه المقدسية

لك شمس طلعتك

البهية...

لك جسمك المنحوت،

من صخر الجبال.

وقلبك المجدول من

قصب السهول الساحلية

لك خصرك المحمول،

في ألق الجناد،

وجعبة الموت

المعبأ في مياه،

الزمزية

لك بعدك المرسوم في

الرمل

المبعثر في خطاك
لك حجم عالمك
الفلسطيني.
فلتهناً،
فان الكون يصغر عن
عذابك في هواك
رجل،
يحاورك المحارب،
تارتين
وتارة
يصغي لك المجد المعب.
في صدك
في بندقيتك،
انفعالك،
وارتشافك،
كأس موتك من خليلتك الملاك
هذي خليلتك الملاك
ما كانت امرأة تقوس ظهرها،
من ضربة الزمن ..
انت العشيق اذن
وروحك
صحوة الولد الفلسطيني
من موتين
موت ،
طاعن في السن مولود،

أخرجته فذائف التاريخ،

من تابوته العفن،

لك هذه الزند القوية

لك مالنا..

لك شكلنا..

فبأي حق ضاق عنك

الكون !

والتحم البنفسج في سماك

يوم ارتديت قصيدتين،

على قميصك

فلة حمراء

والأخرى،

صلابتك المقيمة في دماك

الآن،

افتح باب رغبتك

انفلاتك،

من يديك،

ومن رؤاك،

الآن،

ادخل منك للزمن الفصيح

وأخرج الأنهار من عينيك

كي أسقي ترابك من شذاك.

لك هذه الزند القوية

لك،

في أغانينا نصيب،

الله
فابدأ حيث تندثر الحياة،
وتشكر الأزهار،
لك شعبك المفتون فيك
لك أجمل القبلات،
من أطفالنا،
ترتاح من فمهم بفيك
لك ما يليك
هل كنت تعلم أنك الباقي ،
الوحيد
بعيد وأدك، بينما الآلام
تأكل ،
وائديك
فافتح خزائن هذه البنت،
التي
اسمها بيروت
.....
على مرأى البوارج
والبحار،
تشتهيك
لك ما يليك،
فانشر قميصك في الفضاء
مظلة
كي يحتمي الضعفاء فيك
فالمجد أصبح يبتغيك

والموت أصبح يتقيك
فافتح خزائن هذه المدن التي لا بد يوما
تشتهيك
فانك صاحب الأمر المطاع
على بنيك
لك،
هذه الزند القوية،
لك،
ان تخوض معارك «العرب الاباة»
وأن تموت،
كما النسور
بلا هوية
لك أن تكون نبهم أو قاتلا
لا يرحم الأطفال ان لم،
يحملوا،
بعيونهم شرف القضية
يا أيها
الولد الفلسطيني
يا معبد.
يا واحدا،
متفردا،
سرمدًا.
ما كنت عاديا،
ولا كان اشتعالك،
يشبه الفرقد،

أنت الضياء،
مجددا
لك حجم عالمك الفلسطيني -
لن «تكتب وصيتك الأخيرة»
فالمقاتل ،
خالد
لو أخطأ الشعراء في المقعد.
لك
ان ترى ما لا يراه الناس
في صنع الحياة
وبعثها ،
من قبرها الأسود،

١٩٨٣ / ١٠ / ٣١

تحية حب إلى إبراهيم العجلوني

لا نملك إلا أن نحیی ونشد على أيدي صديقنا الطيب النبيل إبراهيم العجلوني لما أبداه من مواقف وحدوية راسخة وخاصة فيما يتعلق بالشعبين التوأمين الأردن وفلسطين.

ومنذ البداية نشير إلى أننا لا نملك بلاغة أستاذنا إبراهيم ولا دقة تعبيراته ولا بهاء أسلوبه الكلاسيكي العريق، وكل ما نملكه كلمات بسيطة متقشفة مثل شعبنا الواحد هنا وهناك نقول بأن المشاعر والمواقف المبدئية الصحيحة التي أبداها الأستاذ إبراهيم في مقالیه المنشورين في هذه الصحيفة، هي ذات مشاعرنا ومواقفنا.

واننا بدورنا لا نتنكر لمراكز البحث التي نفترض فيها الموضوعية والنزاهة، ولا نغمض عيوننا عن الحساسيات والمفارقات التي تراكمت هنا وهناك بفعل ما يسميه (أبو سلطان) باستكراهات السياسة واضطاراتها.

ولكننا رغم ذلك، بل بسبب ذلك نشبث حتى آخر نفس فينا بالمبدأ الذهبي القديم الذي يقول بتشائم العقل وتفاؤل الإرادة..

حقاً، ان بعض معطيات مراكز البحث وبعض جوانب الواقع قد تقود إلى قدر من التشاءم في مستقبل العلاقة بين الشعبين، لكن إصرارنا على أن تظل العلاقات طيبة وإيجابية، وهو فعل الإيمان الذي يتلوه العقلاء من شعبينا هنا وهناك، لكفيل بقطع الطريق على أية فتنة أو تفرقة أو تصدع.

وإن ما يعزز هذا الإدراك أن العقلاء فينا يدركون بأن ما آلت إليه الأمور هو نتيجة لعبة أمم كبرى لم يكن لأي من الشعبين دور فيها، فهم لا يتحملون وزر الثمار المرة التي نضطر إلى تذوقها كل يوم.

إننا فلسطينيين وأردنيين، محشورون في هذه الرقعة الجغرافية الضيقة، وهي ستصبح زنزانة إذا اشتعلت فيها الخلافات. ويمكن أن تصبح بيتاً مريحاً إذا أحسن الساكنون فنّ التعايش والعيش المشترك.

وإننا لعلی ثقة من أننا قادرون علی حل أیة مشكلة، بالعقل والمنطق والنیة الحسنة، ولن تكون هناك خلافات حقیقیة بین أخوة المصیر الواحد...

وإننا ندرك أن بعض كلامنا تمليه العواطف، ولكن لا بأس بالعواطف إذا ما اتجهت نحو الشقیق والشریك.

نحیی صدیقنا وزمیلنا إبراهیم العجلونی ونقول: «كثّر الله من أمثالكم أيها الأخ الطیب النبیل».

رسمی أبو علی

١٩٩٨/١/١٠

الأستاذ الدكتور إبراهيم العجلوني المحترم

بعد التحية:

أرجو أن تكون بصحة جيدة و حياة عامرة بالعطاء العلمي والفكري لما فيه خير نهضتنا الفكرية والعلمية.

وبعد: فقد اطلعت قبل أيام، ولأول مرة على مجلتكم (المواقف) هذه المجلة الفكرية التي لم يتعرف عليها الجميع في العراق، والتي آمل أن تدخل قريباً ضمن مشروع (مجلس التعاون العربي) فيما يتعلق بالجوانب الثقافية والفكرية.

سيدي العزيز: بعد الاطلاع على أحد أعداد المجلة وهو العدد الذي نشر حواراً للمفكر العربي الدكتور حسن حنفي فتمنيت لو كنت حصلت على نسخة منه إلا أن هذه النسخة لم تتوفر إلا في المكتبة المركزية لجامعة بغداد، وهي نسخة للاطلاع فقط ليس للاستعارة ولا تخرج عن إطار المطالعة داخل المكتبة، ولكن الأهم من ذلك كله هو رغبتني في نشر بعض المقالات في (المواقف) ومن هنا وجدت الاستفسار أولاً عن شروط النشر، فأمل أن أحصل على الشروط وعند الإيفاء سأراسلكم لغرض النشر.

آمل تعاونكم معنا ولكم ولكل المفكرين والمثقفين في الأردن الشقيق ألف تحية وتقدير.

أخوكم

رسول محمد رسول

كلية الآداب - قسم الفلسفة

جامعة بغداد

أرجو مراسلتي على عنواني الدائم المذكور في الكادر المرفق طياً.

الأستاذ الأديب إبراهيم العجلوني

صديق الأخوة والاعزاز

أرسل إليك بطاقة تهنئة بكتابتك «الرافضون»، و«الوجوه»، ولا أخفي عليك بأنني سعيد بالجهود الذي يقوم به الصديق المبدع فايز محمود في أفضاله الدائمة بتعريفني بكتاب الأردن، وتزويدي بين الحين والحين ببعض الكتب المهداة منهم. ويؤسفني أنه غير متاح لي الآن أن أرسل إليك مجموعاتي القصصية وروايتي، وكانت النسخ الوحيدة المتوفرة لدي هي التي أرسلتها للصديق فايز محمود.

وكما أنك تحب النفري فأنا أيضاً أفضله على المتصوفين، حيث أنني أراه أعظم الشعراء والأدباء فهو كاتب النص الجواني المحرق والمتجدد دائماً.. سعادتني بكتابتك «الرافضون» لإحساسي بالقرب منك من نفس الأفكار فلا يمكن أن نقتل الحرية الفردية.. الحرية الفردية أساسية وضرورية لصياغة الحرية الجماعية أو الكلية. نعم سعدت بتلك الأفكار التي صافحتني وأحسست كما يقول صديقنا المشترك ان «القرب مسافة والبعد مسافة وأنت القريب البعيد بلا مسافة» هكذا كأنني أعرفك من زمن طويل وسعدت أيضاً بروايتك أكثر من القصص القصيرة. وقد انفردت بالرافضين والوجود والمواقف والمخاطبات للنفري.. كانوا معي في المصيف وكنت أنت والنفري والبحر.. وأنا. فوجدت كائناً حزيناً مثلي.. وحيد مثلي، اسمه إبراهيم العجلوني.

يهمني جداً إذا كانت لديك نسخة متوفرة من كتابك «في الفلسفة والخطاب القرآني» أن ترسله لي حيث انني مهتم بذلك الأمر.

لك خاص أخوتي،،

أخوك

رفقي بدوي

القاهرة ٢٩/٩/١٩٩٠

رسالة من الدكتور سامي الصقار

(دبلوماسي عراقي سابق)

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي الأخرم الأستاذ إبراهيم العجلوني حفظه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

قبل كل شيء أدعو المولى سبحانه أن يجعلكم عند وصول هذه الرسالة إليكم في أحسن الأحوال، متمتعاً بالصحة والعافية وراحة البال.

أخي الكريم، منذ مغادرتكم الجامعة وأنا محروم من لقاءكم والاستمتاع بحسن حديثكم والانتفاع من فيض علمكم وأدبكم، فعسى أن يوفقني الله إلى رؤيتكم في وقت قريب، علماً بأنني كنت خارج الأردن خلال الأسابيع العشرة الأخيرة، وبالتالي فلم تتسن لي المحاولة للاتصال بكم.

عزيزي، لقد اطلعت أثناء سفري على مجلة تسمى (أهلاً وسهلاً) تصدرها الخطوط الجوية السعودية، لمتعة ركابها، وقد لفت نظري فيها وجود مقال عن الرافي (رحمه الله). وهو ولا شك مقال خفيف يناسب ركاب الطائرة، ومع ذلك رأيت أن أقطعه من المجلة لأبعثه إليكم، لعلمي باهتمامكم بالرافي وما يكتب عنه من غث وسمين. ولعل في هذا المقال شيئاً يستحق الانتباه، ويبدو أن كاتبه من حملة الدكتوراه، وعلى كل حال فانتم خير من يحكم على جميع ما يكتب عن الرافي، والله يحفظكم

أخوكم

سامي الصقار

عمان ٢٢/٨/١٩٩٦

رسالة أخرى من الدكتور سامي الصقار

(دبلوماسي عراقي سابق)

عن النُخب العراقية والأردن

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي الأخ الأكرم الأستاذ إبراهيم العجلوني حفظه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

قبل كل شيء أدعو الله عز وجل أن يجعلكم عند وصول هذه الرسالة إلى يديكم، بأحسن الأحوال، وأن يجعل أيامكم، أيام عيد الأضحى المبارك، حافلة بالصحة والسعادة والسرور.

أخي الكريم، ليس بوسعي أن أصف لكم مدى شوقي للقيامكم، غير ان عجزني عن الخروج من البيت في الأمسيات هو الذي حال دون تحقيق تلك الأمنية، إذ أجد صعوبة كبيرة في مغادرة البيت بعد صلاة العصر والذهاب بعيداً إلى مكاتب (الرأي) العزيزة. ولكنني وإن كنت قد حرمت من لقاءكم وجها لوجه، فإنني لم أحرم من لقاءكم من خلال زاويتكم الرائعة (أفق) التي أحرص على قراءتها كل يوم، وأنتفع بمضامينها الغنية، وأستمع بروائع أسلوبها البليغ الذي يعود بنا إلى أيام عمالقة البلاغة والبيان من أهلنا، بدءاً بعبد الحميد، ومروراً بالجاحظ وانتهاء - كما قال الأقدمون - بابن العميد، فضلاً عن عمالقة المحدثين من البلغاء، كالرافعي والعقاد (رحمهما الله).

هذا وقد هزنتي لغتكم المخلصة الكريمة التي خصصتم بها أهلكم في العراق، المنشورة في (الرأي) يوم ٤ / ٤ / ١٩٩٧، الذين شردت الظروف القاسية النخب من أبنائهم تحت كل كوكب، وبذلك تحققت الأهداف اللئيمة التي خطط لها الأعداء بتفريغ العراق من علمائه ومفكره، بعد أن قضى العدوان الغادر على منشآته العلمية ومؤسساته الحضارية وصروحه الأدبية، بهدف إعادته إلى نقطة الصفر، بل ودونها، ليجردوا أمة العرب من سيف ماض من سيوفها المسلولة، وركن أساسي من أركانها، فيجعلوه عبرة لكل شعب عربي (بل وغير

عربي أيضاً) يطمح للتحرر من تحكم اللثام، وليخضعوه إلى عبودية جديدة تفوق عبودية الاستعمار والاحتلال.

في الواقع ان اقتراحكم الحكيم باستيعاب النخب العراقية في الأردن الشقيق، اقتراح صائب جداً، ولن يكلف البلاد أكثر من المبلغ الذي حددتموه. وانني أشعر بالأسى كلما رأيت بعيني أفواجاً جديدة من إخواني الأساتذة وكبار الأطباء والمهندسين وأرباب الاختصاص في كل فن نافع، يتخذون من الأردن ممراً (مجرد ممراً!) في طريقهم إلى البلاد الأجنبية في طول العالم وعرضه، من نيوزيلندا شرقاً إلى كندا غرباً، حيث يستقبلون بالترحيب ويمنحون من الامتيازات والتسهيلات ما لا يصدق، في حين تبخل عليهم البلاد العربية، (أو أغلبها) حتى بالحصول على تأشيرة دخول، أما الإقامة أو رخصة العمل، فإن دون ذلك خرق القتاد. وهكذا تضيع ثروة الأمة الحقيقية وتبدد وتذهب إلى الأعداء!

أرجو المعذرة، إن كنت قد أطلت، ولكنها هموم طفت على قلبي فأردت التنفيس عنها، وقد صدق الإمام الشافعي (رضي الله عنه) عندما قال: (لا بد للمصدر أن ينفث) والله يحفظكم.

أخوكم / الدكتور سامي الصقار

عمان في ١٢ / ٤ / ١٩٩٧

عزيزي الأستاذ العجلوني..

تحية وبعد، فقد لفتت نظري عبارة معينة في رسالة الدكتور إبراهيم السامرائي التي نشرتها (الرأي) قبل بضعة أيام، وحدث أنني كنت قرأت في جريدة (الشرق الأوسط) في الوقت نفسه تقريباً قصيدة ساخرة حول الضجة التي أثيرت أخيراً فيما يتعلق بالاتهام الذي وجهه أحد الدكاترة إلى ابن خلدون بأنه سرق أفكاره ونظرياته من رسائل إخوان الصفا. ومن هنا تراني أبعث إليك بصورة عن تلك القصيدة الساخرة، على سبيل التأمل والاعتبار.

سليمان موسى

الثلاثاء ٢٦ رمضان ١٤١٧هـ

الموافق ٦/٢/١٩٩٧م

•••

لو كنت من (كمبرج) لم تحتقر كتيبي

بنو النباهة من مسقط لتطوانا

إذا لقام بنصري معشر قسس

عند الشهادة ان ذو بدعة لانا

لكن قومي وان كانوا دكاترة

ليسو من العلم في شيء وان هانا

لا يسألون أخاهم حين يخبرهم

قولوا سخيفا على ما قال برهانا

يجزون عن جهل أهل الجهل مغفرة

وعن تياسه نقص العلم غفرانا

قوم إذا الجهل قد لاحت بشائره
طاروا إليه زرافات ووحداناً
فليت لي بهم قوما إذا قرأوا
استخدموا النقد تحليلاً واتقاناً

أخي، بل ابن أخي، الأستاذ إبراهيم
سلامات مع أطيب وأجمل التمنيات،

منذ أيام وأنا أعتزم كتابة هذه الرسالة، ولكن البرد القارس أصابني فأعاقني. وها أنا اليوم
أنفذ ما عقدت العزم عليه.

الرسالة تتعلق بالمقالة اللطيفة الطريفة التي نشرتها لك (الرأي) الغراء يوم ٥ شباط.
أشكرك يا صديقي على عباراتك الدافئة النابعة من فؤاد حي وعزيمة صميمية. فبارك الله
فيك. وحيّاك وبيّاك وسدّد إلى الأمام خطاك.

لا ضرورة لإطالة هذه المقدمة، ولكن الحافز الحقيقي للرسالة، هو توجيه الدعوة لك إلى
لقاء يتم على وجبة طعام في مطعم البستان الذي يقع بين منزلي ومقرّك في جريدة (الرأي).
والأهم من الطعام أنني أود إهداء واحد من كتبي المتواضعة، أو اثنين إلى أخ عزيز، مع علمي
ان منزلك يغص بالكتب والمؤلفات. وإذا رأيت أن تزورني في المنزل ذات يوم، فسيكون
ذلك من مدعاة لمزيد من التآلف والود.

أما حكاية مباحكات البعض فيما يتعلق بالجيل السابق من الكتّاب والمؤلفين، فمن
الأولى أن تضع ذلك دبر أذنك، هي حكاية قديمة تتجدّد جيلاً بعد جيل. ولكن في نهاية
النهاية لا يمكث في الأرض إلا ما ينفع الناس بينما يذهب الزبد جفاء وفقاقيع. حمانا الله
وإياك من الزبد وفقاقيع وأبعدنا عنهما.

ولا يفوتني التنويه بكلمة «أخلاق» التي جئت بها والتي تولّف زبدة الموضوع كله.

ودم واسلم في حفظ الله ورعايته،

ملحوظة: إذا رأيت أن تلبني دعوتي فيزداد سروري إذا اصطحبت السيدة زوجتك الأمر
الذي يتيح لي اصطحاب أم عصام.

سليمان موسى

٢٢ شباط ٢٠٠٥

رسالة أخرى من مؤرخنا الكبير سليمان موسى

أخي الأستاذ إبراهيم

الآن نضج العنب إلى حدّ طيب.

أريد تقديم بضعة قطوف لك وللأسرة.

تكرّم وهاتفني ذات يوم حتى نعين موعداً أحضر لك فيه ما يمكن وأنا على استعداد

لترتيب الأمور حسب ما يلزم.

أبو عصام

سليمان موسى

هاتف: ٥٦٦٢٣٠١

٨/١١

إبراهيم العجلوني

لم يكتمنا الزميل الأستاذ طارق مصاروة شهادته حول برامج التلفزيون. كان جريئاً كعادته وكان مصيباً في تشخيصه لأصل الداء، وللأهداف التي تضعها الفضائيات نصب أعينها.. «فهذا الإلحاح على العُرى النسائي، والكلام السخيف، والحزازير، وابتزاز الهاتف الخليوي، وصرعات ميشو، ولكاعة رزان (وكم من رزان ورزان) لها هدف واضح وكبير يعادل الملايين الكثيرة التي تمولها. وهذا الهدف هو انتزاع جيل عربي كامل من حالة الإحباط والبطالة وعار الهزائم.. إلى حالة العدم والعبث».

أما محطة الإذاعة الأميركية «سوا»، فيرى الزميل مصاروة أنها «تستغل قرف الشباب من الإذاعات الرسمية العربية لبثّ أغان بكل لغات الأرض، وبنوعية منخفضة، سواء في كلماتها أو في ألحانها».

أما أن تذوب شخصية المذيعة أو مقدمة البرنامج في تلفزيوننا، فيأخذها التقليد السخيف في «لإلنا (لنا) ولإلكو (لكم) ولا إلهن (لهن)». فذلك ما شدد الزميل مصاروة التركيز عليه في سياق نقده لواقع التلفزيون الأردني الذي لا مزيد وراء تراجع ونكوصه.

لو قال هذا الكلام شخص آخر غير زميلنا الكريم أبي علي لاتهمته إدارة التلفزيون بالأصولية والإرهاب ورفض الحداثة التي يظنون. ولكن: من قال إن زميلنا طارق مصاروة ليس أصولياً..

أليس يرى في الفلاحة الأردنية «التي يفيض وجهها وقوامها ولباسها بالجمال والاحتشام والطيبة» أنموذجاً إنسانياً رفيعاً، يملك أن ينقل «الرسالة الإعلامية التي نريد».

أليس تأخذه الغيرة على شهر رمضان الكريم، فيرفض أن نستقبله بطرقة العلكة وبالوناتها وبألوان الاضحاك السخيف.

أليس يؤكد أن ثمة وسائل «مدرسة»، وثمة علم نفس جماهيري هدفه تسخيف الشباب العربي؟

ثم أليس بتكنيته نفسه بأبي علي دليلاً على توجهاته الأصولية، وعلى تعويله على الجانب الاستشهادي في شخصية سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه؟.

لا نستبعد، في ضوء ذلك كلّهُ، أن يطالب الأميركيان برأس أخينا «أبو علي»، هذه الهامة
العالية التي تعدلُ عندنا مئات العلوج، والتي تصدقنا القول ولا تكذبنا حديثاً..

بوركت أبا علي في الغيارى على وطنك وأمتك.

وبورك قلمك الشديد.. وبصرك الحديد..

رسالة من الأستاذ طارق مصاروة

هذه الأرض... وهدهدات مآذنها وكنائسها^(١)

«الأخ الأستاذ إبراهيم حفظه الله

أطيب تحية، وأعتذر لك عن الكتابة بدل المشافهة. فما كتبه أمس في «الرأي» عن «طارق مصاروة.. أصولياً» كان أكثر مما أستحق، لكنّه كان تعبيراً صادقاً عن سماحتك، واعتزازك بزملاء المهنة المتعبة.

لم أكن أيها الصديق، طيلة الأربعين عاماً في العمل اليومي إلا ما أشرت إليه، حفظك الله، في مقالك. ولقد طوّفتُ في هذا العالم الواسع سنوات، وتعلّمت في جامعاته، وفي شوارعها، وحيثما شطّ بي المزارُ فيه، لكنني لم أجد المخدّة التي أضع رأسي عليها إلا تراب هذه الأرض، ولم أنم ليلي الطويل إلا على هدهدات مآذنها وكنائسها.

وقد كنت أتعب أحياناً من ولائي المطلق لبلدي وأهلي. ويدب اليأس في قلبي، فأقول له: نحن لا نستحق هذا الوطن.. لأننا لسنا العباد الصالحين. ثم أقرأ ما ينثره علي إبراهيم العجلوني، فأقول: ما تزال الدنيا بخير.

لا أحب أن أظيل عليك. رغم أملي في أن نلتقي أكثر ونعرف بعضنا أكثر. وكل الشكر والعرفان لك.

وأقبل احترام أخيك طارق

عمان ٢٠٠٢/١١/١٢

(١) تعقيب الأستاذ طارق مصاروة على المقالة التي وردت بعنوان: "الزميل طارق مصاروة: أصولياً".

أخي العزيز إبراهيم

تحية وشوق،

انتظرتك كما اتفقنا في فندق القدس، واعتبرت نفسي خاسراً لعدم مجيئك، وعلى كل حال فكلّي أمل أن تبعث لي بما اتفقنا عليه، وشكراً مقدماً.

مع الرسالة مقالتان وقصة، وسرني جداً اهتمامك بما نشرته.

عدنان الصائغ، شاعر لا أريد أن أعرفك به من خلال كتابتي عنه، ولكن دوأوينه تشهد له بمكانة مرموقة، لقد كتبت عن إضاءة نجمه قبل سبع سنوات، وقد تحقق ذلك، أرجو أن تهتم بأمره.

مع كل الود

الأديب والكاتب والناقد العراقي

عائد خصبان

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الكريم الكاتب الأديب الأريب السيد إبراهيم العجلوني المحترم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأدعو لك بالخير ودوام الصحة وصفاء الفكر
وأشكرك على إهدائك لي تحفتك الرائعة «الشذرات».

لقد استمتعت بما قرأت، وتمتعت بأسلوبك الذي يجمع بين الفلسفة والحكمة والنقد
اللاذع والأدب، وفي لحظة صدق معك ومع نفسي أقول إن العربية لا تزال على مدى التاريخ
تجد في أبنائها من يحفظ لها جمال التعبير وبراعة التصوير وأناقة اللفظ وصدق النقد مما
يجعلي أشاركك القلق على وجودنا ومصيرنا.

وفقك الله وأخذ بيدك مع إنتاج آخر وإبداع آخر

مع عاطر تحياتي وفائق احترامي .

المحب

عبد العزيز الخياط

٥ صفر الخير ١٤١٩ هـ // ٣٠ / ٥ / ١٩٩٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الكاتب والمفكر العربي الحر إبراهيم العجلوني المحترم

تحية طيبة مقرونة بالتقدير،

قرأت باهتمام واحتراف كبيرين الحوار الذي أجراه معك الصديق الدكتور محمد عطيات على صفحة من صفحات الرأي مؤخراً، وعلى الرغم من توقعي المسبق لما سوف تقول بسبب قربي منك ومن أفكارك الطيبة المستنيرة، فقد شعرت بفرح القراءة وشوق المطالعة لأفكارك وهواجسك وكلماتك الصادقة مع النفس ومع الآخرين.

لقد كنت في مواضع الاعتراف والمكاشفة شاعراً رقيق الشعور صافي الروح وكاتباً أمين الكلمة والموقف ومفكراً مستنير الدرب واثق الخطى باتجاه ما تريد وترضى.

وليتني أيها الأخ الكريم لم أصل إلى منتصف الحوار لأجدني غائباً مغيباً عند ذكرك لأصدقائك وزملائك الأثيرين لديك من الكتاب والشعراء، ولأجدني اسماً مشطوباً من قائمة الكتاب والشعراء الذين تعجبك كتاباتهم أو تقرأ لهم.

شعرت بحزن ثقيل يحط على القلب ويدهم الروح ولكنني قلت معزياً نفسي، أو معللاً «لقد تناساني أبو سلطان حين ذكر الذين يحبُّهم، ولو ذكر الذين يحبونه لذكر اسمي، فهو لا بدَّ يعرف إخلاصي له وصدقي مع نفسي حين ألتقيه أو أقرأ له قبل أن أكون صادقاً معه.

كم هو صغير هذا الزمن وكم هي ضيقة أنفاقه المظلمة إذ لم يكف عقدان من السنين أو يزيد لضمان تدوين اسمي في مفكرة صديق ولو في ذيل السطر الأخير من الصفحة الأخيرة مع أن قناديل الوفاة التي أشعلتها في الطريق إليه تشهد بأنني احتفلت منذ سنوات عُمرٍ خلت بتتويج اسمه في القلب والذاكرة...؟

لا أوجه إليك عتاباً يا أبا سلطان، ولا ألقى عليك بلائمة ما دام اسم العبد الفقير غير مدون في مفكرتك الصغيرة، ولا ألوم نفسي التي اندفعت بما يسر الله لها من طيبة ومودة إلى بناء صداقة معك من طرف واحد حتى تهباً لي بعد عمر طويل من الوفاء بأن صاحبها حاضرٌ عندك في غيابها ثم فجعها وراعها أن تكتشف بأن صاحبها غائبٌ عندك في حضوره!

لا عليك يا أبا سلطان...

لست أول أخ أحبُّ يتجاهلني شاعراً أو صديقاً ولست آخرهم، فهناك الكثير من المتزاحمين والمتنافسين على دفن شعري وقلمي وعلى الإعلان عن موتي في كل ندوة ومهرجان، ولكنني أظل أراك منزهاً عن هذا الطريق مترفعاً عن هذا التجنيّ وحتى لو رأيتك تمشي في آخر الجنازة الشعرية المعدّة لي فلن أصدق ما رأيت، وإن كنت الأخ النقيّ الذي تجاهلني ولم يحفل بتسجيل اسمي في مفكرته.

أخي إبراهيم،

ساظل أذكرك شاعراً مجيداً وكاتباً ملتزماً ومفكراً حرّاً مستنيراً حتى ولو نسيتني تماماً وشطبتني من قائمة الذين قرأت لهم.

ولكنني سأكون عاجزاً بعد الآن عن أن أسميك صديقاً حتى لا يملكني فضول التمسك بالصدّاقة من طرفٍ واحد...

فإن كنت أيها الأخ الكريم مؤمناً بحكمة سقراط «اعرف نفسك» فإنني أوّمن بحكمة أحبُّ أن أقولها لنفسني قبل أن أقولها لك «اعرف صديقك».

ودمت سالمًا

القارئ المخلص

علي البتيري

عما ١٦/٨/١٩٩٥

طرابلس الثلاثاء ٣ شوال ١٣٩٨ هـ - ٥ / ٩ / ١٩٧٨ م

الفاضل الأستاذ إبراهيم العجلوني المحترم

سكرتير التحرير لمجلة أفكار - الزاهرة - عمان

إنني لا أزال أذكر الأوقات التي جمعتنا بمؤتمر الأدباء العرب الحادي عشر بطرابلس ٢٣-٣٠ / ٩ / ١٩٧٧ م بالجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية.

لقد كان مكسباً حقاً أديباً وعربياً، أن يلتقي الإنسان بكم، كنتم مثلاً مشرقاً للأديب العربي الذي يعطي من قلبه ومن فكره في آن واحد، وقد شعرت وأنا ألقاكم كأنني عرفتكم من قبل عدة أعوام، بل من قبل مئات السنين ذلك ان الحميمية التي يشعر بها الإنسان معكم هي أدنى إلى الأخوة الصافية.

إنني شاكر لما تفضلتم به من إرسال بعض مطبوعات الأردن الشقيق عديدين من مجلة أفكار، عدد ايلول ٧٧ وعدد كانون أول ٧٧، ومطبوعتين: الإمارة الطائية في بلاد الشام وصفحات مطوية مفاوضات المعاهدة بين الشريف حسين وبريطانيا.

وكان بودي أن يكون تاريخ رسالتي هذه سابقاً لتاريخها الحالي، ولكنني أرجو المعذرة ومثلك من يعفو، حيث انني كنت خارج البلاد في رحلة لأوروبا خلال هذا الصيف، زرت فيها كثيراً من معالم إيطاليا ومدنها وكثيراً من مرابع فرنسا ومعالمها ومدنها، وتمنيت لو اننا التقينا في تلك المناطق الجميلة الساحرة، على شواطئ الأنهار والبحار أو على حافات غاباتها أو فوق جبالها الخضراء، أو في مدنها وقراها الرائعة.

تحياتي لكم ولأسرتكم الكريمة، مهنتاً بعيد الفطر المبارك، راجياً لكم السعادة وطول العمر.

المحامي علي صدقي عبد القادر

طرابلس - ليبيا

الأخ الكريم الأستاذ إبراهيم العجلوني

كل عام وأنت بخير.

وشكراً جزيلاً على الهدية التي أتحتني بها أخيراً، وهي كتابك الجديد «الفلسفة والخطاب القرآني». ولقد حاولت مراراً أن اتصل بك هاتفياً لشكرك عليها فلم يسعدني الحظ بالاتصال؛ ولكنني الآن أكتب إليك لأعبر لك عن شكري الخالص لهذه الهدية، متمنياً لك العمر الطويل المليء بالنشاط والإنتاج الغزير المثمر.

مع مودتي وأطيب تمنياتي، حفظك الله،

الدكتور عيسى الناعوري

عمان الثلاثاء ٤ / ٩ / ١٩٨٤

عن الفكر النقدي في التراث الإسلامي

رسالة من الدكتور فتحي ملكاوي

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

٢٥ ربيع الثاني ١٤٢٥ هـ (٢٠٠٤ / ٦ / ١٣)

الأستاذ إبراهيم العجلوني حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأسأل الله أن يحفظكم ويبارك في جهودكم، ويمد قلمكم بعون من عنده. والحقيقة أن ما يدفعني لتصفح الرأي يومياً هو ذلك الأفق الرحب الذي تعطونه للرأي يومياً.

إن مقالتي المنشورة في أفق الرأي ٦/١٢ يذكرني بما كنت قد عرضته على عدد من الباحثين من قبل حول كتابة بحث علمي ينشر في مجلة «إسلامية المعرفة» حول «الفكر النقدي في التراث الإسلامي وغيابه في الواقع الإسلامي المعاصر». وكنت قدمت بعض العناصر الممكنة لهذا البحث هي أقرب ما تكون إلى ما تفضلتم به في أفقكم المشار إليه. وكان التركيز فيه على: الأداء النقدي للعقل المسلم في مجال تطوير مهارات النقد اللغوي والأدبي أو العلوم المستحدثة في التراث الإسلامي، مثل علوم الحديث المبكرة أو أصول الفقه وقضايا علم الكلام، أو في العلوم اللاحقة لها في مجال التفسير والتاريخ والعلوم الطبيعية. وإذا كان الحرص على سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته وصيانتها من عبث الضعفاء والوضاعين قد أسهم في تطوير علوم الحديث على وجه التحديد، فإن النص القرآني بصورة عامة كان هو الدافع في نظرنا إلى اعتماد منهجية نقدية لكل ممارسة في ميادين المنقول والمعقول، وربما كان هذا النص هو المحرك الأساسي لتطوير العلوم التجريبية القائمة على اختبار الدعاوى ونقدها بالمشاهدة المباشرة والبرهان العملي على غير سابقة من علوم الأقدمين.

ولذلك فإنني على يقين أنكم خير من يعد هذا البحث العلمي الموثق الذي يمكن أن يقع في حدود عشرة آلاف كلمة، لا مانع لدينا بعد استكمالها من ظهوره في صورة مقالات متلاحقة في أفق الرأي، بعد التحوير اللازم لأغراض المقالة الصحفية.

أرجو أن يصلنا من طرفكم ما يفيد باستعدادكم لإعداد هذا البحث والعناصر التي يمكن أن يتضمنها، والإطار الزمني الذي يلزمكم لإعداده.
مع أطيب تحياتنا وتمنياتنا لكم بالتوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله.

د. فتحي ملكاوي

المدير التنفيذي

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الأستاذ إبراهيم العجلوني المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

منذ أن وَفَّتُ نفسي على قراءة ما تكتبُ كلَّ يوم والرغبةُ تغادينني وتراوحنني في تحرير هذا الخطاب، حتى قرَّ قرارِي وهدأ في كِناسِي أن لا محيِصَ عن هذا الأمر، وأن ليس منه بدٌّ، فعزمت عليه وانتويته، وإنما يهَّمُ المرءُ بامرٍ إن كان له فيه سَوَّلٌ يظفر به، أو ملتمَسٌ ينتهي إليه. والحقُّ أنني ما كنت لأستطيع هذا لو لم أكن بآرائك كلفاً شغوفاً، أتدبرها كلَّ يوم دون ملال أو سأم، حتى غدتُ إلى قلبي أحبَّ من كلِّ فائدة ورغبية، ولم يحدث أن غرِضتُ منها أو برمتُ بها، فهي عندي كالسحابة الممطرة في اليوم الحَمَت.

على أنك أيها العزيز، إنما بلغت في نفسي هذا المبلغ، وصارت لك عندي هذه الأثرَةُ لأسباب كثيرة؛ أولها نقائبٌ ميمونة وطبائعٌ محمودة جُبلتُ نفسُك عليها، وإنما عرفتُ هذه وتلك بغيره جلية على دين الله وعلى لغة كتابه أَلَمَحها في جلِّ كتاباتك. وثانيها عمقُ فلسفي فيما تطرح من رؤى، وهو عمق لا يدركه إلا مَنْ وُطنَ نفسه على التمييز بين الرذَل الركيك والجَزَل المتين، وضرَّها على «حب الحكمة» وتتبعها. وثالثها بساطةٌ في تناول القضايا والفكر، والبساطة، لا يخالجنِي في هذا شك ولا يعترضني ريبٌ، ملمحٌ جمالي رئيس، بل إنَّ فلاسفة الجمال لا يرحون يقولون: الجمال بساطة، وما أصعب البساطة!

لعلك أيها الفاضل، بعد هذا كله تسأل: ولكن ما سؤلُ هذا «المعجب» وملتَمسه اللذان أشار إليهما مفتتحَ خطابه؟... والحق أن لا سؤلَ عندي ولا ملتَمس سوى أن أحظى بصداقة مثلك، فمثلك يُسعى إليه، وأنا موقنٌ أنها، أي صداقتك، أعودُ عليّ وأنفع في هذا الزمن العربي المهزوم، فإن قبلتني صديقاً خفيف الظل فإني عائدٌ، بعدها، بِنُجْحٍ مطلبي ونيْلٍ مرادي، وإن رددتني فإني مخفقٌ في مغزاي حاسرٌ عن بلوغِ بغيتي، ومنزلتكَ عندي ثابتة لا تتزحزح.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

• هذا خطابٌ شخصي صرفٌ أمل ألا يقرأه سواك.

د. ماجد حرب

الأخ الكريم الأستاذ إبراهيم العجلوني حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

بمزيد من الشكر والتقدير تلقينا مرثياتكم واقتراحاتكم حول الأدب الإسلامي، ولقد قام مكتب الرابطة بدراستها للاستفادة مما ورد فيها من أفكار ومقترحات، ونصائح، فبارك الله بكم، وبجهودكم ونسأل الله ان يثبتكم على هذه النصائح. وان كثيراً منها سيكون موضوع اهتمامنا في المرحلة القادمة، وإن كان تحقيق الآمال الخاصة بالأدب الإسلامي، ورابطة الأدب الإسلامي يحتاج إلى جهد كبير، وصبر وتضحية، وهذا ما نرجو الله عز وجل أن يحققه على يد الرابطة وأعضائها، ومحبي الأدب الإسلامي في كل مكان، وكذلك فإنه من الطبيعي أن نخالفك في بعض الأمور، مع تقديرنا لاجتهادك، فتقبل شكرنا، وتقديرنا وجزاكم الله خيراً

عن مكتب رابطة الأدب الإسلامي

محمد حسن بريغش

الرياض ٢٨/٥/١٤٠٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الفاضل إبراهيم العجلوني

تحية طيبة وبعد،

يطيب لي بعد معرفة عنوانكم ان أبعث لكم بهاته الرسالة المتواضعة لأعبر لكم عن مدى إعجابي بقصيدكم الذي القيموه في ملتقى الأدباء العرب بطرابلس والذي نشرته جريدة بلادي مشكورة تحت عنوان: «العنقاء ونيان طيِّ المُطفأة»: فشكرك أيها الأخ على هذا القصيد وشكراً لجريدة بلادي التي مكنتني من الاطلاع عليه بنشره فقد فتحت لي جريدة بلادي نافذة أتطلع منها على الشعر الأردني الذي كنت أجهله ولا أعرف عنه شيئاً للأسف. ولذا أطلب من سيادتكم ان تفضلوا عليّ بإرسال نسخة من ديوانكم: «تقاسيم على الجراح»، لكي أطلع على بقية أعمالكم ومن خلاله على الشعر الأردني عامة. وكما أطلب منكم إرسال عدد من المجلة التي تشرفون على تحريرها وهي: «أفكار»، لكي أطلع على محتواها ومنهجها. وفي الختام أرجو لكم التوفيق في أعمالكم وما تسعون إليه والسلام.

أخوكم: محمد الحبيب بن الشيخ

تونس، الجمهورية التونسية

حرر في ٣٠ أكتوبر ١٩٧٧

رسالة من الدكتور محمود السمرة
في أعقاب المؤتمر الثقافي الوطني الأول

رئاسة الجامعة
الرقم: ١٠ / ٤ / ١ / ٧٠٨٦
التاريخ: ٢٥ / ١ / ١٤٠٥ هـ
الموافق: ٢٠ / ١٠ / ١٩٨٤ م

السيد إبراهيم العجلوني

تحية طيبة، وبعد،

فبمناسبة الانتهاء من أعمال المؤتمر الثقافي الوطني الأول الذي عقد في رحاب الجامعة
الأردنية خلال الفترة من ١٣ - ١٧ / ١٠ / ١٩٨٤،

يسرني أن أعرب لكم عن صادق الشكر وعميق التقدير على جهودكم المتواصلة والمثمرة
في الإعداد والتحضير للمؤتمر، مما كان له الأثر الأول في النجاح الباهر الذي حققه.

مع أطيب أمنياتي لكم بأطراد التوفيق وموصول العطاء.

واقبلوا فائق الاحترام،

رئيس الجامعة بالوكالة

(الدكتور محمود السمرة)

الأخ الفاضل الأستاذ إبراهيم العجلوني، حفظه الله

مؤسسة آل البيت

عمان

تحية طيبة وبعد:

لقد تبين لي أنني في غمرة مشاغلي الكثيرة نسيت أن أشكرك على إهدائي الجزئين الأول والثاني من كتابك القيم (الشذرات)

فعدراً...

فقد عشت أياماً مع فكرك وأسلوبك الرشيق، وطريقتك الذكية الجذابة تعرض أفكارك حول الشؤون المختلفة التي عالجهها قلمك في (الشذرات).

وأنني إذ أكرر الشكر على هديتك الحلوة، لأرجو لك المزيد من السعادة والتوفيق في خدمة العلم والفكر

والله يحفظك لأهلك،

محمود الشريف

٣ آذار ١٩٩٩

رسالة من مدير مكتب الأمير الحسن بن طلال

الأستاذ ميشيل حمارنة

الرقم: ٦٥٠ / ١ / ٢ / ٣

التاريخ: ٥ / ١٢ / ١٤٠٩ هـ

الموافق: ٨ / ٧ / ١٩٨٩ م

سعادة السيد ابراهيم العجلوني المحترم

تحية طيبة وبعد،

يسرني أن أنقل اليكم خالص تحيات وأطيب تمنيات صاحب السمو الملكي الأمير الحسن ولي العهد المعظم، وشكر وتقدير سموه حفظه الله على إهدائه نسخة من كتابكم (نحن وثقافة المستقبل) هذا وقد أبدى سموه ثناء واعتزازه لجهودكم الخيرة التي بذلتموها في إعداد هذا الكتاب القيم وعلى ما تضمنه من معلومات حيث يستعرض الكتاب الشروط لبناء مستقبل إنساني أفضل والفلسفة الخاصة في التعددية والاختلاف اذ تعتبر الخصوصيات الثقافية للأمم كأساس لوحدة إنسانية عامة.

مع أطيب التمنيات لكم بدوام التوفيق والنجاح.

واقبلوا فائق الاحترام،،،

مدير مكتب سمو ولي العهد

ميشيل حمارنه

رسالة من الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد

مؤسسة آل البيت

حول كتاب «في الفلسفة والخطاب القرآني»

الرقم : ٣ / ١٤٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ السيد إبراهيم العجلوني حفظه الله تعالى ووفقه

تحية مباركة طيبة ، وبعد ،

فقد سعدت بتسلم نسخة من كتابك «في الفلسفة.. والخطاب القرآني» هدية من كاتب أدب أعتر به وآمل منه خيراً كثيراً.

وقد أتاح لي هذا الكتاب فرصة واسعة للاستفادة والاستمتاع وفتح أمامي مجالاً للتأمل. ويبدو لي أن الخيط العام الذي ينتظمه - على تعدد موضوعاته - هو محاولة تنقية الفكر العربي من الشوائب التي تتسلل إليه: من الخارج عن قصد وتصميم ، أو من ذات أنفسنا عن غفلة وسوء تقدير وتدبير، والدفاع عن مقومات ثقافتنا الإسلامية وإظهار ما يحاك لها من دسائس لتشويه صورتها في نفوس أبنائها من أجل تشكيكهم في دينهم وتراثهم وفي قدرتهم على بناء حاضرهم ومستقبلهم، وكشف الستار عن الحركات المشبوهة التي طالما حاولت أن تندس فينا لتحطيم حصوننا من الداخل. وهذه كلها من أهم أسس الرسالة التي ينافع قلمك في سبيلها، وهي لا شك تحتاج إلى تضافر الجهود وإلى مزيد من اليقظة والتبصر عند كثير من علمائنا وأدبائنا وجمهرة قرائنا ومثقفينا.

بارك الله فيك، ونفع بك وأمتع، وزادك يقينا وبصرا وتمكنا من أسباب المعرفة حتى تحقق الأمل وتبلغ الغاية .

والله يحفظك ويرعاك

ناصر الدين الأسد

١٤٠٥ / ١ / ٥ هـ

١٩٨٤ / ٩ / ٣٠ م

جامعة عمّان الأهلية

٩ رجب ١٤١٢ هـ

(١٤/١/١٩٩٢م)

الأخ الكريم / السيد إبراهيم العجلوني المحترم

تحية مباركة طيبة، وبعد،

فإن جامعة عمّان الأهلية ترى من واجبها أن تشارك في تكريم ذكرى أديبنا الراحلين، مثلما تشارك في النشاط الثقافي لأديبنا الأحياء، بعقد الندوات والمهرجانات والمحاضرات لهم وعندهم. وتحقيقاً لذلك ستبدأ الجامعة بتنظيم حلقة دراسية في الذكرى السنوية الثانية لوفاة الأديب الكبير الأستاذ حسني فريز، في الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم السبت الموافق ٢٩ / شباط / ١٩٩٢، في مسرح الجامعة، وسيشارك في هذه الحلقة:

- معالي الأستاذ الدكتور محمود السمرة، بدراسة عن نثره.

- عطوفة الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، بدراسة عن نثره.

- سعادة الأستاذ الدكتور إحسان عباس، بدراسة عن شعره.

- معالي الدكتور خالد الكركي، بدراسة عن شعره.

ويسرنا أن نشاركوا في التعليق والنقاش في أثناء هذه الحلقة بكلمة مكتوبة تلقى في مدة لا تزيد على سبع دقائق. وستنشر الكلمة مع الدراسات المقدمة في الكتاب الذي سيصدر عن جامعة عمّان.

وإنني - إذ يسرني أن أتسلم موافقتكم الكريمة على ذلك - لأغتنم هذه المناسبة فأعرب لكم عن أصدق مودتي وأبعث إليكم بأطيب التحيات ووافر التقدير.

أ. د. ناصر الدين الأسد

رئيس الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ إبراهيم العجلوني المحترم

تحية أخوية وبعد:

أرسل لكم مجموعة من القصص أنوي أن أجمعها بين دفتي كتاب وانني أرجو أخي
أبا سلطان أن يضع لها تقديمًا في حدود صفتين، وأن يسمي بعض دور النشر التي يمكن
التعامل معها لأنك الآن أدري بسوق النشر والتوزيع.

وأرسل إليكم أيضاً كتاب الأخ الدكتور جهاد المجالي، ويبدو لي في حديثه أن أول نسخة
أهداها من هذا الكتاب هي لك ويريد منك أن تنوه عنه -الكتاب- في الملحق الثقافي، وأنا
عازم الآن على إعداد قراءة موجزة للكتاب سأرسلها إليك قريباً.

تحياتي للجميع ولكم خاص الود

أخوكم

نايف النوايسة

رسالة سفير العراق الشقيق

حول كتاب «يوميات عراقية»

سفارة الجمهورية العراقية

عمّان

٥ ربيع الثاني ١٤١٢ هـ

١٣/١٠/١٩٩١ م

الأخ الأستاذ الفاضل إبراهيم العجلوني المحترم

تحية طيبة،

تلقيت بغبطة وسرور نسخة من كتابكم (يوميات عراقية) • واذ نعبر لكم عن فائق تقديرنا واعتزازنا بهذه الهدية الرائعة، نسجل لكم بالفخر والاعتزاز هذه البادرة الطيبة واثقين انها نابعة من أصالتكم العربية وحبكم الكبير لبلدكم الثاني (العراق) •

وفقكم الله ورعاكم •

السفير

نوري اسماعيل الويس

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ أبا سلطان حفظه الله.

أرسل مرفقاً «نصاً متواضعاً»، آملاً نشره مع جزيل الشكر لكم.

أخي أبا سلطان:

استفزني هجومك المفاجئ على الماركسية في الرأي الثقافي... وذلك ليس اعتراضاً عما جاء فيه ولكن تساؤلاً عن الدافع والمناسبة، «الطعن بالفايت حرام»... تنطلق ملاحظتي من معرفتي بك، فأيام المناكفات الحامية، كنت لأحسّ لمناكفاتك طعماً مختلفاً وحرارة تصل رغم تباين وجهات النظر.. أما الجمعة الفائتة فقد تبادل ذهني رأساً... إن مهاجمة الضعيف ليس من شيمك... إلا إذا كان هناك محفزاً لا أعرفه... لك مودتي واحترامي

هاشم غرايبة

١٩٩٢

رسالة الدكتور هاني الخصاونة

وزير الإعلام الأسبق

١٩٨٨/١١/٧ م

١٤٠٩/٣/٢٧ هـ

عزيزي الأخ الأستاذ إبراهيم العجلوني حفظه الله

تحية أخوية وبعد،

لقد تسلّمت هذا اليوم ستة أعداد من مجلة «المواقف» وحين لاحظت أنكم ترأسون تحريرها، أدركت على الفور أنها مجلة جادة، فتصفحت عددين منها، وقرأت لك شخصيا افتتاحية عدد عن واقع الثقافة في الأردن. وشعرت أنني على الفور أمام زاد لا بد من تناوله بكل الجدية وأني لأدعو الله العلي القدير أن يمنحني الوقت كي أتزود بهذه الهدية الثمينة. كما أود أن أشكرك من صميم القلب أنك تذكرتني بهذه الهدية، وأنت رجل من أبناء الوطن الخيرين الذين أشعر حين أقرأ لهم أي أمام رجل جاد ومثقف، وليوفقك الله ويأخذ بيدك على الدوام. واسلم.

لأخيك

الدكتور هاني الخصاونة

وزير الإعلام

بسم الله الرحمن الرحيم

١٩٩٨/١/٧

الأخ الكريم الأستاذ إبراهيم العجلوني المحترم

رئيس تحرير «الرأي الثقافي»

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

كل عام وأنتم بخير، مبارك عليكم شهر رمضان الفضيل وكان الله في عونكم دائماً.

أحييك، بصدق، على افتتاحيات «الرأي الثقافي» المكثفة، وعلى مقالاتك المتنوعة الأخرى التي تنم عن أصالة ووطنية وغيره. وحري بي أن انوه بهاتين الافتتاحيتين: «كوميديا الجوائز الأردنية» و«بومة منيرقا والحكمة المتأخرة».

حيّاك الله وسدد خطاك لمزيد من الجرأة وقول الحق.

يوسف بكار

الأخ الأوس بن ماز العجلوني

تحية طيبة وبعد
فقد كان لي بأخيرة أن قرأت لك في زاويتك في الرأي شيئاً أعجبك فيه
قد جهلت أن جمة القراء لا تعرف أو أبوك من الكلم المعريق [أردني النقيس] ،
فكانت منهم تضرب على حديد بار . وإني لو أتق ان هؤلاء ولا أستجد
الخباطين في دنيا الأدب وما يدعى ويوسم به بالرفعة ، يجهلون مثلاً
السماوية ، ولكنك قلتمها فتركتمهم في حنين بيض .
وإني لأذكرني قرأت في تذكرة السامع والناظر لابن جماعة أبيتها ما أنت
فيه .

لقد جاء في أخبار شعبية بن الحاج المحدث قوله : رأيت الأعمش ، وأنا
أحدث قوماً [أراد من الموالي] فقال :
ويجاء ، يا شعبية تعلق اللؤلؤ أعناق الخنازير !!
ذكرت هذا وقد كان لي مثله في الإصناع والمؤلفه ، في كلام التوتيري نابراً
الصحاب بن عبادة ، قال :

وهو [أي الصاحب] في كل ذلك يتشاك ويتفائل ويتمايل ويحاكي المومسات
ويخرج في أصحاب السماجات .
أقول : لم يعرف المحققان وهما أحمد أمين وصاحبه الكلمة السماجات ، وقد ذهبها
فيها جهلاً إلى معنى ما هو صحيح قبيح .

لم يعرفوا أن أهل السماجات ، في القرن الثالث الهجري هم المحققون المزيون
ولهم برون ملايسهم المبرقشة ويخفون معلوم وجوههم ويرقصون وينقدون
البرقسات . كان على المحققين أن يكونوا ملهمين بالترجيح والأخبار . لقد ذكر الإمام الطبري
أقول : كان على المحققين أن يكونوا ملهمين بالترجيح والأخبار . لقد ذكر الإمام الطبري
هؤلاء في حوادث سنة ٦٤٠ هـ ، وجاء ذكرهم في ملها در الأخرى .
أخي الأوس بن ماز العجلوني : أعظمك برسالتك هذه ولا أبتغي أن تكون مما تبشر في
الرأي ، فالصحيفة لها مسياتها فيما يصلح ولا يصلح .

ابراهيم السامرقي

مع تحية

٢٠٠٤/٨/١٩٩٩

.. يا أبا الحسين
أبراهيم العجلوني
حياة الشعر

فأزمن نؤهل فيه كل أحيانا الجملة
كي لا تتقل الأوه .. ونحاول ونفعل
فأرجع حقول الدم هذه ..

فأزمن نحاول فيه الأنا نؤهل روحنا
.. الأنا نؤهل قصدتنا ..
كم هذا صعب ..
كامل حبي لك ..

وحننا نسمع شبايكنا كل صباح
لنتفقد الفضاء ، وندق في عتبات
البيوت

أقول

لنطمئن

أه الأرض

لم نزل هناك

ونفتح قلبنا لتناكد أننا لم نزل هناك

الحمد - الأردن

١٩٩٠ / ٦ / ٩

السيد الأستاذ القدير ابراهيم العجلوني المحترم
تحية عاطفة وشكراً على ما بعثتني من أنك ترغب في ان
تقدم الحدود لعمان بجدّة منك " فإذ اعزمت على ان ارجو
ان ارسد المقدمه فبر تقديم الكتاب بنشره فقد يقع في عالم
يقع به في حياتي امر ما يعلم غيري من اعدريه اكثر مما اعلم
او غير ما اعلم ، فأحتاج في هذه الحاله الى اسؤال من
عنه مصدره فيه ، ما وجد على اية حال الا احتاج الى
شيء من ذلك .

ابعد ابد في رسالتي هذه بنسخة من كتابي " اجد الكون
هكذا الكون " لتدعى ابد في سواد نشرت ذلك الراء اوم
نشره .

السيد اكرم الحامسة شاب طلقه - الحبيبي من ابناء
العاصمية ، وهو اتجاه العلم في هذا العصر ابي الكندسه الجينية
التي يجري في اجنبا راس على جامعة اليرموك ، وقد نرى
لربنا اننا نرى في من تحية ابا معند ، ولهيت به اهل
انقد ما تدبوا في الأردن على ايدى

مدم
ابراهيم العجلوني

راضي صدوق بسم الله الرحمن الرحيم

أهني الحبيب ابراهيم ..

« وسلام على ابراهيم فيض محبة وأمنيات ودعاء .
شكراً على ما أسلفت من فضل ، وما أسلفت من جديدك على قد عميله .
فلقد تدفقت عليّ الرسائل من الشعراء - وبينها رسالة من إسلام آباد -
بعد أن نشرت نذاتي إلى الشعراء على صفحات " الرأي " . وما سترني
أولاً التي عرفت أنك ما تزال في " الرأي " ثم لا أعلم لي بشيء بعد
هذا من أمورك مع الدنيا . فلقد انقطعت عنك منلما انقطعت عن
نفسك زمنياً - شبهة قرناً أو عدة من قرونه - في بعض الأمايبه .
ومر أسف أنني الآن انتقلت إلى بيت لاهائف فيه - فهو قادم
في قابل الأيام - " ولذا لا أتمننه من موافقتك حتى يحضر الأائف ،
فيخرجني من كتبي إلى أمانتي .

لقد وجهت مئات الرسائل إلى اخواننا الشعراء العرب ، والاتحارات
الأدبية ، في معظم أقطار العروبة ، وشرعت الرسائل تتدفق عليّ - ومعها
الكتب والدواوير الشعرية - من كل مكان . لكنني شيئاً واحداً لا حظته
- ولعله ذو مغزى ! - هو أنه " وجهاء " الشعر و " تجاره " من أممنا
الذين تعرف وأعرف - لم يتفضلوا بكتابة كلمة واحدة .. وهذا معناه أنني
سأكتب عنهم وليد لدي من معلومات إلا ما أذخره عنهم في الذكره
وأغلب الظنة أنه لم يسرهم كثيراً .

بعد هذا ، أريد أن أسأل : كيف أهوال قلبك وحبيلك ؟
في الأول لا أمل لك شيئاً . ولكنني في الثاني أستطيع أن أنفخ
فيه ، بمشيئة الله - روحاً من حياة ولو إلى حينه !
سأبذل الله أن يحفظك ويرعاك ،
مع مودتي وحنيني ،

بأخلاقه

راضي صدوق

الأستاذ الدكتور ابراهيم العجلوني المحترم

بعد التعمية : ارجو ان تكون بصفة جيدة وصياغة عامرة بالطاء العلمي والفكري
طائفة خير نرضينا الفكرية والمعلمية.

وبعد : فقد اطلعت قبل أيام ، ولأول مرة على مجلتكم (المواقف) هذه
المجلة الفكرية التي لم يتعرف عليها الجميع في العراق ، والتي آمل ان تدخل قريباً
ضمن مشروعات مجلس التعاون العربي ، فيما يتعلق بالجوانب الثقافية والفكرية .

سيدي العزيز : بعد الاطلاع على احد اعداد المجلة وهو العدد الذي نشر
حوار المفكر الوبي الدكتور حسن منفي فتصنيهاً لو كنت مهتة على نسبه منه
الا ان كونه انسه لم تتوفر الا في المكتبة المركزية بجامعة بغداد ، وهي نسبه
للإصلاح فقد ليس للاستغاره ولا تخريج عن الطار المطالعه داخل المكتبة ، ولكن
الا صحت من ذلك كله هو رغيتي في نشر بعض المقالات في (المواقف) وانا
صنا وجدت ، الا استفعما راولاً منه شروط النشر ، تأمل أن احصل على
الشروط وعند الايفاء سأراسلكم لفرضه النشر

آمل تعاونكم معنا وكل المفكرين والمتقنين في الاردن
الشقيق الفاتح وتقدير

اخوكم

رسول محمد رسول

كلمية الادب - قسم فلسفه
جامعة بغداد .

ارجو مراسلتي على عنواني اللائم المذكور
في الكادر المرتق طياً .

الى ذ الوديع ابراهيم العبدوني

صادق الرضوة والاعزاز

ارسل اليه بطاقة تهنئه بكتابه الرافضيه والوجه اولاً ضمن ذلك بانني سعيد بالجزء الذي يتناول به العلم
المبني على محمود فاضله، ولما كنت متعجباً من كتابك الاردني، وتوجهت الى بيته الحديث والحمد لله كتب
اليه مني . وفي سبيل ذلك قد قمت الى الوديع ارسل اليه مجموعات القصصه ورواياتي ، وطلبت
الشيخ الوصية المتوفاه لدى صداقتك اسلمها للصدوق فابراهيم محمود .

وكما انك قد التفتي لنا ايضاً بفضلك على المصنفين حيث اننا اراه اعظم الشراء والادب
منه كما كتب اليه الجوانب المعرفه والتجديد وانما . سعادت بالرافضيه ، لا محاسن بالقرب فكل
منه نفسه الاظهار فلا يمكنه ان يقتل الحريه العذبة . الحريه العذبة . اسسه وهدوينا لصياغه الحريه
الجماعيه اذ الكليم . نعم سعادت بقله الاظهار التي صافحتني واحسنت كما يقول عند تقينا المشرك
انه " القرب سانه والعبد صافه وانت القريب السيد بومسافه " هكذا اننا اعرفه من زمره بلطون
وسعت ايضاً برديله اكثر من القصصه الضيقه . وقد انقوت بالرافضيه والوجه والواقف والمجاهدات
للشرفي كما ما نواحيه من مصنفيه جرمه وكنت انت دلتني والبعث . وانا . فوجدت طائفة حزبه
ملك . وصيه فكل اسمه ابراهيم العبدوني .
يرجى صبراً اذا كانت لديك نسخ متوفاه من كتابك ، في العلفه والطلبه جوداً .

انه تامل في حيث انت مرحب بذلك الامر . لك طاب له اخوتي

اقول
رفق بديوس
الثاره ص ١٣١ شهر مصر
رحمته بديوس ١١٣٣١ ج . ٢٠٣٠ ع

١٩٩١/٩١٢٩

Dr.
Issa J. Naouri
P. O. BOX 352
Tel 7784
Amman - Jordan

الدكتور
عيسى الناعوري
ص. ب ٣٥٢
ماتف ٦٧٧٧٨٤
عمان - الاردن

Amman عمان ، عمان عمان ١٩٨٧
الشيخ الكريم الاستاذ ابراهيم العبدوني

كل عام وانت بخير .
وشكراً جزيراً على الهدية التي احمضني بها اخذاً ، وهي كتابك الكبير (الظفره
والخطاب القرآني) . ولقد حاولت مراتاً ان ارضع به صائغاً للشكر فليدني نعم يسدي
الخطب بالارتجال ، ولكنني اذ كنت اليك لشكره فمستكره مخالفه لهذه الهدية ،
تمنياً من العرطلون المدهج بالنشاط والانشاج الغزير المثر .
مع قودي والحب تحياتي ، فظن الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

League of Islamic Literature

رابطة الأدب الإسلامي



Date

١٤٤٠ / ١ / ٢٤
٢٤ جمادى الأولى ١٤٤٠ هـ

التاريخ - ١٤٤٠ / ٥ / ٢٨ هـ

السيد الكريم الأستاذ إبراهيم العليوني حفظه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

بمزيد من الشكر والتقدير تلقينا منيائكم راقداً حاتم حول الأدب
الإسلامي - ولقد قام مكتب الرابطة بدراسة مستفاد من مواد
فيها من أفكار ومقترحات - ونصائح - فبارك الله بكم - وبجهودكم
ونال الله من تشبكم على هذه النصائح - وانه لثيراً منها سيكون
موضوع اهتمامنا في المرحلة القادمة - وانه كما تحققت الأمال
الخاصة بالأدب الإسلامي - ورابطة الأدب الإسلامي يحتاج إلى
جهد كبير - وجهد وتضحية - وهذا ما نرجوا من عز وجل انه يحققه
على يد الرابطة وأعضائها - وجهود الأدب الإسلامي في كل مكان -
ولذلك فإننا من الطبيعي انه نأمل في بعض الأمور - مع تقديرنا
لاجتهلك ذلك - فنقبل شكرنا - وتقديرنا - جزاكم الله خيراً

عبد البريق
مكتب الرابطة



الصواب
الرياضه ص ب ٥٠٧٤٤
الرياضه ص ب ١١٤٦٤
د. ب. الشرف نص

P.O. Box 93 Lucknow 226007

INDIA 72336 73864

نشد - لکنو ٢٢٦٠٠٧ ص ب ٩٣

٧٢٣٣٦ }
٧٣٨٦٤ }

(ملحق)

مؤلفات إبراهيم العجلوني

- ١- تقاسيم على الجراح، شعر، دار عويدات، بيروت ١٩٧٣ م.
- ٢- نظرات في الواقع الثقافي الأردني، دراسات، دار البيرق، عمان ١٩٧٩ م.
- ٣- وحينما نلتقي، شعر (مشترك)، المطبعة العربية، حلب ١٩٨٠ م.
- ٤- مسلمات في ضوء التحقق، دراسات رابطة الكتاب الأردنيين، عمان ١٩٨٤ م.
- ٥- في الفلسفة والخطاب القرآني، دراسات، وزارة الثقافة، عمان ١٩٨٤ م.
- ٦- في الفكر القومي، دراسات، وزارة الثقافة، عمان ١٩٨٥ م.
- ٧- الوجوه، رواية وقصص، دار الكرمل، عمان ١٩٨٦ م.
- ٨- فصول في الفكر العربي، دراسات، دار الكرمل، عمان ١٩٨٨ م.
- ٩- الرفضون، مواقف ومخاطبات، دار النسرة، عمان ١٩٨٨ م.
- ١٠- نحن وثقافة المستقبل، دراسات، وزارة الثقافة، عمان ١٩٨٩ م.
- ١١- يوميات عراقية، مقالات، دار الكرمل، عمان ١٩٩٠ م.
- ١٢- طائر المستحيل، شعر، دار قدسية، إربد ١٩٩٢ م.
- ١٣- هموم أردنية، مقالات، مؤسسة رم للنشر، عمان ١٩٩١ م.
- ١٤- في المسألة الديمقراطية، دراسة، مؤسسة رم للنشر، عمان ١٩٩١ م.
- ١٥- نحو حوار معقول مع الأمريكان، دراسة، مؤسسة رم للنشر، عمان ١٩٩١ م.
- ١٦- دفاعاً عن العقل، دراسات، مؤسسة رم للنشر، عمان ١٩٩٢ م.
- ١٧- فيفساء أردنية، شعر مترجم، د. ديتير جلادة، معهد جوته، عمان ١٩٩٣ م.
- ١٨- الوعي المتمرد، دراسات، مطابع الإيمان، عمان ١٩٩٤ م.
- ١٩- أحزان مسيحية، سيرة ذهنية وجدانية، دار أزمته، عمان ١٩٩٥ م.
- ٢٠- في عبقرية البساطة (جولات في فكر جمعة حماد وأدبه)، المؤسسة الصحفية الأردنية (الرأي)، عمان ١٩٩٥ م.
- ٢١- الشذرات: الكتاب الأول، مطابع الإيمان، عمان ١٩٩٨ م.

- ٢٢- الشذرات: الكتاب الثاني، مطابع الإيمان، عمان ١٩٩٩ م.
- ٢٣- في مرآة الإسلام، دار البشير، مؤسسة الرسالة، بيروت/ عمان ١٩٩٩ م.
- ٢٤- من مفكرة رجل يحتضر (مسرحية وقصص)، أمانة عمان ٢٠٠٠ م.
- ٢٥- الشذرات: الكتاب الثالث، دار البشير، عمان ٢٠٠٠ م.
- ٢٦- رجال ومناهج، دار البشير، مؤسسة الرسالة، بيروت/ عمان ٢٠٠١ م.
- ٢٧- اللاحوار مع السادة الأمريكان، دار الأبرار، عمان ٢٠٠٢ م.
- ٢٨- شعر وشعراء، دار الأبرار، عمان- الأردن، ٢٠٠٤ م.
- ٢٩- كتب وشخصيات، أمانة عمان الكبرى، ٢٠٠٤ م.
- ٣٠- الكتائبون في ظلال الإسلام، مركز الرأي للمعلومات والدراسات، ٢٠٠٤ م.
- ٣١- العقل والدولة، دار الأبرار، عمان ٢٠٠٤ م.
- ٣٢- إضاءات في حوار الآخر واحترام الذات، دار المأمون، عمان، ٢٠٠٧ م.
- ٣٣- وحي الآفاق -ثلاثة أجزاء- دار أروقة، عمان، ٢٠١٥.
- ٣٤- فصول من النقد، أمانة عمان الكبرى، ٢٠٠٨ م.
- ٣٤- نحن ومفكر و الغرب «نظرات في المختلف»، ٢٠١٨.
- ٣٥- الأعمال الشعرية، ٢٠١٨.
- ٣٦- إسلام ومسلمون، ٢٠١٨.
- ٣٧- دون مقام الرضا، ٢٠١٩.
- ٣٨- في الثقافة الأردنية، ٢٠١٩.
- ٣٩- شيء من الفلسفة، ٢٠١٩.
- ٤٠- في الإعلام ومسؤولية الكلام، دار هبة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٢٠.
- ٤١- مسلمون وصهاينة وأمريكان، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٢١.
- ٤٢- رؤى نقدية في الثقافة الأردنية، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٢١.

المحتويات

٧	• مقدمة الطبعة الثانية
٩	• مقدمة الطبعة الأولى
١١	• المقدمات
١٥	- د. حسن جمعة حماد جهامة / دون مقام الرضا
١٨	- د. سحبان خليفات / نظرات في الواقع الثقافي الأردني
٢٧	- د. عزمي طه السيد / إسلام ومسلمون
٣٢	- د. ماجد حرب / نحن ومفكرو الغرب
٣٦	- أ. محمود الكايد / في عبقرية البساطة
٣٩	- د. ناصر الدين الأسد / وحي الآفاق
٤١	• الأصداء
٤٥	- إبراهيم العبسي / مجلة مواقف والموقف الثقافي المنتظر
٤٦	- د. إبراهيم الكوفحي / مائدة الرافعي... مرة أخرى
٤٩	- د. إبراهيم خليل / ملاحظات نقدية حول مبدأ الثالث المرفوع
٥٧	- د. إبراهيم خليل / إبراهيم العجلوني.. شعرية الجزالة وجزالة الشعر
٦٣	- د. أنور الشعر / الرؤية والتشكيل في أشعار إبراهيم العجلوني
١٠٩	- د. أيوب عيسى أبو دية / ردّ على مقالة «إسماعيل مظهر من الاشتراكية إلى الإسلام»
١١٤	- بلقاسم البرهومي / جولة في الديوان المشترك «وحيثما نلتقي» للشاعرين العجلوني والنجار
١٢٠	- د. توفيق أبو الرب / لحظات مع كتاب «دفاعاً عن العقل»
١٢٥	- د. جلال زواد فاخوري / أزمة الفكر القومي: تصحيح مفهوم!
١٢٩	- د. جورج طريف الداود / «الكتّابيون في ظلال الإسلام» لـ إبراهيم العجلوني: تجسيد العلاقة الحميمة بين أهل الذمة والمسلمين

- ١٣٣ - حسني فريز / موقف مع «المواقف»
- ١٣٥ - حسني فريز / نظرات في الواقع الثقافي الأردني
- ١٣٨ - حسين الرواشدة / شذرات إبراهيم
- ١٤٠ - د. حكمت النوايسة / إبراهيم العجلوني الشاعر
- ١٤٢ - خالد الساكت / من أوراق.. خالد الساكت عن الصديق الأديب إبراهيم العجلوني
- ١٤٤ - د. زياد أبو لبن / مسرحية «الجنرال» عمل فنتازي
- ١٤٨ - د. زياد الزعبي / إبراهيم العجلوني.. بحثاً عن أفق
- ١٥١ - سامر حيدر المجالي / بائع المسك
- ١٥٤ - صالح البوريني / العبور في أجواء النصّ عبر قصيدة «في الوصيد» للأستاذ إبراهيم العجلوني
- ١٥٩ - صالح خريسات / مع كتاب في الفكر القومي
- ١٦٢ - صالح خريسات / المواقف
- ١٦٤ - صدر الدين الماغوط / كتاب يحاول التأكيد على عودة الفكر العربي إلى مرحلة التأصيل
- ١٦٩ - د. صلاح جرار / إبراهيم العجلوني ورأيه في الغلوّ ...
- ١٧١ - عبد الفتاح أبو مدين / الإنارة الفكرية في التراث العربي: فصل من كتاب الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين رئيس نادي جدّة الأدبي: «في معترك الحياة»
- ١٧٦ - عبد اللطيف زهد / أسلوب عال في الحوار: إبراهيم العجلوني
- ١٨٢ - عبد الله رضوان / قراءة في العدد الأول من مجلة «المواقف»
- ١٨٦ - أ. د. عصام سليمان الموسى / شخصيات عالمة.. وحكيمة
- ١٨٨ - د. عماد الضمور / إبراهيم العجلوني أصالة التجربة وتجليات الشعر (تقاسيم على الجراح نموذجاً)
- ١٩٤ - د. عمر القيام / الطريق إلى مائدة الرافعي
- ١٩٦ - د. عمر القيام / «الشذرات» الأفق الروحي عند ابن عربي

- ١٩٩ - عودة الله منيع القيسي / أين الفلسفة.. من الخطاب القرآني
- ٢٠٤ - فايز محمود / الخيارات المؤسسة للعلاقة مع الآخر المختلف
- ٢١٠ - فخري قعوار / فزاعة النقد المحلي وسقوط الجيوب المتبقية
- ٢١٣ - محمد الصبيحي / إدارة الرأي وعودة الأحكام العرفية
- ٢١٥ - د. محمد القضاة/ إبراهيم العجلوني: البحث عن واحة مفقودة
- ٢١٨ - د. محمد عبد الله القواسمة / قراءة مختلفة في فكر جمعة حماد وأدبه
- ٢٢٠ - محمد سعيد مضية / قضايا الثقافة والحياة في عدد «المواقف» الأول
- ٢٢٤ - د. محمد شحادة عليان / إضاءة حقائق التاريخ بزاد معرفي ينقد تضاريس الحاضر
- ٢٢٧ - محمود إسماعيل بدر / يوميات عراقية.. العجلوني.. يبحث في تأسيس فكر عربي عظيم
- ٢٢٩ - محمود عواد / «المواقف» ثقافة عالية وفكر رصين
- ٢٣٢ - مصطفى النجار / مواقف ومخاطبات.. لقاء بين الأدب والفكر
- ٢٣٨ - منيرة شريح / فصول في الفكر العربي / محاولة في التأسيس
- ٢٤١ - موفق ملكاوي / «فصول من النقد» للعجلوني: قراءات وخطرات في قضايا أدبية
- ٢٤٤ - مؤنس الرزاز / الصعلوك النبيل!
- ٢٤٦ - مؤنس الرزاز / مغامرة «المواقف»
- ٢٤٨ - نايف النوايسة / فارس الكلمة العميقة
- ٢٥١ - نايف النوايسة / حول كتاب: «نظرات في الواقع الثقافي الأردني»
- ٢٥٥ - يوسف الغزو / صعوبة في فهم المعاني، وتعمق في التعبير
- ٢٥٩ - يوسف الغزو / «المواقف» ما لها وما عليها
- ٢٦٢ - محرر مجلة عُمان الثقافي / مسقط/ عُمان / كتاب جديد: «نحن وثقافة المستقبل»
- ٢٦٧ - أحمد أبو عرقوب / الغرباء..(قصيدة) إلى الصديق إبراهيم العجلوني
- ٢٧٠ - THE LITERARY CORNER -

• المسجلات والردود

- ٢٧٧
 ٢٨١ الرد: - ابراهيم سكجها / من ابراهيم بقلم ابراهيم
 ٢٨٣ - ابراهيم العجلوني / قراءة حرة في نص حالم
 رداً على إياد قطان في مقالته عن «الحرية في ثقافتنا الوطنية»
 ٢٩١ - ابراهيم العجلوني / فهم ملتو لمعنى التجديد / رداً على جمال ناجي
 ٢٩٤ - جمال ناجي / رداً على ابراهيم العجلوني / فهم ملتو لمعنى التجديد
 ٢٩٦ - ابراهيم العجلوني / رداً على جمال ناجي / ليس رداً.. بل تبين وتبيان
 ٢٩٩ - ابراهيم العجلوني / رداً على شاکر النابلسي / كن ذاكرًا يا شاکر! الصيد في
 جوف الفرا
 ٣٠١ - ابراهيم العجلوني / فلسفة التعليم في الإسلام
 ٣١٤ - د. طارق متري / تعقيب على ابراهيم العجلوني «فلسفة التعليم في الإسلام»
 ٣١٨ - ابراهيم العجلوني / حول منهج الأفغاني في التعامل مع التراث
 ٣٣٦ - عبد الجبار سعيد / تعقيب على ابراهيم العجلوني: «حول منهج الأفغاني في
 التعامل مع التراث»
 ٣٤٨ - ابراهيم العجلوني / مع كتاب «معالم الأدب الإسلامي» لعماد الدين خليل
 ٣٥٠ - د. عمر الساريسي / أدب الفكرة / رد على مقالة ابراهيم العجلوني حول كتاب
 «معالم الأدب الإسلامي»
 ٣٥٤ - محمد بديع عبد الدايم / تعقيب.. لا يجوز الصمت فيه / رد على مقالة ابراهيم
 العجلوني «وأردت صمتي»

• المقابلات

- ٣٥٧
 ٣٦١ - دعد الناصر / الحداثة القائمة لا تمتلك ماهية واضحة
 ٣٦٥ - رانية الجعبري / الإعلام هو أكثر الفعاليات تزويراً للحقائق وتضليلاً للناس
 ٣٦٨ - سامي ناجي ومحمد النصار / من يتاجر بالإنسان ويبيع الأطفال والنساء لا
 يقنعني برهافة حسه
 ٣٧٤ - سليم النجار / أعتبر نفسي وريثاً شرعياً لكل الثقافات البشرية

- ٣٧٨ - شيرين القطاونة / واقعنا الثقافي والسياسي متخبط وقد يفضي بنا إلى مأس كثيرة
- ٣٨٣ - د. ضرار بني ياسين / حُلم لنا أن تغدو عمّان عاصمة للثقافة العربية
- ٣٩٥ - عزمي خميس / الدين أعمق أثراً في النفس البشرية من الأيديولوجيات
- ٣٩٩ - فاطمة الهندي / الصمت المجاني هو سيد الموقف
- ٤٠٢ - مازن حجازي / ما بين القديم والجديد ليس صراعاً بل حوار أجيال
- ٤٠٦ - محمد سلام جميعان / لا أوفر نفسي من النقد والمحاسبة
- ٤١٤ - محمد سناجلة / الفكر هو أعلى تجليات الحياة
- ٤١٧ - محمد شلال الحناحنة / مع الأديب إبراهيم العجلوني
- ٤٢٠ - د. محمد عطيات / رحلة العمر عبثية.. ولولا الكتاب لما كانت تطاق
- ٤٢٩ - محمد مشاركة / التسلح بالتاريخ يمد المثقف بمصادر القوة
- ٤٣٤ - مريم العموري / لا يوجد حادثة عربية خارج الإسلام
- ٤٤٠ - منتصر حمادة / غالباً ما ينظر الغرب للآخر على أنه خطر ينبغي تصفيته
- ٤٤٧ - وفاء مطالقة / التصوف انخراط في ايقاع الحياة
- ٤٥٣ - وليد حسني / مشروع السلام اسم آخر لإسرائيل الكبرى
- ٤٥٩ - يحيى القيسي / عندي قلق دائم أن أموت دون ان أكون قد تمثّلت كل جماليات ومعارف ثقافة أمتنا الهائلة
- ٤٧٠ - المحرر الثقافي / مجلة الفجر الاقتصادي / يقلقني هذا المقلب الوجودي الذي نحياه

• الرسائل

- ٤٧٣ - إبراهيم السامرائي
- ٤٧٧ - إبراهيم الكوفحي
- ٤٩٤ - إبراهيم نصر الله
- ٤٩٥ - أديب عباسي
- ٤٩٦ - أسعد عبد الرحمن

٤٩٨	- حازم طالب مشتاق
٥٠٠	- الحسن بن طلال
٥٠٢	- خالد الساكت
٥٠٣	- خالد فوزي عبده
٥٠٤	- راشد عيسى
٥٠٧	- راضي صدوق
٥١١	- رزق أبو زينة
٥١٧	- رسمي أبو علي
٥١٩	- رسول محمد رسول
٥٢٠	- رقيقي بدوي
٥٢١	- سامي الصقّار
٥٢٤	- سليمان الموسى
٥٢٨	- طارق مصاروة
٥٣١	- عائد خصبان
٥٣٢	- عبد العزيز الخياط
٥٣٣	- علي البتيري
٥٣٥	- علي صدقي عبد القادر
٥٣٦	- عيسى الناعوري
٥٣٧	- فتحي ملكاوي
٥٣٩	- ماجد حرب
٥٤٠	- محمد حسن بريغش
٥٤١	- محمد الحبيب بن الشيخ
٥٤٢	- محمود السمرة
٥٤٣	- محمود الشريف

٥٤٤	- ميشيل حمارنة
٥٤٥	- ناصر الدين الأسد
٥٤٧	- نايف النوايسة
٥٤٨	- نوري اسماعيل الويس
٥٤٩	- هاشم غرايبة
٥٥٠	- هاني الخصاونة
٥٥١	- يوسف بكار
٥٥٢	• أنموذجات من أصول الرسائل
٥٥٩	• ملحق / مؤلفات إبراهيم العجلوني
٥٦١	• المحتويات

S A M E E R A L Y O U S E F

«إبراهيم العجلوني صاحب أسلوب لا يخطئه القارئ بين ما يقرأ من أساليب، فهو صاحب المعنى الغزير في اللفظ اليسير.. أما غزارة المعنى فيما يكتب فهي واضحة في مقالاته وكتبه. فهو ينتقل بقارئه في رحاب الدنيا الواسعة لا يكاد يعرض للقارئ أمراً من أمور الشرق والغرب، حتى يسارع إلى أمر من أمور المسلمين في ماضيهم وحضارتهم ومنهجهم»

د. ناصر الدين الأسد

«أنه كاتب أديب، ومفكر حصيف، ملتزم بقضايا أمته وهمومها، مسكون بهاجس نهضتها ومشروعها النهضوي، ومنشغل بالسؤال الحضاري الكبير: كيف لهذه الأمة أن تستعيد عزتها ودورها الحضاري الذي عاشته رداً من الزمن غير قليل، قدمت خلاله للإنسانية دروساً في الأخلاق والتسامح والعدالة والتعايش الإيجابي بين أبنائها جميعاً؛ المخالفين في الدين، والمختلفين في الأعراق والألوان والألسنة»

د. عزمي طه السيد

«لست أدفع أن يكون الأستاذ إبراهيم العجلوني واحداً من أهم مثقفي الأردن، ولست أدفع، أيضاً، أن يكون حالة معرفية نادرة، استوى عندها النظر العقلاني واستحصدت فيها علائقه، حتى جرى بأمره رخاء حيث أصاب»

د. ماجد حرب

